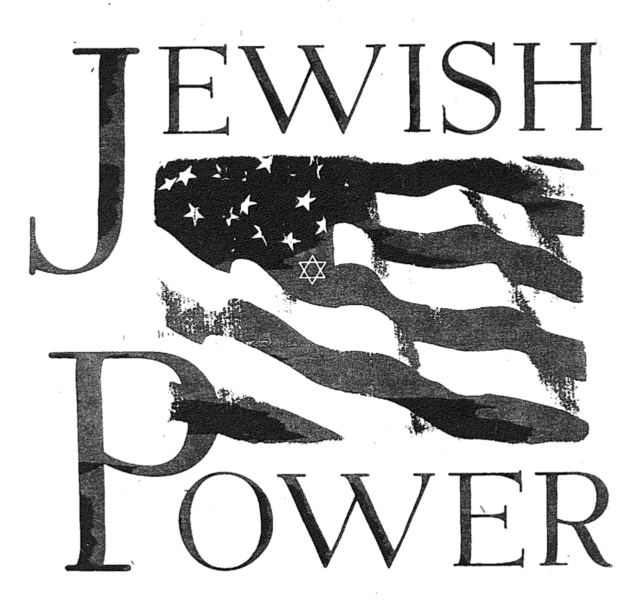
قوة اليهود في أمريكا

تأليف
چوناثان جولدبيرج
ترجمة
نهال الشريف

دار الهلال

J. J. GOLDBERG

JEWISH POWER



Inside the American Jewish Establishment

المقدمة

بعد ظهر يوم الخميس ١٢ سبتمبر ١٩٩١ ارتقى الرئيس چورچ بوش منصة غرفة الصحافة بالبيت الأبيض ليعقد مؤتمرا صحفيا خاصا حول الشرق الأوسط ، وكان هذا المؤتمر بمثابة نقطة تحول مهمة في الفترة الرئاسية الثانية لبوش .

ففى ذلك اليوم بدأ صراعه مع يهود الولايات المتحدة .

اجتمع الرئيس الأمريكى مع الصحفيين ليناقش مناورة دبلوماسية دقيقة خاصة بعملية السلام فى الشرق الأوسط والتى أصبحت المحور الهش للسياسة الخارجية الأمريكية لفترة ما بعد الحرب الباردة . قبل ذلك اليوم بأسبوع واحد كانت الحكومة الإسرائيلية قد طلبت من واشنطن ضمانات قروض قدرها ١٠ بلايين دولار فى صورة قروض تجارية على مدى خمس سنوات متتالية .

وقد خطط بوش لرفض الطلب الإسرائيلى .

ومع أن إسرائيل كانت حتى تلك اللحظة هى أكبر متلق للمساعدات الخارجية الامريكية وكانت تطلب القروض الجديدة لتمويل بناء مستوطنات للتيار المتدفق من اليهود القادمين من الاتحاد السوفيتى بعد انهياره ، ومع أن بوش أحد أبطال الدفاع عن قضية المهاجرين اليهود السوفيت ولكن توقيت الطلب الإسرائيلى الأخير كان خاطئا من وجهة نظره ، وهذا ما قاله للصحفيين فى البيت الأبيض .

كان بوش يأمل أن يعقد مؤتمراً عربياً اسرائيلياً للسلام – غير مسبوق – فى مدريد خلال الأسابيع التالية ، بعد سنوات من محاولات دفع كلا الطرفين نحو مائدة التفاوض . وفى ذلك الحين لم يكن بوش راغباً فى اغضاب الزعماء العرب بمنح إسرائيل دفعة مساعدات بالغة الكرم على هذا النحو ، وبالتالى ، أعلن بوش أنه يطلب من الكونجرس تأجيل المسألة لمدة ١٢٠ يوما ، وقال انه فى مواجهة «بعض القوى السياسية» التى تسعى لتعويق إرادته إلا أنه كان من الواضح أن الكونجرس على وشك اعتماد ضمانات القروض بدون موافقة الرئيس الأمريكى .

دق الرئيس بوش بكفه بقوة على المنصة التى يقف عليها ، وقال بصوت عال وقوى وغاضب «لقد سمعت أن هناك حوالى ألف من جماعات المصالح يعملون على

اقرار ضمانات القروض ، ولدينا الآن رجل وحيد فى البيت الأبيض يعمل من أجل السلام»

هذا الغضب ، وهذه النبرة الحادة ، كانت دائما حكرا على الحكام المستبدين ، أو نواب الكونجرس الديمقراطيين .

أما «القوى السياسية» التى تحدث بوش عن مواجهتها ، فكانت عبارة عن ألف وثلثمائة من زعماء المنظمات اليهودية ، من كل أنحاء الولايات المتحدة . حشد من الحاخامات والأساتذة والمحامين والعاملين بالحقل الاجتماعى ورجال المال والأعمال ، كل هؤلاء جاءوا إلى واشنطن فى ذلك اليوم ، ليناقشوا مع نواب الكونجرس المنتخبين ضمانات القروض لإسرائيل .

وكانت الرسالة التى يرددها هؤلاء جميعا واحدة وهى البعد الإنسانى لحرية اليهود السوفيت ، وأن هذه القضية يجب ألا تكون رهينة للأوهام السياسية لصنع السلام فى الشرق الأوسط .

كان الكثيرون من مساعدى الرئيس بوش لشئون الشرق الأوسط من اليهود وهم يصرون على أن هدف احلال السلام فى الشرق الأوسط الذى مزقته الحروب لا يقل إنسانية عن مسألة توطين اليهود السوفيت .

والجميع يعلم أن الكونجرس منحاز تماما لجماعات الضغط اليهودية وأصبحت تعليقات الرئيس فى غرفة الصحافة هى قمة الحدث، حيث سعت جماعات الضغط قبل ذلك بأربعة شهور لاقرار ضمانات القروض والتى حازت تأييدا كافيا فى مجلسى الكونجرس - النواب والشيوخ - وكانت نسبة التأييد تهدد الرئيس نفسه بأول هزيمة يتلقاها فيتو رئاسى يصدره إذا ما أصر بوش على موقفه .

ومع ذلك تخطى الرئيس بوش زعامات الكونجرس وقرر أن يخاطب الشعب الأمريكى مباشرة حول تلك «القوى السياسية» التى يقف فى مواجهتها «رجل وحيد فى البيت الأبيض» . وقد أحدثت خطة بوش وكلماته الأثر المطلوب منها ، فتبخر تأييد الكونجرس لضمانات القروض فى ليلة واحدة ، ووافقت زعامتا الشيوخ والنواب على مطلب الرئيس بتأجيل المسألة لمدة أربعة شهور .

ولم يكن هذا الانتصار الذى حققه بوش بلا ثمن .

●●●

بينما جلست «شوشانا كاردين» فى غرفتها بأحد فنادق واشنطن تراجع ما قامت به جماعات الضغط اليهودية فى ذلك اليوم ، تلقت أنباء ما قاله بوش فى المؤتمر الصحفى. و«شوشانا» زعيمة للعمل المدنى التطوعى فى مدينة «بالتيمور» وكانت رئيسة تلك «القوى السياسية» التى يشكو منها الرئيس الأمريكى ، والصفة الرسمية لشوشانا كاردين هى «رئيسة مؤتمر زعماء المنظمات اليهودية الأمريكية الكبرى» ، وتعرف هذه المنظمة لدى أعضائها باسم «مؤتمر الزعماء» أو «مؤتمر الرؤساء» ، وتتشكل من تحالف مكون من قرابة أربعين جمعية دينية يهودية ووكالات للحقوق المدنية وبرامج تمويل العمل الاجتماعى وغيرها. باختصار فإنها تشمل معظم الجماعات التى تشكل وتمثل مجتمع اليهود الامريكيين.

وقد قضت «شوشانا كاردين» جزءا كبيرا من حياتها فى التطوع للعمل الخيرى اليهودى ، وهى شخصية صلبة ومقاتلة ، تجيد العمل التنظيمى ، وتولت أكثر المناصب الرفيعة فى الجماعات اليهودية الأمريكية قبل أن ترأس المؤتمر القومى لليهود السوفيت ولذلك لم يكن انتخابها لرئاسة «مؤتمر الزعماء » فى ديسمبر ١٩٩٠ مفاجأة لأحد ، وأصبحت أول سيدة تتولى هذا المنصبْ ، وعلى مدار السنوات السابقة التقت «شوشانا كاردين» والرئيس بوش عدة مرات ، وكانت تراه شخصا لطيفا معتدلا وجادا ولكن آخر ما كانت تتوقعه أن تسمع منه كلمة هجوم واحدة ضد حقوق اليهود كمواطنين أمريكيين ، ولكن ها هو قد حدث ، لقد قام بوش بأول هجوم على مجتمع اليهود الأمريكيين ، وهو أمر يحدث لأول مرة فى تاريخ الولايات المتحدة ، وما قاله الرئيس كان يعنى أنه عندما يدافع اليهود عن أفكارهم ، كمواطنين ، فإنهم بصورة ما يشتبكون فى عمل مدنى غير مقبول .

بالنسبة «لرجل وحيد فى البيت الأبيض» كان چورچ هربرت والكر بوش يحلق عاليا فى بداية شهر سبتمبر عام ١٩٩١ .

فبرغم الاقتصاد الراكد ، إلا أن معدل شعبيته كان يصل إلى ٧٠٪ وهو يفوق شعبية أى رئيس أمريكى سابق خلال نفس عمر رئاسته ، ففى ذلك الوقت كان الديمقراطيون المعارضون خارج البيت الأبيض لمدة تزيد على عشر سنوات ، وكانوا يعانون أعراض الانقسام وانخفاض الروح المعنوية والعجز ، أما الرئيس الجمهورى فقد استخدم حق الڤيتو المكفول له أكثر من أى رئيس سابق - ٢٢ مرة حتى ذلك التاريخ - ولم يهزم مرة واحدة، وبات من المؤكد حصوله على فترة رئاسية ثانية .

كانت صورة بوش على الساحة الدولية رائعة ، فقد انهار الاتحاد السوفيتى وتفككت أوصاله، فأصبح بوش هو بطل الانتصار فى الحرب الباردة، وزعيم القوة العظمى الباقية فى العالم . وكان بوش قد تزعم قبل ذلك بثمانية شهور قوات التحالف تحت مظلة الأمم المتحدة وخرج منتصرا فى الحرب ضد الرئيس العراقى صدام حسين .

والآن ، أصبح چورچ بوش جاهزا ليسجل اسمه فى التاريخ ويقوم بحملة دبلوماسية دولية ويحل المشكلة المعقدة ، المتمثلة فى الصراع العربى - الاسرائيلى .

فالوقت مناسب تماما . العرب منقسمون ومضطربون بعد مغامرة صدام فى الكويت ، والأهم من هذا أنهم قد فقدوا عنصر الاعتماد على الاتحاد السوفيتى لتأييدهم فى موقفهم العنيد فى الصراع مع إسرائيل والذى بلغ عمره ٤٠ عاما ؛ إذ اعتقد بوش أنه يمكنه حث العرب على صنع السلام إذا ما وافقت اسرائيل على جعل الصفقة جذابة عن طريق الانسحاب من الأراضى التى احتلتها فى حرب الأيام الستة فى يونيو عام ١٩٦٧ .

ولكن مع الأسف لم تكن إسرائيل تلعب الدور الذى رسمه لها بوش فى السيناريو مما آثار حفيظته ؛ فرئيس الوزراء اسحق شامير رفض مجرد مناقشة فكرة الأرض مقابل السلام لأنه شخص عاش حياته كلها متشددا لا يثق بالعرب اطلاقا ويكرس حياته لفكرة اسرائيل الكبرى ، ويكرس كل «شيكل» ممكن فى ميزانيته لتوطين اليهود فى الأراضى المتنازع عليها .

ولكن فى خريف ١٩٩١ ، رأى بوش أن لديه شيئا يريده شامير أهم كثيرا من الأرض بالنسبة له ، حيث كانت إسرائيل تستقبل طوفانا من المهاجرين السوفيت الذين هربوا من الفوضى فى الاتحاد السوفيتى المنهار وكان المتوقع أن يصل عددهم بحلول عام ١٩٩٥ مليون مهاجر أى ٢٠٪ من اجمالى تعداد إسرائيل وتبلغ تكلفة توطين هذا التيار الكبير من المهاجرين حوالى ٧٠ بليون دولار أى ضعف اجمالى الناتج القومى فى إسرائيل ، لذلك وفى تلك اللحظة لم تكن إسرائيل فى موقف يمكنها من مجادلة بوش حول شروط ضمانات القروض ، بمعنى أن مسألة التفاوض على الضفة الغربية أقل أهمية من توطين اليهود السوفيت ، وكانت هذه وجهة نظر بوش .

على شاشة التليفزيون شاهدت شوشانا كاردين نشرة أخبار شبكة سى إن إن فى الساعة الثانية بعد ظهر ذلك الخميس ورأت اعادة للمؤتمر الصحفى الذى عقده الرئيس

بوش . فتأكد لها ما كانت سمعته من قبل ، إذ أوضحت لهجته وحركاته أنه ضحية عاجزة في مواجهة مؤامرة محبوكة ضده ، وشعرت شوشانا بالذهول .

لقد تأسس «مؤتمر الزعماء» في منتصف الخمسينات ليعبر عن تأييد جموع اليهود الامريكيين لإسرائيل ، كما تأسست أيضا منظمة أخرى شقيقة له ومقرها واشنطن وهي لجنة العلاقات الامريكية الاسرائيلية «آيباك» AIPAC والمعروفة باسم اللوبي اليهودي ، والتي يمكنها أن تحشد التأييد أو المعارضة لتسيير الأمور في الاتجاه الذي تنشده ، إلا أن «آيباك» جماعة ضغط رسمية معروف عنها العدوانية في حين أن «مؤتمر الزعماء» منظمة درجت على عدم الدخول في مواجهات ، ومعظم الوكالات التابعة لها هي مؤسسات غير ربحية خيرية أو دينية ، معفاة من الضرائب ، ومحظور عليها قانونا الدخول في أنشطة سياسية، وتنطبق هذه القاعدة على السياسة التي تخص إسرائيل أيضا . وبينما تتبنى المنظمات اليهودية الأمريكية وجهات نظر عديدة واسعة النطاق تجاه العلاقات العربية - الاسرائيلية وحقوق الفلسطينيين ومبدأ مبادلة الأرض بالسلام ، ولكن جرى العرف على ألا ترفض أو تناقش هذه الجماعات المختلفة القرارات السياسية الاسرائيلية ، وقد اتفق مؤتمر الزعماء أن ينحي خلافاته الداخلية جانبا على أساس واحد هو أن الواجب الأساسي لليهود الأمريكيين هو ببساطة تأييد إسرائيل والمنطق في ذلك هو أن الاسرائيليين هم الذين يعرضون حياتهم للأخطار كل يوم ، وبالتالي فهم وحدهم أصحاب الحق في اتخاذ قراراتهم من خلال حكومات منتخبة ديمقراطيا .

هذه القاعدة وضعت في مجال الاختبار عام ١٩٧٧ ، عندما أنهت إسرائيل عقودا من حكم حزب العمل لها بانتخاب أول حكومة يمينية متشددة برئاسة مناحم بيجين ، في الوقت الذي كان رئيس مؤتمر الزعماء هو الحاخام «ألكسندر شيندلر» زعيم الاصلاح الديني اليهودي ، ومع ذلك فقد رحب الحاخام شيندلر بمناحم بيجين دون تردد ليؤكد أن العلاقة بين اليهود الامريكيين ودولة اسرائيل علاقة متينة لا تنفصم .

ولم تكن شوشانا كاردين لتحيد عن نفس الطريق ، فرغم أنها كانت ليبرالية الفكر ولم تتعاطف كثيرا مع سياسات شامير إلا أنها كانت ترى أنها تدافع عن إسرائيل ولا تدافع عن سياسات شامير ، ولذلك فهي لن تسمح بدفع اليهود الامريكيين عن الطريق الذي اختاروه ، ومن ثم فقد دعت شوشانا كاردين بسرعة لعقد مؤتمر صحفي ترد به على تصريحات الرئيس وساعدها كبير أعوانها مالكولم هوينلاين ، وانتقدت شوشانا ما قاله الرئيس بوش وهجومه على حقوق المواطنين التي تعد حجر الزاوية في

الديمقراطيــة الامريكية ، وانعقد المؤتمر فى الساعة الثالثة ظهرا دون حضور كبير من رجال الصحافة .

وفى ساعة مبكرة من المساء طارت شوشانا إلى نيويورك حيث اجتمعت مع قيادات مؤتمر الزعماء فى الصباح التالى لمناقشة هجوم بوش والاستقرار على الرد المناسب .

كتبت شوشانا : «كرئيسة لتنظيمات المجتمع اليهودى فإننى أحمل تقديرا كبيرا لجهود الرئيس لمساعدة اليهود ضد الأخطار من روسيا إلى إثيوبيا ، ومع ذلك فإن ملاحظاتكم التى بثها التليفزيون فى اليوم السابق تبعث على الانزعاج وتثير سوء الفهم» .

وفى واشنطن كانت هناك مجموعة صغيرة من العاملين فى البيت الأبيض تشارك شوشانا شعورها بالانزعاج كما كان من الواضح أن قيادة التنظيمات اليهودية ليست فقط هى التى ترى كلمات بوش كهجوم حاد على اليهود الأمريكيين .

ومن ناحية أخرى فقد استمع لتصريحات الرئيس عدد ليس بالقليل من المواطنين الأمريكيين ، من غير اليهود ، ورأوا فيها دعوة لمواجهة اليهود الاقوياء ، وكانوا على استعداد لحمل لواء هذه الدعوة الرئاسية إذ حدث فى صباح الجمعة أن بدأ البيت الأبيض فى تلقى برقيات ومكالمات للتهنئة ولمديح الرئيس على نجاحه لوضع اليهود فى مكانهم الصحيح ، وظلت هذه البرقيات تتراكم حتى صباح الاثنين التالى ولكن لم يكن هذا هو مقصد الرئيس الأمريكى على أية حال .

بعد عام من ذلك قالت « شوشانا» ان اللهجة التى تحدث بها الرئيس كانت غير مقصودة ، وأن هدفه كان هو التأثير على الكونجرس الأمريكى مؤكدا أن السياسة الخارجية لا يتم رسمها داخل أروقة مجلس الشيوخ ، وبالنسبة له كان الأمر سياسيا بحتا أما بالنسبة لمجتمع اليهود الأمريكيين فقد كانت المسألة أكبر من ذلك ، كانت مسألة حق المواطن على الحكومة الأمريكية.

كتب الرئيس بوش فى يوم الثلاثاء ١٧ سبتمبر كتب الرئيس بوش معتذرا لشوشانا وشكرها على تقديرها لجهوده وفى تحرير اليهود السوفيت وقال فى رسالته : « إننى أشعر بالقلق لما سببته بعض تعليقاتى أثناء المؤتمر الصحفى الذى عقد يوم الخميس من مخاوف لدى الطائفة اليهودية ، إن اشاراتى تجاه القوى السياسية المؤثرة لم يكن مقصودا بها اطلاقا أى نوع من الازدراء ، واننى كمسئول حكومى وسياسى لفترة طويلة أحترم تماما حرية التعبير فى العملية الديمقراطية» .

وقد قامت منظمة «مؤتمر الزعماء» بنشر الخطابات المتبادلة بين الطرفين فى مئات الصحف الخاصة بالطائفة اليهودية على الفور وبذلك بدا أن المسألة قد انتهت ولكنها فى حقيقة الأمر لم تقف عند هذا الحد ، فإذا كانت التنظيمات اليهودية قد غفرت للرئيس زلة لسانه إلا أن اليهود فى أنحاء الولايات المتحدة لم يفعلوا نفس الشئ ، إذ أن معظم اليهود الأمريكيين وعددهم ٦ ملايين لا ينتمون لمنظمات يهودية كبرى ونادرا ما يذهبون للمعابد ، أو يقرأون الصحف اليهودية ، ربما لم يسمع أغلبهم باسم «شوشانا كاردين» أو «مؤتمر الزعماء» الذى ترأسه ، ولكنهم يعرفون حق المعرفة من هو چورج بوش الرجل الذى صوت ضده ثلثا الناخبين اليهود فى انتخابات عام ١٩٨٨ ، إنه رجل البترول الذى يمثل قوى عديدة يبغضها الامريكيون اليهود من الليبراليين والمفكرين وأهل المدن ، أما باقى الأمريكيين من الطبقة الوسطى فقد كانوا معجبين بعقد من السياسات الاقتصادية التى وضعها «ريجان» ولكن اليهود لم يكونوا كذلك .

والحقيقة أن انهيار الأثر السياسى لليهود ليس بالأمر البسيط أو الهين . لقد بنى الجمهوريون على مدى عشرين عاما جسورا تربطهم بالناخب اليهودى، فأصوات الناخبين اليهود جائزة سياسية بحق برغم ضعف النسبة التى يمثلونها بين اجمالى عدد الناخبين (٣٪ فقط) ، ولكنهم عادة يعتبرون عاملا ترجيحيا فى نتائج الانتخابات فهم يتركزون فى عدد من الولايات الكبرى التى تسيطر على نصف المجمع الانتخابى وربما الأهم من ذلك أنهم يتبرعون بسخاء لتمويل الحملات الانتخابية ويقدمون ما بين الربع إلى النصف فى تمويل الحملات الانتخابية للديمقراطيين .

وهناك عامل آخر هو أنهم متطوعون نشطاء ، وعلى حد قول «چيمس كارڤيل» وهو مستشار سياسى ديمقراطى فإن كل من يعمل فى حملات الديمقراطيين من الكاثوليك أو اليهود «فإذا كان عدد العاملين فى حملة انتخابية ٢٥ شخصا فإنك لن تجد أكثر من ثلاثة فقط ينتمون لمذهب البروتستانت ، إنها نكتة ولكنها واقع أيضا » .

كان ريتشارد نيكسون هو أول من فطن لكيفية اجتذاب الصوت اليهودى من الديمقراطيين ، حيث كانت استراتيچيته تقوم على العزف على أوتار القلق لدى الطائفة اليهودية تجاه اسرائيل التى تعتمد على التسليح والدبلوماسية الأمريكية.فى الوقت الذى تحيط بها دول معادية من العالم الثالث . هذا إلى جانب التوتر المتصاعد بين الطائفة اليهودية ومجتمعات السود الأمريكيين ، وهذان الطرفان يمثلان دائما دعامتين مهمتين فى انتخابات الديمقراطيين ، وتلك العوامل كانت من قبل تساهم فى رفع نصيب الجمهوريين

من أصوات الناخبين اليهود بشكل متزايد من مجرد ١٠٪ فقط حصل عليها بارى جولدووتر عام ١٩٦٤ إلى ٤٠٪ حصل عليها رونالد ريجان عام ١٩٨٠ .

وفى عهد نيكسون منحت المناصب العليا للجمهوريين من القيادة اليهودية المنظمة لأول مرة منذ أجيال ، حيث أصبح مليونير البترول «ماكس فيشر» من ديترويت وأحد أهم جامعى التبرعات للحزب الجمهورى - المتحدث باسم اليهود الأمريكيين فى أوائل السبعينات . وخلال السبعينات والثمانينات أصبح المحافظون من اليهـود يكثرون من الحديث حول عهد جديد للواقعية يشرق على النشاط السياسى لليهود ، ولكن هذه الآمال يبدو أنها انهارت فى الثانى عشر من سبتمبر عام ١٩٩١ أثناء المؤتمر الصحفى الذى عقده الرئيس الأمريكى الجمهورى. فاليهود يتابعون الشئون العامة للدولة عن كثب ربما أكثر من أى جماعة عرقية أو دينية أمريكية أخرى .

ويقول چيمس كارڤيل «اننى لا أعرف أى جماعة أمريكية تجيد التقاط الأحداث مثلما يفعل اليهود الأمريكيون . إنهم مجتمع متعلم ومهتم بشئون الدولة ولديهم حساسية كبيرة تجاه ما يقوله الآخرون ، فإذا خرج الرئيس ليهاجم اللوبى اليهودى فلابد أن يقابلوا ذلك بحساسية شديدة» .

وبالنسبة لقطاع كبير من اليهود كان خطاب چورچ بوش بمثابة ضوء ساطع لا يزول أثره عن العين ، وحتى بالنسبة لهؤلاء الذين لا يذهبون للصلاة فى المعابد اليهودية «السيناجوج» ، أو هؤلاء المتزوجين من مسيحيين أو الذين يربون أولادهم على الدين المسيحى ، فقد ترك خطاب بوش أثره عليهم وظهر ذلك فى الخطابات التى انهالت على الصحف وفى الاحتفالات وفى اللقاءات وفى المناقشات الشخصية، واستدعى شباب اليهود قصصا من ذاكرتهم حكتها لهم الجدات عن معاداة السامية والهجوم على اليهود فى قرى روسيا وبولندا والذى كان يشعله دائما الصورة الذهنية لليهود فى تلك الدول كرجال مال أقوياء أو كقتلة السيد المسيح ، أما اليهود الأكبر سنا فقد استعادوا تجاربهم الشخصية والدعاية المعادية للسامية خلال الثلاثينات التى حاكها الديبلوماسيون الألمان ورددتها الاذاعات الأمريكية فى ذروة الأزمة الاقتصادية ؛ إذ ألصقت هذه الدعاية الأزمة الاقتصادية برجال البنوك اليهود الجشعين وبالبلاشفة وظلت تؤكد أن الاثنين يريدان السيطرة على المجتمع الامريكى .

نتيجة هذا كله حدث تيار غضب جارف وبدأ اليهود الذين لم يصوتوا أبدا لصالح الجمهوريين يذكرون الاخرين بأسباب موقفهم، وبدأ من حولوا أصواتهم لصالح

الجمهوريين يفكرون فى العودة لصفوف الديمقراطيين ، وبدأ سيل خطابات الاحتجاج يصل من اليهود إلى البيت الأبيض ولنواب الكونجرس ولصفحات الجرائد . .

قالت جاكلين ليفين وهى زعيمة بارزة بالمجلس اليهودى الأمريكى: «سنعتبر يوم ١٢ سبتمبر فى تاريخ اليهود هو يوم الخيانة الكبرى . وإذا لم تكن كلمات الرئيس - اشارة واضحة ومقززة لمعاداته للسامية فهى على الأقل قريبة جدا من ذلك» ..

وقال «إيد آميس» وهو مذيع لبرامج المنوعات فى لوس انجلوس «هذا الوغد فتح عينى على الحقائق». وبرغم أن آميس لم يكن قبل ذلك عضوا فى أى منظمة يهودية إلا أنه على الفور سدد قيمة أول اشتراك له فى منظمة آيباك واشترك فى العمل التطوعى من أجل إسرائيل.

أخذ المستشارون فى البيت الأبيض يراقبون النتائج بيأس ، وأخذت شوشانا كاردين ومؤتمر الزعماء يرددون نفس الرسالة : إذا أردتم اصلاح الأمور فعليكم اقرار ضمانات القروض ، ولكن بوش رفض ، فقد كانت ضمانات القروض مرتبطة بعملية السلام وسياسة اسحق شامير بتوطين المهاجرين فى الأراضى المتنازع عليها . فما رآه اللوبى اليهودى المحبط هو موقف للاختيار بين تسوية مشكلة الأرض وبين توطين المهاجرين السوفيت .

وداخل الإدارة الأمريكية كانت ردود الأفعال متباينة، وكان بعض المسئولين ومن بينهم الرئيس بوش يريدون القيام باصلاح الموقف بشكل لا يدمر عملية السلام فى الشرق الأوسط ، ونظرا لأن بوش التصقت به اتهامات معاداة السامية فقد خصص وقتا من حملة جمع التبرعات فى نيويورك لعقد لقاء مطول مع رئيسة مؤتمر الزعماء فى محاولة لصنع السلام معها . ووضعت خطط لاصدار اشارات متتالية لغزل اليهود بحيث تؤتى ثمارا فعالة وربما تاريخية .

ففى ديسمبر - وأثناء انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة - ستجرى مناقشة قرار الأمم المتحدة الصادر عام ١٩٧٥ والذى يساوى بين العنصرية والصهيونية ، وهذا يعد تتويجا لجهود أصدقاء إسرائيل فى الكونجرس ، وفى الربيع سيجرى حث سوريا على السماح لأبناء الطائفة اليهودية الضئيلة لديها - أربعة آلاف - بالهجرة بعد سنوات طويلة من منعهم .

والفريق الآخر من العاملين بالإدارة الأمريكية غير راض عن محاولات استرضاء احدى جماعات المصالح والتى لا يزيد عدد أبنائها فى نهاية الأمر على ٣٪ من اجمالى السكان .

ولأن مسألة ضمانات القروض استمرت خلال شتاء عام ١٩٩٢ كان جيمس بيكر وزير الخارجية، وهو صاحب رأى له أهميته بالنسبة للرئيس، قد فاض به الكيل من محاولات استرضاء اليهود ونقلت عنه الصحافة تلفظه لاحدى الشتائم المقذعة ضد اليهود رغم أنه نفى ما قاله فيما بعد وقال بيكر «إنهم لا يصوتون لنا على أية حال» .

وبالفعل كانت توقعات جيمس بيكر فى محلها فقد أدرك مدى تعقيد الموقف .

وفى يوم ٥ نوفمبر ١٩٩١ - أى بعد سبعة أسابيع من المؤتمر الصحفى الذى عقده بوش - توجه الناخبون لصناديق الاقتراع لإجراء الانتخابات التمهيدية والتى حملت معها عددا من المفاجآت أحدها هو السباق الذى جرى فى ولاية بنسلڤانيا على مقعد مجلس الشيوخ بعد موت السناتور الشاب الجذاب چون هاينز وهو جمهورى معتدل . أحد المرشحين هو حاكم الولاية السابق والجمهورى أيضا ريتشارد ثورنبره وهو معتدل الاتجاهات وأحد حلفاء بوش السياسيين ، حيث كان هذا المرشح هو النائب العام الذى اختاره بوش ثم استقال ليدخل سباق مجلس الشيوخ ، أما منافسه الديمقراطى فهو استاذ جامعى غير مشهور بما فيه الكفاية هو هاريس وودفورد ، وعمل من قبل فى إدارة الرئيس كنيدى ، وكان ثورنبره فى يوم ١٧ سبتمبر متقدما على منافسه بفارق ٤٤ نقطة ، ولكن فى يوم ٢٧ من نفس الشهر نشرت جريدة فيلادلفيا انكويرز نتائج مذهلة لاستطلاع للرأى ، فقد هبطت شعبية ثورنبره إلى ٢٤ نقطة وكانت مستمرة فى الهبوط . إذن فالسباق محسوم لصالح وودفورد ، والسبب كما فسره البعض هو دعمه وتأييده لبرنامج قومى للرعاية الصحية ولكن العالمين ببواطن الحملة الانتخابية للمتنافسين قالوا انهم لاحظوا فى الفترة القليلة التى سبقت الاقتراع أن هناك تغييرا واضحا فى اتجاه التمويل وحملات جمع التبرعات ، فقد اتجهت الأموال من حملة ثورنبره إلى حملة وودفورد وبعد أن كان المتبرعون الحاملون لأسماء يهودية يشكلون ١٠٪ من اجمالى المتبرعين لصالح ثورنبره ، اختفت هذه الأسماء لتملأ كشوف المتبرعين لصالح منافسه الديمقراطى .

الرسالة الواضحة هى أن اليهود وغيرهم من المتعاطفين مع إسرائيل صبوا غضبهم على ريتشارد ثورنبره صديق بوش ، والمستفيد كان البروفيسور وودفورد الذى حكى القصة فيما بعد .

ذهب ثورنبره إلى واشنطن بعد هزيمته ليناقش الأمر مع أصدقائه فى البيت الأبيض ، وذكر للرئيس قصته قائلا : «حيثما نشأت فى بنسلڤانيا وهى بلد الفحم كان عمال المناجم يضعون عصفور كناريا فى قفص عند فتحة المنجم فإذا كان هناك تسريب لغاز الميثان

فإن العصفور يموت أولا... الآن أنا عصفور الكناريا يا سيدى الرئيس ، وأنت لديك مشاكل قادمة وما لم تتخذ الاجراءات اللازمة ستحصل على نفس النتائج».

والحقيقة أن نتائج الانتخابات لم تكن رهنا بالصوت اليهودى فقط ولكن الناخب الأمريكى كان قد سئم الحزب الجمهورى بعد ١١ عاما فى البيت الأبيض، وكان الاقتصاد يمر بركود يبدو وكأنه لن يتراجع ، وأبناء الطبقة الوسطى غير مطمئنين على وظائفهم لأول مرة ، وقد قام وودفورد بالتركيز على مشاكل العمل من خلال عرضه لبرنامج الرعاية الصحية .

أما بوش فلم تكن لديه اجابات عن الاسئلة الاقتصادية المؤرقة للناخبين ، وكذلك بالنسبة لموضوعات أخرى على رأسها قضية الاجهاض ، كما كان الناخبون متشككين فى حقيقة علاقة بوش باليمين المتدين ، ولذلك كله بقيت قوته الحقيقية فى سياسته الخارجية ، ولكن هذا نفسه أصبح محل شك بعد زوال الخطر السوفيتى، وقد تضافرت هذه العوامل من أجل سقوط چورچ بوش .

كان مؤتمر بوش الصحفى فى ١٢ سبتمبر ثم رد الفعل الغاضب من جانب اليهود هو مجرد جزء من الصورة ؛ لم يكن أكبر أجزاء الصورة ولا أصغرها ، إلا أن چيمس كارڤيل الذى كان مدير الحملة الانتخابية لهاريس وودفورد ثم أصبح مدير الحملة الانتخابية لبيل كلينتون – يقول : «لقد أساء ذلك تماما لحملة جمع التبرعات اليهودية للجمهوريين أما نحن فقد جمعنا أموالا أكثر كثيرا» .

أما وودفورد نفسه فيقول : لقد كان اليهود واحدا من ثلاثة أو أربعة عوامل أدت إلى فوزى . حقيقة أن اليهود يشكلون ٤ر٧٪ من سكان بنسلڤانيا وهم ليسوا قوة سياسية مهيمنة على الولاية ولكنهم يشكلون أحد عناصر القوى المؤثرة .

لم يخطئ چورچ بوش فيما اعتقده وقاله فى المؤتمر الصحفى، ولكن خطأه الأكبر هو أنه قاله بصوت عالٍ .

الباب الأول

معنى قوة اليهود

الفصل الأول

يهود أمريكا وسياساتهم

سيسجل التاريخ أنه مع اقتراب القرن العشرين من نهايته ؛ شهد اليهود الأمريكيون أزمة سياسية غير مسبوقة فى حجمها أو طبيعتها ، فلأول مرة منذ ثلاثة قرون ونصف القرن، وكإحدى طوائف المجتمع الأمريكى ، ربما لأول مرة منذ فجر يهود الشتات أى منذ ألفى عام مضت ، لم يكن لليهود عدو أكبر من أنفسهم .

هذا لا يعنى أن اليهود لم يعد لهم أعداء فى نهايات القرن العشرين، فلا زال هناك من ينادى بتدمير اليهود كما كان الأمر منذ آلاف السنين ، فمعاداة السامية وهى أقدم دعوات التعصب فى العالم لازالت حية ولازالت تهدد اليهود فى عشرات الدول فى أنحاء العالم المختلفة ، لقد حذر يهود بارزون سواء كانوا حاخامات أمريكيين أو سياسيين اسرائيليين من أن معاداة السامية قد أطلت برأسها بصورة مزعجة من جديد فى نهاية القرن الحالى، وهذا التحذير يعد بمثابة صدمة ، فقد كان الظن أن هذا التعصب ضد اليهود قد اشتعل منذ عقود مضت بين رماد الحرب العالمية الثانية ثم خبا أواره ، ولكن فيما يبدو أن الجذوة لازالت مشتعلة بدرجة ما .

ولا يزال الأعداء – أيضا – يهددون دولة إسرائيل التى نشأت فى منتصف القرن كجنة آمنة للناجين من النازى والهولوكست وكمركز روحى ليهود العالم ، ولعل أشد أعداء إسرائيل مرارة، تقودهم إيران الإسلامية ، أصبحوا على وشك حيازة أسلحة نووية ، وهذا قد يمكنهم من تدمير الدولة اليهودية بمجرد لمسة زر واحد .

إذن فالأخطار لم تنته وأى مراقب معتدل لحياة اليهود سيصل إلى اقتناع بأن اليهود قد أصابت أحوالهم ردة فى نهاية القرن العشرين سواء فى الولايات المتحدة أو حول العالم بصفة عامة .

على أية حال ، ومنذ نصف قرن من الزمان، قامت واحدة من أعظم دول العالم الصناعية بحملة منظمة لقتل كل يهودى على وجه الأرض ، ووقف اليهود الأمريكيون عاجزين عن المساعدة ، وقد تكبد العالم حربا عالمية كاملة لوقف حملة ألمانيا لإبادة اليهود،

ومع ذلك فإن بقاء اليهود على قيد الحياة لم يكن أكثر من مصادفة - فإنقاذهم لم يكن من بين أهداف قوات الحلفاء التى تصدت لألمانيا .

وبعد خمسين عاما بعد تلك الكارثة الكبرى نجح اليهود فى اكتساب موقع مهم على المائدة الدولية لصنع القرار ، لقد حقق اليهود القوة المنشودة .

نشأت دولة إسرائيل ذات السيادة المستقلة وبسمعتها العسكرية الكبيرة ، ولكن ليس هذا كل شئ ، فعندما يتحدث الدبلوماسيون والصحفيون عن قوة اليهود فإنهم يقصدون الطائفة اليهودية الأمريكية ، هنا فى الولايات المتحدة يبرز حجم قوة اليهود الواضحة للجميع والمحترمة من الجميع فى أنحاء العالم .

من الفاتيكان إلى الكرملين ومن البيت الأبيض للكونجرس يرى محركو العالم أن اليهود الأمريكيين قوة لابد من أخذها فى الاعتبار ، وفى الولايات المتحدة يسعى الكثيرون إليهم كحلفاء أو يواجهونهم كخصوم لا يستهان بهم ، بداية من الأحزاب السياسية للاتحادات العمالية والكنائس وجماعات المصالح والتى تتباين اتجاهاتها من حركات حقوق الإنسان ، وإلى التحالف المسيحى .

وفى مدينة نيويورك أصبحت مكاتب المنظمات اليهودية المختلفة مثل لجنة يهود أمريكا أو اتحاد محاربة تشويه الصورة اليهودية، بمثابة نقاط توقف إجبارية للرؤساء ورؤساء الوزراء الذين يزورون الأمم المتحدة أو المارين بنيويورك فى طريقهم إلى واشنطن، كما توجد سفارات كثيرة فى واشنطن يعمل بها دبلوماسيون مختصون بمخاطبة المنظمات اليهودية الأمريكية ووظيفتهم الأساسية الإبقاء على علاقات ودية مع الطائفة اليهودية .

« نحن لم نعد أقلية وإنما نحن جزء من الأغلبية ومن الناحية السيكولوجية فإن هذا يعنى شيئا دقيقا ورائعا » هذا ما يقوله استاذ العلوم السياسية دافيد لاشينز نائب رئيس اتحاد مجالس اليهود الارثوذكس بالولايات المتحدة وأحد المساعدين البارزين للسناتور دانيال باتريك موينيهان عضو مجلس الشيوخ عن ولاية نيويورك ويضيف «نحن مقبولون الآن ولدينا اتصالات مهمة ؛ ورئيس الولايات المتحدة يلتقى بانتظام مع القيادات اليهودية، وهذا شئ لا يصدقه عقل ، إذا نظرت للوراء أى منذ ٢٥ أو ٣٠ عاما ستفاجأ بأن هذا قد حدث بالفعل ، لقد وصلنا » . وكدليل ملموس على قوة اليهود الأمريكيين يمكن أن نبدأ بالحديث عن المعونات الخارجية الأمريكية التى تتلقاها إسرائيل سنويا وقدرها ٣ بلايين دولار ، وهذا الرقم يوازى ٢٠٪ من اجمالى المعونات الأمريكية وهو يذهب إلى

دولة قوامها ٥ ملايين نسمة أي واحد إلى ألف من سكان العالم ، ويعزو المحللون عدم التوازن هذا إلى قوة اللوبي اليهودي .

ويتلازم مع هذا : الحقيقة الأخرى المعروفة وهي مساندة واشنطن لإسرائيل في المجال الدبلوماسي وهو ما يبدو في كثير من الأحيان متعارضا مع المصالح الأمريكية الأخرى ، ودائما ما يواجه المعارضون في واشنطن للسياسة الإسرائيلية سواء كانوا نوابا أو شيوخا تهديدات بالهزيمة مثل شارلز بيرسي وبول فيندلي اللذين عارضا اللوبي اليهودي.

ولكن قوة اليهود الأمريكيين لا تبدأ أو تنتهي عند الحدود الإسرائيلية، فهناك ما هو أهم وأكثر دراماتيكية من المساعدات الخارجية ، هناك مثلا القانون المعروف باسم تعديل جاكسون – فانيك الذي أقره الكونجرس عام ١٩٧٤ ؛ فقد جعل هذا القانون العلاقات التجارية الأمريكية السوفيتية مرهونة ومشروطة بمعاملة السوفيت للأقلية اليهودية، وقد بقي هذا التعديل قائما ومدونا بالسجلات رغم انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩٠ ؛ ويعني هذا حق اليهود الأمريكيين في الاعتراض على العلاقات التجارية مع موسكو .

ويمكن استشعار قوة اليهود في مجالات واسعة داخلية مثل مسائل الهجرة واللاجئين والحقوق المدنية وحق الاجهاض وفصل الكنيسة عن السلطة السياسية وغيرها الكثير ، وقد أصبحت الطائفة اليهودية من نيويورك إلى لوس أنجلوس أحد اللاعبين الأساسيين في وضع القواعد في أمور عديدة مثل برامج الرعاية الصحية وغيرها.

نعم ؛ باقتراب نهاية القرن العشرين ينظر العالم إلى اليهود الأمريكيين باعتبارهم أطرافاً مهمين في اللعبة الكبرى للسياسة قادرين على التأثير على الأحداث وتحديد وتحقيق الأهداف المهمة وعلى مكافأة الأصدقاء وعقاب الخصوم والأعداء .

يقول محمد العرابي الدبلوماسي بالسفارة المصرية في أوائل التسعينات والقائم على الاتصال بالمنظمات اليهودية : « إذا أردت الحديث عن النفوذ في واشنطن أو الولايات المتحدة فيجب أن تولي اهتماما خاصا بالطائفة اليهودية الأمريكية ، هذا ليس بالشئ السيئ فمن المفيد أن يكون لك أصدقاء يدعمونك هنا في الولايات المتحدة، وكدول عربية نتمنى أن يكون لنا جماعات ضغط مماثلة تدعم مصر أو السعودية ».

والحقيقة الواضحة أن الجميع يأخذون الطائفة اليهودية مأخذ الجد، الجميع باستثناء اليهود أنفسهم .

حتى اليوم يتناسى اليهود الأمريكيون بحر التغيرات الذى اجتاح وضعهم فى نصف القرن الأخير ، وبينما معظم العالم ينظر إلى اليهود الأمريكيين كجماعة مؤثرة محددة الرؤية والهدف ومتشابكة فى نسيج القوة الأمريكية عموما ، نجد أن اليهودى الأمريكى العادى يرى مجتمعه كمجموعات متفرقة ومشتتة من ٦ ملايين شخص ، أفراداً غرباء لهم أصول واحدة ومعتقدات مختلفة ، أبناء محظوظين وأحفاد مهاجرين بسطاء .

والسياسيون والدبلوماسيون يرون اليهود على أنهم نموذج للنجاح والثقة ، ولكن قطاعاً كبيراً من اليهود الأمريكيين يرون أنفسهم أعضاء أقلية منعزلة وضعيفة. وبالنسبة لليهودى الأمريكى العادى فإن مجرد ذكر مصطلح «قوة اليهود أو اليهود الأقوياء» أو وصف اليهود «بالأقوياء» يثير لديه مخاوف من معاداة السامية ، هذا الدرس تعلمه چورچ بوش جيدا . يقول المؤرخ داڤيد بيال فى دراسته «القوة والضعف فى تاريخ اليهود» عام ١٩٨٥ «أن تبدى ملاحظة حول القوة السياسية النسبية لليهود الأمريكيين ، سواء اللوبى الإسرائيلى أو النفوذ اليهودى فى الشئون الأمريكية الداخلية ، فإن هذا يثير المخاوف بأنك تعطى الذخيرة اللازمة لأعداء السامية فى الولايات المتحدة والذين تلاشوا تدريجيا على مدى الجيل الماضى ، فاليهود الأمريكيون يخشون من صحوة معاداة السامية من جديد» .

إنها حقيقة ثابتة أن معاداة السامية فى أمريكا فى أقل معدلاتها تاريخيا ، فالعداء إزاء اليهود كما تقيسه استطلاعات الرأى انخفض إلى ما يراه بعض علماء الاجتماع مستوى الصفر ، والتفرقة العنصرية ضد اليهود فى الوظائف والتعليم والاسكان قد اختفت ، كما لا تتخذ الحكومة أية أعمال مضادة لليهود الأمر الذى كان يميز معاداة السامية فى أوربا لعدة قرون ، ولكن توجد استثناءات مهمة مثل ظهور بعض الوجوه البارزة فى مجتمعات السود من الراديكاليين المعادين لليهود ثم الزيادة المقلقة فى حوادث التخريب المتعمدة ضد ممتلكات يهودية، وباستثناء هذه الأشياء فقد اختفت معاداة السامية من الحياة العامة .

والمدهش أن نسبة اليهود الذين يدلون بأقوالهم فى استطلاعات الرأى ويؤكدون أن معاداة السامية لازالت مشكلة خطيرة قد تضاعفت خلال الثمانينات بنسبة ٤٥٪ عام ١٩٨٣ ووصلت إلى نسبة ٨٥٪ عام ١٩٩٠ .

المجتمع اليهودى الأمريكى اليوم مجتمع مريح وآمن ولكنه يفتقر للثقة بالنفس ، ويقول : الناقد الاجتماعى المحافظ ايرڤينج كريستول ان المجتمع اليهودى يشكو أعراض

الوسواس المرضى والانهاك العصبى ، إنه مجتمع يتأثر تماما بتوتراته المكبوتة والشك بالنفس .

وهذا الوسواس المرضى ناشئ عن الفجوة الكبيرة بين الصورة الذاتية الضعيفة لليهود أمام أنفسهم وبين حقيقة القوة التى يتمتعون بها.

ولذلك فإن أى محاولة جادة لوصف سياسات اليهود الأمريكيين لابد أن تأخذ فى الاعتبار تلك الفجوة ، فهى تفصل زعامات اليهود عن قاعدة أتباعهم ، ويركز هذا الكتاب على طبيعة وأعمال النفوذ اليهودى ، والخط الفاصل بين نشطاء اليهود الذين يديرون أعمال الطائفة اليهودية ويمثلون مصالحهم لدى المجتمع الأكبر والسواد الأعظم من اليهود الأمريكيين الذين يجهلون ما يجرى من أعمال باسمهم . وعند هذا الخط الفاصل تنشأ أزمة سياسة يهود أمريكا ، فإلى متى يستطيع الزعماء الادعاء بأنهم قادة بينما الأتباع لا يسيرون وراءهم ؟

• الطاعون الأسود •

إذا شعر يهود أمريكا بالشموخ عند ذكر كلمة «نفوذ اليهود» فإن لديهم ما يبرر هذا الشموخ . صحيح أن تاريخ اليهود على مدى ألفى سنة تجرى روايته فى صورة قصص بائسة عن الخوف والاضطهاد ، وصحيح أيضا أنه خلال هذه القرون كانت كلمة اليهود الأقوياء تشعل دائما المشاعر المعادية لليهود، وفى معظم الوقت خلال الألفى عام الماضية عاش اليهود كأقلية ضئيلة ومكروهة فى أوربا المسيحية ، وكانوا غالبا محددى الاقامة فى مناطق معينة ، وكانت أعمالهم محددة أيضا وكذلك حقوقهم فى الزواج والإنجاب . وبشكل متكرر دائما كانوا متهمين بالسيطرة على الاقتصاد وبتسميم آبار المياه وذبح الأطفال، والأخطر أنهم متهمون بقتل السيد المسيح ، وفى هذا الإطار العام كانوا معرضين لحلقات متكررة من العنف والطرد والقتل الجماعى .

ففى عام ١١٨٢ طرد كل يهود ألمانيا من بلادهم وتكرر الشئ نفسه فى انجلترا عام ١٢٩٠ وفى فرنسا عام ١٣٠٦ وعام ١٣٩٤ وفى النمسا عام ١٤٢١ واسبانيا عام ١٤٩٢ والبرتغال عام ١٤٩٧ .

وفى عام ١٣٩٤ وهو عام الطاعون الأسود تعرض اليهود فى كل القارة الأوربية للهجوم والقتل .

الصليبيون فى طريقهم إلى الأرض المقدسة قتلوا يهودا أكثر من أى فئة أخرى ، وعندما ثار قوزاق أوكرانيا ضد اسياد الأرض البولنديين قتلوا يهودا أكثر مما قتلوا بولنديين .

وحتى إذا لم يعرف التاريخ هتلر فقد كانت معاداة السامية هى أسوأ وصمة لحقت بتاريخ أوربا المسيحية. والقصص المعادية لليهود لا تنتهى ، منها أنهم قتلوا أطفال أوربا وخبزوا قربان عيد الفصح بدمائهم ، ومنها أنهم تسللوا إلى الكنائس وكسروا خبز العشاء الربانى حتى ينزف السيد المسيح من جديد ، ومنها أن اليهود متورطون فى خطة سرية للسيطرة واستعباد العالم . وهذا الاتهام الأخير هو اتهام أسطورى عاش ونما فى العصور الحديثة، ويستند إلى ما جاء فى بروتوكولات حكماء صهيون التى ظهرت فى روسيا قرب بدايات القرن العشرين

وتفترض هذه البروتوكولات خطة سرية لليهود لغزو العالم ، ولكن أغلب الظن أن راهبا روسيا معتوها قد زور هذه البروتوكولات نيابة عن البوليس السرى فى روسيا القيصرية وألصقها باليهود ، وقد ظهرت حقيقة هذه البروتوكولات المزورة لأول مرة عام ١٩٢١ عندما نشرتها جريدة التايمز اللندنية والمذهل أن هذه البروتوكولات لازالت تطبع وتباع فى كل مكان من طهران إلى كاراكاس إلى نيويورك .

●●●

وعبر رحلة التاريخ الطويلة لليهود جاءت لحظة تمكنوا فيها من تغيير أحداث العالم لصالحهم .

هذه اللحظة كانت فى النصف الأخير من القرن الحالى حيث تمكن يهود الولايات المتحدة – وهم أكبر وأقوى الطوائف اليهودية على مر التاريخ – من حشد أنفسهم وكونوا مؤسسة مترابطة لها دور سياسى معترف به فى واشنطن وعواصم أخرى. وربما جاء التغيير متأخرا لدرجة أنه لم يستقر بعد فى أذهان يهود أمريكا أنفسهم .

وربما يشعر القارئ أن ثمة خطأ ما فى هذه المعلومات التى نسردها ، إذ كيف بعد ربع أو نصف قرن من الزمان لم يتمكن يهود أمريكا من استيعاب هذا التغيير الذى طرأ على أوضاعهم خاصة وأنهم أكثر الفئات اليهودية علما . كيف يمكن أن تمر هذه التغييرات التى حولتهم من أقلية مزدراة ومضطهدة إلى صفوة شارع بنسلفانيا آفينو دون أن يلاحظوها؟ والإجابة معقدة بعض الشئ فيهود أمريكا هم نتاج عدة عوامل تاريخية ،

وربما يمكن ادراك كل عامل على حدة ولكن هذه العوامل مجتمعة جعلت من الصعوبة بمكان أن تستقر معا في الأذهان .

أول وأهم هذه العوامل هو استيعاب اليهود في المجتمع ، ففي خلال تلك الفترة التي تحول فيها يهود أمريكا من الضعف إلى القوة كان اليهودي الأمريكي الفرد يتعرض لعملية مسخ كاسحة ، حيث تناقص عدد اليهود الذين يذهبون للمعابد أو من يتبرعون للأعمال الخيرية اليهودية .

وتزايد عدد المتزوجين من غير اليهود ، وقام زعماء الطائفة بوضع تفسيرات خاطئة للاحصاءات المتتالية وخرجوا بتحذيرات شديدة بأن اليهود على وشك الاندثار والذوبان التام في المجتمع الأمريكي .

ولكن هذا الافتراض خاطئ لأنه يقوم على احصاءات خاطئة وعلى الافتراضات المسبقة وسوء التفسير ، لأنه عاما بعد عام نجد أن الأغلبية الكبرى من اليهود الأمريكيين يترددون على المعابد مرة أو مرتين كل عام ويجتمعون مع أسرهم في عيد الفصح وغيره من الأعياد اليهودية ، ويرسلون أبناءهم لتلقى شئ من التعليم الديني؛ إذن فاليهود لا ينقرضون ولكنهم فقدوا اهتمامهم بالمؤسسات اليهودية المنظمة .

وحتى الجيل الماضي كان الترابط اليهودي مجموعة معقدة من الوشائج الأسرية والاجتماعية يشترك خلالها الجميع في ثقافة واحدة ومحظورات دينية واحدة وطقوس وشعائر واحدة ، ولكن هذا لم يستمر ، وبمرور الوقت يرى معظم اليهود الأمريكيين أن الديانة توارت كقيم وقوانين للحياة وأصبحت مجرد صفة شخصية ، مثلها مثل صفات أخرى كثيرة للثقافة الأمريكية ، أصبحت مجموعة من المشاعر الحرة والاهتمامات الخاصة وبعض التصرفات العارضة يشعر اليهودي الأمريكي بحرية تامة إذا ما أراد أن يلتزم بها أو يتخلى عنها .

ولكن المهم أنه لازال هناك رباط . فاليهود يبقون يهودا داخل عقولهم وأمام أنفسهم وتظل هذه المسألة مهمة بالنسبة لهم .

إن التغير الحالي في طبيعة الديانة اليهودية لدى يهود أمريكا يؤثر على العملية السياسية بصور عديدة ، وتوجد في هذا الصدد نقطة مهمة وهي قصر نظر اليهود ، حيث لا يرى معظم يهود أمريكا التغيرات التي طرأت على وضعهم العام لأنهم لم يعودوا يولون اهتماما لمنظمات ومؤسسات الطائفة التي ينتمون إليها ، وأصبحت الديانة من المسائل

الشخصية، ولكن من جانب آخر لا يقل أهمية عن ذلك أن أقلية كبيرة من اليهود تتجه نحو الفردية ، حيث يوجد بينهم ما بين الخمس إلى الربع – أى مليون إلى ٥ر١ مليون شخص – ممن يسيرون فى الاتجاه العكسى للجماعة، وهؤلاء أصبحوا أكثر تمسكا بيهوديتهم .

أفراد هذه الفئة نجدهم أكثر تقليدية وأكثر حرصا على الشعائر والطقوس اليهودية وأكثر اهتماما بجماعات المصالح اليهودية ، ويشعرون بالقلق تجاه نويان اليهود الآخرين – ٤ ملايين – فى المجتمع الأكبر والأخطر ، وهم يحذرون من وجود نوايا مشكوك فى أمرها إزاء اليهود من جانب الآخرين . وهذه الفئة الأكثر التزاما هى التى تقدم الكثيرين من الزعماء المحترفين للمجتمع اليهودى ككل ، ولذلك لا يثير الدهشة أن تكون هناك فجوة فى الاتصال بين الأقلية والأغلبية .

وهناك عامل آخر مهم يعصب عيون اليهود الأمريكيين فلا يرون حقيقة قوتهم ، إنها أسطورة قلة حيلة وضعف يهود الشتات، ثم أسطورة جبن القيادة اليهودية وانعدام أثرها ، ومثل هذه الأساطير تتشابك لتجعل من قوة اليهود الحالية شيئا غير مرئى وأمرا لا يصدقه اليهود أنفسهم .

والفلكلور اليهودى يمتلئ بالقصص التى تؤكد عجز وقلة شأن اليهود ، سواء فى الأفراح أو الأحزان ، حتى صلوات عيد الفصح يجئ فيها : «فى كل جيل ينهضون ليحطموننا ولكن الله المبارك سينقذنا من أيديهم » ، وبذلك لم يكن هناك مجال لظهور عمل سياسى يهودى مستقل ؛ أقصى ما كان يستطيعه اليهود هو تلاوة الصلوات وطلب الخلاص من الرب أو دفع التبرعات كما تأمر صلوات يوم الغفران . وطالما أن اليهود قد خرجوا من أرضهم فإن مصائرهم أصبحت فى أيدى الآخرين .

والحقائق الثابتة بعيدة تماما عن الأساطير والحكايات فأزمنة الشتات أنتجت طابورا طويلا من الشخصيات اليهودية السياسية ، دبلوماسيين ، ووسطاء سياسيين وربما أيضا أبطالا مقاتلين ، والمجتمعات اليهودية على مر التاريخ كانت تتمتع بحكم ذاتى وتعيش فى جيوب مغلقة عليها ، بعضها عاش داخل حدود محكمة وبعضها اختلط بجيرانه على اساس من المساواة بين الطرفين .

يهود بابل عاشوا لآلاف السنين تحت حكم سليلى الملك داوود والذين عرفوا باسم وزراء البلاط الملكى . ويهود بولندا وليتوانيا فى العصور الوسطى انتخبوا مبعوثا أو سفيرا يمثلهم فى البلاط الملكى وكان يتعامل مع النبلاء على قدم المساواة ، وعين أمراء عصر النهضة يهودا فى البلاط لإدارة الشئون المالية ، وكثيرا ما أصبح ليهود البلاط أثر ونفوذ بالغان ممثلين فى ذلك اليهود عموما .

وقصص النجاح هذه لم تترك أثرا كبيرا فى ذاكرة اليهود المحدثين وربما لم يسمع أحدهم بها اطلاقا ، وربما أيضا ترتبط كلمة يهود البلاط فى أذهانهم بمعانى التسول أو الفساد وحب الذات .

ويمكن أن نقول ان قصص الفشل والاضطهاد والازدراء غطت على قصص النجاح ، وتلك هى القصص التى رسخت فى الأذهان منذ ما قبل ظهور أوربا الحديثة حيث تعرض اليهود للاضطهاد على مدى قرن من الزمان فى روسيا القيصرية وحتى الحرب العالمية الثانية ، وبالطبع ألقى اليهود على زعمائهم وممثليهم جريرة ما أصابهم ، وبقدر ما حقق السياسيون من فشل أحرز الحاخامات النجاح الكبير ، وإذا كان السياسيون واجهوا الأقليات اليهودية بالحلول الوسط والبراجماتية ، فقد قام الحاخامات بتقديم التعليم الدينى وتلاوة الصلوات ووعدوا اليهود بالخلاص على يد المسيح المنتظر .

وبشكل ما فإن سياسات اليهود الأمريكيين المحدثين تمثل عودة جديدة لتقاليد قديمة ظهرت منذ ثلاثمائة عام عند انهيار الامبراطورية البولندية . فمنذ ذلك الحين عاش اليهود تحت سيطرة قوزاق أوكرانيا ثم روسيا القيصرية حتى وقعوا تحت أيدى النازى ، وخلال هذه الأعوام البعيدة نمت وتغلغلت فى النفوس فكرة أساسية هى أن اليهود ضعفاء وعجزة وأن عليهم أن يتعايشوا ويتقبلوا هذا ، كذلك فإن الحلول الوسط لا طائل منها وأن السياسة تعتمد على رؤى الخلاص وأسفار الرؤيا .

وفى الطريق قد تظهر أفكار مثل الصهيونية أو الاشتراكية لتصبح واقعا لبعض الوقت، وسط هذه الأفكار كلها لا ينظر الأغنياء والأقوياء من اليهود – الذين يعملون فى المنطقة الرمادية، منطقة الحلول الوسط وعقد الصفقات – لا ينظرون إلا لأنفسهم، فالحاخامات والسفراء ومسئولو الطائفة ما هم إلا مهرجون لا يدركون خطورة وأهمية عملهم .

الارتباط الخاطىء

يرجع قصر النظر السياسى لليهود إلى عادات العالم القديم وآمالهم المحطمة وأحلامهم فى الخلاص . ولكن فى العالم الجديد وضع اليهود لأنفسهم ميثولوچيا جديدة .

يقول الحاخام آرثر هيرتزبرج فى مقاله التاريخى «اليهود فى أمريكا: أربعة عقود من المواجهة» ان مجتمع اليهود الأمريكيين تشكل من أكثر يهود أوربا فقراً وأدناهم تعليما. فمن كانوا متمسكين بتعاليم وقيم اليهودية لم يسافروا إلى نصف الكرة الآخر ليستقروا فى العالم الجديد بوحشيته والذى لم تحكمه قواعد أو حدود. اليهود الحقيقيون ارتبطوا بمواطنهم أما الثائرون أو المغامرون أو الخاسرون فهم الذين رحلوا إلى أمريكا .

وقد شكل يهود أمريكا ثلاث موجات من الهجرة؛ الأولى من البرتغال فى عصر المستعمرات ثم الهجرة الثانية من ألمانيا فى منتصف القرن التاسع عشر ثم الهجرة الثالثة من روسيا فى أوائل القرن العشرين. كل هجرة من الثلاث ضمت يهوداً يريدون الهرب من العالم الذى نشأوا فيه . كانوا يهربون من مجتمع اليهود ومن غيرهم. يقول الحاخام «اليهود المهاجرون شعروا بخيانة المجتمعات والحكومات والحاخامات وأغنيائهم الذين نبذوهم جميعا أو على الأقل لم يفسحوا لهم مكاناً . ولذلك لم يكن اليهود المهاجرون ليسمحوا لمن خدعوهم من قبل بممارسة أى سلطة عليهم . هؤلاء المهاجرون بهذه الأفكار والمشاعر هم الذين أسسوا الطائفة اليهودية فى أمريكا . إنه مجتمع يهودى يختلف عن ذلك القائم فى أوربا . انهم الآن فى العالم الجديد حيث الدين غير مؤسسى ، فلم تكن للكنيسة سلطة قانونية على أتباعها ، وكذلك الأمر بالنسبة لليهود . وبمرور الوقت طور اليهود ميثولوچيا جــديدة لمجتمــع منظم لليهود الأمريكيين تحت قيادة ذوى النوايا الحسنة .

ولم يتمكن أحد من تصوير طبيعة القيادات اليهودية وعملها فى الولايات المتحدة بشكل أدق مما وصفها به الكاتب باول چاكوب عام ١٩٦٥ فى مذكراته «هل كيرلى يهودى؟» فقد تصور حادثاً معيناً ورسم الكيفية التى يمكن أن تتعامل بها ثلاث من المنظمات اليهودية الكبرى مع ذلك الحادث ، ويقول : «دخل رجل يهودى إلى مرحاض فى إحدى حانات ثيردأڤينو بمدينة نيويورك وفجأة انتبه لعبارة مقذعة تسب اليهود مكتوبة على الحائط .

أجرى الرجل مكالمة هاتفية خاطفة . بعدها وبسرعة اندفع مندوب منظمة مكافحة تشويه صورة اليهود (ADL) إلى الحانة ليرفع البصمات عن الحائط ثم تقوم المنظمة بعد ذلك بمراجعة البصمات من بين بصمات ٢ مليون شخص مشتبه في معاداتهم للسامية ثم تنشر صورة للحائط في أول نشرة تصدرها المنظمة وتحتها تعليق أن هذا يوضح تزايد التيار المعادى للسامية وأن كل شخص يهودى عليه أن ينضم لعضوية المنظمة . أما ثانى من يصل لموقع الحادث فهو ممثل منظمة لجنة يهود أمريكا (AJC) الذى يتلفت حوله ثم يعلن عن خطة لاجراء بحث أكاديمى مهم عن الشعارات المعادية للسامية التى تكتب على الحوائط . ثم تنشر المنظمة كتيبا يؤكد أن مبتكر مشروب المارتينى هو رجل يهودى ويوزع المارتينى فى الحانات فى أنحاء الدولة. ثم يصل مندوب منظمة المؤتمر اليهودى الأمريكى ليضرب طوقاً حول الحانة ويقدم التماساً للمحكمة العليا لإصدار قرار بمنع بيع الكحوليات لأى شخص يثبت أنه معاد للسامية» .

ولكن أقوى الأساطير التى تحيط بقوة يهود أمريكا والتى يتبناها اليهود وغيرهم على حد سواء هى الارتباط الخاطىء بين سياسة اليهود وسياسة الشرق الأوسط . وأن الآجندة السياسية لليهود تنبع من اسرائيل وتصب فيها . وأن تأييد واشنطن لاسرائيل ناتج عن القوة السياسية لليهود .

كما يقول نائب الكونجرس السابق بول فيندلى فى مقدمة كتابه «إنهم يجرأون على الحديث . أشخاص ومؤسسات فى مواجهة اللوبى الاسرائيلى» : ان واشنطن هى مدينة الأسماء المختصرة والرموز وأحد هذه الرموز وهى الأكثر شهرة فى الكونجرس أيباك (AIPAC) ومجرد ذكر هذا الرمز يثير نظرة وقورة وربما ماكرة على وجه أى شخص فى الكونجرس يتعامل مع السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط . وتقود أيباك جماعات المصالح اليهودية للضغط على واشنطن.

ويتضمن كتاب فيندلى عدة دراسات مهمة ظهرت فى الثمانينات وأوائل التسعينات تحاول أن توثق المواقف القوية للوبى الاسرائيلى وآثارها على السياسة الخارجية الأمريكية . كما توجد كتب أخرى من بينها «المثلث القاتل» لمؤلفه ناعوم تشومسكى ١٩٨٣. و«الانحياز لأحد الجوانب» لمؤلفه ستيفن جرين ١٩٨٤ و«اللوبى» لمؤلفه ادوارد تيفنان ١٩٨٧. و «رباط العاطفة» لمؤلفيه چورج ودوجلاس بول ١٩٩٢ .

وتشترك هذه الكتب فى نقطة واحدة وهى فرضية أن التأييد الأمريكى لاسرائيل قائم على التضليل ويسير عكس اتجاه المصالح الأمريكية . وهذا يعنى أن هناك قوة ضخمة

قادرة على تطويع السياسة الخارجية الأمريكية وفقاً لارادتها . هذه القوة الضخمة هى اللوبى الاسرائيلى وبدون هذا اللوبى ما كانت الولايات المتحدة لتمنح اسرائيل كل هذا الدعم والتأييد . وفى كتاب الأخوين بول نجد ملاحظة لا يمكن التغاضى عنها حيث يقولان «إن حجم الممارسة اليهودية فى مضمار السياسة الأمريكية لا يتناسب بأى شكل مع حجم تعداد اليهود ، وانما تنبع قوتهم من اهتمام نشط بالشئون العامة للدولة ورغبة فى العمل الجاد من أجل قضايا يؤمنون بها . كما تنبع من حاستهم الخاصة لفهم العملية الانتخابية وموهبتهم فى التنظيم الدقيق . والأهم من هذا هو تكريس أنفسهم للعمل الخيرى والانسانى والذى تعززه حساسيتهم المفرطة تجاه الضغوط الواقعة على أعضاء أى جماعة تتعرض للتفرقة والتى لازالت قائمة فى قطاعات كثيرة من المجتمع الأمريكى .

« وقد استفاد زعماء اسرائيل من كل هذه الخصائص ليهود أمريكا . ولذلك فقد أوضحوا تماماً أنهم ينتظرون من يهود أمريكا أن يضغطوا لصالح اسرائيل لدى الجهازين التشريعى والتنفيذى للولايات المتحدة وأن يدافعوا عن قضايا اسرائيل أمام صانعى الرأى العام الأمريكى» .

والكثير مما يذكره هذا الكتاب صحيح حيث يمارس اليهود الأمريكيون نفوذا لا يتناسب مع حجم تعدادهم ، وتنبع قوتهم من نشاطهم فى العمل المدنى والمعدل المرتفع لحجم تبرعاتهم وتضامنهم . وبالفعل حاولت اسرائيل دائما على مر السنوات وبنجاح أن تستخدم الطائفة اليهودية كوتد ثابت يربطها بواشنطن .

ولكن حقيقة قوة اليهود وأثرها على السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط هى أكثر تعقيدا من نظرية المؤامرة التى يفترضها النقاد العصبيون . وإذا افترضنا صحة نظرية الأخوين بول فإن المعادلة تسير كالآتى: أموال اليهود ونشاطهم تخلق القوة وهذا بدوره يخلق التأييد الأمريكى لإسرائيل، وهذا معناه أن التأييد الأمريكى قد استمر وتزامن على مدى خمسة عقود هى عمر دولة اسرائيل .

ولكن المسألة فى الواقع تختلف عن هذه الافتراضات حيث قدمت واشنطن مساعدات قليلة ولم تقدم السلاح لاسرائيل فى أعوامها الأولى وهى المرحلة الأكثر دقة وحساسية ، ولكن نمت العلاقة بين أمريكا واسرائيل فى الستينات جزئياً بسبب اعجاب ليندون جونسون بدولة اسرائيل ورئيس وزرائها حينئذ ليفى أشكول .

ثم ان العلاقات القوية الأمريكية الاسرائيلية بصورتها المعروفة لنا حالياً ومبيعات السلاح الضخمة والمساعدات المالية التى تصل إلى مليارات الدولارات ازدهرت فى عهد

الرئيس الجمهورى نيكسون والذى وصل إلى الحكم تقريبا بدون أى مساندة يهودية . وقد حاول كل رئيس قبل نيكسون أن يتعامل بصورة متوازنة مع الشرق الأوسط والابقاء على الصداقة مع اسرائيل وأعدائها .

ولكن نيكسون أسقط أى محاولات للتوازن وأعلن لأول مرة أن اسرائيل «مصدر قوة استراتيجى» بالنسبة لأمريكا فى زمن الحرب الباردة . وفى عهده حلت الولايات المتحدة محل فرنسا كأكبر مورد للسلاح بالنسبة لاسرائيل وتضخمت المساعدات المالية الأمريكية لإسرائيل وقفزت من ٣٠٠ مليون دولار إلى ٢,٢ بليون دولار سنويا . فأصبحت اسرائيل هى أكبر متلق للمعونات الخارجية الأمريكية . وبذلك أصبح حلفاء اسرائيل محركين مهمين فى ميزان القوى فى واشنطن .

وفى السنوات التالية لما استحدثه نيكسون من قاعدة جديدة نما اللوبى اليهودى وتضخمت سمعته وصلاته ونفوذه ، وتطورت «آيباك» وهى اللوبى الأساسى فى مجال السياسة الخارجية من مكتب مكون من ثلاثة عاملين فقط إلى منظمة كاملة يعمل بها ١٥٠ شخصاً وميزانيتها ١٥ مليون دولار، وتضاعف عدد عضوية النواب اليهود فى الكونجرس ثلاث مرات . وعلى مدى العقدين الماضيين ، أسست الولايات المتحدة مكتباً حكومياً خاصاً لتعقب واصطياد مجرمى النازى، وجعلت من هجرة اليهود السوفيت أحد أهداف سياستها الخارجية، وسعت لتحرير المجتمعات اليهودية القديمة فى سوريا واثيوبيا . وفى مايو ١٩٩١ توسطت واشنطن من أجل يوم واحد لوقف اطلاق النار أثناء الحرب الأهلية الدامية فى اثيوبيا من أجل هدف واحد هو السماح للطائرات الاسرائيلية بإجلاء ٢٠ ألف يهودى اثيوبى ، وهو عمل ضخم غير مسبوق تم فى ٢٤ ساعة فقط . كما افتتحت واشنطن متحف الهولوكوست بتكلفة ١٦٨ مليون دولار لتخليد ذكرى اليهود من ضحايا الحرب العالمية الثانية فى أوربا . وقد أقيم هذا المتحف بتأييد من الكونجرس وبتمويل خاص على أرض حكومية فى قلب مجمع المتاحف فى واشنطن .

ولكن هل خلقت قوة اليهود الأمريكيين تحالفا أمريكيا اسرائيليا ؟ الحقيقة أن العكس هو الصحيح . فالتحالف الأمريكى الاسرائيلى هو الذى خلق القوة السياسية لليهود الأمريكيين .

والقصة الحقيقية لقوة اليهود أكثر تعقيداً من هذين الافتراضين . فالولايات المتحدة تحت حكم نيكسون مالت تجاه اسرائيل لأسباب أمريكية خاصة منها سياسات الحرب الباردة والاستراتيجية العسكرية بينما كان نفوذ اليهود فى الداخل مسألة ثانوية . كان

اللوبى اليهودى قائما بالفعل منذ عدة عقود سبقت حكم نيكسون وقد لعب دوراً مهماً فى خلق إجماع أمريكى حول الحقوق المدنية وعلاقة الكنيسة بالسلطة والهجرة وغير ذلك الكثير

إذن فالتحالف الأمريكى الاسرائيلى لم يخلق المؤسسة السياسية اليهودية الأمريكية ، ولكنه دفع بها إلى أعلى المستويات السياسية فى أمريكا ، وحوّل الأچندة السياسية للطائفة اليهودية ، وأجبر أكثر المؤسسات الأمريكية ليبرالية على تحالف غير مألوف مع الطائفة اليهودية وجعل من اليهود قوة على المسرح الدولى .

كما كانت هناك عوامل أخرى داخل مجتمع اليهود تعمل فى نفس الوقت على تعزيز عملية تسييس وتمكين اليهود داخل الولايات المتحدة . والأكثر أهمية من ذلك هو الانتصار الذى حققته اسرائيل فى حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ حيث مست نتائج هذه الحرب قلوب اليهود وحركت فيهم مشاعر قومية سواء فى الولايات المتحدة أو غيرها من الدول .

عبر المحيط وفى الاتحاد السوفيتى أوضح ٢ مليون يهودى سوفيتى عن فرحتهم متحدين بذلك القمع السوفيتى وكسروا حاجز الصمت بعد نصف قرن من الزمان . ثم أدى كفاح اليهود السوفيت من أجل حصولهم على حريتهم إلى قيام حركات شعبية واسعة النطاق بين يهود أمريكا لمساندة اخوانهم السوفيت . هذه الحملة من أجل اليهود السوفيت أدت إلى نوع من التآلف بين زعماء اليهود الأمريكيين واليمين الأمريكى .

الحقيقة السياسية لليهود الأمريكيين أنهم الآن آلة قوية نمت خلال الربع الأخير من القرن الحالى للدفاع عن مصالح اليهود . هذه الآلة أقوى كثيراً مما يظن معظم اليهود . ومثل أى بيروقراطية كبيرة فإنها تعمل من خلال قيود محددة وكثيراً ما تقع أخطاء ولكنها مع ذلك أثبتت قدرة واضحة على وقف تقدم الجيوش المعادية لها . الآلة لها ميكانيزم معقد يتألف من عدة أجهزة مجرد ذكر اسمائها – بناى بريث ، هاداسا ، النداء اليهودى، لجنة مكافحة تشويه الصورة اليهودية – يرسم ابتسامة ارتياح على شفتى أى يهودى . هذه الأجهزة أو المنظمات هى العجلات التى تسير فوقها آلة القوة اليهودية فى الولايات المتحدة اليوم .

وإذا كان اليهودى العادى يجد صعوبة فى تصديق كل هذه الأمور فإن الأمر ينطبق أيضاً على بعض زعماء المنظمات اليهودية . كبار الزعماء فى المنظمات اليهودية تذهلهم هذه الظاهرة . يقول ابراهام فوكسمان المدير القومى لمنظمة مكافحة تشويه صورة اليهود «إن اليهود اليوم لديهم اتصالات قوية على المستوى المحلى والقومى والدولى لم يكن

أجدادى يتوقعون أو يصدقون شيئاً كهذا . لم يكونوا يتصورون أن حفيدهم يمكن أن يذهب هنا وهناك ليس لأنه لورد أو مليونير ولكنه ابراهام فوكسمان المسئول اليهودى» .

ويرى البعض أن هذه القوة ما هى إلا أوهام وخدع . فيقول أحد زعماء منظمة يهودية كبرى «هذه القوة ما هى إلا إختراع صنعه ناحوم جولدمان الزعيم الصهيونى الألمانى المولد . لقد كان أستاذاً فى فن الحيل . وكل المنظمات التى أسسها مثل المؤتمر اليهودى العالمى ومؤتمر الزعماء كان لها هدف إحياء أسطورة القوة والغموض ليهود العالم .

ويتفق معه فى الرأى فوكسمان ويقول «معظم العالم غير اليهودى يعتقد إلى حد كبير فى صحة بروتوكولات حكماء صهيون كما أننا - اليهود - إلى درجة ما لم نتنصل منها تماماً ، وعندما يأتى أى مسئول رسمى أو رئيس دولة لمقابلتى فإننى أعلم تماماً أنه لم يحضر لمقابلة آبى فوكسمان مدير المنظمة وانما قد جاء لأن هناك من أخبره بأن المجتمع اليهودى فى أمريكا قوى وذو نفوذ، وأنا أفهم ذلك جيداً. وعندما تنتهى المناقشات فإنهم يريدون أن يعرفوا ما الذى يمكن أن تقوم به من أجلهم. ما الذى يمكن أن تفعله داخل الكونجرس وهكذا . لهذا يأتى رئيس وزراء البوسنة للقاء اليهود ولهذا يأتى رئيس وزراء ألبانيا ووزير خارجية بلجراد والسلفادور ونيكاراجوا وغيرها . وعندما تسأل نفسك لم كل هذا تجد أنهم مقتنعون بقوتك» .

فى الجيل الماضى كان غير اليهود يأخذون اليهود مأخذ الجد أكثر كثيراً من اليهود أنفسهم . والنتيجة هى إنعكاس الصورة القديمة لمعاداة السامية. وبعد أن عانى اليهود خلال قرون لا حصر لها من العنف والايذاء الذى لا تفسير له يجدون الآن أنفسهم يتمتعون بوضع متميز يصعب تفسيره أيضا .

يقول دافيد لاشينز المستشار بالكونجرس ان هذا فى حد ذاته نوع من القوة . فالقوة السياسية تأتى حينما لا نسعى إليها وعندما يسعى الاصدقاء لتحذيرك من أية مشاكل دون أن تطلب منهم ذلك . ونحن لدينا عدد هائل من الأصدقاء ممن يفعلون ذلك إما لأنهم مقتنعون به أو لأنهم يعتقدون أن هذه سياسة جيدة أو لأننا جزء من الأساطير اليهودية والمسيحية. على سبيل المثال - يقول لاشينز- ان تجمع السود داخل الكونجرس تقدم باقتراحات لعناصر الميزانية خلال السبعينات والثمانينات بحيث يتم تخفيض نفقات الدفاع التى التهمت الدعم المالى لقطاع الزراعة ولكنها فى الوقت نفسه تحافظ على المساعدات الأمريكية لاسرائيل وقدرها ٣ بلايين دولار ، والسبب أن معظم السود لم يكونوا ليقطعوا المعونة عن اسرائيل برغم وجود أو ظهور محاولات فردية مرة من جانب جاس ساڤاج فى

أحد الأعوام ومرة من جانب چون كونيرز فى عام آخر . والأغلبية العظمى لم ترغب فى أن تلتصق بها تهمة معاداة السامية. إنهم ليسوا كذلك ولم يسمحوا بذلك .

خلال انعقاد المؤتمر العام للحزب الديمقراطى فى عام ١٩٩٢ كان المتحدث الوحيد الذى خصص بعض الوقت للمسائل الاسرائيلية هو چيسى چاكسون ؛ إنه مسكين . فقد كتب عليه أن يقدم الاعتذارات لنا - نحن اليهود - فى كل مرة يتحدث فيها لأنه ذات يوم أساء لنا فى حديث سابق له فى الثمانينات . ولكن لماذا يعتذر ؟ هل لأنه يحبنا ؟ لا ، ولكن لأن قطاعاً لا بأس به من الأمريكيين السود يصرون على ذلك . هذه هى القوة السياسية .

«القوة السياسية فى هذه الدولة معناها أن معاداة السامية شىء لا تستطيع أن تفتخر به» هكذا يشرح لنا بات بوكانان الذى سبق وهاجم يهود أمريكا فى عدة نقاط والذى اضطر لأن يعلن أنه غير معاد للسامية حتى لا يساء فهمه . حتى داڤيد ديوك الذى اعتاد أن يظهر مرتدياً ملابس النازى كان عليه أن يثبت أنه غير معاد للسامية . إنهم لا يرغبون فى الظهور كأعداء لنا وذلك بسبب حقيقة وضعنا فى الولايات المتحدة . هذه هى القوة السياسية

إن بروز يهود الولايات المتحدة كقوة مستقلة كان مليئاً بالمفارقات .. الفكرة الأساسية فى الصهيونية والرؤية المحركة وراء قيام اسرائيل هى أن الدولة اليهودية ستعطى صوتا لمن لا صوت لهم ، وستعيد اليهود على مسرح التاريخ بعد قرون من العجز . ولكن يهود أمريكا قلبوا فكرة الصهيونية من أساسها .

فى أغسطس ١٩٨٧ ، على سبيل المثال ، عندما قام رئيس وزراء اسرائيل اسحق شامير بزيارة رسمية إلى رومانيا كان جدول أعماله يتضمن مناقشة العلاقات التجارية الثنائية والسياحة ومساعدة رومانيا لليهود السوڤيت والوساطة الرومانية فى الصراع العربى - الاسرائيلى. وفى المقابل ، ذكرت جريدة چيروزاليم بوست الاسرائيلية أن الرئيس الرومانى شاوشيسكو سيطلب من شامير أن يمارس نفوذه على اللوبى اليهودى الامريكى لتحسين العلاقات الامريكية الرومانية .

بعد شهر واحد ذهب وزير الخارجية شيمون بيريز إلى نيويورك لحضور انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة . والتقى بوزير خارجية تركيا . وفى لقاء مع الصحافة فيما بعد قال مندوب تركيا لدى الأمم المتحدة ان بيريز طلب من تركيا مساعدة اسرائيل لتحسين علاقاتها بالعالم الاسلامى أما تركيا فطلبت أن يتحدث بيريز للوبى الاسرائيلى فى واشنطن لتزكية أوضاع تركيا .

القلق السياسى

هذا الكتاب يهدف إلى البحث فى القوة السياسية لليهود وأعمالها فى أمريكا المعاصرة.. ويبحث الهياكل التنظيمية للمجتمع اليهودى . والموضوعات التى تشغل أجندة اليهود والسياسات الداخلية للمنظمات اليهودية والعلاقات المعقدة بين قيادات المجتمع اليهودى وجماهير اليهود الأمريكيين . ويبحث أيضا فى مصادر القوة اليهودية بما فى ذلك جمع التبرعات والتأثير على وسائل الإعلام .

ولكن القراء الذين يبحثون عما يؤكد أفكارهم الخاصة عن اليهود سيصابون بالإحباط؛ فلن يجدوا ما يؤكد سيطرة اليهود على وسائل الإعلام ، أو مصادر التمويل برغم وجود الكثيرين من اليهود فى هذه الصناعة . وسيجدون القليل جداً مما يشير إلى أعمال اسرائيل للتأثير على الكونجرس أو الرأى العام الأمريكى . وسيجدون القليل أيضاً مما يشار إليه فى أعمدة النميمة بالجرائد وأسماء قليلة ممن ارتبطوا بيهود أمريكا مثل مايكل ميلكين وميتشيل أوفيتس أو باربرا والترز أو باربرا ستريساند .

هؤلاء أشخاص أقوياء ، كما أنهم يهود ولكنهم لا يمثلون النفوذ اليهودى فى أمريكا . إن قوة أى جماعة ترتبط بقدرة أعضائها على العمل معاً وعلى تغيير العالم من حولهم ليتناسب مع احتياجاتهم وأهدافهم .

هذا هو ما نعنيه تماماً بالنسبة لقوة اليهود أو السود أو قوة صناعة التبغ أو الكنيسة الكاثوليكية وسترد بعض الأسماء اليهودية فى هذا السياق ولكن أغلبية الأسماء لن يأتى ذكرها لأنها لا تشارك فى هذه العملية .

ومن جانب آخر . فإن القراء المعتادين على البحث فى الانشطة السياسية اليهود سيجدون القليل مما يؤكد أن زعامات اليهود فاسدة ومضللة للقاعدة الشعبية التى يمثلونها بل على العكس سيجد القارىء أن الهيكل البيروقراطى للتنظيمات اليهودية يعمل بكفاءة ويلتزم بحسن النوايا . وسيكتشف أيضا أن النظام السياسى لليهود يواجه المشاكل أيضاً بسبب التغيرات الكاسحة فى العالم من حوله . هذه المشاكل غالباً ما تأتى

بعد النجاح فى عالم يشهد توقيع اسرائيل على اتفاقيات للسلام، ويشهد تحرر اليهود فى بقع كثيرة فى العالم من موسكو إلى دمشق . إذن ما هى الصراعات الباقية أو المعارك المنتظرة ؟ بدون وجود أخطار ما الذى يجمع اليهود خلف لواء واحد؟ وفى نفس الوقت فإن أزمة المجتمع اليهودى الأمريكى تعكس الشكوك الخطيرة التى تواجه النظم السياسية اليوم حيث يستعد العالم لدخول القرن الحادى والعشرين وهو لازال متعلقاً بالخرائط القديمة التى رسمت فى العشرينات من القرن الحالى .

إن انهيار النظم الاستبدادية القديمة وظهور التكنولوجيات الحديثة تركت الكثيرين يواجهون مشاكل المجاعة بينما يتمتع الآخرون بالوفرة ، وتهدد بانتشار الجهل برغم ثورة الاتصالات . والزعماء السياسيون يتحسسون بصعوبة طريقهم لمواجهة صدمات المستقبل وبينما هم يحاولون هذا فإنهم يجدون اختياراتهم محدودة بسبب تزايد عدم الشعور بالأمان وفقدان الجماهير الثقة بهم .

وبصورة ما ، نجد أن اليهود الأمريكيين يواجهون نفس الفوضى . فالنظام السياسى العام للدولة يتجه نحو التفكك وتسيطر عليه جماعات المصالح المتصارعة التى تهتم فيها كل جماعة بالأچندة الخاصة بها دونما اهتمام كبير بالمصلحة العامة . ويستطيع يهود أمريكا أن يصفوا أنفسهم بأنهم رواد هذا الطريق .

فهم أول جماعة عرقية أو دينية تحقق القوة والنفوذ بين مجتمع أكبر عن طريق العزف على أوتار الضعف وسقوط الضحايا . وأخيراً قاد يهود أمريكا الدعوة ضد بلقنة النظام الأمريكى – أى تفككه – برغم اسهامهم الكبير فى هذا وابتكارهم لتكنيك عمل جماعات المصالح والتى تجمع بين الاحتجاج فى الشارع والتبرعات المالية ذات الأهداف الخاصة والصفقات وراء الأبواب المغلقة .

والأهم من ذلك أن الصراعات السياسية لليهود الأمريكيين تقدم صورة تفصيلية للقلق السياسى فى المجتمع الأمريكى ككل وانتشار فقدان الثقة تجاه القادة السياسيين والعمل العام وعدم اعتبار الحلول الوسط وسيلة شريفة لعقد الاتفاقات .

ومع انتشار ذوبان اليهود فى المجتمع الأمريكى ككل واهتمام اليهود بأن يعيشوا حياتهم كأفراد إلا أنهم يختلفون عن باقى الأمريكيين فى درجة مشاركتهم فى العمل السياسى العام .

وفى النهاية نجد أن أعمال اليهود الأمريكيين تحظى بأعلى درجة اهتمام أمام اليهود انفسهم . وأن الكثير من العمل الذى يتم باسم يهود أمريكا يقوم به قلة قليلة منهم . بعض هذه الأعمال مضلل ولكن الكثير منها مفيد ويحمل النوايا الحسنة ولكنها جميعاً لا تخضع للفحص الدقيق. ومثل النظام السياسى الأمريكى عموماً فإن النظام السياسى لمجتمع اليهود الأمريكيين يواجه الأخطار التى يأتى معظمها من أبناء هذا المجتمع .

وفى عالم الواقع يستمر العمل السياسى سواء كانت الجماهير مهتمة بذلك أو غير مهتمة، ولكن الفارق هو هل تعكس نتائج هذا العمل رغبة السواد الأعظم من الجماهير أم تعكس رغبات أقلية صغيرة منه . ولهذا السبب يتعين على اليهود الأمريكيين أن يعرفوا ما هى الأعمال التى تجرى باسمهم . وعلى باقى الأمريكيين أن يقرأوا ويعرفوا ما الذى يرمى إليه جيرانهم .

الفصل الثانى

الليبرالية وأجندة العمل اليهودى

قضى ميشيل ليبرمان المحامى بمنظمة مكافحة تشويه صورة اليهود "ADL" بعد ظهر يوم ٢٧ يوليو ١٩٩٤ فى غرفة الاستقبال خارج مجلس الشيوخ بالكونجرس. وكان يراقب فى قلق واضح الدائرة التليفزيونية المغلقة ليرى كيف سيصوت الشيوخ على التعديلات المقترحة على قوانين التعليم الابتدائى والثانوى لعام ١٩٩٤ .

كانت التعديلات على رأس أجندة أعمال الجهاز التشريعى للرئيس كلينتون وتتكلف ١٢ مليار دولار وتشمل مراجعة كاملة للتعليم فى أمريكا .

ويعمل ليبرمان، وهو نائب مدير المنظمة، فى مكتبها بواشنطن، و قضى معظم العام وهو يركز جهوده على تعديل واحد بعينه يقترحه السناتور الجمهورى عن ولاية نورث كارولينا جيسى هيلمز والذى يدافع عن حق الطفل المكفول له دستوريا بالصلاة فى المدارس. وظل ليبرمان يحاول أن يمنع تمرير هذا التعديل بالذات .

اجتمع مع ليبرمان حول جهاز التليفزيون على بعد أقدام قليلة من مقاعد الشيوخ عشرات من أعضاء اللوبى اليهودى والذين عملوا مع ليبرمان لعدة شهور من أجل وقف التعديل الذى يقترحه سناتور هيلمز . وعند فرز الأصوات قبل الساعة السادسة بقليل هلل أعضاء اللوبى وضربوا الهواء بأيديهم كما لو كانوا يشجعون فريقاً للكرة أحرز هدفاً جميلاً . لم يمر تعديل هيلمز بفارق ضئيل لا يزيد على نسبة ٥٣ الى ٤٧ صوتا.

وكان هيلمز قد اقترح هذا التعديل فى شهر فبراير السابق وصوت ٧٥ من الشيوخ لصالح تعديلات هيلمز ولكن منذ ذلك الحين تم إقناع ٣١ من الشيوخ بتغيير مواقفهم من خلال حملة قومية للوبى وكتابة الخطابات وحث القاعدة الشعبية .

وفيما بعد قال ليبرمان لعل هذا هو أكبر انجاز لنا منذ قضية ضمانات القروض .

وكما هو الحال فى صراعاتها مع واشنطن عملت منظمة « مكافحة تشويه الصورة اليهودية» بالتعاون مع منظمات يهودية أخرى مثل« لجنة يهود أمريكا» والمؤتمر اليهودى

الامريكى لتنظيم الحملة ضد تعديلات هيلمز. ولكن اليهود لم يعملوا وحدهم فى هذا المضمار. وانما انضم اليهم قطاع عريض من جماعات المصالح التى تعارض التعديل لأسباب سياسية وفلسفية او اقتصادية. الكثيرون من هؤلاء كانوا من الجماعات المسيحية التى تشترك مع اليهود فى وجهة نظرهم التى تدعو إلى الفصل الكامل بين سلطة الدولة والكنيسة ، ومن بين هذه الجماعات اللجنة البابوية المشتركة للشئون العامة، والمجلس القومى لكنائس المسيح ، وجماعات اخرى من العاملين فى حقل التعليم مثل اتحادات المعلمين وجمعية مجالس ادارات المدارس الحكومية وجمعية مديرى المدارس . هؤلاء جميعاً كانوا يخشون من أن يؤدى التعديل إلى حرمان المدارس من الدعم الفيدرالى إذا ما انتهكت حق «الطفل فى الصلاة» وبرغم أن التعديل الذى طرحه هيلمز لم يحدد ما الذى يشمله هذا الحق إلا أن مديرى المدارس شعروا أنه سيكبلهم بقيود محكمة .

بالاضافة إلى هذه الجماعات كانت هناك جماعتا ضغط ليبراليتان هما الاتحاد الأمريكى لليبرالية المدنية والعاملون من أجل الطريق الأمريكى . ويقول أوليفر توماس المخطط القانونى الاستراتيجى للمجلس القومى للكنائس « لا أستطيع أن أحدد طريقا لمعرفة جهود من هى التى أثرت على أعضاء مجلس الشيوخ، ولكن ربما كانت المنظمات اليهودية هى الأكثر انشغالاً بالمسألة من غيرهم من الجماعات الدينية الأخرى، وبدون الجهود المنظمة لليهود كنا سنخسر القضية، الجماعات المسيحية بعثت خطابات واتصلت بالقيادات التشريعية ولكننا لم نقم باتصالات تليفونية وغيرها من الأعمال التى يقوم بها اليهود عندما يريدون تحقيق هدف معين. وأنا أشعر أنه لم يستطع أحد أن يحرك القاعدة الجماهيرية مثلما فعل اليهود» .

ويضيف توماس قائلا : «بشكل عام نجد أن اليهود هم أكثر اللاعبين أهمية فى مسألة الحفاظ على الحائط الدستورى الفاصل بين الكنيسة والدولة . كما أنه لا يبذل أحد جهداً فى مسائل الدولة والكنيسة أكثر من اليهود الأمريكيين، والأكثر من ذلك إذا تحدثنا عن حجم المساهمة اليهودية على النطاق الأوسع ونظرنا إلى نشاطهم فى جماعات مثل *«الاتحاد الأمريكى لليبرالية المدنية»* أو *«العاملون من أجل الطريق الأمريكى»* نجد أن تأثيرهم ونفوذهم داخل هذه الجماعات هائل» .

وبدرجة أقل نستطيع أن نقول نفس الشىء عن مساهمة اليهود فى شئون السياسة الداخلية ، فى الحقوق المدنية وسياسة الهجرة وحق الاجهاض وقوانين العمل وحملات

التبرعات المالية للديمقراطيين حيث نجد أن يهود أمريكا يلعبون دوراً أساسياً في الليبرالية الأمريكية كما كان الحال طوال سنوات القرن العشرين .

والحقيقة أن هذا التزاوج المتين بين اليهود والليبرالية الأمريكية يجب النظر اليه كأحد الخصائص المهمة لحياة اليهود الامريكيين وربما للسياسة الامريكية بصفة عامة. ولكن لماذا يصر اليهود كل هذا الاصرار على الاحتفاظ بليبراليتهم ؟ لماذا الاصرار رغم كل ما لهم من مساهمة وتأثير في الولايات المتحدة ولماذا هم أكثر اقترابا من الضعفاء ويؤيدون السياسات التي يمكن أن تؤذي الاغنياء .؟

هذه الاسئلة اثارت اهتمام الباحثين لعدة عقود؛ حيث يقول استاذ العلوم السياسية الاسرائيلي بيتر ميدينج « حاولت الافتراضات النظرية التي تبحث السلوك السياسي لليهود أن تشرح هذا السلوك باعتباره ظاهرة عالمية، ووفقا لما هو متعارف عليه نجد أن الليبرالية اليهودية مسألة شاذة إذا نظرنا للوضع الطبقي لليهود في المجتمعات الغربية» .

وتلفت الاحصاءات ايضا نظرنا . فقد نشرت جريدة لوس أنجلوس تايمز احصائية في عام ١٩٨٨ وجد منها أن ٤١٪ من كل اليهود الأمريكيين يعتبرون أنفسهم ليبراليين وقال ١٧٪ انهم يعتبرون أنفسهم محافظين . ولكن على المستوى الأمريكي العام كانت النسبة معكوسة حيث يرى ١٨٪ من الامريكيين انفسهم ليبراليين بالمقارنة بـ ٣٠٪ يرون أنفسهم محافظين وقد أظهرت استطلاعات أحدث للرأي نفس النتائج تقريبا .

وفي معظم سنوات القرن العشرين ظل اليهود هم أكبر قطاعات المجتمع الامريكي ليبرالية . وهم كذلك حتى اليوم برغم محاولات المحافظين من اليهود اجتذاب الليبراليين نحو اليمين.. ومنذ عشرينات هذا القرن كان اليهود اكثر تصويتا لصالح الحزب الديمقراطي في كل انتخابات رئاسية جرت. وكان الاستثناء الوحيد لذلك هو انتخابات عامي ١٩٢٠، ١٩٨٠ ففي هذين العامين ذهبت أصوات كثيرة من اليهود الى مرشح حزب ثالث على اليسار .

وفي عام ١٩٩٤ عندما فشل الجمهوريون في الكونجرس فشلاً ذريعا صوت اليهود بنسبة ٨٠٪ لصالح الديمقراطيين.

واليهود ليسوا مجرد ليبراليين فقط ولكنهم ايضا اصحاب أهمية حيوية لليبرالية الأمريكية كما كان الأمر طوال هذا القرن. فقد كان أول رئيس للإتحاد الأمريكي للعمال يهوديا هو صامويل جومبرز المهاجر صانع السيجار، وكانت أول رئيسة للمنظمة القومية للمرأة يهودية هي الكاتبة بيتي فريدمان. وكان أوائل الاشتراكيين المنتخبين في الكونجرس من اليهود وهما الصحفي ڤيكتور بيرجر من ميلوكي والمحامي مائير لندن من نيويورك .

وفى الكونجرس اليوم يوجد نائب فيرمونت الاشتراكى برنارد ساندرز والذى يعتبر نفسه مستقلا. كما كان نصف البيض تقريبا - الذين ذهبوا الى الجنوب فى الستينات كمدافعين عن الحقوق المدنية من اليهود . وأسس اليهود أكثر المنظمات الليبرالية نفوذاً وتأثيراً بعد حرب فيتنام . وأسس الناشر اليهودى روبرت برنشتاين من نيويورك جماعة مراقبة حقوق الانسان (هلسنكى-ووتش). وأسس منظمة (العاملون من أجل الطريق الأمريكى) المنتج التليفزيونى من لوس أنجلوس نورمان لير .

وقامت الجمعية القومية لتنمية الملونين فى منزل مواطن يهودى هو استاذ الادب المتقاعد بجامعة كولومبيا چويل سبينجارن. واستضاف البروفيسور الاجتماع المحورى للجمعية فى عام ١٩١٥ فى منزله بمدينة نيويورك. وكان زعيم الجمعية منذ تأسيسها عام ١٩٠٩ ورئيس جناحها العسكرى وحليفا قويا لدوبويس المنظّر الاسود وانتخب سبينجارن رئيسا لمجلس ادارة الجمعية عام ١٩١٥ ثم خدم كرئيس لها من ١٩٢٩ وحتى وفاته عام ١٩٣٩ ثم خلفه فى موقعه شقيقه آرثر ومن بعدهما رجل أعمال يهودى من بوسطن عام ١٩٦٦ هو كيڤى كابلان والذى ظل فى مكانه حتى ١٩٧٥ عندما انتخبت الجمعية أول رئيس أسود لها.

والأعمال التى قام بها أفراد ليبراليون من اليهود تحكى لنا جانبا واحدا من القضية لأنه على مدى نصف قرن على الأقل لعبت التنظميات اليهودية دورا حاسما فى تطور ونمو اجندة الحريات الامريكية من تسامح ولعب نظيف . وظهر تحالف بين اليهود ومنظمات السود وقادوا معا الحملة من أجل المساواة فى الحقوق فى عشرات الولايات الأمريكية وأخيراً من أجل الحقوق المدنية على المستوى الفيدرالى وحقوق الانتخابات فى منتصف الستينات . وتزعمت المنظمات اليهودية الحملة الطويلة من أجل اصلاح قوانين الهجرة وانتهى الأمر بإلغاء نظام الحصة القائمة على أسس عرقية وعنصرية فى عام ١٩٦٥ . وعملت المنظمات اليهودية مع تحالف واسع مكون من الجماعات المدنية والكنائس المسيحية وفعلت الكثير من أجل خلق إجماع قانونى عام من أجل الحرية الدينية وفصل الدولة عن الكنيسة .

وأخيرا ، ففى دولة تمول فيها الحملات السياسية بأموال خاصة نجد أن ما بين الربع إلى النصف من تمويل الحزب الديمقراطى يأتى من اليهود إما بجهود التبرع نفسه أو جهود جمع التبرعات .

لماذا ؟ جزئياً لأن اليهود يملكون الكثير من المال. وهذا يمثل جزءا من الحقيقة . نعم إنهم أغنياء ولكن ليس كما هى الصورة العامة عنهم . حيث يبلغ متوسط دخل اليهودى بين ٤٠ الى ٥٠ الف دولار سنويا. وبالمقارنة يبلغ متوسط دخل الأمريكى حوالى ٣٦ ألف دولار سنوياً .

ولكن من المهم أيضاً أن نذكر أن اليهود أكثر ميلاً للعطاء الخيرى من غيرهم من الأمريكيين من ذوى الدخل المماثل ولكن على أية حال ليست هذه هى أسباب اعتماد الحزب الديمقراطى على أموال اليهود، وإنما السبب الرئيسى هو أن اليهود هم الفئة الديمجرافية – السكانية – الكبرى الوحيدة فى الولايات المتحدة، والتى لا ينخفض مستوى ليبراليتها بينما معدلات دخولها ترتفع إلى أعلى. والواقع أنهم يعتبرون أكبر مصدر لتمويل القضايا السياسية الليبرالية. الجمهوريون لديهم كل عالم رجال المال والأعمال والديمقراطيون لديهم اليهود.

وقد قال ريتشاد بروكهايز الكاتب المحافظ ان الفارق الوحيد بين الحزب الديمقراطى وحركة الإصلاح الدينى اليهودى هو أيام العطلات الرسمية.

ولاختبار هذه الفرضية قامت لجنة يهود أمريكا بإجراء إحصائية عام ١٩٨٨ لدراسة حجم الاختلاف بين وجهات النظر السياسية والإجتماعية لليهود وبين جيرانهم.. واستطلعت الإحصائية آراء مجموعات من اليهود الأمريكيين وغير اليهود كل مجموعة على حدة ثم أجريت مقارنة للإجابات.

فى مناطق محدودة مثل تأييد عقوبة الإعدام والتوجه الأمريكى نحو الإتحاد السوفيتى اتفقت تقريباً آراء اليهود مع غيرهم من الأمريكيين. ولكن فى مناطق عديدة متعلقة بالضرائب والانفاق الحكومى اتسمت إجابات اليهود بدرجة أعلى من الليبرالية. ولكن دون فوارق دراماتيكية.

فى منطقة واحدة كان اليهود أكثر تحفظا فى إجاباتهم المتعلقة بالعمل الإيجابى للأقليات عن إجابات غير اليهود فيما يخص العمل الحكومى لإنهاء العنصرية. حيث كانوا أقل تقبلاً لعكس تيار العنصرية والتفضيل على أسس عرقية بالنسبة للأقليات فى مسائل التعليم أو شغل الوظائف الحكومية. كما كانت أكثر الفوارق الجوهرية بين اليهود وغيرهم تلك المتعلقة بالمسائل الإجتماعية. فالأسئلة الخاصة بالشواذ أو معارضة الرقابة كان غير اليهود نصف مؤيدين لها أما اليهود فكانوا يؤيدونها بشدة. وحول حق الإجهاض اتضح أن الأمريكيين عموماً منقسمون بشأنه. (٤٥٪ يؤيدون الإجهاض بدون قيود و٤٤٪ يؤيدون

بعض القيود و١١٪ يرفضون الإجهاض تماماً) وبين اليهود وجد أن ٨٧٪ يؤيدون الاختيار الحر حول الإجهاض ولم يؤيد أحد تقريباً المنع الكامل للإجهاض.

وفي مسألة الفصل بين الكنيسة والدولة كانت إجابات اليهود متعارضة تماماً مع إجابات غير اليهود. حيث عارض اليهود تماماً السماح بالصلاة في المدارس العامة أو السماح بإظهار الرموز الدينية أيا ما كانت داخل الممتلكات والمنشآت الحكومية، ولكن باقي الأمريكيين كانوا يؤيدون ذلك تماماً.

بعد الانتهاء من عمل البحث قال مدير المشروع ستيفن كوهين «لدينا هنا ظاهرة مثيرة حقاً. حيث أظهر غير اليهود استعداداً كبيراً لتقبل إظهار رموز اليهودية في المنشآت العامة».

والعنصر الآخر الذي اختلف فيه اليهود تماماً عن جيرانهم هو الإنتماء السياسي. وبصفة عامة ينقسم الأ مريكيون إلى ديمقراطيين وجمهوريين بنسبة الثلث لكل حزب أما الباقون فيعتبرون أنفسهم مستقلين أما اليهود فيميلون بدرجة أكبر تجاه الحزب الديمقراطي ولا تزيد نسبة المستقلين من اليهود على ١٥٪.

وقد حاولت نظريات عديدة أن تفسر الارتباط الكبير بين اليهود والليبرالية. وبالنسبة لنشطاء الإتجاه الليبرالي مثل داعية حقوق الإنسان «آريا نير» وهو أحد مؤسسي منظمة «هلسنكي ووتش» ، يرى «نير» أن ليبرالية اليهود تنبع من ادراكهم التام وخبرتهم التاريخية الناشئة عن الاضطهاد، وبالنسبة لآخرين مثل جاك جرينبرج محامي الحقوق المدنية والرئيس السابق لصندوق الدفاع القانوني التابع لمنظمة الجمعية القومية لتنمية الملونين نجد أن ليبرالية اليهود الأمريكيين هي مجرد رواسب السياسات الراديكالية التي أحضرها المهاجرون السوفيت إلى الولايات المتحدة في نهاية القرن وعلموها لأبنائهم.

وترى الكاتبة المدافعة عن حقوق المرأة «ليتي كوتين» وهي مؤسسة مجلة (MS.) أن الليبرالية اليهودية هي نتاج طبيعي للتقاليد اليهودية والتي نقلتها شعائر الدين مثل تلاوات خروج اليهود من مصر. وتقول ليتي «عندما نتذكر القهر الذي تعرضنا له فإن هذا يجعلنا أكثر تعاطفاً مع المضطهدين» ولكن الغريب أيضاً أنها تذكر أن الليبرالية اليهودية هي ثورة ضد ما هو تقليدي حيث تقول ان العادات الأبوية القهرية دفعت بالكثيرين من اليهود لأحضان حركات التغيير الإجتماعي.

وعلى جانب المحافظين من اليهود نجد الكثيرين من المعتدلين مثل مساعد جورج بوش السابق جاي ليفتو كوفيتش الذي يقول ان الليبرالية اليهودية نشأت عن المخاوف

القديمة من معاداة السامية والتى كانت سمة جوهرية لليمين المسيحى. وإذا اتجهنا إلى اليمين أكثر سنجد المتشددين كثيراً ما يصفون الليبرالية اليهودية بتعبير سيكولوچى كنوع من «كراهية النفس»، إنها أعراض مرضية تؤدى بالكثيرين من اليهود للتعاطف مع أعدائهم والانفصال عن احتياجات جماعتهم. وتقول دارسة العبرية الكندية المولد روث فايس: «إن اليهود هم الأقلية الأمريكية الوحيدة التى لا تدافع - كأمر مسلم به - عن حقهم فى أرض لشعبهم» جاءت هذه الكلمات فى مقال مطول كتبته روث بعنوان «إن لم آكن لنفسى - الخيانة الليبرالية لليهود».

كل نظرية من النظريات السابقة تلقى بعض الضوء على الحقيقة ولكنها جميعاً لا تزيد على كونها تفسيرات جزئية للحقيقة.

على سبيل المثال، فكرة أن الليبرالية اليهودية ترجع للتقاليد اليهودية تبدو صحيحة بالنسبة للكثيرين من اليهود ، حيث ان جوهر الليبرالية الأمريكية بأفكاره مثل فرض الضرائب على الأغنياء لمساعدة الفقراء أو تقديم حق الأم ومصلحتها على مصلحة الجنين تجد لها جذوراً فى العقيدة اليهودية . ولكن كتفسير لجاذبية الليبرالية لليهود الأمريكيين نجد أن الفكرة قاصرة حيث يبدو لنا أن الليبرالية اليهودية آخذة فى التراجع بينما التقليدية آخذة فى التصاعد فاليهود الأرثوذكس هم الأكثر تشددا فى المعتقدات الدينية والسلوك . وتظهر لنا الإحصائيات أن الارثوذكس أقل ليبرالية من اليهود المحافظين وهؤلاء بدورهم أقل ليبرالية من اليهود الإصلاحيين ، واذا كانت التقاليد اليهودية هى التى عززت الليبرالية فقد كان من الضرورى أن ينعكس الاتجاه ويصبح التقليديون هم الأكثر ليبرالية .

ويرى الكثيرون من الأمريكيين - غير اليهود - الذين يعملون عن قرب مع اليهود الأمريكيين أن الليبرالية اليهودية بتعبير واضح هى مسألة اهتمام شخصى ومصالح شخصية على سبيل المثل يقول القس كالڤين باتس من الكنيسة البابوية فى هارلم ان «اليهود خلال تأييدهم الطويل للحقوق المدنية فعلوا الكثير من أجل السود لأن اليهود أيضاً كانت لهم معاناتهم التاريخية وكانوا ضحاياللتفرقة والاضطهاد » .

ولكن باز توماس الذى يعمل فى المجلس القومى للكنائس وهو حليف قديم لمجتمع اليهود يرى أن سعى اليهود لتحقيق مصالحهم الشخصية مسألة فى غاية المكر .. وعلى خلاف جماعات ضغط ليبرالية عديدة فإن اللوبى اليهــودى يتبنى أســاليب ذكية ومؤثرة

ولا يبدو منها أنها تحقق المصالح الخاصة لليهود. ويستكمل توماس بقوله «بلاشك كان اليهود يواجهون مخاطر عديدة وكانت الولايات المتحدة هى أفضل مكان لهم ليظلوا يهوداً ولأن يلعبوا دوراً على الساحة وهى أفضل موقع بالنسبة لأقلية ، ولكن هذا ليس حكراً على المنظمات اليهودية فقط . واليهود والأمريكيون لديهم مصالحهم الخاصة ولكنهم يسعون إليها بطريقة تؤكد إيمانهم بمبادىء معينة ، وهذا يزيد من فاعلية عملهم . ففى أى مرة يشعر أعضاء الكونجرس أنك تعمل دفاعاً عن مبدأ وليس سعياً إلى مآرب خاصة يكون هذا أكثر جذباً لهم وتأثيراً عليهم».

ويرى ليبراليون كثيرون بين قيادات المنظمات اليهودية أن العقلانية سياسة ذكية ، حيث تعمل من أجل نطاق واسع من المبادىء التى تسمح لك بالانضمام لجماعات أخرى تواجه نفس المشاكل وهذا يرفع صوت الجماعات الصغيرة أو الأقليات .ويقول هايمان بوكبيندر وهو نائب سابق فى الكونجرس «نجد أن القوة السياسية اليهودية تشمل بالضرورة الدخول فى التحالفات وتنميتها مثل العمل مع جماعات الحقوق المدنية أو الجماعات العمالية وهذا يزيد كفاءة النتائج ، ويصبح هؤلاء أعضاء إضافيين فى اللوبى ، نحن نهتم ببرامجهم وهم يهتمون ببرامجنا » . ويتفق فى هذا الرأى الدبلوماسى اليابانى هايديو ساتو أكبر خبراء الخارجية اليابانية فى شئون يهود أمريكا .يعتقد ساتو أن استعداد اليهود الأمريكيين للقتال من أجل الآخرين هو السبب الرئيسى وراء نجاحهم فى قضاياهم الخاصة ، حيث تحافظ المنظمات اليهودية على دعمها للأقليات الأخرى . ويحافظون على علاقاتهم مع السود والهيسبانيك – المنحدرين من أصول اسبانية ، وهذا فعال ومؤثر، ونحن نقدر لهم أنهم يجمعون على رفض التحرش باليابانيين . إن هذا محل تقدير كبير فى الخارجية اليابانية .

ويقول الخبير اليابانى ان مردود هذا كبير ودراماتيكى حيث ان دفء العلاقة بين اليابان وإسرائيل فى أواخر الثمانينات كان سببه الأول انتعاش العلاقة بين طوكيو والتنظيمات اليهودية الأمريكية ، وقد بدأت الاتصالات بين الطرفين فى مطلع الثمانينات عندما سعت لجنة اليهود الأمريكيين لبدء الحوار حول تصاعد موجة معاداة السامية فى اليابان . وتطورت هذه المناقشات إلى حوار متصل بين الحكومة اليابانية ومنظمات يهودية عديدة وقد أدت هذه الحوارات مباشرة إلى قرار طوكيو فى ديسمبر ١٩٩٢لإلغاء المقاطعة العربية لإسرائيل (وان كانت اسرائيل فسرت هذا على أنه نتيجة للزيارة التى قام بها وزير الخارجية شيمون بيريز إلى اليابان قبل شهر واحد من ذلك التاريخ) ولكن ساتو يؤكد أن قراراً يابانياً كهذا لم يكن ليصدر بهذه السرعة .

وبالنسبة للنظرية القائلة بأن الليبرالية اليهودية الأمريكية كانت مستوردة على أيدى المهاجرين السوفيت فى أوائل القرن العشرين نجد أنها تسقط من التاريخ قرناً كاملاً من الزمن ، حيث ترجع العلاقة بين يهود أمريكا وبين الحزب الديمقراطى إلى انتخابات الرئاسة فى عام ١٨٠٠ . وهى أول انتخابات أمريكية تجرى على أسس حزبية. والسبب بسيط جداً وهو أن توماس چيفرسون وحزبه (الديمقراطيون – الجمهوريون) كما عرف فى ذلك الوقت كان أول من دعا إلى حرية الأديان .

أما الفيدراليون فكانوا يخشون وقوع فوضى إذا لم تتدخل الحكومة كقوة أخلاقية وهذا يعنى المسيحية . إذن فقد كان تأييد اليهود للديمقراطيين – الجمهوريين طبيعياً ومنطقياً. وقد كتب بنيامين نون رئيس المعبد اليهودى فى فيلادلفيا مؤكداً هذا خلال الحملة الانتخابية عام ١٨٠٠ .

وشهدت انتخابات عام ١٨٠٠ أول محاولة عامة لجذب أصوات اليهود بعيداً عن الديمقراطيين . حيث نشرت جريدة «فيلادلفيا جازيت» خطاباً وقعه موسيس سولومون حث فيه اليهود للمساعدة على هزيمة چيفرسون كعدو لكل الأديان ، ولكن هذه الخطة فشلت عندما كشف بنيامين نون أن هذا الخطاب مزور وقال «لا يوجد رجل باسم موسيس سولومون وهذا الاسم ليس مسجلاً بالمجمع اليهودى فى هذه المدينة» .

وعلى مدار القرن التالى نمت العلاقة بين اليهود والديمقراطيين واتسع نطاق الديمقراطيين لما وراء القاعدة التى أرساها چيفرسون والمكونة من المزارعين والمفكرين، وأصبح الديمقراطيون هم حزب المهاجرين والكاثوليك واليهود وعمال المدن . وأصبحت المنظمة الديمقراطية فى نيويورك – جمعية تامنى – هى أول آلة سياسية فى مدينة كبرى وذلك من خلال جذب الأصوات عن طريق تنظيم المهاجرين وتقديم الخدمات الاجتماعية لهم.

فى عام ١٨٦٠ حاول الحزب الجمهورى الناشىء أن يكسب الانتخابات عن طريق الصوت اليهودى . فى ذلك الحين أيد اليهود بنسبة ٢ إلى واحد الديمقراطيين مقابل الجمهوريين ، هذا ما ذكره الخبير الاستراتيجى الجمهوى آبراهام جوناس من ولاية آلينوى فى مذكرة قدمها لرئيس الحزب حينئذ وأضاف فى مذكرته أن اليهود ربما كانوا على استعداد للتغيير ، وتوصل الجمهوريون إلى بعض الأفكار مثل توجيه أول دعوة من نوعها إلى حاخام ليبارك مجلس النواب الأمريكى، ولكن هذه الفكرة لم تحدث أثرا وبقى اليهود فى طابور الديمقراطيين طوال القرن التاسع عشر ومعظم القرن العشرين .

والسعى نحو الصوت اليهودى هو أقدم ممارسة سياسية أمريكية وأكثرها قبولا لدى اليهود ولكن مع ذلك تختلط مشاعر اليهود إزاء هذا السعى. تارة يحتفلون به باعتباره تأكيدا على عضويتهم الكاملة فى النظام السياسى الأمريكى وتارة أخرى يجدونه عملا منحطا وفاحشا ويضعهم فى صورة نمطية مرفوضة. إنه كل هذه الأشياء معا .

فى معظم سنوات القرن العشرين كان اجتذاب أصوات اليهود يعنى الدخول لأحياء اليهود وارتداء طواقيهم والتصوير فى مطاعم الكوشير، وحديثا انضم لهذه التصرفات ابداء الإعجاب اللانهائى بدولة اسرائيل وتأييد كل احتياجاتها ، على الأقل حتى يوم الانتخابات .

وبمجرد تولى المنصب يرى المشرعون الصوت اليهودى ذا أهمية خاصة عند دراسة أى قرار له صلة بدولة إسرائيل أو قضية الدولة والكنيسة وينفق مرشحو الرئاسة ملايين الدولارات لاجتذاب الصوت اليهودى. ومنذ عام ١٩٧٢ أسست كل حملة رئاسية تقريبا منظمة يهودية مستقلة بميزانيتها وعامليها للتغلغل بين أعضاء الجالية اليهودية واجتذاب أصواتهم .

كل هذا يحدث من مجموعة سكانية غير مهمة احصائيا ، تمثل ٥ر٢٪ من اجمالى التعداد الأمريكى ولكن الجهد المبذول لا نهائى .

والواقع أن الرقم خادع ، وبرغم أن اليهود يمثلون ٥ر٢٪ فقط من الاجمالى إلا أنهم يشكلون ٤ ٪ من الأصوات الانتخابية والسبب فى ذلك أن اليهود يقومون بمشاركة أكبر فى عملية الاقتراع أكثر من باقى الامريكيين ، حيث يسجل ٨٠٪ من اليهود أسماءهم فى الجداول الانتخابية بالمقارنة بكل الأمريكيين حيث لا يسجل أكثر من ٥٠٪ فقط أسماءهم فى هذه الجداول ، وبصفة عامة فإن اليهودى أكثر ميلا للادلاء بصوته من غير اليهودى، واليهود أكبر سنا أيضا ، وفى النهاية نجد أن نسبة تصويت اليهود تساوى ضعف نسبة تصويت غيرهم. هذه الوقائع تروى نصف القصة فقط ، حيث يتركز معظم اليهود فى عدد محدود من الولايات الأمريكية. ٧١٪ من كل يهود أمريكا يعيشون فى سبع ولايات ويشكلون فيها نسبة ٣ ٪ من السكان (و٦٪ من الأصوات الانتخابية) فى نيويورك ونيوجيرسى وفلوريدا وماساشوستس ومارى لاند وكونكتيكت وكاليفورنيا بالإضافة إلى بنسلفانيا وألينوى حيث يمثل اليهود نسبة ٧ر٢٪ و ٣ر٢٪ من اجمالى السكان. وفى نطاق تسع ولايات أمريكية فقط يعيش ٨١٪ من كل اليهود الأمريكيين (جدول ١) .

جدول ١

النسبة المئوية لليهود فى بعض الولايات
والنسبة المئوية لأصواتهم الانتخابية

الولاية	النسبة المئوية لليهود مقارنة بالسكان	النسبة المئوية للأصوات الانتخابية لليهود
نيويورك	٩ر-	١٨ر٣
نيوچيرسى	٥ر٥	٩ر٩
فلوريدا	٤ر٧	٨ر٢
ماساشوستس	٤ر٥	٨ر٣
مارى لاند	٤ر٣	٨ر١
كونكتيكت	٣ر-	٦ر٢
كاليفورنيا	٣ر-	٥ر٨
بنسلڤانيا	٢ر٧	٤ر٩
آلينوى	٢ر٣	٣ر٩

هذه الولايات التسع تمثل ٢٠٢ من إجمالى ٥٣٥ صوتا فى المجمع الانتخابى أى نسبة ٣٧٪ .

وبالنسبة للرؤساء هذه الأرقام لها اغراء خاص ، لاسيما عندما تتقارب فرص المرشحين ، وهى تعنى - من الناحية النظرية على الأقل - أن التوجه الدقيق إلى مجموعة بعينها مكونة من عدة مئات من الآلاف من السكان يمكن أن يؤثر على كل قطاعات المجمع الانتخابى ، وهى النقطة التى يكسب عندها مرشح رئاسى ويخسر عندها الآخر .

ويمكن من استعراض انتخابات عام ١٩٩٢ أن نضع تصورا للصوت اليهودى فى أقوى أحواله. الفائز هو المرشح الديمقراطى بيل كلينتون ، الذى هزم منافسه الجمهورى چورج بوش والمرشح المستقل روس بيرو فى السباق ثلاثى الأطراف ، وكانت نسب التصويت كالآتى ٤٣ إلى ٣٨ إلى ١٩ بالمائة وهذا بتحليل أصوات ١٠١ مليون ناخب أمريكى .

ولكن نتائج تحليل أصوات اليهود مختلفة عن التحليل العام .

ووفقا لاستطلاعات الرأى التى جرت بين الناخبين لدى خروجهم من اللجان الانتخابية والتى أجرتها منظمة المؤتمر اليهودى الأمريكى ، صوت اليهود بنسبة ٨٥٪ لصالح كلينتون وصوت ١٠٪ منهم لصالح بوش و ٥٪ لصالح بيرو .

وأظهرت دراسة أخرى أجرتها مراكز أبحاث الناخبين واستطلاعات الرأى - وهى جهة جديرة بالاحترام - أن ٧٨٪ من اليهود صوتوا لصالح كلينتون و١٢٪ لصالح بوش و١٠٪ لصالح بيرو .

وقد رصد المجلس القومى الديمقراطى اليهودى نتائج الدراستين - وهو منظمة ذات صلات وثيقة باللجنة القومية للحزب الديمقراطى - ليؤكد بعد يوم الانتخابات أن الصوت اليهودى شكل نسبة تتراوح بين ٥٠ إلى ٥٦٪ من إجمالى أصوات ٥ر٥ مليون صوت هى التى رجحت كفة كلينتون ولكن هذا الادعاء مضلل بدرجة ما ، حيث يقيس المحللون السياسيون الحذرون أثر أصوات الأقليات ليس بالنظر إلى صالح من أعطوا أصواتهم ولكن بالنظر إلى كيفية اختلاف أصواتهم عن أصوات الآخرين ، ولقياس أثر الصوت اليهودى فى انتخابات عام ١٩٩٢ نحن بحاجة لدراسة ما يمكن أن نسميه «عامل الفارق اليهودى» وهو الهامش الذى ملأه الصوت اليهودى بصورة تختلف عن عموم الناخبين .

وفى حالة كلينتون ، نجد النتائج مثيرة للاهتمام : حيث صوت اليهود لصالحه بنسبة تصل إلى ضعف نسبة التصويت العام ، وإذا كانت التوقعات التى سبقت الانتخابات تنبأت بأن يصوت نصف اليهود الناخبين بهذه الطريقة فقد صدقت هذه التوقعات حيث صوت ٤٣٪ من إجمالى الناخبين عموما لصالح كلينتون أما النصف الآخر - حوالى ٥ر١ مليون ناخب - فقد صوتوا لصالح كلينتون لمجرد أنهم يهود .

هذه المجموعة - عامل الفارق اليهودى - شكلت حوالى ربع هامش النصر الذى أحرزه كلينتون .

ويمكن أن نقول هذا بطريقة أخرى ، حيث صوت ٥ر١ مليون من إجمالى ٥ر٥ مليون ناخب يهودى ودفعوا كلينتون إلى البيت الأبيض نظرا لقبوله العام لديهم وهذا ما كان ينقص چورچ بوش .

وبتحليل النتائج فى كل ولاية على حدة وهى التحليلات التى أعدها المجلس القومى الديمقراطى اليهودى نجد أنه فى خمس ولايات تمثل ٨٦ صوتا فى المجمع الانتخابى

(نيويورك - نيوجيرسي - أوهايو - جورجيا ونيفادا) شكل اليهود ٧٥٪ أو أكثر من هامش فوز كلينتون ، وحتى إذا خفضنا هذه النسبة إلى النصف لنعزل (عامل الفارق اليهودي- أي اليهود الذين صوتوا لصالح كلينتون لأنهم يهود) سيظل لدينا خمس ولايات حصل فيها كلينتون على أكثر من ثلث هامش الفوز بسبب جاذبيته الشخصية للصوت اليهودي .

وفي ولايتين من الخمس المذكورة - جورجيا ونيوجيرسي - ولديهما ٢٨ صوتا في المجمع الانتخابي كان اليهود وحدهم هم المسئولين عن فوز كلينتون .

ويمكن القول أيضا ان الناخب الأسود هو الذي أنجح كلينتون أو صوت النساء أو الهيسبانك أو أي جماعة أخرى أعطت أصواتها للديمقراطيين بصورة تفوق المعتاد . يمكن القول أيضا ان غير المتزوجين حيث يشكلون نسبة ٣٥٪ من إجمالي الأصوات الانتخابية ، وصوت هؤلاء لصالح كلينتون بنسبة ٤٩٪ ضد بوش بنسبة ٣٣٪. وإذا طبقنا هذا العامل سنجد أن ١ر٢ مليون ناخب اختاروا كلينتون لأنهم غير متزوجين .

يقول المحلل السياسي ويليام شنايدر انه عندما تتقارب فرص المرشحين يمكن اعتبار كل عنصر أو فئة عاملا ترجيحيا. وقد قال شنايدر - وهو من العاملين في المعهد الأمريكي لمشروعات المحافظين - هذا الرأي في مقابلة شخصية أجريت معه خلال الحملة الانتخابية عام ١٩٩٢ .

يقول شنايدر «لم أسمع قط بأن الصوت اليهودي هو عامل ترجيحي في الانتخابات الأمريكية ، ويجب أن نشير إلى أن نصف أصوات اليهود فقط مرتبط بالمنظمات اليهودية وأن الكثير من أصوات اليهود ليست مرتبطة على وجه التحديد بقضايا إسرائيل ولكن الشئ الوحيد الذي يمكن أن نؤكده هو أن الصوت اليهودي بصفة عامة أكثر ليبرالية وديمقراطية من أي ناخب آخر » .

ومن وجهة نظر شنايدر يعزي التأييد اليهودي الكبير لكلينتون لمجموعة فريدة من الظروف ويشرح لنا قائلا «لدينا نوعان من الناخب اليهودي، هذه هي القاعدة ، هؤلاء المؤيدون بشدة لإسرائيل ، والآخرون العلمانيون غير المؤيدين على وجه الخصوص لإسرائيل ، والنوعان لا يحبون جورج بوش كل لأسباب مختلفة ، اليهود الأكثر تحفظا لا يحبون انتقادات بوش لإسرائيل ، انها مسألة مهمة بالنسبة لهؤلاء ، واليهود الأكثر ميلا للعلمانية والليبراليون لا يكترثون لهجومه على إسرائيل ولكنهم لن يدلوا بأصواتهم لصالح

بوش لأنه محافظ أكثر مما ينبغي ، فإذا وضعت النوعين معا سيتبقى تأييد يهودي ضعيف لجورج بوش » .

أما اليهود الجمهوريون فيرون أن العادات الانتخابية لغيرهم من اليهود هي رفض عنيد لمواجهة الواقع والحقيقة .

ويقول المحامي الجمهوري ماكسويل راب الذي عمل في البيت الأبيض في عهد آيزنهاور «لا يمكن لأحد أن يقول ان كل ما أنجزه بوش يساوي نسبة الـ ١٣٪ التي حصل عليها ، ولكن جماعتنا – أي اليهود – يعتقدون أنهم يستحقون كل الجوائز دون أن يقدموا الأعمال التي تؤهلهم لها، تماما مثل عموم الناخبين يريدون تخفيضات ضريبية وخفضا للعجز بالموازنة مع الابقاء على مستوى الانفاق الحكومي ، واليهود يريدون الجمهوريين أن يكونوا معهم ولكنهم بشكل أساسي لا يقفون في صف الجمهوريين ، والحمد لله أنه لازال هناك بعض الحمقى من اليهود ممن لازالوا في الحزب الجمهوري ليدفعوا الأمور للاستمرار .

أنا لا أقول – وهذا على لسان ماكسويل راب – انه يتعين على اليهود ألا يدلوا بأصواتهم وفقا لاقتناعهم ولكن لا يمكن أن يقول أحد انه لا يوجد الكثيرون من اليهود ممن لا يؤمنون بمبادئ الحزب الجمهوري .

الحقيقة الواضحة هي أن الصوت اليهودي موجود وهو صوت متغير ويستحق القتال من أجله ، والدليل على ذلك مطروح في الأسواق حيث يصارع السياسيون من أجل الحصول على أصوات اليهود عاما بعد عام وإن لم تكن هناك جائزة في النهاية لما كان هناك صراع على الأصوات .

والشئ الذي يفهمه السياسيون جيدا هو الجائزة التي يسعون إليها ولكنهم لا يفهمون الطائفة اليهودية ككل ، باستثناء قطاع من هذه الطائفة يمكن أن يصنع فارقا في النتائج في المناطق المستهدفة .

وبدراسة نتائج الانتخابات الرئاسية خلال القرن العشرين نجد أنه في معظم الأحوال صوت اليهود لصالح الديمقراطيين ولكن نسبة هذا التصويت ارتفعت أو انخفضت لتحدد نتائج الانتخابات (جدول٢) .

اثنان فقط من الديمقراطيين في هذا القرن هما جيمس كوكس ١٩٢٠ وجيمي كارتر ١٩٨٠ حصل كل منهما على أقل من نصف أصوات اليهود ، حيث دخل الرجلان السباق

الرئاسى فى أعوام كان اليهود فيها غاضبين من أداء الادارات الديمقراطية التى خرجت من الحكم ، وفى الحملتين الانتخابيتين حصل الجمهوريون على أصوات يهودية أكثر من نصيبهم المعتاد ولكنهم لم يحصلوا على الأغلبية وقد مال الميزان إلى المرشح الرئاسى الثالث فى المرتين ، وانتهى السباقان بفوز الجمهوريين فوزا ساحقا دون أن يكون لليهود دور فى ذلك .

فى كل انتخابات رئاسية أخرى حصل الديمقراطيون على أغلبية أصوات اليهود ولكن بنسب مختلفة تعتمد على مدى شعبية الديمقراطيين وقلة شعبية الجمهوريين .

وما توضحه لنا الأرقام هو الآتى : حوالى ٥٥ إلى ٦٠٪ من الناخبين اليهود يصوتون لصالح الديمقراطيين بغض النظر عن اسم المرشح الديمقراطى و١٠٪ تقريبا يدلون بأصواتهم لصالح الجمهوريين بغض النظر عن الأسماء أيضا ، أما النسبة الباقية وهى حوالى الثلث فيمكن أن يجتذبها هذا المرشح أو ذاك حسب مواقفهما .

جدول ٢

الصوت اليهودى فى انتخابات الرئاسة ١٩١٦ - ١٩٩٢

العام	النسبة المئوية للصوت اليهودى	النسبة المئوية لإجمالى الأصوات
١٩١٦		
ويلسون (د)	٥٥	٥١
هامز (ج)	٤٥	٤٨
١٩٢٠		
كوكس (د)	١٩	٣٥
هاردنج (ج)	٤٣	٦١
دبس (ش)	٣ر٥	٣٨
١٩٢٤		
داڤيز (د)	٥١	٢٩
كوليدج (ج)	٢٧	٥٤
لافوليت (ق)	٢٢	١٦
١٩٢٨		
سميث (د)	٧٢	٤١
هوڤر (ج)	٢٨	٥٨
١٩٣٢		
روزفلت (د)	٨٢	٥٩
هوڤر (ج)	١٨	٤٠
١٩٣٦		
روزفلت (د)	٨٥	٦٢
لاندون (ج)	١٥	٣٧

١٩٤٠		
روزفلت (د)	٩٠	٥٤
ويلكى (ج)	١٠	٤٥
١٩٤٤		
روزفلت (د)	٩٠	٥٣
ديوى (ج)	١٠	٤٦
١٩٤٨		
ترومان (د)	٧٥	٤٩
ديوى (ج)	١٠	٤٥
والاس (ق)	١٥	٢
ثيرموند (دج)	–	٢
١٩٥٢		
ستڤنسون (د)	٤٦	٤٤
آيزنهاور (ج)	٣٦	٥٥
١٩٥٦		
ستيڤنسون(د)	٦٠	٤٢
آيزنهاور (ج)	٤٠	٥٧
١٩٦٠		
كنيدى (د)	٨٢	٥٠
نيكسون (ج)	٤٩	١٨
١٩٦٤		
جونسون (د)	٩٠	٦١
جولدووتر (ج)	١٠	٣٨
١٩٦٨		
همفرى (د)	٨١	٤٢
نيكسون (ج)	٤٣	١٧
والاس (أم)	٢	١٣,٥
١٩٧٢		
ماكجڤرن (د)	٦٥	٣٨
نيكسون (ج)	٣٥	٦١
١٩٧٦		
كارتر (د)	٦٤	٥٠
فورد (ج)	٣٤	٤٨
١٩٨٠		
كارتر (د)	٤٥	٤١
ريجان (ج)	٣٩	٥١
آندرسون(م)	١٥	٧
١٩٨٤		
مونديل (د)	٧٦	٤٠
ريجان (ج)	٣٢	٥٩
١٩٨٨		
دوكاكيس (د)	٦٤	٤٥
بوش (ج)	٣٥	٥٣
١٩٩٢		
كلينتون (د)	٨٧	٤٣
بوش (ج)	١٢	٣٨
بيرو (م)	١٠	١٩

مفتاح الجدول

(أم) أمريكى مستقل

(د) ديمقراطى

(م) مستقل

(ق) تقدمى

(ج) جمهورى

(ش) اشتراكى

(دج) ديمقراطى جنوبى

على مستوى الدولة كلها نجد أن الصوت المتردد يتراوح حجمه بين مليون إلى ٥ر١ مليون ، وهو الصوت الذى يقاتل المرشحون بهدف الحصول عليه . وإذا كان السباق متقاربا جدا بين المتنافسين يمكن أن يقلب هذا الصوت النتائج ، ففى عام ١٩٩٢ كما رأينا ساهم الصوت المتردد بحوالى ربع هامش الفوز الذى حصل عليه كلينتون وقدره الإجمالى ٥ر٥ مليون صوت، وفى عام ١٩٤٤ ساهم الصوت اليهودى الكاسح للمرشح الديمقراطى فرانكلين روزفلت بمقدار الثلث من إجمالى هامش فوزه الضئيل وقدره ٣ ملايين صوت.

وفى سباق ١٩٦٠ كان السباق متقاربا جدا بين جون كنيدى وريتشارد نيكسون وحصل الديمقراطيون الفائزون على أكثر قليلا من نسبة ٨٠٪ من الأصوات اليهودية – بنسبة تزيد ٢٠٪ على المرشح الديمقراطى فى الانتخابات التى سبقتها آدلاى ستيفنسون وفى الفترة بين ١٩٥٦ و ١٩٦٠ تحول نصف مليون يهودى تقريبا من الطابور الجمهورى إلى الطابور الديمقراطى ، وحصل الديمقراطيون على ١١٨ ألفا و ٥٥٠ صوتا من إجمالى ٦٨ مليون صوت انتخابى وهذا وفقا للاحصاءات الرسمية .

والهامش اليهودى لا يعمل فقط لصالح الديمقراطيين. ففى عام ١٩٦٨ عندما فاز نيكسون بدورة رئاسية ثانية كان اليهود الجمهوريون يعملون بشكل منظم تحت قيادة ماكس فيشر ولعبوا دورا قويا فى تعزيز نصيب الجمهوريين من أصوات اليهود ليرتفع عن نسبة ١٠٪ حصل عليها بارى جولدووتر عام ١٩٦٤ .

وبفضل جهودهم غير يهود كثيرون مواقفهم عام ١٩٦٨ ليصل ما حصل عليه الجمهوريون إلى نسبة ١٧٪ ، وللوهلة الأولى هذا التحول قد يبدو غير مهم ولكن تحول ٢٠٠ ألف صوت يهودى لصالح ريتشارد نيكسون أحدث أثرا كبيرا فى الانتخابات التى فاز فيها نيكسون بهامش أصوات قدره ٥١٠ آلاف صوت .

عندما قدم السناتور چيسى هيلمز مشروع تعديل الحق الدستورى للصلاة فى المدارس فى فبراير ١٩٩٤ ، قام بربطه بنطاق أكبر من التعديلات فى مجال التعليم وأطلق عليها اسم (تعديلات عام ٢٠٠٠) ، وبمجرد أن دخلت التعديلات المقترحة إلى مجلس الشيوخ حصلت مبدئيا على أصوات بنسبة ٧٥ إلى ٢٢ ، وظهرت نسبة مماثلة عندما قدمت التعديلات لمجلس النواب عن طريق نائبين ديمقراطيين من الجنوب هما چون دنكان من

تينسى وسام چونسون من تكساس ، وتم تمرير التعديلات بنسبة ٢٣٩ صوتا إلى ١٧١ صوتا .

من الناحية الرسمية رفضت القيادة الديمقراطية فى مجلسى الكونجرس تعديلات سناتور هيلمز ، واعتبرها الديمقراطيون هجوما متعمدا على الفصل الدستورى بين السلطة والكنيسة ، ومن الناحية العملية كان اهتمام الديمقراطيين خلال ربيع ١٩٩٤ ينصب على أمور أخرى ولذلك كان المشرعون المستقلون يشعرون بحرية كبيرة فى تأييد التعديلات دون تردد. ولمعرفتهم السابقة بأن الناخبين يشعرون بالقلق حول قيم أطفالهم استغل أعضاء الكونجرس الفرصة للتصويت لصالح التعديل لمعرفتهم أنهم يؤيدون حقا مكفولا دستوريا واقتصرت معارضة تعديلات هيلمز على الليبراليين المتشددين واليهود .

وخلال مناقشات مجلس النواب للتعديلات المقترحة شكا زعماء الديمقراطيين من أن المعارضين للتعديل إلى جانبهم هم اليهود فقط وأن هذا لا يكفى . هذا ما يذكره چيم هالبرت من «العاملون على الطريق الأمريكى» .

وتعكس شكوى الديمقراطيين الأزمة التى يواجهها الليبراليون عندما يطرح موضوع الحرية الدينية على أعضاء الكونجرس ، وعندما يكون اليهود هم أصحاب الصوت الأعلى فى الكونجرس فإن الأغلبية – وهم من غير اليهود – يعتقدون أنهم لا يواجهون أية مخاطر، ويقول هالبرت «الأعضاء الآخرون الذين لا يوجد فى دوائرهم أعداد كبيرة من اليهود ينظرون للوبى ويقولون لأنفسهم هؤلاء لا يمثلون الناخبين فى دوائرهم ، هؤلاء الأعضاء ليسوا معادين للسامية ولكن هذه النظرة تؤثر فى الكيفية التى يقترعون بها على القوانين» .

فى الواقع كان اثنان فقط من أربعة متحدثين ضد هيلمز من اليهود وهما چيرى نادلر من نيويورك وايريك فينجرهات من أوهايو، والاثنان الآخران هما ليبراليان متعصبان : دون ادواردز من كاليفورنيا وبات ويليام من مونتانا ، ولكن الأثر الذى خلفاه كان أكبر من الواقع .

بعد تمرير القانون داخل مجلس النواب ثم مجلس الشيوخ فإنه يدخل إلى لجنة التشاور، وفى هذه اللجنة يوجد ممثلون لمجلسى الكونجرس وهم يتشاورون معا من أجل احتواء الاختلافات ، وعندما تتفق وجهات النظر تترك اللجنة مسألة الصياغة للمختصين .

ويقوم بتشكيل لجان التشاور رؤساء اللجان التى خرجت منها التعديلات المقترحة ، فقد بدأت (أهداف عام ٢٠٠٠) فى لجنة التعليم والعمل بمجلس النواب التى يرأسها نائب ميتشجان الديمقراطى ويليام فورد وبعد يوم واحد من تمرير مجلس النواب لتعديلات هيلمز ، أبلغ النائب ويليام فورد اسمين بارزين فى جماعات الضغط هما روبرت بيك من (الاتحاد الأمريكى للحريات المدنية) وجيم هالبرت من (العاملون على الطريق الأمريكى) بالمسألة. لم تكن هناك وسيلة لسحب التعديل من لجنة التشاور، هذا ما قاله فورد لهما حيث أقر مجلسا الكونجرس التعديلات ومع ذلك فإنه إذا ما أصبحت التعديلات قانونا سارى المفعول فإن هذه ستكون خطوة تاريخية للوراء منذ أجيال بعيدة تمكنت من حماية الاقليات الدينية ، ولذلك اقترح فورد اعادة المقترحات إلى مجلسى الكونجرس بدون الاتفاق عليها وبدون تشاور بشأنها. كان هذا القانون يشق طريقه داخل الكونجرس منذ ادارة بوش مثيراً اعتراضا ضئيلا وحماسا قليلا. ويذكر هالبرت أن الاقتراح لم يحظ بإعجاب أحد سوى مديرى المدارس .

وقد وعد فورد باقناع حكومة كلينتون والقيادة الديمقراطية بالكونجرس بسحب تأييدها عن المشروع ، وكانت وظيفة أعضاء جماعات الضغط أن تجذب التأييد بين صفوف الجهاز التشريعى رغم تصويت أغلبيته لصالح المقترحات من قبل .

قام بيك وهالبرت بحشد اللوبى من أعضاء المنظمات اليهودية وجماعات المدرسين فى حلال أيام ، واقتنع ستون نائبا بتغيير أصواتهم ، ونجحت الخطة .

وعندما عادت (أهداف عام ٢٠٠٠) إلى مجلس الشيوخ فى تاريخ الأربعاء ٢٣ مارس ١٩٩٤ كان من المقرر أن يبدأ الكونجرس عطلة عيد الفصح فى يوم الجمعة التالى ، وقد أقر مجلس النواب النسخة المعدلة لمشروع القانون يوم الأربعاء بحيث خرج تعديل هيلمز الخاص بإقامة الصلاة فى المدارس هامد الجثة . غضب السناتور هيلمز بشدة ورد بهجوم حاد على أعضاء مجلس الشيوخ اليهود ، وقدم مجموعة من الإجراءات التى أجبرت مجلس الشيوخ على البقاء فى حالة انعقاد حتى صباح السبت التالى .

وكان هيلمز يعلم جيدا أن أعضاء مجلس الشيوخ من اليهود وعددهم عشرة أعضاء عليهم أن يعودوا لمنازلهم ليبدأوا طقوس الاحتفال بعيد الفصح مساء يوم السبت وكان يتعين على چوزيف ليبرمان وهو من اليهود الارثوذكس أن يعود إلى كونكتيكت

مساء الجمعة وإلا اضطر للبقاء فى واشنطن حتى يوم الاثنين وتضيع منه بذلك عطلة العيد .

قبل دقائق من رحلة ليبرمان بالطائرة يوم الجمعة بدأت القوى المضادة لهيلمز تشعر بثقتها فى امكان وقف مقترحاته دون الحاجة لوجود ليبرمان معهم وبذلك ترك الجلسة ليلحق بطائرته .

ورغم هزيمته مرة أخرى، قدم هيلمز من جديد اقتراحاته لتعديل قانون التعليم الابتدائى والثانوى لحكومة بيل كلينتون لعام ١٩٩٤، وكان الأمر هذه المرة يبدو أكثر صعوبة ، حيث الآن يوجد تحالف عريض يتفق على احباط جهود هيلمز ، هذا التحالف مكون من جماعات الحريات المدنية والمنظمات اليهودية واتحادات المدرسين ومديرى المدارس وعدد من الكنائس المسيحية وانهمر سيل من الخطابات والمكالمات التليفونية على المشرعين للإلحاح عليهم بعدم التصويت لصالح القانون المقترح ، وفى نفس الوقت ظل هيلمز يجوب قاعات الكونجرس بنفسه ومع حلفاء له من المسيحيين اليمينيين يحملون رسالة محددة لاقناع الشيوخ الذين صوتوا من قبل لصالح مقترحات هيلمز ولكنهم غيروا رأيهم بشكل مفاجئ بعد أن وجدوا أن الموافقة ستكلفهم الكثير فى انتخابات نوفمبر المقبلة.

ولإعطاء المشرعين نوعا من الغطاء قام التحالف الليبرالى بصياغة إجراءات بديلة تحافظ على حق أداء الصلاة دون التضحية الكاملة بالفصل بين السلطة والكنيسة ، وحتى يصلوا للغطاء المناسب على يد سناتور جمهورى ، وقع الاختيار الأولى على السناتور چون دانفورث من ولاية ميسورى وهو قس بروتستانتى ولكن لأن دانفورث يؤيد بشدة الفصل بين السلطة والكنيسة رفض تبنى المحاولة المقترحة أو أى محاولة لتخفيف مقترحات هيلمز وأصر على ضرورة هزيمة هيلمز هزيمة كاملة ، فاتجهت الأنظار بعد ذلك إلى شخصية أخرى معتدلة من الجمهوريين هى السناتور نانسى كيسباوم من ولاية كانساس ، وقد ترددت نانسى فى الوقوف ضد هيلمز ولكنها اضطرت للموافقة فيما بعد تحت ضغط العديد من المتبرعين لصالح حملتها الانتخابية وهؤلاء قام بحشدهم المدير الاقليمى لمنظمة يهود أمريكا فى كانساس .

وبالنسبة لنص التعديل البديل تناقش بيك وهيلمز حول اتخاذ اجراء لدعم حق الصلاة فى المدارس طالما أنه مكفول دستوريا ولكن هذا يحتاج أولا لأن تثبت الحكومة أن المدرسة

قد انتهكت حقوق الطفل أمام المحكمة قبل اتخاذ قرار بحرمانها من الدعم المالى الحكومى، وقد وضعت أولا مسودة قرار أولية ثم اجتمع الاثنان مع جماعة متشددة فى مكاتب منظمة اتحاد الحريات المدنية الأمريكى لمراجعة الصياغة اللغوية والتأكد من أنها صيغة مقبولة لكل الأطراف .

التقت المجموعة فى أوائل يونيو ١٩٩٤ للانتهاء من الصياغة وإلى جانب بيك وهيلمز كان هناك إيليوت مينسبرج المستشار العام لمنظمة «عاملون على الطريق الأمريكى» وريتشارد فولتين المحامى لدى منظمة «لجنة يهود أمريكا» ومارك بيلاقين ممثل واشنطن فى منظمة «المؤتمر اليهودى الأمريكى». كما تمت دعوة أحد المساعدين الجمهوريين فى مجلس الشيوخ وهو چيف بالابان المحامى فى طاقم السناتور دانفورث وذلك للتأكد من تمثيل كل وجهات النظر .

كانت المجموعة بهذه التركيبة متوازنة تماما ولكن اتضح لهالبرت عندما جال ببصره فى القاعة أن كل الحاضرين من اليهود .

وبرغم ما يبدو من أن سياسات اليهود الأمريكيين مباشرة ومستقيمة إلا أن سياسات الطائفة اليهودية من داخلها مسألة مختلفة ، فالأعمال الداخلية فى التنظيمات اليهودية تتسم بالسرية والبيزنطية والالتفاف لدرجة أن أى عاقل يعمل داخل هذه المنظمات يمكن أن يشعر أنه تائه بدون بوصلة ترشده ، ويرصد كتاب « الدليل السنوى ليهود أمريكا» حوالى ٣٠٠ منظمة يهودية أمريكية وحوالى مائتى اتحاد للأعمال الخيرية اليهودية ، وتبلغ ميزانيتها مجتمعة بما فى ذلك - تمويل المعابد ومدارس الأحد ونفقات علاج المستشفيات اليهودية - حوالى ستة مليارات دولار سنويا ، وهو مبلغ هائل يفوق اجمالى الناتج القومى لنصف أعضاء منظمة الأمم المتحدة ، هذا برغم أن إجمالى الميزانية غير معروف على وجه التحديد .

ولكن هذا العدد الكبير لا يدعو للاضطراب على أى حال وكما يقول الدبلوماسى اليابانى هايدو ساتو «يوجد بالفعل عدد هائل من المنظمات ولكن هناك عشر منظمات فقط هى التى تمارس أنشطة سياسية وكل منها لها أسلوبها الخاص ، أما المنظمات الأخرى فهى إما دينية أو أكاديمية أو اجتماعية» .

والمنظمات التى تمارس نشاطا سياسيا يطلق عليها اسم جبهة الدفاع أو وكالات «العلاقات بين أعضاء الطائفة» ويبلغ حجم نشاطها مجتمعة أقل من مائة

مليــون دولار ســنويا أى حــوالى ١٪ من إجـمـــالى مـيـزانيـة كل المنظمـات اليـهـودية الأمريكية

وتعد محاولات معرفة مواقف المنظمات اليهودية تجاه الموضوعات الرئيسية والحيوية فى عالمنا اليوم مسألة أسهل كثيرا من أى محاولة لمعرفة الهياكل التنظيمية لهذه المنظمات. ولدى المنظمات أو وكالات «العلاقات » مجلس مركزى يتم من خلاله تنسيق السياسات بين المنظمات اليهودية ، وينشر المجلس المركزى دليلا سنويا حول مواقف الطائفة اليهودية إزاء الموضوعات المهمة بما فى ذلك الآراء المعارضة وآراء الأقلية، ويعمل والمجلس المركزى تحت اسم «المجلس الاستشارى لعلاقات الطائفة اليهودية» أو اختصارا (NACRAC) «ناكراك» وهو بالتحديد مجلس مركزى لسياسة المنظمات اليهودية ، ويضم المجلس فى عضويته العشرات من الممثلين الأقوياء للجماعات اليهودية المختلفة وهى : الاتحادات الثلاثة الرئيسية للمعابد (الاصلاحية والمحافظة والأرثوذكس) وثلاث جبهات دفاع رئيسية (لجنة مكافحة تشويه الصورة ولجنة يهود أمريكا والمؤتمر اليهودى الأمريكى) وأكبر ثلاث جـمـاعـات تمثل المرأة اليـهـودية (هاداسـا والمجلس القـومى للمـرأة اليـهـودية والمـرأة اليهــودية ORT) .

إلى جانب المجلس يوجد أيضا عدد محدود من الجماعات اليهودية القومية الأخرى و١١٧ مجلسا يهوديا محليا تمثل اتحاد الجمعيات الخيرية اليهودية والمتبرعين لها .

وتتشكل سـيـاسـات مجلس (ناكراك) خلال مفـاوضـات مكثفة وحـادة تجــرى على مـــدى العام بين الوكالات أعضـاء المجلس ، ثم يجرى تصـويت على هذه السـيـاسـات فى الجمعية العمومية للمجلس سنويا وتنشر فى كتيب سنوى (خطة البرنامج المشترك). وربما لا تبدو فروق كبيرة فيما ينشر سنويا فى الكتيب حيث إن كل ما يجئ فيه يؤيد القضايا الليبرالية. فى كتيب عام ١٩٩٢ الذى جاء فى ٨٤ صفحة منها عشر صفحات مخصصة. لإسرائيل وثمانى صفحات حول معاداة السامية فى روسيا والعالم العربى ، وحوالى ست صفحات حول التعليم فى المدارس الحكومية وست أخرى للإجهاض ووضع المرأة وأربع صفحات حول الفقر وثلاث صفحات خصصت الأولى منها لسياسات الهجرة والثانية للمحاكم الفيدرالية والثالثة للرعاية الصحية عالميا ، والأربع الأخيرة لموضوعات حماية البيئة .

وفى كـتـيب عـام ١٩٩٤ أضـيـفت صـفـحـتـان جـديدتان بعنوان «الحد من الأسلحة الشخصية والعنف» وأربع صفحات أخرى بعنوان «الحماية الدستورية فى الديمقراطية

التعددية» وتشمل إجراءات الحماية الدستورية موضوعات متنوعة من عقوبة الإعدام وحقوق الشواذ وإصلاح برامج التبرعات وإعادة توزيع مناطق الكونجرس .

ومع تنوع واتساع نطاق الأجندة السياسية للمنظمات اليهودية يشعر نشطاء اليهود بنوع من الاضطرابات وأحيانا الغيظ ، ويقول سيمور رايش المحامى بنيويورك ان مجلس (ناكراك) يهتم بكل أنواع الموضوعات من الإسكان للمشردين للإيدز وهى موضوعات ليست يهودية بحتة ، وقد عمل رايش من قبل كرئيس لمؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الرئيسية ، ويعد هذا المؤتمر هو المنظمة المناوئة لمجلس (ناكراك) كصوت قيادى للطائفة اليهودية ويضيف رايش قائلا « ربما تكون هذه الموضوعات محل اهتمام من اليهود ولكنها فى النهاية ليست موضوعات يهودية» .

وإذا صدق كلام رايش فالخطأ لا يقع على مجلس (ناكراك) ، فهو لا يزيد على كونه مجرد انعكاس لا مخالب له لاهتمامات المنظمات الأعضاء فيه وحيث يبلغ عدد العاملين فى المجلس سبعة أشخاص فقط ولا تزيد ميزانيته على مليون دولار .

فى الحقيقة أن سياسات (ناكراك) هى انعكاس براجماتى للمجال الواسع لاهتمامات الطائفة اليهودية الأمريكية ، يقول دافيد هاريس النائب التنفيذى لرئيس لجنة اليهود الأمريكيين «يعيش يهود أمريكا فى الولايات المتحدة وهم يهتمون بما يدور ويحدث فى المجتمع الذى يعيشون فيه وبغض النظر عن استثناءات قليلة فقد توصل اليهود إلى اقتناع صحيح بأن صحة المجتمع الأكبر لها تأثيرات علينا كأمريكيين وكيهود» .

وتثير أجندة عمل (ناكراك) استياء الكثيرين من الأعضاء النشطين لليهود على مستوى القاعدة الجماهيرية، ففى بعض المدن حيث توجد توترات عالية المستوى بين اليهود والسود مثل نيويورك وفيلادلفيا وشيكاغو من الشائع أن نسمع شكاوى اليهود ضد وكالات أو جبهات الدفاع بسبب استمرار تأييدهم لحقوق السود. وفى أوائل التسعينات عندما نشطت أعمال (ناكراك) لتأييد الحكومة الإسلامية فى البوسنة تصاعدت صرخات الصهاينة بأن الإسلام هو عدو اليهودية .

وغالبا ما تغيب حقيقة واضحة أثناء المناقشات والجدل ، وهى أن معظم القضايا التى تتبناها وكالات الدفاع تتضمن على الأقل بعض عناصر المصالح اليهودية. مثلا سياسة الهجرة إلى الولايات المتحدة تحد قدرة يهود أمريكا على انقاذ يهود روسيا أو إيران أو سوريا. ومسألة إعادة تقسيم المناطق الانتخابية فى انتخابات الكونجرس ستؤثر على عدد اليهود المنتخبين فى الجهاز التشريعى – والذى انخفض بالفعل من ٣٢ عضوا فى عام ١٩٩٣ إلى ٢٤ عضوا فى عام ١٩٩٥ – جزئيا بسبب إعادة توزيع الحصص

الانتخابية بعد الاحصاء العام الذى جرى عام ١٩٩٠ ، كما أن برامج الرعاية الصحية ومكافحة الفقر تؤثر بالطبع على الأعمال والجمعيات الخيرية لليهود والتى تمثل العمود الفقرى فى الهيكل التنظيمى للطائفة اليهودية .

والأهم من ذلك ، المسائل الدستورية مثل حق الصلاة فى المدارس وحق الاجهاض تؤثر على قدرة اليهود للحياة على أسس المساواة فى الولايات المتحدة .

فى ربيع ١٩٩٠ تقدم الحاخام روبرت لو - وى ، من ضواحى نيو اورليانز ، بشهادته أمام الجهاز التشريعى للولاية حول حق الاجهاض ممثلا فى ذلك الاتحاد اليهودى فى نيو آورليانز، وهى المنظمة المركزية للطائفة اليهودية هناك .

وكان الجهاز التشريعى يناقش مشروع قانون للمنـــع الكامـل للاجهاض باستثناء الحالات التى يقرر فيها الطبيب بشهادة رسمية أن الاجهاض ضرورة لانقاذ حياة الأم من الخطر ، ولكن الحاخام لو - وى رئيس مجلس الحاخامات فى نطاق نيو أوليانز الكبرى بولاية لويزيانا وقف أمام الجهــاز التشـــريعى يوم ٧ يونيو من ذلك العام ليقــول ان مشروع القانون المقدم ينتهك حرية يهود لويزيانا فى ممارسة عقيـدتهم الدينية .

وبالنسبة للقانون الدينى لليهود - كما شرح الحاخام - فإن حياة الإنسان لا تبدأ فقط عند حدوث الحمل ولكنها تنمو وتتطور تدريجيا بصورة تتطلب حماية قانونية تتدرج مع نمو الجنين ، ويستمر التطور بعد الميلاد. وبصوت أبوى قال إن المولود الذى يموت خلال ثمانية أيام من مولده لا يستحق جنازة يهودية ، وعلى أية حال فإن القواعد اليهودية تقضى بتقديم احتياجات الأم بصورة أوتوماتيكية فى أى وقت وحتى لحظة الولادة ، وقال أمام اللجنة «توجد قواعد أخلاقية تمكن الأم من إجراء الاجهاض فلا تفرضوا وجهات نظركم علينا جميعا». كان أسلوب الحاخام وطريقة عرضه للقضية أمرا غير معتاد من قبل ، حيث الربط بين حق الاجهاض والحرية الدينية لليهود مسألة قوية ولكنها لم تقدم على هذا النحو العلنى من قبل ، وسرعان ما أصبحت خطبة الحاخام درسا مهما وحجة تؤخذ فى الاعتبار عند مناقشة حق الاجهاض .

عندما انفضت لجنة المشرعين فى وقت الغداء اجتمع الصحفيون ليطلبوا من النائب لويس چينكينز وهو صاحب اقتراح القانون أن يقيم الجلسة الصباحية فقال «حسنا ، لقد استمعنا لشهادة رجل مجنون لا يعتقد أن المواليد بشر أحياء حتى بعد ميلادهم» وبعد أيام قليلة وقف الحاخام ليدلى بشهادته أمام مجلس الشيوخ فى الولاية ، وفى هذه المرة كانت الشهادة أشبه بالالعاب النارية حيث بدأ الحاخام يشرح أسباب تفضيل الديانة

اليهودية للاجهاض ، ولكن السناتور مايك روس الذى يتبنى المشروع داخل مجلس الشيوخ قاطع الحاخام سريعا وسأله عما إذا كانت الديانة اليهودية تشجع البغاء أو إدمان المخدرات، فرد الحاخام بقوله : ان وجهة نظره مستقاة من القراءة الحرفية للكتاب المقدس والتى تقطع بأن الاجهاض ليس قتلا للنفس البشرية ، ولكن السناتور قال : « هذا لم يرد فى كتابى المقدس» وعندما حاول الحاخام أن يحدد الفصل الذى ورد بالتوراة فى سفر الخروج ومنه الفقرتان ٢١ : ٢٢ أوقفه رئيس المجلس عن الكلام وطلب منه الانصراف .

ما حدث من هجوم تشريعى على الحاخام شحذ رغبة القيادات اليهودية فى نيو أورليانز على الرد الغاضب. أراد الكثيرون هذا ولكن تم الاتفاق على عدم إثارة الموضوع ليس باعتباره نوعا من معاداة السامية ولكن باعتباره تفضيلا وتمسكا بحق الحياة فى مقابل حق الاختيار .

ولكن فيما يبدو أن حملة اليهود قد أتت بأثر عكسى وإذا كان المشرعون المؤيدون لمنع الاجهاض قد بدأوا المواجهة وليس لديهم شعور بأن اليهود أعداء لهم إلا أنهم قد وصلوا إلى هذا الاستنتاج سريعا، وإذا استمر ضغط اليهود فى هذا الاتجاه فإنهم حتما سيخسرون قضيتهم .

والمعروف أن القاموس السياسى الأمريكى يعرف لويزيانا باعتبارها (العالم الثالث الأمريكى) ويقول ليزلى جيروين عضو الاتحاد اليهودى ومدافع بارز عن حق الاختيار «فى نفس ذلك الصيف كان داڤيد ديوك – النازى الجديد – عضو المجلس التشريعى قد رشح نفسه لمنصب الحاكم فى الولاية ، وفى أكتوبر حصل ديوك على نسبة ٤٥٪ من الأصوات منها ٥٥٪ من إجمالى أصوات البيض ، وكان اليمين فى الولاية غاضبا ومحتشدا ومتعطشا لمواجهة دامية ، لدرجة أنهم كانوا يصفون أى شخص يختلف مع تيار اليمين باعتباره قاتلا » .

يعد اليمين المسيحى فى لويزيانا قوة كبيرة كما يوجد أصوليون متشددون فى شمال الولاية والكاثوليك فى جنوبها ، إذن سيمر قانون منع الاجهاض فى نهاية الأمر على يد چينكينز حامل الصليب باكتساح فى مجلسى النواب والشيوخ مطيحا بأى ڤيتو يصدر عن حاكم الولاية ليصبح قانونا معمولا به فى عام ١٩٩١ .

وسط هذا الصراع الدائر كان موقف اليهود من قضية الاجهاض واضحا ومباشرا . الاتحاد اليهودى وهو المنظمة اليهودية الرئيسية بالولاية قد اعترض رسميا على مشروع

القانون وكذلك مجلس الحاخامات فى نيو أورليانز والذى يضم ١١ حاخاما يمثلون الاتجاهات المختلفة من الاصلاحيين وحتى الهاسيديك .

واليهود فى لويزيانا يتمتعون بتمثيل لا يتلاءم مع نسبة عددهم إلى اجمالى تعداد الولاية ، فهم من قيادات الجماعات المؤيدة لحق الاختيار مثل (الأبوة الاختيارية المخططة) و (رابطة الناخبات) و(عاملون على الطريق الأمريكى). هذه الجماعات هى الرافضة تماما لمشروع القانون ، كما تقود جماعة (مواطنون من أجل الحرية الشخصية) بعض أعضاء الاتحاد اليهودى بالولاية ، ومن بين ٣٠ جماعة متحالفة لوقف صدور القانون كان هناك ممثلو وكالات الدفاع التى ذكرناها من قبل والمعابد اليهودية الثلاثة ومندوبو لجنة مكافحة تشويه الصورة والمجلس القومى للمرأة اليهودية وهاداسا . ولم يخجل اليهود بأي شكل من الافصاح عن آرائهم فى هذه القضية ، حيث ظلوا يؤكدون أن القانون المزمع يعد انتهاكا لحريتهم الدينية. لقد تمادوا تماما فى الأمر حيث جعلوا من الحقوق اليهودية مظلة لتمرير موضوع منفصل تماما اعتقادا منهم أن معارضيهم يكنون احتراما كبيرا للحرية الدينية ولليهود ليعززوا من هجومهم الشرس ، ولكن اتضح لهم فى نهاية الأمر مدى الخطأ الدى وقعوا فيه .

يرى المحافظون أن الناخب اليهودى له صوت عنيد وميل لا يحيد تجاه قضايا الليبرالية يلحق بهم الهزائم ، ولأن غريزة حماية الذات متجذرة فى أعماق اليهود فإنها تؤدى بهم إلى الانعزال عن اليمين السياسى فهم دائما يضعون كل «البيض» اليهودى فى سلة الليبرالية .

يقول ماكس فيشر وهو يهودى بارز فى مجال جمع التبرعات لصالح الجمهوريين ان «السياسة أخذ وعطاء ، وفى تقديرى أن اليهود لا يظهرون الامتنان لما يفعله الآخرون من اجلهم ، إنهم يظنون أن الحزب الديمقراطى هو جنة الليبرالية وهذا شئ يمكن أن أتفهمه ، ولكن عندما نفكر مليا نجد أنه خلال عمر دولة إسرائيل كانت الـ ٢٨ عاما التى حكم فيها رؤساء أمريكيون جمهوريون هى أفضل السنوات بالنسبة لإسرائيل. وأول مرة يحصل فيها اليهود على أموال أمريكية ضخمة كانت فى عهد نيكسون ، وقد قمت بضغوط كبيرة بعد ١٩٧٣ لتقديم ٣ مليارات دولار لإسرائيل كمساعدات وقروض ، ثم فلننظر إلى عهد جورج بوش وجيمس بيكر ، انظروا ماذا فعلوا ؟! لأول مرة منذ ٤٥ عاما وفى مؤتمر مدريد ١٩٩١ جلس العرب والإسرائيليون فى مباحثات السلام ، هل كان يتوقع أى شخص ما حدث ؟ الإجابة : لا .

، والآن نسأل : لماذا كان التأييد الجمهورى لإسرائيل قويا ؟ هذا هو اللغز الغامض ، كان التأييد قويا ومع ذلك لم تقدره إسرائيل. اليوم يتحدثون بود وحب عن ريجان ونيكسون ولكن أمام صناديق الاقتراع لم يزد أبدا معدل تصويت اليهود لصالح الجمهوريين على نسبة ٤٠ ٪. الناس ينسون الأشياء الجيدة التى حدثت بالفعل أقصد اليهود على وجه الخصوص» .

●●●

ما حدث بسبب قانون منع الاجهاض خلف أثره الكبير فى لويزيانا هذا ما يراه القس بات روبرتسون وهو مذيع دينى مسيحى نو شعبية كبيرة ومؤسس التحالف المسيحى ، ويقول القس روبرتسون ان «الليبرالية اليهودية أثارت استياء كبيرا بين المسيحيين الأمريكيين ، وسيعانى اليهود كثيرا من أجل هذا كما يقول سفر الرؤيا. سيلقون العقاب ليس فقط لأنهم رفضوا «يسوع» ولكن أيضا لأن محاولاتهم مستمرة لتقويض قوة المسيحية فى أمريكا الحديثة » .

ومثل الكثيرين من المحافظين يقتنع روبرتسون بأن تراجع الأخلاقيات فى الحياة الأمريكية مرجعه علمانية الدولة دون أن يكون لعدم المساواة الاقتصادية أو للتكنولوچيا الحديثة دخل فى ذلك. ويرى روبرتسون أن «المسيحيين الأمريكيين سينقلبون ضد اليهود وإسرائيل معا وذلك بسبب دور اليهود العلمانيين والليبراليين على المستوى العالمى، ودعمهم للحرية بمعانى الإباحية والبذاءة وقتل الأجنة» .

وفى كتاب روبرتسون «الألفية القادمة» والذى صدر عام ١٩٩٠ يقول «سيتضح قريبا أن الدور الذى لعبه اليهود فى الهجوم على المسيحية كان خطأ ذريعا » .

فى واقع الأمر ، نجد أن مشاركة اليهود فى سياسات الحزب الجمهورى قد ارتفعت بصورة كبيرة فى السنوات الأخيرة. عندما بدأ ماكس راب وماكس فيشر عملهما لصالح الحزب الجمهورى فى الأربعينات والخمسينات كانا بمثابة العملة النادرة، وبحلول السبعينات كان اليهود الجمهوريون معزولين فى جيوب محدودة ، من بين هؤلاء السناتور الراحل چاكوب چاڤيتس فى نيويورك، والمنظر الاقتصادى المحافظ ميلتون فريدمان ، وآرثر بيرنز ، ولكن اليوم أصبح لليهود وجود واضح فى اليمين الأمريكى ، وهم ينتمون لتيار عريض يبدأ من المعتدلين أمثال السناتور آرلين سبكتر من بنسلڤانيا وبوبى كيلبرج من ڤيرچينيا (مساعد سابق للرئيس بوش) إلى المحافظين المتشددين أمثال ويليام كريستول رئيس العاملين فى طاقم نائب الرئيس الأمريكى دان كويل، وآرثر فينكلشتاين

مستشار الحملات الانتخابية، ومن بين عملائه السناتور چيسى هيلمز وبنيامين نتانياهو. هؤلاء لهم صوت قوى فى جريدتهم (كومنترى) وهى جريدة شهرية محافظة تماما تنشرها لجنة يهود أمريكا .

وهنا وهناك يشكل اليهود المحافظون كتلة انتخابية مهمة ، اليهود الارثوذكس فى مدينة نيويورك يبلغ قوامهم حوالى ٢٠٠ ألف، وقد لعبوا دورا كبيرا فى فوز المحافظين بمنصب عمدة المدينة فى ١٩٩٣ ثم حاكم الولاية فى ١٩٩٤ . ويهود نيويورك الارثوذكس هم أكثر السياسيين عنفا وتسليحا. من بين هؤلاء دوف هيكيند من بروكلين وهو ديمقراطى محافظ وضابط سابق ساعد اليمينى المتطرف مائير كاهانا ، مما جعله من أقوى الوسطاء السياسيين فى نيويورك .

فى ١٩٨٤ أصدر عمدة مدينة نيويورك ادوارد كوخ أمرا تنفيذيا بمنع التفرقة ضد الشواذ فى مدينته؛ وقد شغل هذا الأمر ساحات القضاء بدعاوى أقامتها الهيئات الدينية فى المدينة والتى تتلقى دعما ماليا حكوميا لتمويل خدماتها الاجتماعية ولكنها لا تعين الشواذ فى أعمال لديها بناء على مبادئ دينية . هذه الهيئات هى (جيش الخلاص) و (الجمعية الخيرية للكاثوليك فى نيويورك) و (أجودات إسرائيل الأمريكية) وكلها تمثل الفئات الأكثر تشددا من اليهود الأرثوذكس ، وقد رأى القاضى الذى عرضت عليه القضايا دمجها فى قضية واحدة واستدعى مندوبين عن الهيئات الدينية الثلاث لعقد تسوية، وحضر جلسة التسوية محامون عن المدينة وجماعة مدافعة عن حقوق الشواذ .

ويتذكر داڤيد زڤايبل مدير أجودات إسرائيل للشئون الحكومية أن المسألة كانت غير مريحة أثناء جلسة التسوية حيث بدأ محامى جيش الخلاص بتأكيده أن موكليه يرون الشواذ خاطئين ، ثم جاءنى المحامى المدافع عن الشواذ واسمه فيلدمان ليقول «لابد أنك تدرك أن الكلمات التى يستخدمونها ضد الشواذ هى نفس الكلمات التى تستخدم ضد اليهود من وراء ظهورهم » ويقول زڤايبل «الحقيقة أن كلامه صحيح والمدهش ألا نكون أصدقاء لمن يواجهون نفس مشاكلنا» .

وأيا ما كانت المكاسب التى حققها اليهود المحافظون فى السنوات الأخيرة إلا أن الصورة العامة هى أن فى الطائفة اليهودية ككل نجد أن الناخبين وأصحاب المناصب ومعظم الضحايا ومعظم الرأى العام فى الشارع اليهودى ينتمى للتيار الديمقراطى الليبرالى ، ومن بين ٢٤ نائبا برلمانيا يهوديا يوجد عشرون ديمقراطيا وبين ٩ أعضاء يهود فى مجلس الشيوخ يوجد ثمانية ديمقراطيين. وداخل المنظمات الليبرالية مثل (الاتحاد

الأمريكى للحريات المدنية) و(عاملون على الطريق الأمريكى) نجد النفوذ اليهودى عميقا لدرجة أن غير اليهود لا يرون فرقا واضحا بين هذه المنظمات والمنظمات اليهودية الرسمية.

ويقول بوب بيك من الاتحاد الأمريكى للحريات «كثيرا ما تسمع تعليقات فى الكونجرس تؤكد ذلك . فهم يقولون: فى المرة القادمة أحضر معك أعضاء من جماعات دينية أخرى ولا تكتف بإحضار المزيد من اليهود ، إنهم يقولون ذلك دون تفكير كبير ودون آى مكر أو خبث. من الواضح لهم أن هذه هى خلفية عملنا وأن الكثيرين من قادتنا يهود .

ويشترك فى الرأى أيضا آريا نير عميد الدفاع عن حقوق الإنسان فى أمريكا ، ويقول انه خلال سنوات عمله كمدير بالاتحاد الأمريكى للحريات المدنية وهلسنكى ووتش ومعهد چورچ سوروس للمجتمع الحر، عمل جنبا إلى جنب وبتحالف قوى مع المنظمات اليهودية «كان هذا بنسبة ٩٠٪ من الوقت » .

الفصل الثالث

نقطة التلاشى
الصراع من أجل الذات اليهودية

غمر الجو الاحتفالى الحديقة الجنوبية للبيت الأبيض فى صباح الثالث عشر من سبتمبر ١٩٩٣ . ولكنه جو غير واقعى . اجتمع ثلاثة آلاف شخص فى أكبر التجمعات التى شهدها البيت الأبيض وقد جلس الجميع تحت أشعة الشمس الساخنة فى نهايات الصيف ليشهدوا رئيس وزراء إسرائيل ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية يتصافحان تحت رعاية الرئيس الأمريكى . عندما وقع اسحق رابين وياسر عرفات تلك الاتفاقية التاريخية فإنهما لم يضعا نهاية للصراع بين شعبيهما ولكنهما نقلا القضية إلى مائدة التفاوض، وهنا غمر الشرق الأوسط بحر من التغييرات. كانت اللحظة نادرة ، تجمع هائل من الرؤساء السابقين ووزراء الخارجية وأعضاء الكونجرس والدبلوماسيين والصحفيين من كل أنحاء العالم . ولم تقل ندرة هذه اللحظة عن لحظة توقيع اتفاق الحد من التسلح أو إرساء هيئة دولية جديدة تقدم الكثير للعالم.

وبالنسبة لمراقبى الحدث من اليهود – ولنقل انهم آلاف من نشطاء المنظمات اليهودية وزعماء الطائفة اليهودية والحاخامات والسياسيين والصحفيين ودعاة السلام – كانوا يمثلون ثلث الحضور فى البيت الأبيض. وقد أثار الحدث بالنسبة لهم خليطاً من المشاعر.

كان من الطبيعى أن تتحرك مشاعر كل من رأى رئيس وزراء إسرائيل وهو يصافح عدوه اللدود . ومعظم اليهود الحاضرين فى الحفل قضوا حياتهم كلها ليحققوا السلام والأمن للدولة اليهودية ولكن لم يتوقع أحد منهم أن تسير الأمور على هذا النحو، أى أن يتحقق الهدف عن طريق مائدة المفاوضات والحلول الوسط مع ياسر عرفات . فى الحقيقة أن هذا هو عين الشخص الذى حاربوا لحماية إسرائيل منه.

على بعد خطوات من هذا المكان وقبل عامين من ذلك اليوم وقف الرئيس چورچ بوش ليدين قيادة المنظمات اليهودية ووصفها بأنها «قوة سياسية» تضغط للإطاحة بجهوده

الدبلوماسية . وقد أثار هذا غضب اليهود الذين هبوا كالأسود المقبلة على صراع . والآن ينظر كلاهما – بوش واليهود – وقد وجدوا إسرائيل نفسها تقدم ما لم يتصوره بوش اطلاقاً .

لقد جلس زعماء اليهود فى الحديقة الجنوبية ليشهدوا الاحتفال ملفوفين بمشاعر الابتهاج والقلق والانعزال، وأن الأمور تسربت من بين أيديهم .

بعد الاحتفال بوقت قصير توجهت مجموعة من زعماء الطائفة اليهودية إلى البيت الأبيض ليستمعوا إلى تقرير حول اتفاقيات السلام من وزير الخارجية وارين كريستوفر، وعندما وصل هؤلاء إلى البيت الأبيض وجدوا عدة مفاجآت فى انتظارهم .

أولاً : لم يكن اليهود هم فقط المدعوين بل كان هناك أيضاً زعماء العرب الأمريكيين أى أعداء العمر بالنسبة لليهود .

ثانياً : لم يكن هناك تقرير حقيقى حول الاتفاقيات وإنما قام وزير الخارجية كريستوفر بإعطاء الميكروفون لنائب الرئيس آل جور الذى طلب من الحاضرين الافصاح عن مشاعرهم تجاه أحداث ذلك اليوم . ثم طلب منهم المشاركة فى الجهود العربية واليهودية لتأمين اتفاقيات السلام عن طريق تقديم الخبرة الفنية ورأس المال لأبناء عمومتهم فى الشرق الأوسط.

وفى النهاية حضر الرئيس كلينتون إلى المسرح ليعزز ما قاله نائبه جور بقوله «أنتم وأنا نستطيع أن نساعد الآخرين وندعم من صنعوا هذا. لقد أتيحت لنا فرصة نادرة فى الشرق الأوسط ، وأتمنى أن نبحث عن الوسائل التى تربط هذه الجماعة معاً ليعملوا معاً ويجدوا مشروعات مشتركة فيما بينهم ».

وبهذا طرح الرئيس كلينتون على الطائفة اليهودية تحدياً كبيراً . على مدى عشرات السنوات كان يهود أمريكا ينظمون أنفسهم كآلة دفاعية وكسلاح مسلط على أعداء الدولة اليهودية ، لقد عمل اللوبى اليهودى دائماً على الحفاظ على صداقة إسرائيل ومعاداة أعدائها والآن سيقع الاختبار الصعب على اللوبى . والمعلمون مدربون تدريباً جيداً على مساعدة صغار اليهود على استشعار الأخطار المهددة لأمن إسرائيل واليهود والخوف منها . والزعماء الدينيون طالما رددوا الأحداث التاريخية التى شهدت معاناة اليهود وذلك بهدف إعطاء الولاء والتضامن اليهوديين المرتبة العليا بين الأشياء . واستغل جامعو التبرعات مشاعر الخوف من الدمار لزيادة أموال التبرعات واستخدامها فى تشغيل الآلة كلها

والآن مطلوب من اليهود بشكل مباشر وعلى لسان رئيس الدولة أن يسيروا فى عكس الاتجاه . مطلوب منهم أن يقللوا شكوكهم وأن يخفضوا الأسوار وأن يشجعوا المصارحة والتسامح . ولكن لا يعرف أحد كيف يكون ذلك .

ويقول رئيس «مؤتمر الزعماء » وقتئذ مالكولم هوينلاين «من الممكن دائماً أن تشحن الناس ضد شيء ما ولكن من الصعب جداً أن تحشدهم لصالح شيء ما ».

لقد وجدت الجماعات التى حاربت من أجل إسرائيل بشكل تقليدى - مثل أيباك ومؤتمر الزعماء - نفسها مصابة بالشلل وعدم القدرة على اتخاذ القرار بصورة مفاجئة . ويقول هوينلاين «أعتقد أن الناس يؤيدون عملية السلام بصفة عامة ولكن لديهم الكثير من المخاوف والتساؤلات . وكثيراً ما تأتى أوقات يكون من الأفضل خلالها ألا تكون فى قلب الأحداث ويكون من الأفضل أن تتراجع إلى الوراء قليلاً» .

ولكن على أية حال كان هناك مجموعة من اليهود تعلم تماماً حقيقة مشاعرها وكانوا على استعداد كامل للتحرك . كان بعض المؤيدين المتشددين لإسرائيل يرون أن حكومة رابين أقدمت على عمل انتحارى وأن عليهم انقاذها . والبعض الآخر قدم للكونجرس اقتراحات لمنع واشنطن من مساعدة عملية السلام للتحرك للأمام . وهدد فريق ثالث بوقف التبرعات للمنظمات اليهودية التى أيدت إسرائيل . وذهب عدد من اليهود إلى المعبد اليهودى فى نيويورك حيث تكلم السفير الإسرائيلى بواشنطن إيتمار رابينوفيتش قبل يوم واحد من المصافحة الشهيرة وقذفوه بثمار الطماطم .

ولعل الطائفة اليهودية الأمريكية هى الوحيدة فى العالم بين الطوائف اليهودية الكبرى التى ليس لها جهاز رسمى يمثلها . وهذا يرجع إلى القانون الأمريكى : حيث يمنع الدستور الأمريكى تماماً الحكومة من الاعتراف بأى مؤسسة دينية . وبدلاً من ذلك ظهر فى أمريكا عدد لا نهائى من المنظمات اليهودية تتراوح من اتحادات المعابد وهيئات الحاخامات وجماعات المحبة والحقوق المدنية وجمعيات مساعدة المهاجرين . كل هذه تعد شركات خاصة ، وكلها تسعى لأن تجعل صوتها مسموعاً فى مجال الدفاع عن اليهود .

ولكن الصورة العامة لهذه المنظمات بين اليهود هى أنها منظمات مغرورة يعمل بها من لا هم لهم سوى جمع شيكات التبرعات وأنها لا تقدم العون الكافى لليهود كما أن أسماءها متشابهة بدرجة كبيرة : لجنة يهود أمريكا ، المؤتمر اليهودى الأمريكى، اتحاد المؤتمرات العبرية، اتحاد المعابد، اتحاد النداء اليهودى، اتحاد النداء الإسرائيلى، مجلس الاتحادات اليهودية .

والمسئولون والعاملون فى المنظمات اليهودية يعززون هذه الصورة العامة بالاختلاف والمنافسة المحمومة من أجل الحصول على انتباه عموم اليهود، وفى عالم يسوده الاختيار تعتمد المنظمات اليهودية على جمع الأموال من المؤيدين ولا تستطيع أية منظمة منها الاعتراف بحقيقة حجمها الصغير ولكن على كل واحدة منها أن تكون فى مرتبة النجومية.

كما يساهم المتبرعون أنفسهم فى خلق هذه الفوضى وكثيراً ما ينظر المتبرعون كل إلى الجمعية الخيرية المفضلة لديه باعتبارها نوعا من المعابد الروحية بالنسبة له، والمنفذ الرئيسى للتعبير عن هويته اليهودية. ويفخر هؤلاء بقضيتهم ويريدون أن يدركها الجميع من حولهم. وعندما تحدث أزمة فى مكان ما فى العالم فإنهم يريدون من المنظمات التى ينتمون إليها أن تتخذ مواقف ترضى رغباتهم بغض النظر عما إذا كانت هذه المنظمات خيرية تعمل من أجل الأيتام أو أبحاث السرطان . «هذه هى اليهودية من وجهة نظرهم» كما يقول لنا آبى فوكسمان مدير لجنة مكافحة تشويه الصورة .

ومن هذا المنطلق أصبحت جماعتان تطوعيتان للمرأة اليهودية من القوى السياسية المهمة ، هما منظمة (هاداسا) منظمة المرأة الصهيونية والتى تأسست خصيصاً لدعم المستشفيات وملاجىء الأطفال فى إسرائيل . ومنظمة (المرأة الأمريكية ORT) التى تدعم شبكة من المدارس التجارية التى تخدم فقراء اليهود فى الخارج . المنظمتان الآن من اللاعبين السياسيين فى واشنطن حول قضايا الاجهاض وغيرها من القضايا .

كذلك فإن عشرات من المنظمات الأخرى من المؤتمر اليهودى الأمريكى إلى مجلس التراتيل قد وسعت نطاق عملها ليصبح خليطاً من النوادى الاجتماعية والمنتديات الثقافية ووكالات العمل السياسى كلها فى قالب واحد.

ويقول لورانس روبين المدير التنفيذى لمجلس (ناكراك) ان «كل هذه المنظمات تقدم الفرصة لليهود لأن يساهموا فى الحياة الثقافية اليهودية. إنها فى الواقع منظمات ثقافية».

ولكن بالنسبة لمن لا ينتمون لهذه المنظمات تبدو جميعها محيرة خاصة بالنسبة للسياسيين والمرشحين للمناصب الرسمية . تقول لو بورمان السكرتيرة الصحفية لعمدة بيتسبرج السابق صوفى ماسلو «لا يعرف السياسيون حقيقة كل هذه المنظمات . وعندما يقترب موعد الانتخابات لا يعرف المرشح من أين يبدأ؟ . ففى مدينة مثل بيتسبرج توجد العشرات من المنظمات اليهودية وكل منظمة تدعو هذا المرشح أو ذاك للحديث فى حفل

عشاء تقيمه . لجنة يهود أمريكا والمجلس القومى للمرأة والصندوق القومى لليهود ورابطة إسرائيل كلهم يرفعون صوتهم ليسمعه الآخرون».

وإلى حد ما فإن الفوضى التى تبدو أمامنا هى أكبر كثيراً من الواقع . ومن بين ٣٠٠ منظمة قومية يهودية مختلفة مدرجة فى الدليل السنوى ليهود أمريكا نجد أن أكثر من نصفها منظمات للأخوة والمحبة وجمعيات مهنية أو لجمع التبرعات نيابة عن مستشفى أو جامعة إسرائيلية أو وكالات تقدم خدمات محددة مثل مساعدة المهاجرين أو اليهود فى الخارج . وتمثل عشرات من المنظمات اتحادات المعابد اليهودية بأجنحتها المختلفة (الاصلاحية والمحافظة والأرثوذكس). ومدارس اللاهوت التابعة لها واتحادات الحاخامات وجمعيات المرأة.

كما توجد حوالى ثلاثين مجموعة أخرى تابعة لمنظمة الصهيونية العالمية (WZO) . وهى منظمة تبلغ من العمر مائة عام ووقفت وراء تأسيس دولة إسرائيل والآن تعمل كجهاز ربط رسمى بين يهود الشتات.

ونجد أن نصف هذه المجموعات هى نواد للحوار يرتبط كل منها بأحد الأحزاب السياسية الإسرائيلية ، أما النصف الآخر فهو أقسام من (WZO) تعمل على تنشيط السياحة إلى إسرائيل أو نشر كتب ومجلات عن إسرائيل وتمد مدارس يهود الشتات بمعلمين إسرائيليين كما تنظم تدفق الأموال من منظمة النداء اليهودى إلى إسرائيل. ونظريا تبدو (WZO) شبكة دقيقة من المنظمات الأصغر إلا أنها فى الحقيقة تظهر لنا كغابة من المنظمات الزائدة على الحاجة .

ثم توجد شبكة أخرى من المنظمات اليهودية منفصلة بدرجة كبيرة عن المجموعة الأولى وهذه تغطى الطائفة اليهودية الأمريكية بنظام متكامل للخدمات الاجتماعية على المستوى القومى وهى تعمل فى كل مكان يعيش فيه اليهود وتمولها حملة سنوية لجمع التبرعات . ويبلغ حجم التبرعات الموجهة لهذه الشبكة مليار دولار وهو مبلغ يتجاوز ما يجمعه الصليب الأحمر الأمريكى . والعاملون فى هذه الشبكة يطلقون عليها اسم (النظام المتكامل) أما عموم اليهود فيعرفونها باسم (اتحاد النداء اليهودى).

ووحدة العمل الرئيسية لهذه الشبكة هى وحدة للعمل الاجتماعى المحلى ولها فروع فى كل مدينة تقريباً أو مقاطعة يعيش فيها يهود ويعمل فى هذه الوحدات وكالات للاستشارات الأسرية والمراكز الاجتماعية ودور للمسنين والمدارس الدينية وغير ذلك من الخدمات ..

وتقـوم وحــدة نيويورك وهى أكبر الوحدات بدعـم ١٣٠ وكالة تابعة لها - منها سبعة مستشفيات كبيرة - تعمل بميزانية ٢ مليار دولار سنوياً .

وتقوم وكالات قومية لتقديم خدمات اتحاد النداء اليهودى وتنفيذ برامجه ، كما تصمم حملات جمع التبرعات وتستقطع جزءاً من هذه التبرعات الخيرية لصالح إسرائيل واليهود فى الخارج .

ويشرف على هذا النظام مجلس الاتحادات اليهودية (CJF) ومقره نيويورك ، حيث يقدم المجلس للاتحادات الأبحاث والموظفين وغير ذلك من الخدمات . وتحظى الجمعية العمومية للمجلس والتى تنعقد سنوياً بأكبر نسبة حضور وأعلى مستوى تنظيمى بين كل المنظمات اليهودية . وفى ذلك اليوم يحضر كل من يحتاج المال ليحصل عليه ممن يمتلكه . وغالباً ما يحضر هذا اليوم رئيس وزراء إسرائيل وبشكل منتظم يستمع لتقارير مسئولى أبياك ومؤتمر الزعماء و (WZO) وأى شخص آخر يقدم دعماً لإسرائيل .

وعلى القمة نجد مجلس الاتحادات اليهودية (CJF) الذى يجمع تبرعات قدرها مليار دولار سنوياً وينفق ٢ مليار دولار على الأقل . ومن الناحية النظرية فإن المجلس هو أقوى جهاز بين منظمات اليهود الأمريكيين ولكنها فى الحقيقة قوة وهمية، حيث يتكون المجلس من ١٩٠ اتحادا محليا كل منها هيئة خاصة مستقلة بذاتها ولا تفرط فى استقلاليتها. وإذا كان (CJF) يتحكم حقيقة فى الاتحادات التابعة له فإنه ولاشك يعتبر أقوى جهاز فى حياة يهود أمريكا ، لذلك يمكن القول بأنه عملاق نائم .

وأخيراً ، يوجد قرابة عشر وكالات لعلاقات الطائفة اليهودية وهى الوكالات التى تشرف على العلاقات بين اليهود وغيرهم . وعلى المستوى الشعبى تعرف هذه الوكالات باسم «جبهات الدفاع» . ولكن غير اليهود يعتبرونها الوجه السياسى للطائفة اليهودية الأمريكية .

بعض هذه الوكالات تعمل كهيئات خاصة مستقلة تحت قيادة مجالس ادارتها مثل لجنة يهود أمريكا والمؤتمر اليهودى الأمريكى ، (ويضم كل منهما فى عضويته ثلاثين ألف عضو) ولجنة مكافحة تشويه الصورة (ليس لها أعضاء ولكنها قسم من منظمة بناى بريث ولها فريق عمل مستقل).

بالإضافة إلى وكالات أخرى تعرف باسم (وكالات المظلة) حيث تجمع كل مظلة تحتها مجموعة من المنظمات اليهودية بهدف تنسيق العمل المشترك تجاه موضوعات معينة .

وهذه هى مراكز الخلايا العصبية للطائفة اليهودية . على سبيل المثال نجد أن مجلس (ناكراك) الاستشارى لشئون علاقات الطائفة اليهودية يعمل كشرطى مرور ينظم العلاقات بين المنظمات الرئيسية ويخدم كضابط اتصال بين الاتحادات المحلية.

أما منظمة (آيباك) فهى لجنة العلاقات الإسرائيلية الأمريكية وتدافع داخل الكونجرس عن الموضوعات التى تهم إسرائيل والشرق الأوسط ، والمؤتمر اليهودى الدولى يعمل كمظلة لمجموعات يهودية فى أنحاء العالم ويتعامل مع الأخطار التى تهدد الطوائف اليهودية فى أنحاء العالم . ومؤتمر الزعماء والذى يعد أكبر جهاز فى الطائفة اليهودية الأمريكية ويعبر عن وجهات نظر الطائفة أمام البيت الأبيض والمجتمع الدولى .

وخارج الدائرة الداخلية لوكالات الدفاع اليهودية توجد جماعات دفاع أصغر حجماً وهدفها الظاهر هو التأثير على مجتمعات اليهود أنفسهم ، وكلها تعمل انطلاقاً من اقتناع محدد وهو أن التيار العام للطائفة اليهودية لا يمثل بالضرورة آراء المواطن اليهودى الفرد وأنه ربما كانت القيادة اليهودية ليبرالية أكثر مما ينبغى أو متحفظة أكثر مما ينبغى.

وربما كانت الجماعات الأكثر شهرة هى تلك التى تهتم بموضوع واحد ومحدد والتى تسعى للتأثير على السياسة فى الشرق الأوسط مثل جماعة (السلام الآن) من يسار الأمريكيين أو (إسرائيل الآمنة) من يمين الأمريكيين . وجماعات أخرى تركز على الشئون الداخلية الأمريكية مثل جماعة (عودة إلى التقاليد) المحافظة والدوائر السياسية التى تدور حول مجلة (تيكوم) اليسارية .

والخط بين الوسط والهوامش لا يكون قاطعاً على الدوام. فقد تأسست (السلام الآن) بهدف الاعتراض على الغزو الإسرائيلى للبنان عام ١٩٨٢ . وعلى مدى عقد من الزمان تحولت إلى منظمة قومية لها مجلس إدارة ومكتب يمثلها كجماعة ضغط فى واشنطن . وبعد انتخابات عام ١٩٩٢ والتى فاز بها اسحق رابين طلبت المنظمة الانضمام لعضوية (مؤتمر الزعماء) مما أثار غضب ومعارضة منظمات الأرثوذكس والمجموعات المؤيدة لليكود والتى اتهمت (السلام الآن) بتأييد العنف العربى . ولكن لأن إسرائيل الآن تتكلم كجماعة للسلام تم أخيراً إقرار عضوية (السلام الآن) فى مؤتمر الزعماء فى اقتراع سرى جرى داخل المنظمة. وعلى الطريق العكسى بين التيار العام لليهود إلى الهوامش نجد أن المنظمة الصهيونية الأمريكية قد سيطرت عليه تماماً.

تأسست المنظمة فى عام ١٨٩٧ كصوت للصهيونية فى الولايات المتحدة . ثم فى نهاية الأمر أصبحت أحد أجنحة حزب الليكود الإسرائيلى . وقد حاول زعماء المنظمة ألا

يتورطوا فى خلافات إسرائيل ولكن بعد مصافحة رابين وعرفات واجهت المنظمة التحدى من داخلها - من جانب عساكر الجناح اليمينى المتشدد . وفى مؤتمر قومى للمنظمة عقد فى ديسمبر ١٩٩٣ وقع الاختيار على مورتون كلاين ليرأس المنظمة وهو مستشار للاستثمار فى فيلادلفيا وسبق أن قاد الحملة ضد (السلام الآن) . فى ٢٩ يوليو ١٩٩٤ أى بعد عشرة شهور من مصافحة رابين وعرفات التقت جماعتا ضغط يهوديتان فى قاعة للمؤتمرات فى الكونجرس واشتبك الطرفان فى خلاف حاد استمر طيلة المساء.

فيما بعد حاولت الجماعتان أن تشرحا أسباب الخلاف الذى دار حول أحقية كل منهما فى القيام بممارسة الضغط على الكونجرس نيابة عن إسرائيل . كانت هذه لحظة تاريخية فى عمر اللوبى اليهودى . إنها أول مواجهة شاملة فى الكونجرس بين مؤيدى ومعارضى الحكومة الإسرائيلية . وقد خسر المعركة الطرف المؤيد للحكومة الإسرائيلية.

لقد دارت المعركة بين (آيباك) وهى جماعة الضغط الأكثر شهرة فى واشنطن والمنظمة الصهيونية الأمريكية (ZOA) أقدم الجماعات المؤيدة لإسرائيل فى أمريكا . حضر الجميع إلى الكونجرس فى ذلك المساء لمتابعة اقرار مجلسى الكونجرس للمساعدات الخارجية .

ولم يحدث أن كانت المساعدات الأمريكية لإسرائيل وقدرها ٣ مليارات دولار محل نقاش فى ذلك المساء ولكن المشكلة هى المساعدات العربية ، فبعد اتفاقية السلام التاريخية بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية فى سبتمبر السابق تزعمت إدارة الرئيس كلينتون الجهود الدولية لدعم السلطة الفلسطينية عن طريق المساعدات المالية . وكان الهدف مساعدة منظمة التحرير على أن تصبح جاراً طيباً وأن تتم تقويتها فى مواجهة الاسلاميين المسلحين. وبجهود أمريكية - إسرائيلية تم تأسيس صندوق دولى يضم ٤٣ دولة تلتزم بتقديم ٢ مليار دولار للسلطة الفلسطينية على أن تقدم الولايات المتحدة ربع هذا المبلغ . وكان هذا هو موعد الدفعة الأولى من المساعدات.

وقد احتوى مشروع مجلس الشيوخ لاقرار المساعدات على قنبلة موقوتة حيث وضع السيناتور الجمهورى عن ولاية بنسلفانيا آرلين سبكتر والسناتور الديمقراطى عن ولاية آلباما ريتشارد شيلبى تعديلاً ينص على منع أية تحويلات للمساعدات حتى يشهد الرئيس بأن منظمة التحرير ملتزمة تماماً بالاتفاقيات التى وقعتها فى الخريف السابق .

وقد عارضت الحكومة بشدة التعديل على اعتبار أنه لا ضرورة له ويزيد الأمور تعقيداً. وسراً كان مسئولو الإدارة الأمريكية يقولون ان القيادة الإسرائيلية لا يسعدها أن تفرض

على عرفات شروطاً لا يستطيع تلبيتها وإلا تعرض لضغوط كبيرة من الفلسطينيين الراديكاليين كما أن اتفاقية السلام قد منحت إسرائيل كل الأسلحة التى تحتاجها لمراقبة تصرفات عرفات حيث لن يستطيع أن يحصل على أى أرض إلا إذا كان الجيش الإسرائيلى مستعدا للإنسحاب. وقد أضاف الرأى الإسرائيلى المزيد من السخونة للموقف وقال مسئول إسرائيلى بارز «نحن نعرف كيف نراقب تصرفات عرفات ولا نحتاج لأى أمريكى يقوم بذلك بالنيابة عنا».

هذا هو جوهر القضية . فقد كان تعديل سبكتر وشيلبى من عمل اليهود الأمريكيين المحافظين الذين يعارضون اتفاقية السلام الإسرائيلى الفلسطينى من أساسها.

ومنذ مصافحة سبتمبر تحالف حاخامات أرثوذكس وصهاينة مؤيدون لليكود وصقور الجمهوريين للبحث عن سبل تجميد المساعدات للفلسطينيين وتدمير الاتفاقيات واتفق شيلبى وسبكتر على تقديم خدمة جليلة لذلك التحالف داخل مجلس الشيوخ . ووفقاً للقواعد المتبعة ينتظر من المشرعين أن يدافعوا عن مشروعات القوانين الصادرة عن مجلسهم ولكن السناتور الديمقراطى باتريك ليهى من ڤيرمونت والذى رأس الاجتماع الذى دار فى الكونجرس يوم ٢٩ يوليو خرج على هذا العرف وهاجم مشروع شيلبى – سبكتر . ومعه نظيره فى مجلس النواب دافيد أوبى من ويسكنسون حيث قرر الاثنان أن يقتلا المشروع وأن يدافعا عن وجهة نظر الادارة الأمريكية.

وعلى نحو غير متوقع شعرت إحدى النائبات أن لها مطلق الحرية فى أن تخرج عن القاعدة المتبعة أيضا وهى النائبة نيتا لووى وهى ديمقراطية من وست شستر، نيويورك. وأعلنت أنها تؤيد المشروع المقترح فى مجلس الشيوخ . هذه النائبة معروف عنها أنها من أكثر اليهود ليبرالية فى الكونجرس. ولكن دائرتها الانتخابية تقع فى أحد أطراف كوينز وهى المنطقة التى يوجد بها المعبد الذى شهد إلقاء الطماطم على السفير رابينوڤيتش . وهى لا تريد أن تلقى نفس المصير ، ولا تريد أن تتعرض لعقاب الحاخامات . وتمكنت لووى من اقناع نائبين ديمقراطيين آخرين بالانضمام لها . واقترب أحد أعضاء اللوبى من مائدة الاجتماع ليقنع نائباً جمهورياً بدعم المشروع . وبتأييد ثلاثة ديمقراطيين مرت تعديلات شيلبى – سبكتر .

كان رئيسا الاجتماع هما ليهى وأوبى وقد خرجا مندفعين من الحجرة فى غضب واحتجاج على اجراءات الاجتماع . لم يكن الغضب سببه الوحيد هو خروج لووى عن خط

الحزب الذى تنتمى اليه ولكن لأن أحد أعضاء اللوبى اقترب من مائدة الاجتماع وهو تصرف لم يحدث من قبل وانتهاك لاجراءات المجلس . وقد بقى ليهى وأوبى بعيداً لمدة تقترب من الساعة ثم عادا أخيراً ليعلنا اعترافهما بالهزيمة . وأصبح المشروع المقدم قانوناً سارى المفعول .

كان عضو اللوبى الذى خرج على القواعد الاجرائية فى المجلس هو مورتون كلاين الرئيس المنتخب حديثاً لمنظمة الصهيونية الأمريكية وهو مؤيد كبير وصديق مقرب من سبكتر . وقد عمل كلاين فى هذا المشروع لعدة شهور.

بعد عدة أيام من صدور القانون كتب ستيڤن جروسمان رئيس منظمة (آيباك) خطاباً لرئيس مؤتمر الزعماء شاكياً تصرفات كلاين داخل الكونجرس وطالباً اتخاذ اجراءات تأديبية ضد منظمته . واجتمع عدد من الزعماء البارزين التابعين للمؤتمر فى منتصف أغسطس لبحث الظروف غير العادية التى يمر بها اللوبى اليهودى داخل الجهاز التشريعى وكيفية مواجهتها . ولكن كلاين رفض حضور الاجتماع بينما ذهب ممثل آيباك ليعرض قضيته ثم أرسل مؤتمر الزعماء خطاباً إلى كلاين يعرب فيه عن الأسف البالغ لتصرفات كلاين غير المنضبطة.

ومن وجهة نظر كلاين ببساطة لم يكن لمؤتمر الزعماء أى سلطة للحكم فى هذه القضية. رغم أن زعماء كل المنظمات اليهودية يعترفون بمنظمة (مؤتمر الزعماء) كأعلى جهاز لصناعة القرار بالنسبة لتنظيمات الطائفة اليهودية . ولكن كلاين كان يرى أن المؤتمر لا يصنع إلا القرارات التى تمليها إسرائيل . وخلال الشهور التى انضم فيها إلى مؤتمر الزعماء لم يحدث اقتراع واحد على اتفاقيات السلام .. ولكن على حد قوله كان المؤتمر يكتفى بإصدار بيانات ويتوقع من باقى اليهود أن يلتزموا بما جاء فيها.

ويقول كلاين «ليس فى استطاعة مؤتمر الزعماء أن يتخذ القرارات نيابة عن اليهود . ثم ان اليهود منقسمون حول هذا الموضوع إلى فريقين متساويين».

وقد بنى كلاين ملاحظاته على أساس يتناقض مع نتائج استطلاعات الرأى ، حيث أوضحت الاستطلاعات أن اليهود الأمريكيين أيدوا اتفاقيات السلام بهامش كبير . ففى دراسة أجرتها لجنة يهود أمريكا بعد أسبوعين من مصافحة رابين وعرفات اتضح أن اليهود الأمريكيين أيدوا اتفاقيات السلام بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية بنسبة ٩ إلى ١ فقط ، كما أعرب ٥٧٪ من عينة الاستطلاع أنهم على استعداد لأن يروا إسرائيل تقدم على الخطوة التالية وهى الموافقة على قيام دولة فلسطينية مجاورة لها .

ولكن كلاين له حساباته أيضا . صحيح أن واحداً فقط من كل عشرة يهود يعارض اتفاقيات السلام ولكن صحيح أيضاً أن يهودياً واحداً من كل أربعة أو خمسة يشارك بانتظام فى شئون التنظيمات اليهودية ، وهذا الربع من اليهود يضم معظم معارضى اتفاقيات السلام.

لا يعرف أحد على وجه الدقة عدد اليهود الذين يعيشون فى الولايات المتحدة ، وفى عام ١٩٩٢ أجرت لجنة مكافحة تشويه الصورة بحثاً طلبت فيه من عينة من الأمريكيين أن يخمنوا ما هو عدد اليهود فى أمريكا.

وكانت إجابة ٤٠٪ من العينة تؤكد أن نسبة اليهود تصل إلى ٢٠٪ أو أكثر وهو ما يعنى أن واحداً من كل خمسة أمريكيين يهودى . وقال ٤٠٪ آخرون من عينة البحث أن نسبة اليهود تتراوح بين ٥ إلى ٢٠٪.

أما الإجابة الصحيحة فهى ٢.٥٪ أى يهودى واحد بين كل أربعين أمريكياً ، وهذا رقم تقديرى أيضاً على كل حال حيث تتباين نتائج الأبحاث الاحصائية وتختلف حول عدد اليهود . ويتراوح العدد ما بين خمسة إلى أكثر من ستة ملايين أى أن نسبته تتراوح بين ٢ إلى ٣٪ من التعداد الأمريكى . وبالمقارنة نجد أن عدد الكاثوليك يصل إلى ٦٠ مليوناً أى عشرة أضعاف عدد اليهود . وفى ظل الأغلبية من البروتستانت يوجد ٢٨ مليوناً ينتمون للمذهب المعمدانى و ١٢,٥ مليون ينتمون للمذهب الاصلاحى و ٨ ملايين ينتمون لكنيسة «لوثر» وهذه المذاهب أكثر شعبية من اليهودية فى الولايات المتحدة .

ويقدر سيدنى جولدشتاين وهو خبير بحوث السكان ومتخصص فى شئون اليهود أن تعداد الطائفة اليهودية يصل إلى ٨ ملايين حيث يوجد ٦ ملايين من اليهود مضافاً إليهم ٢ مليون آخرون يعيشون حياتهم كيهود سواء كأزواج أو أبناء لزيجات مختلطة بين يهود وغيرهم . وهؤلاء جميعاً يشكلون «المجتمع السياسى لليهود» . وهذا المجتمع يشمل كل من ترتبط حياته بقوة مع الطائفة اليهودية والذين يمكن أن تتأثر أصواتهم الانتخابية بهذا الارتباط .

ولكن لماذا يظل عدد اليهود لغزا غامضا ؟ أولاً لأن مكتب الاحصاء الأمريكى محظور عليه أن يسأل الأمريكيين عن ديانتهم وهذا نتيجة للفصل الدستورى بين السلطة والكنيسة. وفى غياب احصاءات حكومية رسمية تظل المعلومات الديموجرافية حول يهود أمريكا قائمة على الجهود الخاصة وهى عملية مكلفة وغير دقيقة . كما أن الدراسات الاحصائية تتأثر

كثيراً برغبة القائمين عليها فى الحصول على معلومات تؤكد ما يعتقدون بصحته . ويظهر على السطح أخيراً رقم كثيراً ما يتردد وهو أن نسبة اليهود فى المجتمع الأمريكى لا تزيد على ١,٨ ٪ ولكن هذا الرقم مبنى على معلومات خاطئة متعمدة .

والأكثر تعقيداً من هذا أنه فى عصرنا الحديث لا يوجد اتفاق قاطع حول التعريف الدقيق (لليهودى) ولذلك يجد الباحثون صعوبة بالغة أثناء اجراء الإحصاءات . معظم الأمريكيين يعتبرون أن (اليهودية) ديانة وأن (اليهودى) هو معتنق هذه الديانة . بالطبع فإن الديانة هى جزء من الاجابة ولكن اليهود يعتقدون أنهم جزء من جماعة عرقية منتشرة فى أنحاء العالم يطلق عليها اسم الشعب اليهودى ويطلق عليها أحياناً اسم (الأمة) أو (القبيلة) وربما (العنصر أو السلالة) . ويشترك اليهود معاً فى الأجداد والتاريخ والميراث الثقافى هذا كله بالإضافة إلى الدين أيضاً . والأهم من هذا هو أن اليهود يشعرون أنهم يرتبطون بمصير واحد ناتج عن الشعور بالاضطهاد فى الماضى والواجب المشترك على كل واحد منهم بمساعدة الآخر والبحث عن معنى أخلاقى واحد يشمل كل العناصر السابقة .

وفى الواقع نجد أن الديانة تلعب دوراً غامضاً فى حياة اليهود الأمريكيين . ففى دراسة شاملة أجريت عام ١٩٩٠ وأشرف عليها مجلس الاتحادات اليهودية (CJF) اختار $\frac{٣}{٤}$ عينة البحث (الدين) كأساس لتصنيف الهوية اليهودية فى مقابل (الجنسية) أو (الثقافة) . وأجاب ٤٠٪ بأنهم ينتمون للمعابد اليهودية (ولكن ربما تصل النسبة الحقيقية للانتماء للمعبد إلى حوالى ٥٠٪) . وقد أوضحت دراسة أجرتها لجنة يهود أمريكا عام ١٩٨٩ أن ٨٢٪ من اليهود يعتقدون على سبيل القطع أو الاحتمال بوجود الله . ولكن ٤٧٪ فقط قالوا ان الله يستجيب لصلواتهم وقال ٤١٪ ان الله يتدخل فى خط سير الحياة الانسانية . أما غير اليهود الأمريكيين فتزداد نسبة اجاباتهم المماثلة إلى الضعف فيما يتعلق بنفس القضايا .

وقد تبدو لنا محاولة وضع حدود دقيقة للطائفة اليهودية الأمريكية كمسألة أكاديمية غامضة . إنها مسألة سياسية بالدرجة الأولى . ومثلما يقوم رسامو الخرائط بوضع حدود الدوائر الانتخابية فى الكونجرس يقوم الدارسون بمحاولة رسم حدود دينية للهوية اليهودية الأمريكية باعتبارها حدودا سياسية أيضاً . ومع أخذنا فى الاعتبار الدور اليهودى فى العملية السياسية القومية نجد أن من يكسب فى الصراع الدائر ليكون

صاحب الحق فى وضع تعريف محدد لليهود تصبح له أهمية خاصة بالنسبة لجماهير الأمريكيين عموماً .

وكجماعة ، يشكل اليهود واحداً من أكثر القطاعات الليبرالية فى الخريطة السياسية الأمريكية ولكن لا تتساوى درجة الليبرالية لدى كل اليهود حيث تشير الدراسات إلى أن درجة الليبرالية بين اليهود تتصاعد مقابل انخفاض مستوى تمسكهم بالدين . وبناء على ذلك نجد اليهود الأرثوذكس أقل ليبرالية من اليهود المحافظين وهؤلاء بدورهم أقل ليبرالية من الاصلاحيين كما أشرنا من قبل .

ويشكل اليهود الأرثوذكس أقل من $\frac{1}{10}$ من يهود أمريكا بصفة عامة . وتؤكد الاحصاءات أن بقية اليهود منقسمون بالتساوى تقريباً بين التيار المحافظ والتيار الإصلاحى وغير المنتمين لأى فريق . ولكن من جانب آخر يفوق تأثير اليهود الأرثوذكس على سياسات الطائفة اليهودية النسبة التى يشكلونها بين يهود أمريكا بدرجة كبيرة .

فى نيويورك تحتفل الطائفة اليهودية بمولد اسرائيل كل ربيع وتنظم استعراضاً بهذه المناسبة يسير فى شارع فيفث آفينو تحت اسم (استعراض تحية اسرائيل) ويطلق عليه سكان نيويورك اسم استعراض يوم اسرائيل . ويشترك الآلاف من طلبة المدارس اليهود بأزيائهم المميزة فى يوم سان باتريك ويوم كولومبس ويسيرون فى طابور العرض والموسيقى ومعهم أيضاً طلبة المدارس الصديقة غير اليهودية . ويقدر عدد المشتركين فى هذه العروض بين ١٥٠ ألفاً إلى نصف المليون .

وخلال الثمانينات لم يتغير شكل أو حجم طابور الاستعراض كثيراً وظل مشاهدو العرض هم آباء وأقارب تلاميذ المدارس الدينية المشتركة فيه وبحلول عام ١٩٩٠ سجلت شرطة نيويورك أعداداً أكبر كثيرا من المشتركين والمتفرجين .

فى عام ١٩٩٤ مع قرب الاحتفال بيوم اسرائيل انتشرت الإعلانات والملصقات التى تعلن عن حفل موسيقى كبير يعقب طابور الاستعراض فى حديقة (سنترال بارك) يقيمه المجلس القومى لشباب إسرائيل وهو جماعة لليهود الأرثوذكس . ولكن قبل أسبوع واحد من الموعد تم تغيير الإعلانات لتقول ان الحفل سيكون (تحية خاصة لليهود فى القدس الكبرى ويهودا والسامرة وغزة ووادى الأردن ومرتفعات الجولان) ؛ أى المستوطنين اليهود فى الأراضى المحتلة وهم قلب المعارضة الاسرائيلية المسلحة .

وفى الساعة المحددة تدفق الآلاف نحو طابور العرض ونحو (سنترال بارك) وملأ ٢٠٠ ألف شخص مكان الاحتفال وتحول الأمر إلى مظاهرة صاخبة ضد الحكومة الاسرائيلية .

وألقى الجنرال الإسرائيلى المتشدد آرييل شارون هو وغيره من ميليشيات الأرثوذكس الخطب النارية .

استمر الطابور فى شارع فيفث آڤينو ولكن بدون مشاهدين كثيرين على جانبى الشارع حيث انضمت الأغلبية إلى الأرثوذكس المعارضين لحكومة اسرائيل . إذن أين ذهب باقى اليهود - التسعون بالمائة الذين يقال إنهم يؤيدون عملية السلام ؟ رد على هذا السؤال صحفى من الأرثوذكس قام بتغطية الحدث بقوله «لابد أنهم كانوا فى مسيرة خاصة بمرضى الايدز فى الجانب الآخر من المدينة» .

تأسس مذهب الأرثوذكس على أيدى الحاخامات الذين يضعون القانون الدينى أو الشرعى والذى يعتبرونه قيداً على كل يهودى . ويعطى الحاخامات المحافظون لأنفسهم صلاحيات واسعة فى تفسير القانون خاصة فى العصور الحديثة . ولكن هذا يجعلهم موضع شك من جانب اليهود الأرثوذكس . أما حاخامات الاصلاحيين فهم يرون أن القانون الدينى هو بمثابة مرشد للأفراد ولكن الأرثوذكس يرون هؤلاء الحاخامات لا يستندون على أية قاعدة دينية .

وعلى مدى سنوات طويلة كان التعامل والتعاون بين الأرثوذكس وغيرهم من اليهود محدوداً للغاية ولم يجمعهم سوى الاشتراك فى الدفاع عن حقوق اليهود فى الخارج وحمايتهم ولكنهم كانوا يمتنعون عن الدخول فى أية مناقشات عقائدية . وحتى مجال التعاون الوحيد كان مثار خلاف بين الأرثوذكس أنفسهم . التقليديون بقيادة أجودات اسرائيل يدينون اتحاد الأرثوذكس لأنهم قبلوا الجلوس تحت مظلة واحدة مع المنشقين عليهم .

وقد دفع انتخاب اسحق رابين فى عام ١٩٩٢ رئيساً لوزراء اسرائيل الخلافات اليهودية إلى مرحلة جديدة حادة .

قبل الانتخابات كان اليهود بمختلف انتماءاتهم العقائدية والسياسية يقفون خلف اسرائيل ويكبحون كل خلاف أو اعتراض على السياسة الاسرائيلية على أساس أن الاسرائيليين لهم الحق فى اتخاذ قراراتهم على نهج ديمقراطى . وعلى أساس أن يهود أمريكا الذين لا يتعرضون للخطر عليهم أن يدعموا هؤلاء الذين تتعرض حياتهم للخطر كل يوم فى اسرائيل .[٦]

وقد تأسست منظمة (مؤتمر الزعماء) وشقيقتها (أيباك) خصيصاً لهذا الغرض وهو مساندة الحكومات الاسرائيلية المنتخبة . وظلت هذه قاعدة متبعة طالما اختارت الحكومات الاسرائيلية سياسات يكون اليهود الأرثوذكس في أمريكا على استعداد لتأييدها . وقد خسرت حكومة رابين هذا التأييد عندما بدأت تبحث جدياً عن سبل انهاء الصراع مع العرب على أساس التفاوض على الأرض . ولكن الكثيرين من اليهود الأرثوذكس يعتقدون أن كل أرض اسرائيل هي أرض موعودة إلهياً . وقال هؤلاء ان رابين قد خرج على القوانين الإلهية . ولكن كان هناك بعض الأرثوذكس ممن لم يتسرعوا في الحكم على الأمور. ومع ذلك وبسبب الصراع بين الأرثوذكس وغيرهم جرى بسرعة توحيد الصف والصوت داخل طائفة الأرثوذكس التي ظهرت أمام العالم كفريق واحد متماسك .

وقد وجدت منظمات المظلة نفسها فجأة مشلولة عن العمل ومعرضة لضغوط كبيرة من أجل الوصول إلى أرضية عمل مشتركة . والمعتدلون وقفوا ينتظرون عودة الهدوء حتى يحدث اجماع على رأي واحد . وفي نفس الوقت هرعت ميلشيات اليمين إلى واشنطن تبحث عن طريق لتدمير اتفاقيات السلام الاسرائيلية – الفلسطينية . هؤلاء اليمينيون كانوا خليطا من اليهود الأرثوذكس وغيرهم من الصقور الذين يشلون عمل باقي اليهود .

وكان السعي لتعجيز تيار الوسط جزءا من اتجاه عام لدى المتشددين . وعلى مدى عشرين عاماً ظلت طائفة الأرثوذكس في حالة من التصاعد والإحياء الديني الأصولي على عكس ما مرت به الديانات الأخرى ؛ المسيحية والإسلام والهندوسية ، وظل المتدينون المتعصبون يدفعون بمؤسسات الأرثوذكس المتشددة نحو اليمين فيما يخص العديد من القضايا الدينية والسياسية، ومؤسسات الأرثوذكس بدورها ظلت تضغط على منظمات المظلة، وظل الشرق الأوسط هو المنطقة الوحيدة المتأثرة بما يحدث .

قادة الأرثوذكس مصممون على رفض أي تسوية لعدد من القضايا الساخنة ظهرت في الثمانينات مثل حق الاجهاض ودعم المدارس الدينية والاستخدام المشترك للمغطس الديني . وشهدت هذه الخلافات كل من (منظمة مؤتمر الزعماء) و (ناكراك) ومجالس الحاخامات وتجمعات المعلمين الدينيين وكل مواقع ومكاتب الاتحادات اليهودية، ولم يكن اليهود الأرثوذكس وحدهم هم المسئولين عن الانقسامات داخل الطائفة اليهودية برغم أن الانطباع العام أنهم وحدهم الذين يحملون اللوم على ذلك .

وانما في كثير من الأحوال يأتي التكتيك في الجماعات الأصغر العلمانية اليمينية مثل المنظمة الصهيونية الأمريكية وقدامى المحاربين اليهود الأمريكيين . وكثيراً ما تقف

منظمات الأرثوذكس فى الخلافات الكبيرة - مثل اتحاد الأرثوذكس ومجلس حاخامات أمريكا - إلى جانب التيار العام من اليهود الأمريكيين ضد هذه الجماعات اليمينية العلمانية.

وعلى المدى الطويل كان دائماً الخط الفاصل بين الأرثوذكس وغير الأرثوذكس أكثر الخطوط التهاباً ، ومن هنا كان الاستياء الدينى والسياسى والاجتماعى سبباً فى عزلة الأرثوذكس عن غيرهم ، وكثيراً ما تحولت الخلافات حول موضوعات صغيرة إلى مواجهات ضخمة .

وخلال الثمانينات وجدت منظمة (ناكراك) نفسها بصورة متزايدة عاجزة عن إحداث اجماع عام يمثل رأى الطائفة اليهودية تجاه حق الاجهاض مثلاً . كما حدث أن انسحبت مجموعات أرثوذكسية من تحت مظلة الحركة الصهيونية الأمريكية خلال التسعينات عندما صوتت الحركة لصالح المساواة فى الحقوق بين الأرثوذكس وغير الأرثوذكس من يهود اسرائيل .

أما مجلس المعابد اليهودية الأمريكية وهو من جماعات المظلة أيضاً والذى نجح منذ عام ١٩٢٤ فى توحيد الأجنحة الدينية الرئيسية لليهود فى الاتصال بمعتنقى الديانات الأخرى - فقد قام بحل نفسه فى أوائل عام ١٩٩٥ . وقال أحد المسئولين بالمجلس انه لم يعد هناك سبب لبقاء الأرثوذكس وغيرهم من الأجنحة معاً مع تصاعد حدة الخلاف بين الطرفين .

ومع انهيار مجلس المعابد وقعت أزمة بين اليهود وكنيسة الروم الكاثوليك . فقد دعا الفاتيكان إلى فتح حوار رسمى بين اليهود والكاثوليك فى عام ١٩٧١ وكان الطرف الممثل لليهود فى الحوار لجنة تجمع وكالات الدفاع والمؤتمر اليهودى العالمى ومجلس المعابد اليهودية الأمريكية بعد أن أصر زعماء اليهود على أن منظمة المؤتمر اليهودى العالمى هى أكثر المنظمات تمثيلاً للشعب اليهودى كما أصر الفاتيكان على وجود مجلس المعابد لرغبتهم فى الحوار مع جهة دينية وليس مع جماعة مدافعة عن الحقوق المدنية وعلى مدى عشرين عاماً أحدث الحوار تغييرات واسعة فى تدريس الفاتيكان للديانة اليهودية .

ولكن المدهش أن الحوار لم يأت بالنتيجة نفسها على الجانب الآخر - وهو اليهود - حيث لم يوافق أبداً المشاركون اليهود على اجراء أى اختبار للتعليم اليهودى عن الكنيسة وذلك بسبب الحظر الأرثوذكسى على الدخول فى الصراعات الدينية ، ولذلك عرض غير الأرثوذكس من المشاركين فى الحوار فتح قناة حوار مستقلة . وفى عام ١٩٨٧ انسحبت

لجنة مكافحة تشويه الصورة ولجنة يهود أمريكا من اللجنة اليهودية المشتركة على أمل فتح قناة حوار خاصة مع الفاتيكان .

ولكن الفاتيكان رفض بإصرار إجراء أى حوار مع قناة ثانية بدون مشاركة اليهود الأرثوذكس . وقال يوجين فيشر - مدير العلاقات الكاثوليكية - اليهودية فى المؤتمر القومى للأساقفة الكاثوليك - «نحن نريد أن نتحدث إلى كل الشعب اليهودى» . ولكن إلى من يتحدث هؤلاء بعد انهيار مجلس المعابد اليهودية ؟ والاجابة تبقى غامضة .

يقول رالف ريد المدير التنفيذى للتحالف المسيحى انه فى الديمقراطية لا يشترط أن تتخذ القرارات وفقاً لمعتقدات الأغلبية ولكنها تتخذ بناء على رغبة الطرف الأكثر دفعاً فالسياسة من وجهة نظره هى تكثيف الجهود فى اتجاه معين .

وهذه ملاحظة عامة بين المشتغلين بالسياسة فى واشنطن وبرغم أن الديمقراطية تعنى حكم الأغلبية ولكنها تعنى أيضاً حق كل واحد فى أن يقول كلمته قبل التصويت .

وبمزيد من الاصرار والالحاح واستثارة المشاعر تستطيع الأقلية أن تصبح أكثر نفوذاً من حقيقة حجمها . هذا ما يؤكده رالف ريد ويضيف أنه «فى اللحظة الحاسمة تستطيع الأقلية أن تخلق أغلبية حول نفسها عن طريق حث البعض وتخويف البعض الآخر واسكات للبقية الباقية» .

وإذا كانت هذه الظاهرة جيدة أو غير جيدة بالنسبة للديمقراطية فإن هذا يتوقف على رؤية كل طرف . إذا وقف الشخص ضد الأغلبية يمكن أن يراه الآخرون شخصاً حالماً أو شخصاً عنيداً . وأغلبية اليوم قد لا تكون كذلك غداً . وكثيراً ما وقع الديمقراطيون فى هذا المأزق ويتساءلون هل وقع الاختيار عليهم ليتبعوا رأى الجماهير أم ليقودوا هذه الجماهير؟ هل ينصاعون لرأى الأغلبية أم يستجيبون لما تمليه ضمائرهم ؟

وتتزايد إشكالية هذا المأزق فى مجتمع ذى جماهير عريضة كالمجتمع الأمريكى خاصة عندما لا يتوجه إلى صناديق الاقتراع أكثر من نصف المواطنين، وقتها لا تستطيع أن تحدد بشكل قاطع من هو جمهورك وبالتالى لا تستطيع أن تعرف ما يريده هذا الجمهور . كما يتعرض القادة لإغراء إثارة الاضطراب فى الارادة الشعبية عن طريق أصوات هؤلاء الأعلى صراخاً . ولذلك يرى رالف ريد أن الأقليات يمكن أن تصبح هى الرأى العام الأكثر وضوحاً .

وفى مجتمع مثل الطائفة اليهودية الأمريكية التى يبلغ عددها ٦ ملايين موزعين بين ٢٥٠ مليوناً آخرين نجد أن القوة النسبية لهذه الأقلية عالية جداً .

منذ أول لحظة وطأت فيها قدم يهودية أرض أمريكا تجاذبت اليهود قوتان كبيرتان : الأولى تجذبهم إلى الولاء لكل ما هو تقليدى والثانية تدفعهم للاندماج فى المجتمع الأكبر . وفى عصر المستعمرات كان التقليديون يحثون المهاجرين الجدد على الارتباط بالمعبد وطاعة الحاخام ولكن هذا كان موضع سخرية ذوى الأفكار المتحررة .

من هذا التوتر نشأت الحركات اليهودية الكبرى وهى تيار الاصلاح والتيار المحافظ وتيار الأرثوذكس ، كل تيار منها حاول أن يرسم حدودا للتكامل والاندماج مع المجتمع الأكبر وحدودا للولاء للمعبد .

وعلى مدار السنوات الطويلة حاول اليهود أن يشقوا طريقهم نحو الوسط محرزين فى ذلك بعض النجاح وبعض الاخفاق ، فهم لم يكونوا قادرين على الامتثال التام للتقاليد الدينية ومع ذلك كانوا متخوفين جدا لأن أبناءهم ليس لديهم محظورات دينية واضحة ولذلك قد يتزوجون من غير اليهود ويخرجون عن الدين ليربوا أبناءهم باعتبارهم من غير اليهود أيضا .

ولكن حتى الوسط اليهودى يجد نفسه فى صراع داخلى بين تيارين متباعدين لا يفهم كلاهما الآخر وبينهما عداء غامض ، ويفصل بين التيارين خط يقسم ما بين هؤلاء الملتزمين باليهودية بشكل من الأشكال والآخرين غير الملتزمين .

ويمكن أن نقول ان الملتزمين هم هؤلاء المرتبطون بأى معبد يهودى سواء أرثوذكسى أو محافظ أو اصلاحى . وأعضاء المنظمات اليهودية والمتبرعون للقضايا اليهودية يناقشون هذه القضايا ، أما غير الملتزمين فهم من ليست لهم علاقة بهذه الأمور . ولكن من الصعب رسم حدود فاصلة لكل شئ لأن الالتزام مسألة نسبية ، وتظهر الدراسات أن المشاركة اليهودية ترتفع بين التقليديين، فاليهود الأرثوذكس هم الأكثر ارتباطا بالمعابد ويذهبون إليها أسبوعيا ، وهم من المتبرعين المنتظمين للأعمال الخيرية اليهودية وهم الأكثر التزاما بالقوانين اليهودية فى حياتهم اليومية إلى جانب أنهم يلعبون دورا نشيطا فى الجمعيات اليهودية المدنية ويتطوعون للعمل فيها مثل وكالات أو جبهات الدفاع والتى تعمل على تسيير الحياة العامة ليهود أمريكا ، ويسيطر على هذه الجماعات ذات العمل المدنى ، اليهود المحافظون .

وبالنسبة لليهود الاصلاحيين أظهرت دراسات عديدة أن ارتباطهم بالأعمال اليهودية مسألة عارضة وغير منتظمة .

وبالنسبة للملتزمين من اليهود نجد أنهم يرون غير الملتزمين فى طريقهم للابتعاد عن اليهودية إما بسبب الجهل أو بسبب فتور المشاعر أو كراهية النفس ، وبالنسبة لغير الملتزمين فهم يرون أن الملتزمين يتسمون بالكآبة معتقدين أن كل أفكارهم صحيحة فى حين أن رسالة اليهودية التى يحملونها لا علاقة لها بحياتنا الحديثة ، والحقيقة أن كلا الفريقين مخطئ ، ولكن لا يستمع أى طرف للطرف الآخر فى محاولة لاستيضاح الحقائق الصحيحة .

ولذلك تصبح العداوة بين الطرفين كثيفة ، وفى أغلب الأحوال يصف كل فريق الفريق الآخر بأسوأ النعوت . وإذا كان الاصلاحيون يعربون عن استيائهم ويغادرون المكان إلا أن المتشددين يبقون ويستمرون فى العراك ، وبذلك تبدو دائما المعركة وكأنها من طرف واحد.

ومعظم التحليلات تقسم يهود أمريكا إلى فريقين متساويين بناء على الاحصاءات الخاصة بسلوك اليهود . تشير هذه الدراسات إلى أن نصف اليهود تقريبا يساهمون فى التبرع للأعمال الخيرية اليهودية ، كما أن عضوية المعابد تتراوح بين ٤٥ إلى ٥٥ ٪ وتنتمى نسبة تتراوح بين ٢٨ إلى ٤٥٪ لمنظمات العمل التطوعى .

ويعتقد زعماء الطائفة اليهودية أن المعدل المنخفض للارتباط بين اليهود والمعابد هو أكثر الموضوعات اثارة للارتباك فى الحياة اليهودية الحديثة ، حيث ينظر إلى انخفاض الارتباط بالمؤسسات اليهودية كنوع من انخفاض الاهتمام بالاحتفاظ بالهوية اليهودية ، ومن المعتقد أن اليهود الذين لا يشاركون فى الأنشطة العامة للطائفة لن ينقلوا مشاعر الارتباط بالدين إلى أبنائهم . ولن يسعى الأبناء للزواج من يهود آخرين ، وبالتالى سينشأ أبناء هؤلاء باعتبارهم غير يهود ، وعلى المدى القصير سيذوب المخزون الصغير لليهود وسط جموع الجماهير من أصحاب الديانات الأخرى .

ومعتنقو اليهودية يعتقدون أن زوال اليهود وذوبانهم فى المجتمع الأكبر هو الهدف الذى سعى إليه فى الماضى من اضطهدوا اليهود فى أوربا ، والآن يتزايد الاحساس بأن يهود أمريكا يفعلون نفس الشئ بأيديهم واختيارهم وهذا كفيل بإثارة خوف اليهود الملتزمين والقلق إزاء اختفاء اليهود كان دائما محور نقاش منذ عشرات السنوات .. وفى أوائل الستينات أصدر مسئول إسرائيلى دراسة تسعى لإثبات أن يهود أمريكا سيختفون خلال جيل واحد .. وفى عام ١٩٦٣ نشرت مجلة (لوك) موضوعا صحفيا بعنوان (اختفاء يهود

أمريكا) ، وكان موضوع الغلاف ، ولم يكن هذا هو أول المخاوف أو آخرها ، وكثيرا ما ظهرت التقارير التى تحذر من تلاشى اليهود واختفائهم ، وقبل الحرب العالمية الثانية كتب المؤرخ اليهودى «سيمون رافيدوفيتش» قائلا ان اليهود شعب كتب عليه الموت ، ولكن هذا لم يصل إلى المستوى الهستيرى الذى وصل إليه الخوف من تلاشى اليهود فى نوفمبر عام ١٩٩٠ . فقد ظهرت نتائج الاحصاء القومى لليهود ، وقام بتمويل هذه الاحصائية مجلس الاتحادات اليهودية ، وكانت أكبر الدراسات السكانية وأكثرها شمولا للأنماط الديمجرافية اليهودية فى أمريكا .

اتضح من الاحصائية أن معدل النمو السكانى لليهود ينخفض عن معدلات نمو باقى السكان الأمريكيين وأنهم يتجهون نحو الشيخوخة بمعدلات أسرع من باقى المجتمع الأمريكى كما أنهم أقل طلاقا من باقى الأمريكيين ويهجر يهود أمريكا نيويورك والشمال الشرقى ويتجهون نحو الجنوب والغرب ، وهؤلاء يتباطئون فى الانضمام للمعابد أو التبرع للأعمال الخيرية فى مجتمعاتهم الجديدة .

ومن بين كل الأرقام التى وردت فى الاحصائية كان هناك رقم واحد هز المجتمع اليهودى فى كل أنحاء الولايات المتحدة وفى خلال أسابيع قليلة كانت ألسنة اليهود تتناقل ما أوردته الاحصائية وكانت أرقامها مثار الكتابات الصحفية والمقالات الحزينة لتصبح بذلك أخطر وأهم الاحصائيات عن حياة اليهود فى العصر الحديث ، الرقم محور هذا الحديث كله هو نسبة ٥٢٪ ؛ حيث وجد أن نسبة اليهود الذين تزوجوا من معتنقى الديانات الأخرى خلال السنوات الخمس السابقة يصل إلى ٥٢٪ من إجمالى زيجات اليهود ، وقد وقع هذا الرقم مدويا كانفجار القنبلة على أسماع اليهود ، حيث ان أكثر من نصف اليهود أصبحوا يعطون ظهورهم للعقيدة ، ومن هنا تصاعدت التنبؤات بأن اليهود سيختفون من أمريكا . وحذر الحاخام بنحاسى ستولبر بقوله «إن هذه الزيجات المختلطة ستكتسح كل ما هو يهودى فى طريقها وبسرعة ، وستتزايد هذه العملية حتى تخنق كل المجتمع اليهودى . إنها هولوكست جديدة» .

وفى حفل أقيم فى بالم بيتش لتكريم فيل كروب وهو من مدينة بوسطن من أجل تبرعاته السخية لصالح جامعة بن جوريون قال كروب «يجب أن نواجه الحقيقة ، اليهود شعب فى خطر» .

وكرد فعل لما ورد فى هذه الاحصائية المهمة ، قامت المنظمات اليهودية فى كل أنحاء أمريكا بتبنى مواقف قتالية ، وبحث الجميع عن سبل للإبقاء على حياة «اليهودية» خلال الجيل القادم ، وتم تعديل خطط التمويل والانفاق من الموضوعات الأقل أهمية إلى موضوع

واحد يحظى بالأولوية القصوى وهو دعم التعليم الدينى اليهودى . وتم ضخ ملايين الدولارات لتحقيق هذا الهدف .

ففى كليفلاند وبالتيمور ومدن أخرى قامت الاتحادات اليهودية المحلية بإضافة عدة ملايين من الدولارات إلى ميزانية المدارس الدينية كما طرح برنامج يتكلف ٣٠ مليون دولار من أجل تمويل سفر كل تلميذ يهودى إلى إسرائيل فى عطلة الصيف وذلك بهدف التأثير على مشاعر وعقول الشباب والصغار بدراما الميلاد اليهودى الجديد، ولكن إسرائيل نسفت المشروع المطروح عندما رفضت أن تقدم ثلث تمويل البرنامج ، وقامت العائلات اليهودية الكبرى مثل بونغمانس ووكسنر وماندل وكراون بتخصيص ملايين الدولارات من ثرواتهم الخاصة لاحياء المشروع وتنفيذه .

وعلى مستوى الدولة تأسست لجنة أمريكا الشمالية لبحث الاستمرارية اليهودية ، وضمت اللجنة كبار الخبراء فى مجال التعليم الدينى ، والأسماء البارزة فى العمل الخيرى اليهودى ورؤوس الأجنحة اليهودية الثلاثة ، واتفق الجميع على تنحية كل الخلافات جانبا والتركيز على الهدف المنشود ، ولكن الحاخام موشى شيرر زعيم أجودات إسرائيل رفض الانضمام للجنة اعتراضا منه على وجود الاصلاحيين فيها «فكيف وهم من أشعلوا النار نطلب منهم أن يخمدوا الحريق» .

والمدهش أن الرقم – ٥٢ ٪ – الذى أثار كل هذه المخاوف وكل ردود الأفعال السريعة هو تقدير خاطئ فى أغلب الظن .

ويبدو لنا الآن أن هذا الرقم قد بنى على أساس عدد من الأخطاء الاحصائية الناتجة عن عمل الباحثين فى جدول زمنى ضيق وبميزانية محدودة ، وقد ظل الباحثون على مدى عدة سنوات يؤكدون خلو الاحصاء من الأخطاء ثم عادوا ليقولوا ان هناك بعض النقاط الغامضة فى الاحصائية ولكنها غير مهمة من وجهة نظرهم ، ورغم الجدل الأكاديمى حول صحة الاحصاء من عدمه إلا أن مجلس الاتحادات اليهودية – ممول الاحصاء – قد أصر على نتائجه المعلنة .

ولكن بقيت الاعتراضات الأكاديمية على أساليب تقييم وتحليل أرقام الاحصاء وذلك بمقارنة نتائجها والعينات المشاركة فيها بنتائج احصائيات أخرى أكثر دقة .

ويقول عالم الاجتماع الاسرائيلى ستيفن كوهين بالجامعة العبرية والمتخصص فى العلوم السكانية ليهود أمريكا ان «الاحصائية المثيرة أظهرت يهود أمريكا باعتبارهم أقل

تمسكا بالعقيدة وأقل التزاما بالشعائر وأقل ارتباطا بإسرائيل والمؤسسات اليهودية ، إذا ما قورنت نتائجها بإحصائيات أخرى أجريت فى السنوات الأخيرة » .

ووفقا لتقديرات ستيڤن كوهين فإن معدل الزيجات المختلطة لا يتجاوز نسبة ٤٠٪ وهى نسبة عالية بلاشك ولكنها ليست النسبة المخيفة التى يتحدث عنها الجميع الآن ، كما أنها لا تزيد كثيرا على نسبة الزيجات المختلطة التى تمت فى السبعينات ، وقتئذ أجرى أول تعداد قومى لليهود واتضح أن نسبة الزيجات المختلطة تصل إلى ٣٢٪ ، صحيح أن النسبة قد ارتفعت بمقدار ٢٥٪ ولكن ليس هذا بالتغير الدراماتيكى .

كذلك فإن النسبة الضئيلة للزيجات المختلطة فى الستينات كانت هى الأخرى مبنية على احصائيات غير سليمة .

وخلاصة القول أنه لا توجد أزمة .

وداخل الدائرة الضيقة للباحثين فى الشئون السكانية اليهودية اتفق خبراء كثيرون فى الرأى مع كوهين ولكنهم امتنعوا عن تأييده علانية ، حيث خشى بعضهم من منعهم من الحصول على المعلومات الخاصة بالاحصاءات السكانية والتى تعد بمثابة المادة الخام للباحثين ، وهذا سيكون مثل اصدار حكم بالإعدام على أى دارس لسلوكيات يهود أمريكا .

وقد قال بارى كوزمين مدير الأبحاث فى مجلس الاتحادات اليهودية والذى أدار عمل الاحصائية وكأن المسألة ليست أكثر من زوبعة فى فنجان «لو كنا انفقنا مليونين أو ثلاثة ملايين من الدولارات كنا استطعنا أن نضع أساليب أفضل للتقييم وانخفض بذلك معامل الخطأ ، ولكن على أية حال المسألة ليست خطيرة » .

إلى جانب هذا قال كالڤين جولد شايدر الخبير الاجتماعى بجامعة براون «ان الأرقام الدقيقة ليست شديدة الأهمية طالما أن نتائج الاحصائية دفعت اليهود لإمعان النظر فى حقيقة معتقداتهم » .

والخوف من الزيجات المختلطة له أثر كبير على موازين القوى فى حياة اليهود وتنظيماتهم ، فقد وضع هذا الخوف الليبراليين فى موقف الدفاع عن النفس وذلك عن طريق اثارة الشكوك والتساؤلات حول فكرة الاندماج الكامل لليهود فى المجتمع الأكبر المفتوح ، والمؤسسات اليهودية تكرس نصيبا متزايدا من أموالها لدعم المجتمع اليهودى من داخله كما أنها تنسحب الآن من دورها التقليدى لدعم المجتمع الأمريكى ككل .

ولعل أقوى الأسلحة فى ترسانة الدفاع السياسى اليهودى هى الالتزام بالمبادئ العامة وتغليبها على المصالح الخاصة ، ولكن هذا الالتزام أصبح موضع شك كبير حيث أصبحت قيادات يهود أمريكا ترى أنه من واجبها الدفاع عن المصالح اليهودية ، أى أن اليهود سيقاتلون من أجل حقوقهم ، فإذا ما انتشرت هذه الدعوة عالميا سيتعرض اليهود لهجوم شرس .

فى مايو ١٩٩٢ دعت احدى المنظمات اليهودية لجمع التبرعات الممثل السينمائى ريتشارد درايفوس لتكريمه فى حفل أقيم فى فندق «بيير» فى نيويورك ، درايفوس حائز على جائزة الاوسكار عن فيلم «فتاة الوداع» واشترك فى فيلم الفك المفترس وغيره من الأفلام الناجحة، والمنظمة التى تكرمه بجائزة خاصة هى منظمة «أصدقاء متحف الشتات الاسرائيلى فى أمريكا »، والمعروف أن تكريم المشاهير هو أسلوب متبع لجمع التبرعات وجذب وسائل الإعلام للاهتمام والتركيز على قضية معينة وبيع تذاكر الحفل لأصدقاء الشخصية موضع التكريم وللمعجبين به ، وعادة ما يتلقى المشاهير هذا التكريم بمشاعر الامتنان والاعراب عن الولاء لجهة التكريم ، وريتشارد درايفوس من جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية وهو يهودى ليبرالى نشأ فى عائلة اندمجت مع المجتمع الأوسع فى لوس انجلوس وقد تزوج لعدة سنوات من امرأة غير يهودية .

وبدلا من أن يلقي درايفوس كلمة تعبر عن مشاعر طيبة تجاه من قاموا بتكريمه ألقى كلمة نقد قاسية على أسماع الحاضرين ، فقال ان اليهود يركزون كل اهتمامهم على أساطير الهولوكست ومعجزة دولة إسرائيل ، والنتيجة أنهم يهبون للدفاع بشكل غير مناسب عن إسرائيل وسياساتها ، وتكلم درايفوس عن خبرة شخصية مر بها ، فقد تعرض للضرب فى عام ١٩٨٧ عندما اشترك فى مسيرة اسرائيلية للسلام .

وقال ان «الدفاع عن اليهود مسألة مفهومة بسبب الجرائم التى تعرضوا لها فى الماضى والتى حفرت مكانها فى الذاكرة اليهودية» . ولكنه يحذر أيضا من الاستغراق فى الشعور بأنهم كانوا دائما ضحايا لأن هذا يعزل الأجيال الجديدة من اليهود والذين يبحثون عن معان خاصة وشخصية للعقيدة بداخلهم ، وقال «يجب أن نشترك جميعا فى اهتمام أساسى وهو تنمية الشخصية اليهودية ، أنا يهودى علمانى يؤمن بأن اليهود هم الشعب المختار ، وأعتقد أن الاختيار وقع علينا لنضئ الحياة الإنسانية ولكى تكون أخلاقياتنا أعظم انتصارات البشرية » .

وقد أثارت كلمة درايفوس مشاعر دفاعية جارفة ، وبعد أن انتهى الممثل المشهور من كلمته جاء دور الناشر مورتيمر زوكرمان وكان من المفترض أن يلقى كلمة قصيرة لتحية درايفوس ، ولكنه ألقى كلمة طويلة مدتها ٣٥ دقيقة تحدث فيها عن الأخطار المستمرة والمشاعر العدائية في أمريكا وفى العالم ضد اليهود ، وتحدث عن الأخطار العربية المحيطة بإسرائيل ، ومعاداة السامية بين السود فى أمريكا والانحياز الإعلامى للعرب ضد إسرائيل فى وسائل الإعلام الأمريكية ، ولم ينته زوكرمان إلى استنتاج محدد ولكن كان مفهوما تماما أنه كان يقصد بكلماته جنود الأحد من أمثال ريتشارد درايفوس .

أما إيلى ويزل الحائز على جائزة نوبل فى التأريخ لأحداث الهولوكست والذى قام بتقديم زوكرمان فى كلمة قصيرة ، فقد ركز على أهمية العلاقة القوية بين إسرائيل ويهود الشتات ، ولكن بعد أسبوع واحد ألقى ويزل كلمة أخرى فى حفل تكريم أقامه صهاينة أمريكا لشخص يعمل فى مجال الاستثمارات العقارية ، وفى كلمته شن هجوما ضاريا على درايفوس قال فيه «هذا الممثل الذى لا علاقة له بإسرائيل أو اليهودية أراد أن يلقى علينا درسا حول ما يجب علينا أن نفعله ، لقد قال اننا بحاجة لعلاج نفسى ليصبح كل شئ بعد ذلك على ما يرام ، وقال ان إسرائيل لا أخلاق لها ، وأن علينا أن نتدخل فى الأمر ، ياللصفاقة ! ويا للغرور ! » واستطرد قائلا «إن واجب كل يهودى أن يبقى فى صف شعبه . كلمة (أهفات إسرائيل) أى (أحب إسرائيل) تعنى أن نقف إلى جانب إسرائيل عندما تكون بحاجة الينا . يجب أن نكون هناك عندما تتعرض للهجوم ، ويجب أن ندافع عنها » .

«ويزل» محق فيما يقوله .. حيث يهتم اليهود اهتماما عميقا بإسرائيل ، فقد أثبتت احصائيات عديدة أن $\frac{٣}{٤}$ اليهود يؤكدون أن الاهتمام بإسرائيل هو جزء من هويتهم اليهودية ويقول ثلثا اليهود انه إذا ما تعرضت اسرائيل للدمار فإنهم سيشعرون أن مأساة شخصية قد لحقت بهم .

ولكن توجد احصائيات أخرى تسأل اليهود أن يصنفوا اسرائيل من بين الاهتمامات اليهودية الأخرى . منها دراسة أجرتها لجنة يهود أمريكا فى عام ١٩٨٩ وطلبت من عينة البحث ترتيب ١٢ من الرموز اليهودية المختارة لتعبر عن احساسهم بهويتهم اليهودية . فقد جاءت اسرائيل فى المرتبة السابعة فى القائمة بعد الهولوكست ويوم الكفارة ومعاداة السامية والله والتوراة وعيد الفصح اليهودى . ويلى اسرائيل فى الترتيب خروج اليهود من

مصر وعطلة السبت الدينية ثم القانون اليهودى ثم النداء اليهودى العالمى وأخيرا التقاليد اليهودية الراديكالية .

وفى نفس الاحصائية يوجد سؤال لعينة البحث يطلب منهم توضيح أهمية اشتراك أبنائهم فى أنشطة يهودية وكان أمامهم ١٤ اختيارا فجاءت النتائج لتضع الاهتمام بإسرائيل فى الموقع الثانى عشر . وفى احصائية أخرى أجريت عام ١٩٨٨ عن طريق جريدة لوس أنجلوس تايمز طلبت من اليهود ذكر القيمة الأكثر أهمية بالنسبة لهويتهم اليهودية فاختار نصف العينة «المساواة الاجتماعية» وانقسم النصف الآخر بين اسرائيل والعقيدة وأشياء أخرى .

إن الخوف من الزواج المختلط هو رسالة تحذير من المخاطر المحدقة بروح اليهودية ويرى المحافظون أن احصائيات الزواج المختلط تدل على خطر جوهرى متمثل فى المد الليبرالى وفكرة اندماج اليهود فى المجتمع الأكبر من حولهم .

فى عام ١٩٩١ وفى العدد الصادر من مجلة (كومنترى) Commentary يقول الكاتب ايرفينج كريستول وهو من المحافظين الجدد « ان العلمانية وهى الأيديولوجية التى سادت فى المجتمعات الغربية خلال القرنين الماضيين قد ماتت بالسكتة المخية ، فهى غير قادرة على مواجهة الاضطرابات الروحية التى تعد جذور الفوضى الاخلاقية فى الغرب» . وكرد فعل لذلك يتنبأ ايرفينج بأن أمريكا ستعود بشكل متصاعد لأحضان الدين وأن هذا سيعرض الأقليات الدينية للأخطار كما يعتقد بأن اليهود سيرحبون بالفرصة ليبتعدوا عن ديانتهم .

ولكن هل سيعيد هذا الاتجاه اليهود إلى الحياة فى الجيتو مثلما كانوا قبل عصر التنوير فى أوربا ؟ يقول ايرفينج انه من المنطقى أن نعتقد أن يبقى اليهود فى أمريكا ولكنهم سيعيشون فى قلق .

أما عالم السياسة دانيال أليعازر وهو اسرائيلى من مواليد أمريكا فقد كتب فى مجلة مومينت (Moment) فى عدد أكتوبر ١٩٩٥ يقول ان الانشقاقات القديمة بين اسرائيل ويهود الشتات قد تلاشت وكذلك بين المتدينين وغير المتدينين من اليهود ، ولكن ما يقسم اليهود الآن هو اهتمام فريق منهم بمستوى ونوعية الحياة فى الحضارة اليهودية ، واهتمام الفريق الآخر بأن يعيش حياة طبيعية . وناشد فى مقالته اليهود أن يتحدوا ضد «هؤلاء الذين يسعون لتحقيق حياة أفضل لليهود طالما أن هذا لا يعنى بالضرورة مستقبلا أفضل للعقيدة » .

ولعل أثر ذلك سيكون عبارة عن خلق مجتمعات يهودية أكثر تماسكا وأقل حجما يزيد فيها نفوذ الأرثوذكس بأكثر مما هو عليه الآن . والداعون إلى التقارب بهذا الشكل سيجدون أنفسهم فى عزلة كبيرة وسيعودون إلى الجيتو مرة أخرى .

والحقيقة التى تقول ان يهود أمريكا منقسمون إلى فريقين، فريق داخل إطار الدين وفريق خارجه ليست صحيحة تماما فهم منقسمون إلى ثلاث مجموعات فى واقع الأمر .

تقريبا يوجد ٢٥٪ من يهود أمريكا ملتزمون بممارسة شعائر الدين على مدار العام وكل عام . ويوجد ٦٠٪ يهتمون ببعض المناسبات الدينية والرموز الدينية المحددة مثل يوم الكفارة أو عيد الفصح ومناسبات أخرى . ثم فريق ثالث منعزل يمثل حوالى ١٠ إلى ١٥٪ لا يهتم بهذه الأمور بأى شكل .

وتوجد احصاءات كثيرة ومتنوعة تشير إلى أن ما بين ٧٥٪ إلى ٩٠٪ من كل يهود أمريكا يحرصون على الشعائر الدينية الخاصة بمناسبات معينة . وأن حوالى ٨٥٪ من الأطفال اليهود يلتحقون بالمدارس الدينية فى السن بين العاشرة والثالثة عشرة تمهيدا لاحتفالات تعميدهم ولكنهم سرعان ما يغادرون هذه المدارس بعد الاحتفالات . ويقول ٩٠٪ من اليهود فى عدد من الاحصاءات ان هويتهم اليهودية مسألة (مهمة جدا) أو (مهمة باعتدال) بالنسبة لهم .

وتوجد عدة أمور بالنسبة ليهود أمريكا منها الاحتفال بعيد الفصح ويوم الكفارة وعيد النور والتعليم الدينى للأبناء والشعور العام بالانتماء وهى التى تحدد شعورهم بالانتماء للعقيدة ولكنهم لا يهتمون كثيرا بمناسبات أخرى مثل عطلة السبت أو يوم استقلال اسرائيل أو عيد نقل الهيكل . ولا تزيد نسبة من يهتمون بهذه المناسبات على الربع أو الثلث .

وبنسبة أقل - ٢٠٪ فقط - يهتم يهود أمريكا بالمسائل الأدق مثل طعام الكوشير - الحلال - ولا تزيد نسبة من يرسلون أبناءهم إلى مدارس دينية خالصة على ١٥ إلى ١٨٪.

والأغلبية الساحقة من يهود أمريكا - بما فيهم المتزوجون من غير اليهود - يرون أنهم موالون للعقيدة ولكن على طريقتهم الخاصة . ويقول معظمهم ان هويتهم اليهودية مسألة حيوية تماما بالنسبة لشعورهم بذواتهم . وفى دراسة أجرتها لجنة يهود أمريكا عام ١٩٨٩ ذكر ٩٦٪ من عينة الدراسة أنهم يفخرون لكونهم يهودا وقال ٨٦٪ انهم يشعرون بالتميز لأنهم يهود . وقال ٩٠٪ ان اليهودية هى جزء مهم من كيانهم حتى وان لم يلتزموا بالعادات والتقاليد اليهودية ولا يعنى هذا تخليهم عن الدين .

إذن فالزهو بأن يكون الشخص يهوديا لم يتغير ولكن الذى تغير هو الطريقة التى يفهم بها اليهود الدين وطريقة ممارستهم له . والزواج المختلط هو أحد أعراض هذا الفهم وهذه الممارسة .

ويقول العالم الاجتماعى كالڤين جولد شايدر من جامعة براون ان يهود أمريكا اليوم يعتبرون اليهودية مجموعة متشابكة من المشاعر والمعتقدات والارتباطات والأعمال التطوعية والاعتقاد بأنهم يهود لأنهم ليسوا مسيحيين .

ليس من الغـــريب إذن أن تكون قيادة التنظيمات اليهوديـــة من بين الأقلية الملتزمة والتى تتصرف بالنيابة عن وباسم الأغلبية الأقل التزاما .

فى عام ١٩٩٤ التقى رئيس المؤتمر اليهودى العالمى ادجار برونفمان بجمهور كبير من يهود أمريكا وذلك أثناء انعقاد الجمعية العامة لمجلس الاتحادات اليهودية ، وبرغم أن المنظمة التى يتزعمها برونفمان تختص بالدفاع عن اليهود ضد أعداء الخارج إلا أن كلمته اتخذت اتجاها داخليا .

حذر برونفمان فى كلمته من أن المجتمع اليهودى على شفا الانهيار لأنه مجتمع يولى اهتماما كبيرا للوقوف ضد الأعداء ولا يهتم كثيراً بالبحث فى جوهر وروح اليهودية . وقال «على مدى الجيلين الماضيين كنا نعبر عن هويتنا اليهودية بتكريس أنفسنا من أجل اسرائيل، وبدفع الشيكات إلى منظمة النداء اليهودى ولكن اسرائيل الآن تتجه نحو السلام مع جيرانها ولن تحظى بنفس اهتمامنا السابق .

«والتحدى الذى يواجه اليهود الآن هو البحث عن وسيلة لزرع الروح اليهودية فى نفوس أبنائنا وهى مهمة تجاهلها الأجداد منذ قرن من الزمان ، كيف ؟ عن طريق زيادة التعليم الدينى وخفض مصروفات هذا التعليم واستخدام عناصر التكنولوجيا لدعم التعليم وتأسيس برامج جامعية تعليمية بميزانية ضخمة وتنظيم رحلات منخفضة التكاليف إلى اسرائيل» .

وقال برونفمان ان هناك ازدواجية فى المنظمات اليهودية التى تتنافس للحصول على التبرعات من جيوب اليهود ولذلك يجب أن يعاد ترتيب الأولويات من جديد .

يتمتع برونفمان بمصداقية عالية بين كل زعماء اليهود الأمريكيين وهو واحد من أكبر الأثرياء ويتبرع بسخاء للأعمال الخيرية اليهودية . وكرئيس لمنظمة المؤتمر اليهودى العالمى منذ ١٩٧٩ نجح فى جعل منظمته من أكثر المنظمات تأثيرا فى العالم . وهو واحد من

قلائل المليارديرات اليهود الذين لديهم استعداد كبير لاستخدام قوتهم الاقتصادية لدعم المصالح اليهودية . وغالبا ما يربط بين الصفقات الاقتصادية الدولية مع أنظمة حكم أجنبية وبين حقوق اليهود أو العلاقات مع اسرائيل .

وفى ١٩٩٥ تدخلت المنظمة فى صفقة تكنولوچية بين شركة دوبونت ونظام الحكم الإسلامى فى إيران الذى يعد من ألد أعداء اسرائيل . أى أنه نوع من لى الذراع والذى يتصور الكثيرون - يهود وغير يهود - أنه ممارسة سياسية يهودية شائعة ولكنه فى الحقيقة مسألة غير معتادة . ويقول مسئول رفيع المستوى فى الوكالة اليهودية «معظم هؤلاء الرجال يحررون لنا شيكات ولكن فى مسائل العمل والاقتصاد لا يسلمون رقابهم لنا» .

وباعتبار برونفمان حالة نادرة لملياردير يهودى يضع أمواله فى خدمة القضايا اليهودية نجد وسائل الإعلام تتناول أعماله بانتظام . ولذلك ليس من الغريب أن يكون اسمه من بين أسماء أخرى قليلة معروفة لدى أغلبية اليهود . بينما أغلبية زعماء المنظمات اليهودية ليسوا معروفين إلى الجماهير سواء من أتباع هذه المنظمات أو غيرهم . وفى واقع الأمر فإن كل عضو فى معبد يهودى بأمريكا له الحق فى الاقتراع على المرشحين لمنصب رئيس منظمة مؤتمر الزعماء أو ناكراك ولكن لا يسأل هؤلاء الأعضاء الحاخامات عن الكيفية التى يجرى بها التصويت . وأصبحت الصورة العامة هى أن القيادة اليهودية هى صفوة تعطى لنفسها حق القيادة وتسيطر على المؤسسات اليهودية من خلال أموالها ولكن كحال القيادة فى المجتمعات الكبرى فى كل مكان فى العالم يجد زعماء اليهود الأمريكيين أنفسهم فى مأزق بين الأقلية المتشددة التى تفصح عن رأيها بصوت عال فى كل مناسبة وبين الأغلبية المتسامحة التى لا تكاد تظهر وجهها تقريبا ، وعلى القيادة أن تسير بحذر كبير بين الطرفين.

فى الاحتفال بيوم (سان ڤالنتين) فى عام ١٩٩٤ وفى مانهاتن بنيويورك وقف الحاخام هاسكل لوكشتاين يرحب بشخصية أمريكية بارزة هى جانيت رينو التى تتولى منصب المدعى العام الأمريكى .

قبل أن/تصعد جانيت رينو إلى المنصة للترحيب بها همس لها الحاخام بأنه تعلم من دروس الحرب العالمية الثانية أن يقول الحقيقة للعاملين بالسلطة . وقال لها انه لا يوجد الآن شىء يوحد مشاعر يهود أمريكا أكثر من الحكم الظالم الذى صدر ضد جوناثان

بولارد - الذى يقضى عقوبة السجن مدى الحياة بتهمة تسريب أسرار عسكرية أمريكية للحليفة إسرائيل .

قال الحاخام ان «كل منظمة يهودية قد تحدثت فى هذا الموضوع وأن يهود أمريكا سيشعرون بامتنان كبير لو أن السيدة رينو أعادت فتح ملف قضية بولارد وحررته» .

كان جوناثان بولارد قد باع مئات الأسرار العسكرية لاسرائيل بمقابل سخى ولما تغيرت عادات إنفاقه ثارت الشكوك لدى المباحث الفيدرالية وفى إطار صفقة اتفق عليها اعترف بولارد بالتجسس مقابل أن يتساهل الإدعاء معه ولكن صدر ضده حكم بالسجن .

بعد صدور الحكم كان بولارد موضع إدانة كبار زعماء المنظمات اليهودية وانتقد ناثان بولوتر المدير القومى للجنة مكافحة تشويه الصورة وقتئذ «غباء» اسرائيل وخيانتها للثقة الأمريكية . ووصف رئيس (مؤتمر الزعمـــاء) موريس أبراهام الجريمة بأنها لا تغتفر وأقر الحكم على بولارد .

وقد أبعدت الحكومة الاسرائيلية نفسها عن جوناثان بولارد باعتبار تجنيد بولارد عملية خبيثة تمت إدارتها خارج مكتب رئيس الوزراء ولكن مجموعة صغيرة من الراديكاليين الاسرائيليين على اليمين الاسرائيلى وحلفاءهم الأمريكيين جندوا أنفسهم للدفاع عن بولارد واعتبروه بطلا يهوديا ضحى بنفسه لإنقـــاذ إسرائيل . واتهموا حكومة اســـرائيل وقيـــادة المنظمات اليهودية بالتخلى عنه كالجندى الجريح الذى تخلى عنه زملاؤه فى أرض المعركة.

قال الحاخام الأرثوذكسى المتشدد آفراهام وايز ان بولارد حاول باستماتة أن يحذر إسرائيل من الأخطار التى تواجهها من جانب العراق ، جاءت هذه الكلمات أثناء مسيرة فى نيويورك عام ١٩٩٢ بهدف تحرير جوناثان بولارد .

وفى عام ١٩٩٠ وتحت ضغط وإلحاح من عائلة بولارد ومؤيديه أمثال الحاخام وايز شكلت المنظمات اليهودية فريق عمل تحت رعاية (ناكراك) لدراسة تبنى قضية بولارد أو اهمالها . وبعد دراسة مستفيضة والاستماع لأقوال الإدعاء والدفاع قرر فريق العمل التخلى عن القضية الخاسرة .

وقد قال أحد كبار المسئولين فى منظمة يهودية «لو حاولنا أن نبعث برسالة إلى الحكومة تفيد أن الطائفة اليهودية تعتقد أن ذلك الوغد لم يخطىء التصرف فإننا كنا سندمر جماعتنا» .

وهذا الكلام صحيح تماما فالتقارير التى خرجت من البنتاجون تشير إلى أن حكم السجن مدى الحياة على بولارد جاء بحث من رئيس هيئة الأركان ، وهو حكم أشد قسوة من أى حكم صدر ضد معظم الجواسيس السوفيت ، والسبب أن لدينا الآن الآلاف من يهود أمريكا يعملون فى مختلف المواقع الفيدرالية ومنها مواقع حساسة للغاية كانت مغلقة أمام اليهود منذ جيل مضى . وقد ذكرت بعض المصادر أن رئيس هيئة الأركان أراد أن يبعث القاضى برسالة إلى يهود أمريكا عن طريق بولارد ، وهى : لا تثيروا هذه المسألة مرة أخرى .

ويبدو أن الرأى العام اليهودى – وهو رأى عام بارز وواضح – لم يرد أن يسمع الرسالة الموجهة إليه . وعلى مدى السنوات التالية واجه زعماء المنظمات اليهودية أنصار بولارد أينما ذهبوا ، وشيئا فشيئا بدأت هذه المنظمات تتحدث فى حذر حول قضية بولارد، وفى النهاية كتبت منظمة (ناكراك) للبيت الأبيض تطلب إعادة النظر فى القضية .

ويقول سيمور هيرش أحد الرؤساء السابقين لمنظمة مؤتمر الزعماء انه قد أصبح مدافعا عن بولارد بعد اقتناعه بالمشاعر الجماهيرية الجارفة المؤيدة له من جانب يهود أمريكا ، وقال ان هذا هو الشىء الوحيد الذى يسمعه أينما ذهب .

ولكن إلى أى مدى نعتبر هذا الكلام صحيحا ؟

تقول إحدى الاحصاءات، التى أجرتها لجنة يهود أمريكا حول هذا الموضوع فى عام ١٩٩١ ، إن ٢٧٪ فقط من اليهود يوافقون على أن الحكم على بولارد كان قاسيا جدا . وقال ٢٢٪ فقط ان المنظمات اليهودية عليها أن تضغط من أجل الإفراج عنه فى حين قال ٥٧٪ انهم لا رأى لهم فى المسألة .

ورغم هذا كان صوت فريق واحد هو المسموع فى القضية .

الباب الثانى

جذور النفوذ اليهودى

الفصل الرابع

خارج الجيتو
لأول مرة

كان أول اتصال رسمى بين الطائفة اليهودية وحكومة أمريكية فى عام ١٧٩٠ بعد عام واحد من انتخاب چورج واشنطن رئيساً للجمهورية الجديدة .

ففى أغسطس عام ١٧٩٠ وأثناء زيارة قام بها واشنطن إلى نيوبورت بولاية رود آيلند كتب الرئيس خطاباً لأعضاء المعبد اليهودى بالولاية ، متميزاً بالدفء والفصاحة . وحتى يومنا هذا لازال خطاب واشنطن يدرس فى المدارس الدينية كمنهج تأسيسى لحرية يهود أمريكا .

قال واشنطن فى خطابه « إن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية، والتى لا تفرض العقوبات على المتعصبين لدينهم والتى لا تساعد على استمرار الاضطهاد، تطلب من هؤلاء الذين يعيشون تحت حمايتها أن يكونوا مواطنين صالحين يتمتعون بتأييدها ودعمها فى كل الظروف» وقد أرسى هذا الخطاب النغمة الأساسية لطبيعة العلاقات المستقبلية بين الحكومة الأمريكية ويهود أمريكا .

وربما كان واشنطن هو أول رئيس دولة غربى خلال ١٧٠٠ عام يوجه خطاباً لليهود باعتبارهم مواطنين أحرارا ومتساوين مع الآخرين . وقال أيضاً فى خطابه ان أمريكا مختلفة عن الدول الأخرى لأنها أعطت للعالم نموذجاً ومثالاً للسياسة الليبرالية الواسعة النطاق وهى سياسة جديرة بأن يتبعها الآخرون . إنها سياسة تقوم على حرية الفكر واحترام حقوق المواطن .

وقد أثر هذا الخطاب على حياة يهود أمريكا بطرق عديدة حيث لم يكن هو الخطاب الوحيد الذى أرسله واشنطن لليهود وانما هو واحد من ثلاثة خطابات أرسلها ليهود أمريكا فى ذلك العام . والسبب فى ذلك هو السياسة الكلاسيكية لليهود حيث إنه بعد وقت

قصير من انتخاب واشنطن في ابريل ١٧٨٩ قرر رؤساء المعابد اليهودية الأمريكية وعددها خمسة أن يبعثوا خطاب تهنئة للرئيس ، وهو أمر تتبعه الكنائس الأمريكية.

ولكن اليهود قضوا عاماً ونصف العام يتجادلون حول نقطة واحدة وهي من الذي سيوقع الخطاب؟ وانتهى الأمر بأن بعثوا بثلاث رسائل منفصلة . كانت الخطة الأولى أن يبعث الخطاب معبد مدينة نيويورك العاصمة الأولى للدولة، ثم في يناير انتقلت العاصمة إلى فيلادلفيا فعرض معبد العاصمة الجديدة أن يوقع الخطاب ولكن المشكلة أن رئيس ذلك الكنيس كان يهوديا غربيا أشكنازيا من أوربا الشرقية وأن معظم من هيمنوا على الحياة اليهودية في عصر المستعمرات كانوا برتغاليين من أصول شرقية – سفارديم – ولذلك لم يحظ رئيس ذلك المعبد بالتأييد الكافي. وفي مايو انشق يهود سافانا وأرسلوا خطاباً مستقلاً معتذرين بأن التأخير في التهنئة إنما يرجع إلى «وضعهم الغريب» دون تفسير لهذا الوضع . ثم في أغسطس أرسل معبد نيويورك رسالة أخرى للرئيس يشكر فيها إله إسرائيل لحمايته الرئيس واشنطن وحكومته .

وأخيراً أرسل مانويل جوزيفسون رئيس معبد فيلادلفيا رسالة ثالثة في أغسطس من عام ١٧٩٠ـ متعللاً بأن «ظروفاً مختلفة» حالت دون تقديم التهنئة في وقت مبكر ، واضطر الرئيس لأن يبعث برده على الخطابات الثلاثة .

ولم يشرح أي من الخطابات ما هي «الظروف المختلفة» أو ما هو «الوضع الغريب» ولكن يمكن أن نفسر هاتين العبارتين بالدعابة اليهودية القديمة التي تقول : إذا كان هناك يهوديان كانت لهما ثلاثة آراء مختلفة .

في ذلك الوقت كان اليهود يعيشون لأول مرة في تاريخهم في دولة تفصل بين الكنيسة والسلطة، دولة ترفض الاعتراف بوضع قانوني لأي هيئة دينية . وكان هذا هو التعديل الأول في الدستور الأمريكي والذي اقترب موعد التصديق عليه .

وقد ظل اليهود في ذلك الوقت يكتبون ويطلبون عدم اصدار قانون يعطي الدين أي وضع مؤسسي أو أي قانون يمنع حرية العبادة .

الآن يعني هذا أنه لا يمكن لأمريكا أن تصدر قانوناً يمنع اليهود من ممارسة شعائرهم، وهو امتياز لم يحصل عليه اليهود من قبل وهذا قد يفسر لنا كل الصلوات اللاهثة التي يتلوها اليهود في عيد الشكر . كما يعني هذا التعديل الدستوري أن

الكونجرس لا يستطيع أن يحول اليهود إلى مواطنين من الدرجة الثانية عن طريق تأسيس كنيسة قومية . وفي الواقع أن الصراع من أجل اعلان أمريكا كدولة مسيحية مستمر حتى اليوم .

ولكن هذا الوضع الذي ألح اليهود في تقنينه كان له جانبه السلبي . ففي مقابل أن اليهود لهم الحرية الكاملة في ممارسة عقيدتهم فقد كانت لهم الحرية الكاملة أيضاً في عدم ممارستها . وفي أمريكا لا تقوم الدولة بتعيين كبير للحاخامات أو محكمة يهودية أو مجلس يهودي رسمي . ولا يكون للديانة سلطة على أتباعها إلا ما يرغب اليهود أنفسهم في تقديمه للمعابد طواعية ، ولأن الدولة ليس لها الحق في الاعتراف بهيئة يهودية بعينها أصبح من حق أي أحد أن يتكلم باسم اليهود، وعلى الدولة أن تفسح مساحات زمنية متساوية لكل متحدث . وقد بدأ هذا الوضع منذ عهد واشنطن وحتى يومنا هذا .

ويمكن رواية تاريخ يهود أمريكا باعتباره جهودا مستمرة لخلق صوت يمثل طائفتهم المتنامية . وعبر قرون من الزمان تزايد الوجود اليهودي من مجرد خمسة معابد على الساحل الشرقي الأمريكي إلى حوالي ثلاثة آلاف معبد تمتد من ولاية مين إلى هاواي . وعبر هذا الطريق الطويل كانت هناك محاولات لا نهائية لتوحيد اليهود في عمل مشترك، وقد نجح بعض هذه المحاولات وأخفق الكثير منها .

اليوم يوجد ثلثمائة منظمة يهودية قومية وعدد لا حصر له من المنظمات المحلية . وأكثر ما يوضح لنا التتابع اللا محدود من الاتحاد والانفصال وهو هذا العدد الكبير من أسماء المنظمات اليهودية التي تعرضنا لها في الفصل الثالث .

وبدرجة ما تعكس هذه الدائرة المتتابعة من الاتحاد والانفصال احساس الأفراد الذين أقاموا المنظمات اليهودية بنواتهم . ومثل كل المشاركين في لعبة السلطة وميزان القوى يدخل زعماء اليهود الحلبة من أجل نشوة اللعبة نفسها وبريق النصر وزهوه . والفارق بين اليهود الأمريكيين وغيرهم من السياسيين أن اليهود لا يرون حدوداً للملعب السياسي ، فلا شيء يمنع اللاعبين الفاشلين من العودة مرة أخرى للملعب ليعاودوا اللعب من جديد .

وقد قامت معظم المنظمات اليهودية من أجل العمل أو التأثير على أداء المضطلعين بالمسئوليات التي طالما شغلت يهود أمريكا في كل مكان وزمان مثل ادارة الشئون الدينية ومساعدة الفقراء والمرضى والمسنين والمهاجرين واحترام الجيران من غير اليهود والدفاع عن اليهود ضد أعدائهم في الداخل والخارج .

● الحكم الذاتى ●

نشأ أول مجتمع يهودى فى مملكة يهودا القديمة على الشاطىء الشرقى للبحر المتوسط وعندما تعرضت المملكة للغزو عام ٥٨٦ قبل الميلاد وتحطم الهيكل المقدس على يد جيوش مملكة بابل (العراق الحديثة) أجبر اليهود على الحياة فى المنفى . وفى بابل كان يهود المنفى مسموحا لهم أن يعيشوا فى جيوب آمنة يطبقون فيها قوانينهم اليهودية وكان يحكمهم وصى على عرش يهودا . وهنا نشأ أول مجتمع ليهود الشتات .

وقد سمح ليهود المنفى أن يعودوا لموطنهم بعد خمسين عاماً ولكن القليلين فقط قد عادوا . هؤلاء أقاموا الهيكل المقدس مرة أخرى وأسسوا مملكة يهودا من جديد حتى سقطت المملكة فى أيدى الرومان وهنا انتهت السيادة اليهودية إلى الأبد .

معظم اليهود لم يغادروا مملكة بابل وانما عاشوا هناك وازدهروا لمدة ستمائة عام كمجتمع ينعم بحكم ذاتى .

وقد حكم اليهود فى ذلك الوقت سليلو الملك داوود . وكان كل حاكم منهم عضوا فى البلاط الملكى فى بابل وحكموا اليهود بكل خيلاء الشرق، حتى أن أحد هؤلاء الحكام شكل جيشاً وأعلن الاستقلال وحافظ على الوضع الجديد لمدة سبعة أعوام حتى سقط وأعدم صلباً .

والقانون الذى حكم يهود مملكة بابل هو قانون التوراة المليء بالمحظورات والمسموحات والذى غطى كل شيء فى حياة اليهود من القتل إلى العقود التجارية وأخلاقيات علاقات الجنس واعداد اللحم للطعام . وكانت اعادة تفسير قوانين المملكة المستقلة لحياة الأقلية اليهودية فى المنفى هى مهمة دارسى القانون المعروفين باسم الحاخامات .

وقد وضع الحاخامات تفسيراتهم الدينية فى ثلاثة وستين جزءاً عرفت باســـم التلمود. ومع التلمود وضع الحاخامات الصلوات الخاصة بيهود المنفى يثنون فيها على الله ويطلبون منه أن يعيدهم إلى يهودا .

وعبر القرون انتشر اليهود فى طرق التجارة الممتدة بين الصين وانجلترا ، واستقروا فى بعض المحطات على هذا الطـــريق مؤسسين فى ذلك مجتمعات يهودية خالصـــة . كل مجتمع من هذه المجتمعات تأسس على نفس النموذج الذى عرفته مملكة بابل ، وهو نموذج الحكم الذاتى وكل منها له حاخام يضع القوانين ويفسرها، ومجلس حكم يفرض الضرائب ويجمعها ويرعى الفقراء ويمثل اليهود فى الدولة الأكبر .

وقد كانت علاقات اليهود مع جيرانهم من غير اليهود إما ممتازة أو غير موجودة على الإطلاق . وفى الصين فى العصور الوسطى كان اليهود موضع ترحيب حتى أنهم ذابوا فى المجتمع الصينى فى نهاية الأمر ولم يتركوا أثراً يخلفهم سوى عدد قليل من اليهود المميزين بشعرهم بالمجد وحنينهم للموطن القديم .

وفى أوربا المسيحية - وعلى النقيض - كان وضع اليهود مستمرا فى التآكل حيث سيطرت الكنيسة الكاثوليكية التى أرادت أن يعانى اليهود بسبب رفضهم الاعتراف بيسوع . وبرغم أن الظروف اختلفت من مدينة إلى مدينة ومن عصر إلى آخر ، إلا أنه بشكل عام كانت معظم الوظائف محظورة على اليهود وكان ممنوعا عليهم أن يرثوا المسيحيين، وبشكل منتظم كانوا يتعرضون للإساءة فى صورة مناظرات دينية ، ومن يخسر المناظرة إما أن يقبل تعميده نصرانياً أو يحكم عليه بالإعدام . وفى المساء ينزوى اليهود إلى أحيائهم الخاصة المعروفة باسم (الجيتو) . وعلى مر الزمان تعرض اليهود إلى العنف من جانب العصابات وإلى القتل الجماعى وطرد اليهود جميعاً من ألمانيا عام ١١٨٢ ومن انجلترا عام ١٢٩٠ ومن فرنسا عام ١٣٠٦ وعام ١٣٩٤ ومن النمسا عام ١٤٢١ ومن اسبانيا عام ١٤٩٢ ومن البرتغال عام ١٤٩٧ .

وإذا أعدنا النظر لذلك الفصل المأساوى من تاريخ اليهود نجد حقيقة مهمة فقد ظلوا فى نظر الكنيسة هم شعب الله المختار وبقوا على قيد الحياة فى ظل انتصار المسيحية حيث لم تلق أى ديانة أخرى نفس الحظ فى أوربا . والأكثر من ذلك نجد أن اليهود الذين عاشوا فى مجتمعات مغلقة كانوا أكثر التزاما بدينهم وتمتعوا بصحة أفضل وبأمن أوفر إذا ما قورنوا بالفلاحين المسيحيين الذين عانوا من العنف والفقر والمرض والخوف المستمر من الحرب .

وفى بعض الأوقات تمتع اليهود فى ظل أوربا المسيحية بنوع من القوة والسلطة على مجريات حياتهم . ففى بولندا وليتوانيا أثناء العصور الوسطى انتخب اليهود برلماناً قومياً لهم ومجلس الأراضى الأربع وهما المجلسان اللذان اجتمعا سنوياً لسن الضرائب وسن القوانين واختيار مبعوث لليهود يمثلهم فى البلاط الملكى . وفى عصر النهضة قام حكام أوربيون بتعيين يهود فى بلاط الحكم قاموا بمراجعة الحسابات الملكية وتحدثوا بشكل غير رسمى باسم طائفة اليهود ، وقد أثرى الكثيرون من يهود البلاط بصورة كبيرة واستخدم عدد لا بأس به ثروته وقوته لحماية اليهود من الأخطار فى الداخل والخارج .

وما بين طرفى النقيض - التسامح والاضطهاد - عاش اليهود فى العالم الاسلامى . والاسلام كما هو الحال بالنسبة للمسيحية هما الديانتان اللتان أعقبتا اليهودية فى الظهور ولذلك عاش اليهود فى حالة من الرضا . ولكن كان على اليهود أن يدفعوا ضرائب خاصة وعانوا بشكل عارض من بعض القيود التى تسىء لهم ولكن لم يحدث قط أن تعرض اليهود فى العالم الاسلامى لأشكال الاضطهاد التى عرفها يهود أوربا المسيحية .

وقد ازدهرت حياة اليهود فى العالم الاسلامى فى اسبانيا - واسمها بالعبرية سافارد - خلال العصر الذهبى الاسلامى تحت حكم الأمويين (عام ٧٥٥ - ١٠٣١) حيث سمح لليهود بالمشاركة الكاملة فى الحياة العامة بإسبانيا واحتفظوا باستقلالية مجتمعاتهم . وقد أنجب اليهود السفارديم نخبة لامعة من الشعراء وعلماء الدين والموسيقيين والعلماء وجنرالات الجيش ورئيساً للوزراء أيضاً . وبنهاية العصور الوسطى كان ربع يهود العالم - وعددهم الاجمالى مليونان - يعيشون فى اسبانيا .

ولكن اسبانيا الإسلامية وقعت تحت ضغط مستمر من الجيوش المسيحية الزاحفة . وفى ١٣٩١ مس المد المسيحى إشبيلية وأثار موجة من العداء ضد اليهود استمرت لعدة عقود زمنية .

وخلال قرن واحد اضطر ٢٥٠ ألف يهودى أى نصف يهود اسبانيا أن يقبلوا اعتناق المسيحية تحت ضغط العصابات أو الحكومات المحلية فى ذلك الوقت ولكن استمر الكثيرون يمارسون شعائر اليهودية سراً رغم أن انكشاف أمرهم كان يعنى الموت .

فى شهر يناير عام ١٤٩٢ سقطت آخر المعاقل الاسبانية تحت أقدام تحالف الملك فرديناند ملك أراجون وايزابيلا ملكة قشتالة . وأعلن المنتصران هدنة ومنحا كل من هو غير مسيحى مهلة حتى أول أغسطس ليعتنقوا المسيحية أو يغادروا البلاد .

ولم يكن أمام اليهود اختيارات واسعة حيث كانت أوربا الكاثوليكية فى معظمها مغلقة فى وجوههم كما أن شمال افريقيا الاسلامى كان تحت حكم أنظمة متشددة غير صديقة ولذلك هرب البعض إلى القسطنطينية وانتظرت الأغلبية حتى انتهاء المهلة ثم قبلوا التحول إلى المسيحية ، أو هربوا عبر الحدود إلى البرتغال ولكن هذا المأوى لم يدم طويلاً ، ففى عام ١٤٩٧ أصدر الملك مانويل الأول أوامره بأن يجرى تعميد كل اليهود . وفى هذه المرة لم يكن أمامهم مهرب .

وحتى من تحولوا إلى المسيحية فى البرتغال ظلوا لعدة قرون كأقلية ضعيفة ومنتهكة وكان الأمر كذلك بدرجة أقل فى اسبانيا . وبلا شك فقد أصبح الكثيرون من اليهود الذين اعتنقوا المسيحية مخلصين لديانتهم الجديدة ولكن قلة منهم وهى الأكثر أهمية ظلت على اليهودية سراً .

وعلى مدى ثلاثة قرون منذ ذلك الحين خلق هؤلاء اليهود مجتمعات سرية خاصة بهم لها عاداتها وتقاليدها وكانوا يتناقلون عقيدتهم شفوياً خوفاً من افتضاح أمرهم .

كانوا يخافون الآخرين حتى أطفالهم ، وقامت الديانة لدى هؤلاء على ما بقى فى الذاكرة من الصلوات والمراجع الدينية المسيحية المعادية لليهود .

ويقول المؤرخ الاسرائيلى يرمياهو يوفيل ان يهود اسبانيا عرفوا أن طريق الخلاص لن يكون على أيدى المسيح وإنما سيكون من خلال قوانين موسى التى عرفها الأجداد فى الأزمنة الغابرة . ولم يعرف يهود اسبانيا شيئاً من مفاتيح ذلك الكنز سوى مقتطفات متقطعة بأسلوب غير منظم . ووفقا لما يقوله المؤرخ يوفيل فقد عاش هؤلاء اليهود بأسلوب يمزج بين العزلة والاختلاط بالمجتمع الأكبر . وهذا يماثل بدرجة كبيرة حياة اليهود فى العصور الحديثة . يرفضون قيم الجيران ويتمسكون بميراثهم الخاص والذى لا يكادون يعرفون عنه الكثير . وكانت نتيجة ذلك الطبيعة العلمانية والشكوك الدينية . اليهود الذين تخلوا عن ديانتهم دون أن يكون لهم عالمهم المسيحى وجدوا انتباههم كله مركزا على العلمانية والشئون الدنيوية من خلال العمل أو التجارة ومسائل الحياة اليومية أو فى صور أخرى مثل الفنون أو التعليم والحرص على الحياة والاستكشاف والتفوق المهنى .

ولم يكن إذن من قبيل المصادفة أن يكون يهود البرتغال هم أوائل المهاجرين اليهود إلى أمريكا الشمالية وأول من أسس مجتمعات يهودية هناك .

وخلال قرون من طرد اسبانيا لليهود عبرت مجموعات عديدة من اليهود الأطلنطى بحثاً عن حياة جديدة بلا خوف . فلم يكن من السهل عليهم أن يختبئوا إلى الأبد . حيث إنه حتى عام ١٧٦٨ ظل البرتغاليون يحتفظون بقوائم بأسماء المسيحيين ذوى الجذور اليهودية وكانت تحركاتهم محدودة تحت المراقبة وعاشوا دائما فى خوف من انكشاف حقيقتهم والقتل على أيدى محققى محاكم التفتيش التى نصبت نفسها لحماية المسيحية . وفى بيرو عام ١٦٣٩ وفى المكسيك عام ١٦٤٩ أعدمت مجموعات كاملة من اليهود حرقاً واستمرت المحارق فى لشبونة حتى عام ١٧٦٠ .

وشقت مجموعات قليلة من يهود اسبانيا والبرتغال طريقها بصعوبة إلى أمستردام التى تدين بالمذهب البروتستانتى ولندن أيضاً حيث مارسوا العقيدة اليهودية فى أوائل القرن السابع عشر . ولكن هذه الممارسات كانت ذات شكل مختلف . واعتاد هؤلاء اليهود أن يعيشوا فى هذا المجتمع كأعضاء كاملين فيه ولم يحاولوا أن ينغلقوا على أنفسهم كما كان الأمر قبل محاكم التفتيش وأصبحت اليهودية ممارسة خاصة واختيارية .

ومع استمرار تدفق المهاجرين اليهود البرتغال إلى هولندا كانت هناك صعوبة أمام البعض لأن يتفقوا مع اليهودية المتفتحة فى أمستردام ، وفوجىء المستقرون بأن التعاليم الدينية تنتقل إليهم همساً وفوجئوا بسيل من التعليمات حول سلوكهم وغذائهم . ورفض البعض الاستجابة لتعليمات الحاخامات أمثال الفيلسوف باروخ دى سبينوزا وانشقوا عن اليهودية .

كانت أول مجموعة يهودية تصل إلى أمريكا الشمالية عبارة عن قارب قادم من البرازيل المستعمرة الهولندية وعلى متنه هؤلاء الذين فروا من جيوش البرتغال إلى ميناء نيو أوف أمستردام – مدينة نيويورك اليوم – فى عام ١٦٥٤ ثم حمولة قارب آخر من يهود البرتغال الذين وصلوا إلى لندن عام ١٧٣١ وذهبوا إلى مستعمرة جورجيا وحمولة قارب ثالث هارب من لشبونة عام ١٧٥٨ وشق طريقه مباشرة إلى رود آيلند .

ولم يكن يهود أمريكا الأوائل بحاجة لأن يؤسسوا مجتمعاً خاصاً بهم خارج المعبد . لقد جاءوا من مجتمعات كانت اليهودية فيها مسألة خاصة وشخصية ولذلك لم يحتاجوا إلا فى أحوال نادرة لأن يتحدثوا كجماعة واحدة إلى المجتمع الأكبر ولذلك كان من الطبيعى أن يطلبوا معاملتهم كأفراد .

كانت حياة الطائفة اليهودية تبدأ وتنتهى فى المعبد الذى يقيم الصلوات ويدفع مرتبا لجزار يهودى يقدم لحم الكوشير (الحلال) ويدير مدرسة يتعلم فيها التلاميذ الحساب واللغات الانجليزية والعبرية والاسبانية . وكان القائمون على شئون المعبد يتلون الصلوات ويعلمون الأطفال ويختنون المواليد الذكور . وحتى عام ١٨٤٠ لم يكن هناك حاخام واحد فى أمريكا الشمالية . ومن حين لآخر كان يجرى البحث عن شخص لا يلتزم بقواعد عطلة السبت الدينية كما كانت العادة فى أوربا لعقابه ولكن سرعان ما تخلى المهاجرون عن هذه العادة . فاليهودى ببساطة يستطيع أن ينسحب من عضوية المعبد . وفى وقت الثورة الأمريكية كان نصف اليهود من سكان المستعمرات وعددهم ألفان وخمسمائة لا ينتمون للمعابد .

ولم يكن لدى اليهود المهاجرين الكثير ليقولوه للمجتمع الأكبر . فعددهم لم يزد فى ذلك الوقت على واحد إلى ألف من التعداد . أى أنهم لم يكونوا أحد عناصر الحياة العامة الأمريكية . وكان هدف اليهود الأساسى هو أن يحصلوا على المساواة فى المعاملة .

● تحدى القانون ●

ومع هزيمة نابليون فى معركة ووتر لو عام ١٨١٥ ارتفع عدد يهود أمريكا حيث دفعت نتائج هذه المعركة الديمقراطيين الخائفين لعبور الأطلنطى . وكان هؤلاء هم أول موجة هجرة كبيرة تصل إلى أمريكا . وبعد فشل الثورة الديمقراطية فى ألمانيا عام ١٨٤٨ اندفع المزيد من المهاجرين إلى هناك ومن بينهم كانت هناك نسبة ضئيلة من اليهود . ولكن كان العدد يكفى لتأسيس طائفة يهودية . وقد تزايدت الطائفة اليهودية من ٤ آلاف عام ١٨٢٠ إلى ١٥ ألفاً عام ١٨٤٠ ثم ٥٠ ألفاً عام ١٨٥٠ ثم ١٥٠ ألفاً عام ١٨٦٠ .

وانتشر المهاجرون اليهود الألمان من شاطىء الأطلنطى وحتى كاليفورنيا وأصبح عدد المعابد غير كاف . وترك اليهود الألمان معابد السفارديم وأقاموا معابد جديدة للأشكناز يمارسون فيها طقوسهم وعاداتهم وانتشرت المعابد فى سينسناتى وسانت لويس ونيو أورليانز وسان فرانسيسكو .

واكتسحت موجة اليهود الألمان المعابد وصناديق الصدقات . وانتشرت الجمعيات الخيرية اليهودية . وفى عام ١٨٦٠ وفى نيويورك وحدها كانت هناك جمعية المعونة العبرية والجمعية الخيرية العبرية الألمانية ومستشفى اليهود وملجأن للأطفال.

ولكن كان اليهود الألمان هم أول من أحدثوا انشقاقا دينيا فى نهاية القرن، فقد بدأ اليهود فى مدن ألمانية عديدة يستجيبون لنغمة الحرية التى جلبها عصر التنوير والتى دعت المسيحيين لفتح أبواب الجيتو ودعت اليهود ليستجيبوا للتحديث والاصلاح ولذلك اصبحت الصلوات اقصر واصبحت الشعائر تؤدى باللغة الالمانية بدلا من العبرية والقراءات تؤدى فى تناغم بدلاً من الطريقة التقليدية غير المرتبة.

وفى عام ١٨٢٤ التمس اليهود فى ساوث كارولينا لدى المعبد ان يدخلوا نفس الإصلاحات الالمانية ولما رفض الالتماس هجروا ذلك المعبد القائم فى شارلستون وأسسوا الجمعية الاصلاحية لبنى اسرائيل فى عام ١٨٢٥ وخلال عشرين عاما فقط كان

نصف المعابد اليهودية الامريكية يسير على المدرج الاصلاحى ، وحاربهم التقليديون حرباً كلامية ساخنة مستمرة حتى يومنا هذا .

وأقام هؤلاء الاصلاحيون جماعات مستقلة لهم لاعمال الأخوة والخير، وكانت اولى هذه الجماعات هى بناى بريث اى (ابناء العهد) والتى تأسست فى نيويورك عام ١٨٤٣، وخلال عقد واحد كانت هناك العشرات من هذه الجمعيات وافتتحت بناى بريث فروعاً لها تقريباً فى كل مدينة يعيش فيها يهود واصبحت من الاصوات اليهودية الاكثر انتشارا فى امريكا .

كان الدفاع عن اليهود امراً اساسيا برغم الضمانات الدستورية المكفولة لهم، ولكن كان على اليهود ان يدافعوا عن انفسهم كأمريكيين ـ من ولاية الى اخرى – عن طريق تحدى القانون ورفع الدعاوى القضائية والدخول فى تحالفات وفى معظم الاوقات، كان الحزب الديمقراطى هو البطل بالنسبة لليهود، وارتبطوا على مضض بالكاثوليك الذين فرضت عليهم قيود كبيرة فى امريكا البروتستانتية .

فى عام ١٨٠٨ وقبل ان يبدأ نظام التعليم الحكومى اجبر اليهود والكاثوليك ولاية نيويورك على منحهم دعما ماليا مساويا لما تحصل عليه مدارس البروتستانت. وفى عام ١٨٢٥ قاد الكاثوليك فى مارى لاند المعركة المعروفة للدفاع عن حق اليهود فى ممارسة المحاماة والتقدم للمناصب الرسمية.

ولكن فى بعض الاوقات لم يكن اليهود انفسهم مترابطين او متحدين، ففى مدينة سينسناتى طالب الحاخام اسحق مائير وايز وهو اكبر مدافع عن الاصلاح اليهودى بإلغاء اجازة الاحد واعتبرها تحدياً للدستور، بينما القس اسحق ليزر فى فيلادلفيا وهو مدافع عن اليهود الارثوذكس أقر مبدأ الاخلاقيات التى تفرضها الولاية ولكنه ببساطة طلب اعفاء اليهود من هذه العطلة الاجبارية بعد ان عطلوا اعمالهم فى عطلة السبت الدينية.

وقد سار يهود كثيرون على نهج القس ليزر ولكن قضاة كثيرين رفضوا التماسات الاعفاء على اعتبار ان الكثير من اصحاب الاعمال اليهود لا يغلقون محالهم يوم السبت.

وقد دخل اليهود فى مجال العمل السياسى ورشح البعض انفسهم للمناصب فى مجلس المدينة والمجالس التشريعية بالولايات بل والكونجرس ايضا، ومع ذلك لم يعمل اليهود على تنظيم انفسهم فى تنظيمات يهودية خالصة خوفا من ان تستيقظ اسطورة المؤامرة اليهودية فى نفوس المسيحيين، وقالت مجموعة من يهود شارلستون فى التماس قدموه عام ١٨٣٢ «ليست لدينا النية او الرغبة فى ان يكون لنا تمثيل كطائفة خاصة قائمة بذاتها»، وذلك عندما رشح احد اليهود نفسه لمجلس المدينة وهنا اشتعلت الشائعات بأن اليهود يخططون للتأثير على نتائج الانتخابات.

كان اول سياسى يهودى يجعل من ديانته موضوعاً علنيا هو موردخاى مانويل نواه من نيويورك، ففى العقود الاولى للجمهورية كان نواه شخصية يهودية قيادية لانه كان يعلن عن ديانته بشكل مستمر وعن تحديه للعالم الذى يقف ضده.

ولد «نواه» فى فيلادلفيا عام ١٧٨٥ وفى شبابه اصبح من الديمقراطيين وحصل على رتبة ميجور فى ميلشيات بنسلفانيا ثم قدم لوزارة الخارجية طلبا للعمل كدبلوماسى وحصل بالفعل على هذه الوظيفة عام ١٨١٣، وذهب الى تونس فى منصب القنصل الامريكى وكانت تونس نقطة عمل ساخنة على شاطىء المتوسط حيث خاضت امريكا اول حرب خارجية لها وقد نجح نواه فى اطلاق سراح بعض اسرى الحرب الامريكيين ولكنه استدعى الى بلاده بشكل مفاجىء فى عام ١٨١٥، وقال له وزير الخارجية آنذاك جيمس مونرو «إن العقيدة التى تعتنقها كانت عقبة دبلوماسية امام عملك فى مجتمع اسلامى».

استقر نواه بعد ذلك فى نيويورك وعمل فى عدة صحف وكتب مسرحيات قليلة ثم عمل كمأمور بالشرطة ومفتش بالميناء ثم قاض، وحاول ان يؤسس دولة يهودية فى جزيرة عند شلالات نياجرا، وبالفعل وضع حجر الاساس فى احتفال واستعراض بالقرب من (بافلو) عام ١٨٢٥ ولكن لم يحدث ان تحرك اليهود الى هناك تحت قيادة نواه الذى اطلق على نفسه اسم (حاكم وقاضى اسرائيل).

واصبح نواه من رموز اليهود المهمة وكان دائم الحديث ضد التعصب الدينى ودعا الى توطين اليهود فى فلسطين وطلب من الرئيسين السابقين آدامز وجيفرسون ان يدعما فكرته قبل ان تظهر الافكار الصهيونية بوقت طويل، وعندما ارادت الطوائف اليهودية

الاوربية الاتصال بيهود امريكا كانت الخطابات ترسل باسم الميجور نواه فى نيويورك، وعندما اصبح رئيساً للجمعية الخيرية العبرية فى عام ١٨٤٢ انهالت التبرعات بصورة كبيرة حتى ان حاكم الولاية تبرع بمائة دولار للجمعية ولكن بعد فترة انسحب اليهود الالمان من الجمعية وأسسوا الجمعية الخيرية الالمانية العبرية حيث وجدوا التعامل مع الميجور نواه مسألة صعبة للغاية.

لم يكن ولاء اليهود للحزب الديمقراطى يعنى انهم قد اصبحوا ليبراليين، ففى القرن التاسع عشر التزم اليهود الصمت تجاه قضيتين اجتماعيتين شائكتين وهما العبودية والهجرة.

جاء اليهود انفسهم الى امريكا مهاجرين ولكن النقاش كان يدور حول الكاثوليكية التى اصبحت ظاهرة فى المجتمع بسبب هجرة الكاثوليك الالمان والايرلنديين الى امريكا فى الاربعينات من القرن التاسع عشر، ولم يكن لدى اليهود الاستعداد النفسى للدفاع عن الكنيسة التى طالما اضطهدت اليهود فى اوربا.

وبالنسبة للعبودية حاولت احدى الجماعات المناهضة لها ان تقيم علاقات مع اليهود وتحصل على تأييدهم من منطلق خبرتهم البعيدة والتى يمكن ان تسبب تعاطف اليهود مع القضية ، ولكن هذا لم يحدث ، لان هذه الجماعة لم تعرف الى من توجه الحديث، ففى ذلك الوقت لم تكن هناك منظمات يهودية تمثل وجهة النظر العامة لليهود. كما ان الصحيفتين الشهريتين اللتين يصدرهما اليهود لم تتطرقا لأية موضوعات غير متصلة بأمور الدين. كان رئيس تحرير احدى هاتين الصحيفتين هو الحاخام الارثوذكسى اسحق ليزر وقد رأى ان العبودية ليست من اهتمامات الطائفة اليهودية ، أما رئيس تحرير الصحيفة الاخرى وهو زعيم الاصلاح مائير وايز فقد كان معارضاً لالغاء العبودية.

ولكن بعض اليهود الافراد تولوا الدفاع عن الغاء العبودية فحقق بعضهم الشهرة وانقلب الامر على رؤوس الآخرين.

نشأت اول وكالة يهودية للدفاع فى عام ١٨٥٩ عندما اجتمع مندوبون عن المعابد اليهودية الاربعة والعشرين من ١٤ مدينة امريكية فى نيويورك ، وشكل هؤلاء «الهيئة الموسعة لممثلى يهود امريكا»، وكانت هذه الهيئة تقليداً صريحاً لهيئة اخرى شكلها يهود بريطانيا فى لندن منذ قرن كامل من الزمن.

وقد اذهلت الهيئة البريطانية العالم فى عام ١٨٤٠ عندما نجحت فى اجبار حكام سوريا على إطلاق سراح قرابة اثنى عشر يهوديا اعتقلوا فى فبراير بتهمة قتل صبى مسيحى واستعمال دمه فى صنع الخبز، حيث قام رئيس الهيئة سير موسيس مونتفيور- رجل البر وزوج احدى بنات عائلة روتشيلد الشهيرة فى مجال البنوك - بشن حملة دولية لتحرير هؤلاء اليهود المساجين ونجح فى تنظيم مسيرات احتجاج يهودية فى كل انحاء القارة الاوربية واستخدم كل علاقاته مع رجال الاعمال والحكومة الانجليزية واستغل الصراعات الاستعمارية بين الدول الاوربية.. وبعد وقت من بدء الحملة كانت كل دول اوربا تضغط من اجل اطلاق سراح المساجين. وفى هذه الواقعة قال رئيس وزراء فرنسا امام برلمان بلاده - وفرنسا هى الدولة الراعية لسوريا - ان اليهود لديهم قوة اكبر كثيرا مما يتصورون.

وعلى النقيض من ذلك قضى يهود امريكا شهورا فى الجدل حول تنظيم المسيرات من عدمه ومكان تنظيمها. وفى نهاية الامر استقر الرأى على تنظيم اجتماع فى ١٧ اغسطس ١٨٤٠ فى مدينة نيويورك لدعوة الحكومة الامريكية لمساعدة يهود سوريا، ولكن فى واقع الامر ان الخارجية الامريكية كانت قد بدأت فى التحرك قبل احتجاج اليهود بثلاثة ايام بناء على دعوة من مونتفيور.

هذا الحرج الذى شعر به يهود امريكا عزز الدعوة لانشاء مجمع كنسى لهم، كان هناك عشرات قليلة من المعابد اليهودية وعدد اقل من الحاخامات واستغرق تأسيس هذا المجمع عشرين عاماً، وبرز فيه وجهان هما الحاخام الاصلاحى ذو الكلام المنمق المؤثر وايز ومنافسه الرئيسى الحاخام المتشدد اسحق ليزر، وكان لدى كل منهما شكوك فى نوايا الآخر ورغبته فى الاستئثار بقيادة المجمع ولذلك عمل كل منهما على تفويت الفرصة على منافسه.

وبينما الاثنان مشغولان فى صراعاتهما وتحت الاحداث المهينة لليهود الواحد تلو الآخر، فى عام ١٨٥٠ وقعت الولايات المتحدة وسويسرا اتفاقية صداقة تكفل حماية مواطنى كل دولة منهما على أرض الدولة الاخرى، وكان الاستثناء الوحيد من ذلك هم يهود امريكا الذين حظر عليهم دخول عدد من الكانتونات السويسرية، احتج يهود امريكا لأن حكومتهم بشكل رسمى ترفض حمايتهم ، وبعد أربعة ايام من الاحتجاج راجع

البيت الابيض، الاتفاقية ليسقطوا منها ذكر كلمة «اليهود»، واعيدت كتابة الاتفاقية لتكفل الحماية للجميع إلا عندما تتعارض هذه المساواة مع قوانين الدولة الاخرى او أحد الكانتونات. فى ذلك الوقت كانت القوانين السويسرية معادية لليهود بنفس درجة معاداة قوانين ساوث كارولينا للسود، ولكن مجلس الشيوخ صدق على الاتفاقية عام ١٨٥٤.

وفى عام ١٨٥٨ جاءت الانباء من سويسرا تفيد بطرد يهودى امريكى من هناك، ودعا الحاخام وايز الى احتجاجات على مستوى الدولة الامريكية، وفعلا خرجت المسيرات فى عشرات المدن الامريكية ومن كل مسيرة تم اختيار مندوبين لحضور الجمعية العامة اليهودية فى بالتيمور فى شهر اكتوبر، وقاد وايز فريقاً من اربعة مندوبين لحضور لقاء فى واشنطن مع الرئيس الديمقراطي جيمس بوكانان فى البيت الابيض، وقد سمع الحاضرون كلمات تعاطف غامضة من الرئيس وخرجوا ليعلنوا انتصارهم ولكن الاتفاقية الموقعة لم تتغير.

كما حدث فى نفس الوقت ان اشتعلت ازمة دولية اخرى بسبب طفل يهودى ايطالى من مدينة بولونيا. الطفل عمره سبع سنوات وهو ادجاردو مورتارا الذى انتزعه البوليس البابوى من اسرته قسرا وأخذه الى ملجأ حيث تم تعميده سرا على ايدى ممرضة.

الآن وقد اصبح الطفل مسيحيا لا يمكن تنشئته على الدين اليهودى من الناحية القانونية، ومرة اخرى نظمت الهيئة البريطانية حملة للدفاع عن الطفل وتحرك يهود امريكا سريعا فى ١٨ مدينة امريكية، وجاء التأييد من القساوسة البروتستانت ايضا وعشرات الصحف والحزب الجمهورى الحزب المعادى للكاثوليك، ولكن الرئيس بوكانان رفض التحرك هذه المرة.. فاليهود حينئذ كان لهم قرابة خمسين الف صوت انتخابى اما الكاثوليك فكان لهم مليون صوت، كذلك فقد قال بوكانان للحاخام وايز فى اجتماع بالبيت الابيض عام ١٨٥٩ انه إذا وقفت امريكا محايدة فى قضية اخلاقية واضحة كهذه فإنها بذلك ستعلم العالم ان يقف على الحياد ازاء قضايا امريكية داخلية - ويقصد العبودية - فانتهى الامر حيث يعارض وايز الغاء العبودية.

أما الطفل مورتارا فقد نشأ على المسيحية واصبح قسا فيما بعد.

وقد حققت الهيئة الموسعة ليهود امريكا وجودها بعد ظهور جيل جديد اصغر سناً، اطاح بالحاخامين وايز وليزر جانبا، كما تركوا الموضوعات الدينية وركزوا الاهتمام

على قضايا الحريات المدنية لليهود ونجحوا بالفعل بسبب الجهود الكبيرة التى بذلها المحامى سيمون وولف ممثل الهيئة فى واشنطن.

● عنصر التوقيت ●

كان سيمون وولف شعلة من النشاط يتحرك فى كل الجبهات فى آن واحد. عندما بدأ جيش الوحدة يقبل المجندين فى عام ١٨٦١ من رجال الكنيسة استصدر وولف امراً بضم الحاخامات ايضا، وعندما اعد الكونجرس لاجراء تعديل دستورى لاعلان امريكا كدولة مسيحية اتصل وولف بعدد من شيوخ المجلس واوقفوا هذا التعديل، وعندما اصدر الجنرال يوليسيس جرانت اوامره عام ١٨٦٢ بطرد اليهود من ولايات الحدود حتى لا يعملوا فى التهريب.. قاد وولف مجموعة منهم للقاء الرئيس لينكولن الذى ألغى اوامر الجنرال على الفور واعاد اليهود الى منازلهم.

كما نجحت الهيئة فى قيادة حملة تبرعات لمساعدة اليهود فى الخارج وجمعت ٢٠ ألف دولار لمساعدة يهود المغرب و١٥ ألف دولار لمساعدة مرضى الكوليرا اليهود فى فلسطين.

وعندما اشتعلت مظاهرات معاداة السامية فى رومانيا بموافقة السلطة فرضت الهيئة هذا الموضوع على اجندة عمل مجلس الشيوخ وحثت الجنرال يوليسيس جرانت - الذى اصبح رئيساً للدولة - ليرسل محامياً يهودياً الى رومانيا فى منصب القنصل العام الامريكى، وكان مرتب القنصل العام فى رومانيا يدفعه مجموعة من اثرياء اليهود فى نيويورك، هذا الدبلوماسى هو بنجامين فرانكلين بيكسوتو الرئيس السابق لجماعة بناى بريث وأول مهمة له كانت توصيل رسالة من الرئيس جرانت لأمير بوخارست يطلب فيها من رومانيا معاملة مواطنيها على قدم المساواة احتذاء بالنموذج الأمريكى.

وبالفعل توقفت مذابح اليهود فى رومانيا على الفور ولمدة خمس سنوات هى مدة بقاء بيكسوتو هناك.

ولكن لماذا نجحت الهيئة الآن فيما فشلت فيه تجمعات يهودية اخرى من قبل؟ يرجع هذا النجاح لأهمية عنصر التوقيت، حيث ظهر الحزب الجمهورى كحزب جديد يسعى

لاقامة تحالفات انتخابية ولجذب اصوات اليهود من الحزب الديمقراطى المنافس، وقد عرض الرئيس الجمهورى يوليسيس جرانت على احد سماسرة نيويورك المشاهير، چوزيف سليمان ، منصب وزير الخزانة ولكنه رفض وان كان قد استمر كمتبرع مخلص للحزب الجمهورى، واستمر بعد ذلك التعاون بين الادارات الجمهورية ويهود أمريكا، كذلك فى هذا الوقت كان اليهود على استعداد لأن يرفعوا صوتهم حيث تحولوا خلال جيل واحد من مهاجرين إلى مواطنين مستقرين . وأصبح المهاجرون الالمان هم أمراء التجارة الامريكية فى السبعينات من القرن التاسع عشر. وارتبط اثرياء اليهود فى شبكة محكمة من علاقات العمل والزواج والحياة الاجتماعية والنوادى والمدارس والمعابد الفخمة، ولمعت اسماء يهودية عديدة فى ذلك الحين مثل چوزيف سليمان واشقائه ، ورجل التعدين والمناجم مائير جوجنهايم والاخوين ناثان وإيزيدور شتراوس تاجرى التجزئة ورجل البنوك والاستثمار جاكوب شيف، كل هؤلاء اصبحوا من صفوة رجال الاعمال فى امريكا.

وبرغم هذا النجاح لم تستمر هذه الهيئة طويلاً، حيث وافقت فى عام ١٨٧٨- اى بعد ١٩ عاماً فقط - على أن تتخذ شكلاً جديداً بدعوة من الحاخام اسحق مائير وايز، هذا الشكل اطلق عليه اسم (اتحاد الرعايا اليهود الأمريكيين). فقد كان الحاخام الاصلاحى وايز لايزال يأمل فى تحقيق فكرته بتأسيس مجمع كنسى خاصة بعد وفاة منافسه الوحيد الحاخام اسحق ليزر عام ١٨٦٨، وسعى وايز لضم حاخامات التيار المحافظ إلى تياره الاصلاحى، واجتمع الاتحاد لأول مرة عام ١٨٧٣ فى مدينة سينسناتى واتسع نطاقه ليشمل مائة كنيس ، اى حوالى نصف عدد المعابد اليهودية، وأسس الاتحاد اول كلية لتخريج علماء الدين ووضع الخطط لعقد اجتماع مركزى لحاخامات اليهود.

استمر الاتحاد لمدة عشر سنوات كأكبر هيئة ممثلة ليهود امريكا حتى انسحب الحاخامات المحافظون بسبب زيادة هيمنة الاصلاحيين على الاتحاد . دب الخلاف بين الطرفين فى حفل عشاء اقيم بمناسبة تخريج اول دفعة من علماء الدين وعلى مائدة العشاء لمح المحافظون وجود الجمبرى بين اطباق المشهيات فى حين أن الجمبرى من الأطعمة المحظورة فى الكتاب المقدس. وبرغم مرور المسألة وقتها إلا انه بعد عامين اجتمع حاخامات الاصلاحيين فى بيتسبرج واعلنوا بوضوح ان قوانين الكتاب المقدس

حول الطعام وعطلة السبت لا يمكن الأخذ بها حرفيا الآن، بعد ان اصبحت اليهودية عقيدة عالمية ولم تعد مجرد شعب في المنفى وان استعادة القدس مسألة مجازية ، فقد كان الاصلاحيون يطلقون على معابدهم مجازاً اسم الهيكل وهنا انسحب المحافظون الى غير رجعة.

ثم قام المتشددون بعد ذلك بالتجمع مرة اخرى في نيويورك واسسوا (الندوة الدينية اليهودية) وقدموا تعليما دينياً محافظا. ثم اسس المحافظون خلال عدة سنوات (مجلس حاخامات اتحاد المعابد اليهودية بأمريكيا).

إذن لقد اصبح لليهود في امريكا تياران رسميان: الاصلاحيون والمحافظون، ومع مجيء المهاجرين الروس وجدوا ان المحافظين قد تشبعوا بالأجواء الامريكية بدرجة كبيرة ولذلك أسسوا التيار الارثوذكسي المتشدد.

كان للأعداد الكبيرة من المهاجرين الروس الذين وصلوا للولايات المتحدة أثر كبير في الطائفة اليهودية بها .

وقد بدأ هذا التيار المتدفق من المهاجرين في الوصول الى امريكا في عام ١٨٨١ بعد اغتيال القيصر ألكسندر الثاني على يد أحد الثائرين مما اشعل ثورة معادية ضد اليهود في أنحاء روسيا، وعلى مدى اربعة عقود من الزمان هرب اليهود الروس بأعداد كبيرة من اضطهاد روسيا القيصرية، وبنهاية الطوفان اليهودي الروسي بسبب صدور قرار من الكونجرس في عام ١٩٢٤ كان عدد اليهود الروس في امريكا قد وصل الى مليونين وكانت بذلك اكبر حركة هجرة عرفها تاريخ اليهود.

ولعل وجود ٥ ملايين يهودي في روسيا كان من قبيل المصادفة . فقد كانت أسرة رومانوف المسيحية المتشددة لا تسمح بوجود أي يهودي على أرض روسيا ولكن في أعوام ١٧٩٣ و ١٧٩٥ ضمت روسيا اجزاء من بولندا التي كان يعيش بها اعداد كبيرة من اليهود، وعلى مدى القرون التالية حاول قياصرة روسيا استيعاب اليهود أو التخلص منهم عن طريق التفرقة العنصرية ضدهم او فرض الاندماج الاجباري عليهم في المجتمع الروسي او الاضطهاد والعنف.. وعندما تولى القيصر ألكسندر الثالث العرش في ١٨٨١ تبنى نظاما ثلاثيا للخلاص من اليهود عن طريق اجبارهم على اعتناق المسيحية والهجرة الاجبارية والتجويع، ولذلك عبر اليهود حدود روسيا وفروا إلى الخارج.

وقد أزعج هذا الوجود الروسى الكثيف اليهود الألمان الذين استقروا فى الولايات المتحدة وعددهم ربع مليون فقط.. لقد قضى هؤلاء نصف قرن بالكامل يبنون مجتمعهم الجديد فى صورة الطبقة الوسطى والجيران الطيبين.

أما يهود روسيا فكانوا يتميزون بالفقر الشديد وغرابة الملابس واللغة والرائحة ايضا، كما كانوا راديكاليين سياسيا بسبب كراهيتهم لنظام حكم القياصرة.. ومعظم زعمائهم كانوا إما ثوريين اشتراكيين او صهاينة قوميين لديهم افكارهم الرومانسية التى تطمح إلى نقل يهود العالم إلى فلسطين القديمة.

وحذر الحاخام وايز من استمرار تدفق المهاجرين الروس باعتبارهم خطراً على السمعة اليهودية الطيبة. ولكن هذا الخطر قد بدأ بالفعل، فقد كتبت جريدة نيويورك تريبيون عام ١٨٨٢ أن المهاجرين اليهود بأحوالهم «الرثة» قد جعلوا حدائق المدينة غير قابلة للارتياد . وفى ١٩٠٨ قام قائد شرطة نيويورك المفتش تيودور بينجهام بكتابة مقالة مطولة فى مجلة أدبية مرموقة ذكر فيها ان اليهود قد بلغ تعدادهم ربع سكان المدينة وانهم مسئولون عن نصف عدد الجرائم التى تقع فيها وقال ان هذا يرتبط بالعرق الذى ينحدرون منه.

ومن مزيج اليهود الالمان القدامى واليهود الروس القادمين الجدد نشأت المؤسسات اليهودية الأولى وما بينها من تنافس وشكلوا سياسة اليهود حتى يومنا هذا.

بدأ الامر بالجمعيات الخيرية والتى تزايدت يوما بعد يوم وقد أسسها اليهود الالمان ليساعدوا سكان الجيتو الفقراء ثم بدأ الصراع بين هذه الجمعيات على جيوب المتبرعين، وأدى صراع نساء اليهود الالمان للتطوع والتسابق على خدمة سكان الجيتو الى قيام المجلس القومى لنساء اليهود فى عام ١٨٩٣. وفى مدينة بوسطن قرر زعماء اليهود ان يدمجوا اجباريا كل الجمعيات الخيرية المحلية فى اتحاد واحد يتولى حملات جمع التبرعات. وبمرور عشر سنوات كان هناك اتحاد مماثل فى كل مدينة بها طائفة يهودية كبيرة، واشرفت هذه الاتحادات على مطاعم الفقراء واسكانهم والاشراف على عيادات السل.

وفى أحياء اليهود المهاجرين (الجيتو) أسس المتطرفون عشرات الاحزاب السياسية الصغيرة والتى تدافع عن مآسى المهاجرين وتقاوم التآمر عليهم. وكان لكل من هذه

الاحزاب خطة مستحيلة التنفيذ لانها تنشد خلق عالم مثالى وكلها اما احزاب اشتراكية أو صهيونية . وعشية الحرب العالمية الأولى كانت اصوات الجيتو البارزة للصهاينة يقودهم محام من بوسطن هو لويس د. براندايس أما الاشتراكيون فقد عبروا عن انفسهم بجريدة اسمها (فوروارد) (Forward) تصدر فى نيويورك باللهجة (اليديشية) وهى لهجة ألمانية تكثر بها كلمات عبرية وتكتب بحروف عبرية ايضا، والتى يتكلم بها اليهود الروس.

على الصعيد السياسى كانت أهم المؤسسات التى ظهرت على أيدى المهاجرين الروس ومن تبعهم من الامريكيين مؤسسات (الثلاث الكبار) وهى منظمات للحقوق المدنية . هذه المؤسسات الثلاث هى : لجنة يهود أمريكا والمؤتمر اليهودى الامريكى ولجنة مكافحة تشويه صورة اليهود التابعة (لبناى بريث).

كانت لجنة يهود امريكا هى الاولى حيث تأسست عام ١٩٠٦ على أيدى زعماء صفوة اليهود الالمان وسعوا للضغط على روسيا من أجل الاصلاح ووقف تيار معاداة السامية المتصاعد هناك، وقد ضمت اللجنة نخبة من المحامين ورجال الاعمال والحاخامات فى نيويورك ، ودعا هؤلاء مجموعة من اليهود الروس وزعماء بناى بريث واتحاد الرعايا اليهود الامريكيين ومن بينهم سيمون وولف لدراسة فكرة اجراء انتخابات ديمقراطية بين اليهود فى انحاء الدولة ولكن الفكرة رفضت خوفا من ان يفوز الراديكاليون بهذه الانتخابات ، وانتهى الاجتماع بتأسيس اللجنة اليهودية الامريكية ووضع برنامج طموح للضغط السياسى والابحاث والديبلوماسية لتحسين اوضاع يهود اوربا ومواجهة الاخطار التى تهدد يهود الداخل الامريكى.

وحازت اللجنة قبولا فوريا فى واشنطن واوربا كصوت مفوض للحديث باسم اليهود. ومن اعضاء اللجنة اختار الرئيس روزفلت المحامى اوسكار شتراوس وزيراً للعمل والتجارة وهو اول يهودى يخدم فى ادارة امريكية، وقال الرئيس روزفلت لوزيره اليهودى انه يريد ان يوضح لروسيا والعالم كيف يفكر الامريكيون تجاه اليهود فى بلادهم، وقد كانت وزارة العمل هى المختصة بشئون مكتب الهجرة.

وقد سعت اللجنة للضغط على نظام الحكم القيصرى فى روسيا لتحسين اوضاع اليهود ووقف السياسات المعادية للسامية حتى ينحسر طوفان المهاجرين الى الولايات

المتحدة، وقد اقنع عدد من رجال الاعمال فى نيويورك جريدة نيويورك تايمز بإرسال محقق صحفى الى موسكو للكتابة عن اوضاع اليهود، واثارت التحقيقات التى نشرتها الجريدة ضجة واسعة فى انحاء امريكا، ولكن لم يؤثر هذا على مجريات الامور فى موسكو . وفى ذروة الحرب الروسية ـ اليابانية عام ١٩١٤ قام المستثمر اليهودى جاكوب شيف بضمان السندات اليابانية اثناء الحرب فى السوق المالى وارتفعت قيمة السندات وكسبت اليابان الحرب فحصل جاكوب شيف على لقب فارس من امبراطور اليابان ولكن هذا لم يؤثر على قيصر روسيا.

وفى اكبر استعراض لقوة اللجنة اقنعت اللجنة مجلس الشيوخ بالكونجرس بوقف العمل باتفاقية تجارية امريكية روسية ترجع الى عام ١٨٣٢.

ومع ذلك لم تتغير القوانين الروسية المعادية للسامية بل امتدت لتشمل يهود روسيا ومعهم ايضا الزائرون من يهود امريكا، ومن هنا جاءت الفرصة لاقناع الكونجرس بوقف العمل بالاتفاقية القديمة.

داخل الجيتو سيطر شعور بالازدراء تجاه هذه الصفوة التى نصبت نفسها للحديث باسم اليهود، وطالب المهاجرون بانتخاب هيئة ليهود امريكا.

وبدأت فعلا الحملة من اجل انتخاب ممثلين لليهود فى امريكا فى اطار حملات مشابهة جرت فى انحاء العالم فى الامبراطوريات القديمة من بولندا الى الهند والى جنوب افريقيا.. وتزعم الصهاينة هذه الحملة وانضم اليهم الاشتراكيون ايضا وتجددت مخاوف الصفوة اليهودية من فوز الراديكاليين بهذه الانتخابات.

وكان مسعى هذه الحملة الانتخابية هو ارسال وفد يهودى لمؤتمر السلام الدولى والذى كان مقررا انعقاده فى باريس لاعادة تقسيم العالم بعد الحرب العالمية الاولى.

واتهمت لجنة يهود امريكا هذه الجهود الجديدة بأنها محاولة لخلق دولة داخل الدولة، ولكن امام اصرار لويس براندايس وافق اخيرا رئيس بناى بريث على الاشتراك فى انتخابات المؤتمر اليهودى العالمى على اساس ان ينعقد هذا المؤتمر مرة واحدة فقط لاختيار الفريق المشارك فى مؤتمر السلام الدولى فى باريس ثم ينحل بعدها وإلى الابد وتم اختيار ممثلى اليهود فى اقتراع استمر ثلاثة ايام فى مايو ١٩١٧ واقيمت مراكز الاقتراع فى الاحياء اليهودية فى كل انحاء امريكا، وانعقد

المؤتمر اليهودى الامريكى فى اواخر عام ١٩١٨ وسافر الوفد الى باريس ثم انحل المؤتمر حتى عام ١٩٢٢ . فى ذلك العام انعقد المؤتمر مرة اخرى بقيادة الحاخام ستيفن وايز (لا علاقة له باسحق وايز) وهو من اتباع براندايس واتخذ الحاخام من المؤتمر منصة يعبر منها عن افكاره وهى خليط من القومية اليهودية والليبرالية.

كما قامت الوكالة الثالثة للدفاع وهى لجنة مكافحة تشويه صورة اليهود التابعة لبناى بريث على اساس من الافكار الشخصية ايضا لرجل واحد هو محام من مواليد ألمانيا هو سيجموند ليفينجستون بولاية آلينوى.

ومثل معظم يهود امريكا ذوى الاصول الالمانية كان ليفينجستون مستاء من الصورة النمطية لليهود المهاجرين والتى تظهر فى وسائل الاعلام والنكات الساخرة وتحليل جرائم اليهود، وأراد ليفينجستون ان يواجه التيار المعادى للسامية . وبالنسبة له كان التعصب الدينى ليس وليداً للظروف المحيطة وانما هو خطأ قبيح.

وطلب المحامى من جماعة بناى بريث فى عام ١٩٠٨ ان يرأس لجنة الدعاية بالجماعة ومن منصبه الجديد بدأ فى كتابة الخطابات وحث وسائل الاعلام على عدم ذكر ديانة المتهمين فى جرائم، واتصل بالاستديوهات السينمائية ودوائر الكتاب والمثقفين لعدم عرض صورة ساخرة لليهود فى اعمالهم وطلب من المدارس الثانوية عدم تدريس رواية شيكسبير (تاجر البندقية).

وانتشرت دعوة ليفينجستون بسرعة فى كل فروع بناى بريث بأنحاء امريكا، وفى ١٩١٣ دعت قيادة بناى بريث لرئاسة مكتب قومى للجنة مكافحة تشويه الصورة وتنوعت انشطة الجماعة من كتابة الخطابات الى طبع الكتيبات واعلانات الجرائد.. والهدف هو ان يعلم كل الامريكيين ان اليهود مواطنون مثلهم تماماً.

خلال الثلاثينات كانت معاداة السامية حركة جماهيرية منظمة وارسلت لجنة مكافحة تشوية الصورة فرقا لجمع المعلومات حول الجماعات المعادية لليهود واستأجرت محققين ليتغلغلوا داخل الخلايا الفاشية وجمع المعلومات لتوصيلها الى جهاز المباحث الفيدرالية ووسائل الاعلام.

وفى عام ١٩٢١ ثم فى عام ١٩٢٤ صوت الكونجرس بالموافقة على الحد من الهجرة على اسس عرقية وكان هذا يعنى وقف هجرة اليهود، وفى اوربا كانت الفاشية آخذة فى التصاعد وجذبت اتباعا اقوياء لها من الولايات المتحدة.

وفى المقابل تزايد نشاط وكالات الدفاع الثلاث وزاد عدد العاملين بها وافتتحت مكاتب اقليمية للوكالات وسعت لجمع المزيد من التمويل من الاتحادات اليهودية الاجتماعية ولكن قادة هذه الاتحادات ضاقوا بالطلبات المالية المتزايدة لوكالات الدفاع ولكنهم لم يستطيعوا رفضها، وعرفت وكالات الدفاع كيفية ضم متبرعين اثرياء للاتحادات الاجتماعية وعبرها تحصل على التمويل اللازم لها.

وفى ١٩٣٨ عرفت الاتحادات الطريق لوقف ابتزاز وكالات الدفاع لها وذلك عن طريق مجلس الإتحادات اليهودية والصناديق الاجتماعية الذى اشتركت فيه الاتحادات ووكالات الدفاع ولجنة العمل اليهودية واتحادات الخياطين اليهود وكان المطلوب من الجميع أن يوحدوا قواهم وأعمالهم، ولكن المجلس اليهودى العام كان مخيبا للآمال حيث جاء مجلساً ضعيفاً يلتقى أعضاؤه بانتظام لتبادل وجهات النظر والسباب أيضاً.

ثم فى عام ١٩٤٤ حاولت الاتحادات مرة أخرى أن توقف هذه الصراعات فتم إلغاء المجلس اليهودى العام وأعيد تنظيم الوكالات فى المجلس الإستشارى لعلاقات اليهود القومية (ناكراك). جاء المجلس الجديد أفضل تنظيماً وكان له طاقم خاص بالعمل وميزانية مستقلة وبعد وقت قصير وبعد انضمام كل لجان علاقات الطائفة إلى ناكراك أصبح هذا المجلس مثل منظمة الأمم المتحدة فاحتفظت الوكالات القومية بحق الفيتو لاظهار قوتها ونفوذها بالمجلس وكثيراً ما كان الخلاف يتصاعد بين أصحاب حق الفيتو والآخرين.

وقد تجمعت كل الجهود ـ التى سبق وان تعثرت ـ عشية اندلاع الحرب العالمية الاولى، ومع اشتعال العداوات فى اوربا فى اغسطس ١٩١٤ تعرض اليهود فى شرق أوربا لمآس قاسية حيث عاش الملايين منهم ـ أكبر جالية يهودية فى العالم ـ تحت فكى الجيوش المتحاربة على الجبهة الشرقية من اوربا، فى بولندا وغرب روسيا وشرق النمسا، ومن لم تصب منازلهم بالدمار تحت قصف المدفعية قتلوا بأيدى المدنيين ، هذا بخلاف الآلاف من اليهود الذين ماتوا بفعل الجوع والمرض.

عندما وصلت هذه الانباء الى نيويورك فى اكتوبر ١٩١٤ اجتمع يهود أرثوذكس وشكلوا اللجنة المركزية لغوث اليهود من ويلات الحرب، وخلال ثلاثة اسابيع ارسلوا ممثلين لهم لحضور لقاء نظمته لجنة يهود امريكا، وفى هذا الاجتماع جرى تشكيل

جماعة جديدة سيطرت عليها لجنة يهود امريكا التى يرأسها لويس مارشال، وسميت الجماعة الجديدة باسم اللجنة الامريكية لغوث اليهود.

وافق اليهود على الاشتراك فى اعمال اللجنة الاخيرة، وقامت اللجنتان بتنسيق جهود جمع التبرعات وتوزيعها فى اوربا، ثم تأسست لجنة اخرى لتتولى عملية توزيع التبرعات تحت اسم «لجنة التوزيع المشتركة» ورأس هذه اللجنة چاكوب شيف زوج ابنة رجل البنوك فليكس وربورج.

كانت البداية ناجحة تماما حيث انهالت التبرعات ووصلت الى مليون دولار دفع شيف وحده مائة الف دولار ودفع كل من سيزر روباك وچوليوس روزنفالد مبالغ مماثلة ، ثم تبرع روزنفالد بعد عدة شهور بمليون دولار ثم مليون آخر، وتراكمت الملايين من مجموع التبرعات الصغيرة من العاملين فى صناعة الازياء ، خاصة بعد ان كون الاشتراكيون اللجنة الشعبية للاغاثة فأصبحت اللجان الثلاث تعمل فى جمع التبرعات، وبنهاية الحرب العالمية الاولى وصل اجمالى حجم التبرعات الى ١٦ مليون دولار أى ما يوازى التبرعات التى يجمعها الصليب الأحمر الأمريكى . ومن خلال شبكة واسعة تم توزيع المعونات عبر اوربا بعضها عن طريق الوكالات اليهودية الالمانية او النمساوية وبعضها عن طريق وكالات مشتركة، وعندما اتخذ الاتراك العثمانيون سلسلة من الاجراءات القمعية ضد يهود فلسطين قامت وكالة مشتركة بإرسال ١,٥ مليون دولار - نقوداً سائلة - وحمولتى مركبين من الطعام ليهود فلسطين.

واستمر هذا العمل لما بعد الحرب ، فقد كان فى بولندا مليون يهودى مشرد وفى روسيا واوكرانيا خلفت الثورة والحرب الاهلية والمجاعة ٢٠٠ ألف قتيل يهودى، وكانت هذه هى اسوأ كارثة حلت باليهود حتى ذلك الحين . ثم اصبحت لجنة التوزيع المشتركة وكالة دائمة لها ممثلون ومجلس ادارة ، وأدارت الحملات القومية لجمع التبرعات سنويا وعملت عن قرب مع الاتحادات اليهودية المحلية حتى لا تحدث منافسة بينها. وفى عام ١٩٣٥ اجبرت الاتحادات كلا من الصهاينة ولجنة التوزيع المشتركة على تجميع جهودهما فى مجال جمع التبرعات باسم تحالف النداء اليهودى ، ولكن هذا التحالف قد انهار حتى قبل ان يبدأ تحت وطأة الخلافات والصراعات ولكن بعد ثلاث سنوات وارتفاع المد النازى الخطير تكررت المحاولة ونجحت تحت اسم اتحاد النداء اليهودى

للاغاثة فى الخارج، واستمر الاتحاد صامداً لمدة عام واحد ثم انسحب منه الصهاينة الذين ارادوا الاستقلال بتبرعات اتباعهم وكانت تمثل نصف حجم التبرعات الاجمالية. وعلى اية حال فقد عاد الصهاينة زاحفين عام ١٩٤٠ بعد ان لم يوفقوا فى مهمتهم.

وبعد الحرب العالمية الثانية تصدرت اللجنة المشتركة اعمال الاغاثة والايواء واعادة توطين الناجين من الهولوكست النازى، واليوم لازالت الوكالة هى الوكالة الامريكية الاولى على مستوى العالم لغوث اليهود وهى تشرف على دور المسنين فى رومانيا وعيادات طبية فى اثيوبيا ومدارس بالمغرب وشبكة من وكالات الخدمة الاجتماعية فى اسرائيل، واصبحت منظمة النداء اليهودى للاغاثة فى الخارج هى الذراع الاساسية لجمع التبرعات وهى اليوم واحدة من اكبر الجمعيات الخيرية فى الولايات المتحدة.

إذن نجد ان المنظمات اليهودية التى نشأت فى اعقاب هجرة اليهود الروس الى الولايات المتحدة وعقب الحرب العالمية الأولى هى لجنة يهود امريكا والمؤتمر اليهودى العالمى ولجنة مكافحة تشويه الصورة اليهودية والمجلس القومى للمرأة اليهودية والاتحادات ولجنة التوزيع المشتركة واتحاد النداء اليهودى، هذه التنظيمات هى مركز الحياة اليهودية الأمريكية ومعها أيضاً اتحادات المعابد أو الكنائس اليهودية. والحركة الصهيونية وبناى بريث وجميعها أجزاء مهمة فى بناء الماكينة السياسية والمالية ليهود أمريكا وأى تنظيم آخر هو إما تجمع لعدد من المنظمات السابقة أو تنظيم صغير الحجم. وبنهاية الحرب العالمية الأولى أقامت الطائفة اليهودية الأمريكية الهياكل التى تحتاجها من أجل ممارسة دورها كاملاً على المسرح الأمريكى ولكن سيعرف اليهود قريباً بصورة تصدمهم أنه لازال هناك عامل آخر يحتاجونه حتى يكتمل النجاح؛ هذا العامل هو النوايا الحسنة لباقى الشعب الأمريكى، وهو ما لا يمكن ضمانه بحال من الأحوال.

الفصل الخامس

تحت الرماد

بداية العصر الذهبى

فى يوم ٨ مايو ١٩٩٥ جاء رالف ريد مدير تحالف كنائس بات روبرتسون ليلقى كلمة أمام منظمة «آيباك»، لجنة العلاقات الأمريكية الاسرائيلية، وكان موضوع الكلمة هو حالة العلاقات الراهنة بين اليهود واليمين المسيحى .

كانت هذه العلاقات مهزوزة فى ربيع ١٩٩٥ لدرجة أن «آيباك» رأت عدم استفزاز اليهود بإظهار اهتمام واضح بإعطاء رالف ريد فرصة الكلام أمام أعضائها، ولذلك تقرر أن يكون اللقاء فى صورة مناظرة بعنوان : «هل تكون المشاركة ممكنة فى أجندة العمل المؤيدة لإسرائيل؟» وأمام رالف ريد كان هناك اثنان من نشطاء العمل السياسى اليهودى، أحدهما من اليسار هو الحاخام دافيد سابرستاين رئيس مكتب التيار الإصلاحى فى واشنطن والثانى من اليمين هو الحاخام إليوت آبرامز مُنظِّر المحافظين اليهود الجدد والمسئول السابق بإدارة الرئيس ريجان .

تحدث آبرامز أولاً وأوضح النغمة العامة للمناظرة فألقى تحذيراً قوياً على أسماع الحاضرين وقال ان الطائفة اليهودية ليست فى وضع يمكنها من اختيار أصدقائها لأن حجم الطائفة آخذ فى التناقص . وقال انه من الجنون أن نسمح لأفكارنا السياسية الخاصة أن تتداخل مع أى جماعة شجاعة مؤيدة لإسرائيل، وأن الطائفة اليهودية كان قوامها فى وقت من الأوقات قرابة ٤ ٪ من إجمالى التعداد الأمريكى وهى اليوم أقل من نسبة ٣ ٪ وتتجه بوضوح إلى نسبة ٢ ٪ فقط . إذن فإن قدرة يهود أمريكا على حماية اسرائيل خلال الجيل القادم لابد أنها ستتناقص ، وأضاف أن الانحسار الواضح الذى يمر به الحزب الديمقراطى والاتحادات العمالية والحلفاء التقليديون ليهود أمريكا يدفع النفوذ اليهودى الأمريكى إلى التراجع. واختتم كلمته بالتساؤل «هل حقاً يحتاجنا رالف ريد ؟ الحقيقة أننا بحاجة إليه» .

وفيما يبدو أن رسالة آبرامز لاقت استجابة جيدة لدى الحاضرين ولم يكن الترحيب أمراً مستغرباً فأعضاء «آيباك» معروف عنهم ا براجماتية والانفتاح على عدد من التحالفات المتباينة الاتجاهات . وقد كان من الواضح أن رئيسى تلك الجلسة وهما إيد ليفى الرئيس السابق لآيباك ونائبه بوب مازير كانا سعيدين للغاية بما يقوله آبرامز وذلك لتعاطفهما مع الأفكار المحافظة لليهود .

وعلى الجانب الآخر جلس رالف ريد بجوار آبرامز على المنصة وقد جاء فى صباح ذلك اليوم ليسدى صنيعاً للقيادة السياسية لليهود، وليس العكس. حيث ان ريد من أكثر الرجال انشغالاً فى أمريكا وكان هذا ثالث ظهور له خلال شهر واحد أمام منظمة يهودية كبرى .

قال ريد ان «معظم اليهود لديهم صورة نمطية خاصة بالمسيحيين الانجيليين ، البروتستانت، وهى صورة حملة السلاح المعادين للسامية . ولكنها صورة ظالمة ربما لأننا لا نشترك فى أجندة سياسية واحدة مع اليهود الليبراليين ولكننا فى الحقيقة نتعاون معهم ويمكنهم دائماً أن يعتمدوا علينا كأصدقاء» .

إذن مقولة آبرامز بأن اليهود يتناقصون غير دقيقة . لقد ذكر آبرامز أرقاماً صحيحة ولكن الحقائق التى أوردها مغلوطة ، فلم يحدث أبداً أن كانت الأرقام هى التى تخلق النفوذ اليهودى الأمريكى . فلو اجتهد آبرامز قليلاً فى الرجوع إلى التاريخ لوجد أن نفوذ اليهود قد بلغ أقل معدل له فى عام ١٩٢٤ عندما كان عددهم يتجاوز ٣ر٨ ٪ من إجمالى السكان ، بعد أربعة عقود من الهجرات الكثيفة ليهود روسيا .

فى ذلك العام ، ١٩٢٤ ، أغلق الكونجرس الباب أمام المزيد من المهاجرين الروس وتبنى قانون جونسون - ريد الذى خفض عدد المهاجرين وقسمهم إلى حصص نسبية عرقية . وقد جاء هذا القانون بعد مداولات فى الكونجرس استمرت لمدة خمسة عشر عاماً، وقد ظل القانون متعثراً بسبب تكرار صدور الفيتو الرئاسى ضده حتى تم تخفيفه وأصبح قانونا معمولاً به فى عام ١٩٢١ .

وفى نهايات الثلاثينات ظل عدد اليهود يدور حول نسبة ٧ر٣ ٪ من التعداد الأمريكى وقد أعاق قانون ١٩٢٤ أى محاولة من جانب اليهود لإنقاذ يهود أوربا من الهولوكست وقد اصطدمت كل محاولات تغيير نظام الحصة العرقية باعتراضات الكونجرس من جانب تحالف الديمقراطيين الجنوبيين وعزلة الجمهوريين .

وقد عرض السناتور روبرت واجنر العضو الديمقراطى عن نيويورك فى مجلس الشيوخ عام ١٩٣٩ اقتراحاً بإحضار ٢٠ ألف طفل يهودى ألمانى للملاجىء الأمريكية . ولكن قوبل اقتراح واجنر بمعارضة كبيرة بسبب الشهادات التى أدلى بها الشهود فى الكونجرس . وبعد أن مات ذلك الاقتراح بالسكتة القلبية عرض ٦٠ اقتراحاً أخرى كلها لاقت نفس المصير.

وخلال الحرب العالمية الثانية وبرغم النداءات اليهودية المتكررة للرئيس فرانكلين روزفلت التقى الرئيسى بممثلى الطائفة اليهودية مرة واحدة فقط لمناقشة فظائع النازى وقد حدث هذا الاجتماع بعد شهر كامل من تأكيد الخارجية الأمريكية أن ألمانيا لديها نوايا بالتطهير العرقى ضد اليهود فى ديسمبر ١٩٤٢ . وقد سيطر روزفلت على معظم الحديث أثناء اللقاء ثم أهمل الموضوع لمدة ١٤ شهراً كاملة ولم يفتحه ثانية إلا محرجاً ومضطراً لاتخاذ خطوة فى يناير ١٩٤٤ وبإلحاح من وزير الخزانة هنرى مورجنتاو الأمريكى ابن أحد أمراء التجارة من اليهود الألمان المهاجرين .

فى عام ١٩٣٩ نشرت مجلة (فورتشيون) استطلاعاً للرأى اتضح منه أن الأمريكيين لا يقرون الطريقة التى يتعامل بها الألمان مع اليهود . ولكن فى الوقت نفسه رفض ٨٣ ٪ من عينة الاستطلاع تغيير نظام الحصص العرقية للمهاجرين فى مقابل ٨٫٧ ٪ فقط وافقوا على استقبال اللاجئين .

فى العشرينات والثلاثينات من القرن الحالى كان يبدو التيار المعادى لليهود والمهاجرين كاسحاً لا يمكن وقفه فى الولايات المتحدة ، وظهرت جماعة (كوكلاكس كلان) بكل عدائها لليهود والكاثوليك والسود أيضاً وأصبح عدد أعضائها فى عام ١٩٢٤ أربعة ملايين .

قبل ذلك وفى عام ١٩٢٠ قام هنرى فورد صاحب شركة فورد للسيارات، وأكثر الأمريكيين إثارة للإعجاب، بتأسيس مجلته (ديربورن إندبندنت) لينشر من خلالها أفكاره حول المؤامرة اليهودية البلشفية لرجال المال والسينما ضد أمريكا المسيحية ، وبحلول عام ١٩٢٥ حققت المجلة عدداً هائلاً للتوزيع وصل إلى ٧٠٠ ألف نسخة أسبوعياً ، ولكن توقفت المجلة عن الصدور عام ١٩٢٥ بسبب تهديدات مقاطعة المستهلكين اليهود لإنتاج سياراته، إلا أن فورد أصر على آرائه وظل يرددها فى لقاءاته الخاصة .

وقد ظلت الأفكار المعادية لليهود تنمو بشكل سريع حتى عشية الحرب العالمية الثانية . وقام الوعاظ المؤثرون بتقديم برامج إذاعية مـلأت الأجواء بمشاعر مـعاداة اليهود مثل جيرالد وينرود والأب شارلز كوفلين من كبار زعماء التيار الانجيلى ، وأطلقوا تحذيرات مستمرة من المؤامرة اليهودية ضد أمريكا المسيحية .

كما قامت جامعات عديدة راقية مثل هارفارد وكولومبيا بتبنى نظام الحصص العرقية فى قبول الطلبة اليهود ، وحددت كليات الطب أعداد المقبولين من اليهود لديها ولذلك اضطرت أعداد كبيرة منهم للدراسة فى الخارج ، أما كليات الحقوق فكانت تسمح بقبول الطلبة اليهود ولكن كان عليهم بعد التخرج أن يؤسسوا مكاتب المحاماة الخاصة بهم ، فلم تكن الشركات المملوكة لغير اليهود تقبل تعيينهم ، وقد كان هذا الوضع حقيقياً تقريباً فى كل مجالات العمل الأخرى المهمة مثل صناعة الصلب والبترول والسيارات والكيماويات، ولم يكن هنـاك عائق قـانونى لذلك حيث ان التفرقة العنصرية لم تكن محظورة فى ذلك الوقت ولهذا قامت الاتحادات اليهودية بتأسيس وكـالات توظيف خاصة باليهود . وإذا عدنا لإعلانات الوظائف الخالية فى الثـلاثينات سنجد إعلانات تقول (لغير اليهود فقط) بنفس درجة شيوع اعلانات (للبيض فقط) . هذا ما يقوله آرنولد آرنون الذى عمل بإحدى شركات التوظيف فى شيكاغو فى أواخر الثلاثينات .

● مراجعات تاريخية ●

ولكن بعد نصف قرن من الزمان أصبحت كل مجالات العمل مفتوحة أمام اليهود فى أمريكا . واختفت العنصرية ضد اليهود فى العمل والتعليم والاسكان وأصبحت غير مشروعة. واختفت العوائق من كل جامعات القمة ومكاتب المحاماة الشهيرة ومعظم الصناعات . وبعد أن كانت الشركات ترفض تعيين اليهود أصبحت الآن تمنحهم المناصب الرفيعة بها مثل شركة (دى بونت) و(والت ديزنى) . وبحلول الربع الأخير من القرن العشرين أصبح اليهـود يشكلون ٢٠ ٪ من طلبة الجامعات المرموقة و ٢٠ ٪ من المحامين العاملين بالمكاتب الشهيرة ، وأصبحت فكرة أن يمتنع رئيس أمريكى عن لقاء القيادات اليهودية فكرة غير مهضومة وغير قائمة .

وتشيع بين اليهود الأمريكيين اليوم فكرة معينة وهى أنه لو أن يهود أمريكا رفعوا صوتهم بقـوة أثناء الحرب العالمية الثانية لتمكنوا من إقناع الرئيس روزفلت باتخـاذ

خطوات مباشـرة لإنقاذ حياة اليهود فى أوربا. ويقول الحاخام هاسكل لوكشتاين فى دراسة قدمها عام ١٩٨٥ ان اليهود بدلاً من أن يواجهوا محاولات الرئيس روزفلت للتغطية على المشكلة استسلموا لسياسته، الدراسة كانت بعنوان «هل حافظنا على اخواننا» ؟ والإجابة التى ذكرها لوكشتاين هى «لا» .

كان كتاب لوكشـتاين مجرد جزء من سلسلة طـويلة من لوم النفس بدأت بظهور كتـاب آرثر مورز عام ١٩٦٨ بعنوان «موت ستة ملايين» ، ويذكر الكاتب فى مؤلفه أن ادارة روزفلت فى زمن الحرب أظهرت لا مبالاة شديدة بل وفى أحيان كثيرة معارضة لإنقاذ حياة اليهود. ومنذ كتاب مـورز جرت عمـلية مراجعة تاريخيـة لأحداث تلك الفترة لتؤكد أن أمـريكا كان بإمكـانها إنقاذ مئات الآلاف وربما الملايين من يهود أوربا ولكنها اختارت ألا تفعل . كانت هناك اقتراحات وقتها بقصف السـكك الحديدية المـؤدية إلى أوشفيتش لإبطاء عمـليات نقل اليهود أو قصف المحارق نفسها لوقف عمليات القتل كما ظهرت اقـتراحات بتخفيف القيود الأمريكية على الهجرة والسماح باستقبال اليهود كلاجئين فى حالة نجاحهم فى الهرب من الموت .

هذه المراجـعة التـاريخية تؤكد أن روزفلت كان بإمكانه أن ينقذ اليهـود لو أنه أراد، ولكنه لم يفعل إما لأنه كان شـديد الحساسية تجاه الرأى العام أو لأنه على المستوى الشخصى لم يهتم بإنقـاذ اليهـود «بوصفهم يهوداً» ، كما أن القيادة اليهودية فى ذلك الوقت كان من الممكن أن تضغط على روزفلت ولكنها لم تفعل إما بسبب الخوف أو لوقوعها تحت تأثير شخصية الرئيس الساحرة أو لعدم اهتمامها بالمذابح التى وقعت فى أوربا. ولعل أهم الخطوات التى اتخذت هى تشكيل «مجلس لاجئى الحرب» فى فبراير ١٩٤٤ والذى تمكن من إنقاذ قرابة مائتى ألف من اليهود خـلال الشهور الخمسة عشـر الأخيرة من الحرب . هذا ما يؤكده المؤرخ داڤيد وايمان . ويفترض وايمان أنه لو قدر أن يشكل روزفلت هذا المجلس فى أواخر نوفمبر من عام ١٩٤٢ عندما عرف الأنباء المؤكدة بخطط النـازى بدلا من أن ينتظر لمدة ١٤ شـهراً كاملة لكان عدد الناجين قد تضاعف. هذه النظـرية تحظى بقبول فى دوائر اليهود لدرجة أن المتحدثين اليهود فى المناسبات المختلفة يشيرون كثيراً إلى التواطـؤ أو اشتراك زعامات اليهود فيما حدث ليهـود أوربا فى زمن الحرب بسبب استـمـرار تأييدهم للرئيس روزفلت برغم معاداته الواضحة للسامية .

ويقول أحد المحامين البارزين من أوهايو «كان بإمكانهم أن يؤثروا على روزفلت ولكنهم اختاروا ألا يفعلوا» .

والحقيقة أنه لو قدر لهتلر أن يفوز بالحرب العالمية الثانية لحاول أن يقتل كل يهود العالم . وكانت القوة الوحيدة القادرة على وقف هتلر هى الولايات المتحدة ، ولكن لم يرغب الأمريكيون فى دخول الحرب، وقد اشترك فى الرغبة المشرعون الانعزاليون الذين منعوا يتامى اليهود من دخول امريكا عام ١٩٣٩ والناخبون أيضا، ولا زالت الأذهان تذكر التأثير الواضح لروزفلت على الكونجرس والرأى العام حيث أقنعهم أولا بتأييد انجلترا فى الحرب ثم أقنعهم باشتراك أمريكا فيها وكان هذا من أكبر الأدلة على نجاح الرئاسة الأمريكية فى التاريخ .

ويقول مورز فى دراسته ان إليانور روزفلت زوجة الرئيس كثيرا ما دعت زوجها لعمل الكثير من أجل اليهود إلا أنه كان يخشى إغضاب الناخبين . وتقول السيدة الأولى «كلما حاولت الاعتراض كان يقول لى ان الأشياء الأهم تأتى أولاً ، ولا أستطيع أن أعزل أصواتا انتخابية أحتاج إليها بسبب اجراءات أهميتها وقتية فقط».

وعلى سبيل المثال عندما قدم واجنر عام ١٩٣٩ مشروعه لإحضار أطفال يهود ألمانيا كان روزفلت لا يريد اغضاب الكونجرس لأنه فى الوقت نفسه كان يسعى لتخصيص نصف مليار دولار لتحديث سلاح الطيران الأمريكى وبناء القواعد البحرية وكان لابد من موافقة الكونجرس على طلب الرئيس . وبالنسبة لروزفلت كانت الأولوية القصوى لتطوير الدفاع الأمريكى .

ويرى عدد من المؤرخين المعاصرين هذه الحقائق الواضحة ولكنهم يرفضونها لبشاعتها، ويقول هؤلاء : ربما كانت مساعدة اليهود مستحيلة فى ذلك الوقت ولكن هذا لا يمنع أنها كانت واجبة .

ويعرض وايمان فى دراسته عدداً من الأدلة التى تؤكد أن الرأى العام الأمريكى كان معارضاً لعملية إنقاذ اليهود، ويعترف المؤرخ بأن هذه الاتجاهات خلقت موانع صعبة أمام اتخاذ مبادرة أمريكية لإنقاذ يهود أوربا . ولكن كانت هناك عوامل أخرى فى المجتمع الأمريكى هيأت الفرصة أمام رد فعل إيجابى . فقد عرفت أمريكا كدولة كريمة وكأرض

للمهاجرين بقيادة إدارة قومية معروف عنها تعاطفها مع القضايا الإنسانية . ثم أن معظم الأمريكيين يعتنقون المسيحية وهى عقيدة تحض على مساعدة العاجزين .

وإذا كان مقصد وايمان وغيره من المؤرخين أنه لم يكن كل الأمريكيين معادين للسامية فإن هذا صحيح ، أمريكيون كثيرون وربما معظمهم لم يكونوا معادين للسامية ولم يتمنوا أن يموت يهود ألمانيا . وبرغم معارضة الكونجرس وتيار من الرأى العام لجهود الإنقاذ إلا أنه كان من الممكن عن طريق جهود سياسية وأخلاقية استثنائية اقناعهم بفتح الأبواب أمام إنقاذ اليهود . ولكن الإدعاء بأن الأمريكيين كانـــوا يعارضـــون إنقاذ اليـــهود فى ١٩٣٩ أو فى ١٩٤٤ هو تســطيح للأمـــور. إلا أن المعـارضين كـانوا على استـــعداد لدفــع ثمن نتــائج الحرب لمجرد الإمتناع عن مساعدة اليهود . ففى نوفمبر ١٩٤٢، على سبيل المثال، طلب روزفلت سلطات استثنائية من الكونجرس لرفع القيود عن هجرة اليهود وعن الهجرة بالنسبة لبعض الحالات الفردية، وكان غرضه الأساسى من ذلك تسهيل حركة الجواسيس وأسرى الحرب وأمثالهم ، ولكن الكونجرس رفض إلى حد بعيد بسبب الشك فى أن هذه السلطات المخولة للرئيس ستستخدم لإنقاذ اليهود بصفة عامة . وقد كتبت مجلة نيوزويك فى ذلك الوقت أن الحقيقة القبيحة هى أن معاداة السامية كانت هى العامل الأساسى وراء معارضة الكونجرس الشديدة لطلب الرئيس .

وبالمثل كانت هناك جهود من مسئولى الإدارة الأمريكية ، فى القنصليات الأمريكية بالخارج ، حيث أوقفوا منح تأشيرات الدخول لليهود، وهو ما يعتبره المؤرخون أيضاً من الأدلة المهمة على مشاعر روزفلت العدائية . ولكن على أية حال فى عام ١٩٤٢ لم تكن معاداة اليهود سبباً فى فصل مسئول يهودى عن منصبه ، ولكن بعض المسئولين كانوا يظهرون معاداتهم للسامية بشكل أو بآخر مثل چون رانكين النائب من ولاية ميسيسيبى وهو ما كان يعجب الناخبين .

وبشكل مـا نجد أن وجود اليهود وقوتهم فى عام ١٩٤١ كان مساوياً لوجود وقوة السود . فى ذلك العام شكل الرئيس روزفلت أول وكالة للحقوق المدنية فى القرن العشرين وكانت مهمتها إنهاء التفرقة العنصرية فى توظيف العاملين السود فى الصناعات الحكومية فى وقت الحرب . ويشير النقاد إلى أن روزفلت اضطر لتشكيل هذه الوكالة تحت ضغط كبير من الزعيم العمالى الأسود فيليب راندولف ، حيث هدد راندولف بتنظيم مسيرة

احتجاج فى قلب واشنطن . هذا حقيقى تماماً فقد تطلب الأمر أن يحدث عمل تنظيمى من جانب السود بحيث يكون تشكيل الوكالة أقل خسارة بالنسبة للرئيس من عدمه ، ولكن يجب أن نتذكر أيضا أن السود لم يقدموا على هذه الخطوة لولا وجود رئيس فى البيت الأبيض متعاطف معهم . إذن فى وجود رئيس متعاطف يمكن أن يكون الضغط مؤثراً .

وعلى نفس المنوال ، أسس روزفلت مجلس اللاجئين فى عام ١٩٤٤ بهدف إنقاذ اليهود من أفران الغاز، وقد جاء هذا بعد أن واجهه هنرى مورجنتاو بالأدلة الموثقة على أن هناك شيئا يمكن عمله ولكنه لا يتم ، وبمجرد كتابة التقرير كان ثمن عدم التصرف أفدح من التصرف نفسه، ولكن فى كل الأحوال كان هناك ثمن لابد من دفعه إذ كان قطاع مهم ومحترم من الجهاز السياسى الأمريكى يريد إبقاء اليهود بعيداً ، تماماً مثلما كان هناك قطاع مهم ومحترم من الأمريكيين يريد الإبقاء على مكانة السود كما هى.

هذا هو الفارق بين مكانة ووضع يهود أمريكا فى ١٩٤٠ وبين مكانتهم ووضعهم فى ١٩٩٠ . فبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أصبحت كراهية اليهود شيئا غير محترم سياسياً ، ربما يعارض شخص ما رغبة يهودية معينة ولكن لابد من ذكر أسباب للمعارضة ليس من بينها كراهيتهم ، ولكن قبل عام ١٩٤٥ كان بإمكان أى شخص أن يعارض أى شىء لأنه ببساطة قد يساعد اليهود . فما الذى أدى لهذا التغيير ؟

فى منتصف عام ١٩٤٤ بعد أن أصبح اضطهاد النازى لليهود أمراً مكشوفاً أوضح استطلاع للرأى أن ٢٤ ٪ من الأمريكيين يعتقدون أن اليهود يشكلون خطراً على أمريكا . وأوضح استطلاع آخر فى بداية عام ١٩٤٥ أن ٦٧ ٪ من الأمريكيين يعتقدون أن اليهود يتمتعون بنفوذ واسع داخل أمريكا . ولكن بنهاية عام ١٩٤٥ اختلفت آراء الأمريكيين تجاه اليهود بشكل مفاجىء لا تفسير له . فقد انخفضت نسبة من يرون اليهود خطراً على أمريكاً إلى نسبة ٥ ٪ فقط فى عام ١٩٥٠ ثم ١ ٪ عام ١٩٦٢ . وانخفضت نسبة من يعتقدون أن اليهود يتمتعون بنفوذ واسع إلى ١٧ ٪ فى عام ١٩٦٢ . وانخفضت نسبة من يقولون انهم يترددون فى توظيف اليهود لديهم من ٤٣ ٪ عام ١٩٤٠ إلى ٦ ٪ عام ١٩٦٢ . والأكثر أهمية أن نسبة من أجابوا بنعم عن السؤال القائل «هل

تظن أن المشاعر المعادية لليهود تتزايد ؟» انخفضت من ٥٨ ٪ فى عام ١٩٤٥ إلى ١٦ ٪ عام ١٩٥٠ .

وقد أصبح القبول الأمريكى الجديد لليهود ظاهراً فى مجالات عديدة . فعلى سبيل المثال وقع الاختيار على بيس مايرسون كأول ملكة جمال يهودية فى أمريكا عام ١٩٤٥ ثم حصل فيلم (اتفاق چنتلمان) على جائزة الأوسكار عام ١٩٤٧ وهو الفيلم المأخوذ عن رواية لورا هويسون التى تتحدث عن معاداة السامية ، كما احتلت رواية چون هيرسى (الحائط) عن الجيتو فى وارسو المرتبة الأولى فى قائمة مبيعات الروايات عام ١٩٥٠ ، ثم احتلت فى نفس العام الأغنية الفلكلورية الاسرائيلية (زينا – زينا) والتى غناها فريق (ويفرز) المركز الأول فى سباق الأغنيات.

ولكن أعقب ذلك موجة جديدة من معاداة السامية بعد اعتقال چوليوس وإيثيل روزنبرج بتهمة بيع الأسرار النووية الأمريكية للاتحاد السوفيتى فى عام ١٩٥٠ . وفى نفس العام ألقى القبض أيضاً على هارى جولد وداڤيد جرين جلاس والفيزيائى البريطانى كلاوس فوش وكلهم من اليهود المتعاطفين مع الشيوعية مما جدد مخاوف يهود أمريكا . ويرغم أن المنظمات اليهودية عملت بأقصى جهد خلال المحاكمات التى استمرت ثلاث سنوات ولكن هذه الجهود لم تفلح .

● الحملة من أجل المساواة ●

منذ ١٥ عاما فقط كان السياسيون قادرين على اجتذاب قاعدة جماهيرية عريضة عن طريق مهاجمة الخطر اليهودى الشيوعى رغم أن هذا الخطر من صنع خيالهم فقط . ولكن بعد القبض على الزوجين روزنبرج لم يعد الخطر خيالاً وإنما أصبح حقيقة واقعة . وقد أجرى استطلاع للرأى أثناء محاكمة روزنبرج أوضح أن ٥ ٪ من الأمريكيين يربطون بين اليهود والشيوعية .

وقد أصبح اليهود هدفاً لتحقيقات لجنة من مجلس النواب حول الأنشطة المعادية لأمريكا . وبدأت التحقيقات بتقصى أثر النفوذ الشيوعى فى هيولوود عام ١٩٤٤ . وقاد هذه الحملة چون رانكين النائب من ولاية ميسيسيبى وغيره، واستمرت الحملة التى كانت أشبه بمطاردة الساحرات لمدة ثلاث سنوات وتركت أثرها على العشرات من العاملين فى

صناعة السينما بين الخزى أو الدمار المهنى . وكان معظم هؤلاء من اليهود ، وقد قامت وكالات قليلة للدفاع وعلى رأسها لجنة مكافحة تشويه الصورة ولجنة العلاقات اليهودية الطائفية فى لوس أنجلوس بالتعاون مع لجنة التحقيق التابعة لمجلس النواب لتثبت أن معظم اليهود ليسوا من الشيوعيين .

بعد عامين آخرين بدأ السناتور چوزيف ماكارثى من ولاية ويسكنسون حملة لمطاردة الشيوعيين فى واشنطن ولكن فجأة سقطت مطاردة اليهود من على المسرح . وبرغم أن ماكارثى كان قادراً على إلهاب مشاعر الجماهير وبرغم أنه بث السموم فى الحياة السياسية فى واشنطن لمدة جيل كامل وأفسد حياة أبرياء كثيرين إلا أنه لم يهاجم اليهود حتى لا يتهم بمعاداة السامية . وكان عن يمينه دائماً المحامى اليهودى روى كوهين – من نيويورك – والتقى ماكارثى أيضا بممثلى (لجنة مكافحة تشويه الصورة) حتى ينقى الأجواء من أى سوء فهم . وقد قال آرنولد فورستر نائب مدير اللجنة فى ذلك الحين ان ماكارثى يستغل اليهود حتى لا يتهم بالتعصب، ولكن حتى وإن صح هذا الحديث إلا أننا نجد أن اليهود قد اكتسبوا قوة واحتراماً فجأة، فمنذ عشرة أعوام فقط لم يكن أى سياسى شهير يرغب فى أن يراه الآخرون صديقا لليهود والآن أصبح الخطر أن يراه الآخرون عدواً لليهود .

ولكن من أين جاء التغيير ؟ نستطيع فقط التخمين ببعض الأسباب، منها التعاطف مع معاناة اليهود والتى لابد أنها لعبت دوراً فى المسألة .. ثم أن اليهود حققوا استفادة من نبذ العنصرية بكل شرورها بعد الحرب . وواكب ذلك ظهور موجة من التفاؤل فى أعقاب الانتصار على الفاشية وانتعاش الاقتصاد فى الخمسينات ، وتؤكد هذه العوامل استطلاعات الرأى التى جرت بعد انتهاء الحرب ، كما يقول بعض المراقبين ان مولد إسرائيل ساعد على تغيير صورة اليهودى كرجل ضعيف. وأخيراً يوجد عامل فى غاية الأهمية وهو أن المنظمات اليهودية فى الأسابيع والشهور التى أعقبت الحرب العالمية الثانية قادت حملة واسعة النطاق لإنهاء التحيز والتفرقة العنصرية فى الولايات المتحدة عن طريق تحدى القوانين العنصرية . ومخاطبة الكونجرس الجديد الذى جرَّم العنصرية وحشد وسائل الإعلام والمجتمع الأكاديمى من أجل نبذ التحيز العنصرى . وكانت الحملة ضخمة ومنظمة وشملت ساحات القضاء والمجالس التشريعية ووسائل الإعلام والشارع أيضا . ولم يدر واحد بعينه هذه الحملة ولكنها جاءت من الجذور الشعبية. ويقول آرنولد

فورستر «مع الانتصار على النازية أصبح الناس أكثر تقديرا للديمقراطية وأصبحت المساواة تملأ الأجواء . لقد انتصرنا للحرية الإنسانية وأردنا أن نستكمل المسيرة» .

وقد بدأ العمل صغيرا ولكنه اتسع ليشمل المنظمات اليهودية بصفة عامة . وضعت هذه المنظمات استراتيجية مشتركة للعمل فيما بين المنظمات اليهودية نفسها ثم بين هذه المنظمات وتلك الخاصة بالسود حيث كانوا يخوضون نفس المعركة ضد العنصرية، ونجحت منظمات اليهود فى التحالف مع النقابات العمالية والكنائس الليبرالية وجماعات أخرى . وخلال عشرين عاما نجح كل هؤلاء فى تعديل قوانين الهجرة القائمة على أسس عرقية ، والتفرقة الدينية فى الإسكان والتعليم والعمل ، وأخيرا نجحت هذه المنظمات فى جعل اليهود مواطنين متساوين مع غيرهم بالفصل الحقيقى بين السلطة والكنيسة وإزالة الرموز الدينية من الأماكن العامة . وبهذا أصبحت الثقافة الأمريكية منطقة محايدة يقف فيها الجميع على قدم المساواة .

فى وقت قصير أصبحت الحملة من أجل المساواة قضية يهودية مهمة بدأت بعدد صغير من المنظمات اليهودية ثم انضم إليها مئات الآلاف من الأفراد وانضموا بشكل موسع إلى حركات الحقوق المدنية وحركة مكافحة الحرب والحركات النسائية ، وغير ذلك من قضايا الليبرالية التى ظهرت منذ الخمسينات وحتى السبعينات، ولا نستطيع أن نجزم على وجه اليقين بأسباب هذا النجاح هل هو التنسيق المحكم لجهود اليهود أم أن أمريكا كانت على استعداد للإستجابة . شىء واحد يمكن أن نؤكده وهو أن سقطة التحيز ضد اليهود فى الفترة بين ١٩٤٥ و ١٩٥٠ هى أقل النقاط التى تناولتها الدراسة فى العصر الحديث ، برغم أنها من أكثر التحولات أهمية بالنسبة لقوة اليهود إذ فى خلال خمس سنوات فقط تغيرت الصورة العامة فى أمريكا إزاء اليهود من متآمرين أجانب إلى جيران طيبين . وكنتيجة لهذا التحول أصبح بإمكان يهود أمريكا أن يعرضوا وجهات نظرهم فى عديد من القضايا ليصغى لهم الآخرون باهتمام .

ونستطيع أن نحدد الزمان والمكان اللذين بدأت منهما الحملة من أجل المساواة . فى عام ١٩٤٤ قرر الحاخام العجوز ستيفن وايز أن يستخدم مديرا تنفيذيا لمنظمة المؤتمر اليهودى الأمريكى ، واختار للمهمة يهوديا كنديا هو دافيد بيتجورسكى . لم يجد بيتجورسكى أمامه الشىء الكثير فى المنظمة باستثناء الصورة الضخمة والشهرة الكبيرة

للحاخام وايز . وفى ربيع ١٩٤٥ قرر المدير الجديد أن ينشىء إدارة قانونية للمنظمة وبدأ في رفع الدعاوى القضائية ضد المتعصبين . كان أول محام يعمل فى الإدارة الجديدة هو «ويل ماسلو» وكان عمره وقتئذ ٣٨ عاما وقد عمل كمستشار فى اللجنة الرئاسية لعدالة التوظيف . كانت مهمة ماسلو على وشك الانتهاء فى اللجنة الرئاسية فقد شكل الرئيس تلك اللجنة لمقاومة التفرقة العنصرية فى الصناعات الحربية ثم ها هى الحرب قد انتهت وأنهى الكونجرس الذى سيطر عليه الجنوبيون تمويلها .

وقد عمل فى اللجنة الرئاسية السود واليهود وعملت على اكتشاف أصحاب الأعمال الذين يطبقون التفرقة العنصرية فى استخدام الموظفين لديهم ثم اتخاذ الإجراءات المناسبة ضدهم . وقد كانت هذه استراتيجية قانونية رائدة ابتكرها الاتحاد الأمريكى للحريات المدنية فى العشرينات وطبقتها الجمعية القومية لتنمية الملونين فى الثلاثينات .

الآن طلب بيتجورسكى من ماسلو الذى ولد فى كييف وتربى فى شيكاغو أن يشن حربا شاملة على معاداة السامية ، ووضع خطة المعركة ألكسندر بيكيلز وهو يهودى إيطالى دارس للقانون لجأ إلى أمريكا فى وقت الحرب . وقد وضع بيكيلز خطة لا تعتمد على محاولة تغيير أفكار المتعصبين فقد فشلت هذه المحاولات من قبل وإنما تعتمد على مهاجمة تصرفاتهم . قبل ذلك كانت لجنة مكافحة تشويه الصورة ترى أنه ليس من الممكن أن تهاجم التفرقة العنصرية دون أن تهاجم الأفكار والمعتقدات المسببة لها ولكن ماسلو رأى أن هذا هراء ، وأكد أنه سيهاجم العنصرية أينما وجدت . والسلاح المستخدم فى المعركة هو القانون .

كان الهدف عظيما ولكن النتائج الأولية كانت متواضعة وربما أثارت الضحك أيضا . رفع ماسلو أول دعوى قضائية ضد جريدة التابلويد (نيويورك ديلى نيوز) وهى جريدة ذات معدل هائل من القراء خاصة الطبقة العاملة الكاثوليكية . وقد أظهرت الجريدة ميولا واضحة نحو الفاشية فى الثلاثينات ثم وقفت على الحياد الحذر أثناء الحرب ثم تقدمت محطة الإذاعة التابعة للجريدة (WPIX) بطلب للجنة الفيدرالية للإتصالات للحصول على ترخيص بالبث الإذاعى على موجة (FM) وهنا قرر ماسلو أن يتدخل . قال ماسلو فى مبررات الدعوى ان الانحياز فى الأخبار يعد انتهاكا لقواعد اللجنة الفيدرالية للاتصالات والتى تقضى باستخدام موجات البث الإذاعى لخدمة المصلحة العامة . لم يكن

سهلا أن يبدأ الهجوم على أوسع الجرائد انتشارا فى أمريكا ، ولكن بيكيلز أعد تحليلا للمضمون الذى تنشره الجريدة كدليل على انحيازها وتعصبها ضد اليهود . ودافع بيكيلز بأسلوب ذكى لطيف عن قضيته، وبالفعل لم تحصل الجريدة على الرخصة المطلوبة لمحطتها الإذاعية ، والحقيقة التى ذكرها ماسلو أن القضية نجحت ليس بسبب إثارة مسائل دستورية وقانونية ولكن لأن لجنة الإتصالات وجدت عرضا أفضل من عرض جريدة (نيويورك ديلى نيوز) . وعندما اكتشف ماسلو أن الجريدة تقدمت بعد سنوات أخرى للحصول على رخصة للبث التليفزيونى لم تتقدم الإدارة القانونية بدعوى قضائية ببساطة لأن ماسلو لم يعرف ما هو ذلك الشىء المسمى بالتليفزيون .

ويمرور الوقت اتسع عمل الإدارة القانونية بمنظمة المؤتمر اليهودى الأمريكى وأصبح عدد المحامين بها سبعة فى الوقت الذى لم يكن هناك محام واحد للحقوق المدنية فى وزارة العدل . وكانت (ناكراك) لديها اثنان فقط . وقد حث ماسلو وفريقه الرئيس ترومان لتأسيس لجنة قومية للحقوق المدنية ، واستمرت الإدارة فى رفع الدعاوى القضائية ضد شركة متروبوليتان للتأمين على الحياة بسبب انحيازها العنصرى فى مشروع للإسكان تابع لها فى مدينة نيويورك ودعت الإدارة لإرساء قواعد عادلة للإسكان والتوظيف فى عشرات المدن والولايات المتحدة الأمريكية . وشيئا فشيئا أصبح عدم قبول أبناء الأقليات فى كليات علمية معينة أو منعهم من الحياة فى أحياء محددة أو العمل فى بعض الوظائف أمورا غير قانونية فى المدينة تلو الأخرى، وطوال هذه الفترة كان ماسلو وفريقه على اتصال مستمر ويومى بمنظمة (ناكراك) لوضع الخطط وتبادل الأفكار والمساعدات ، وبعد وقت قصير فتح ليو فيفر النائب التابع لماسلو جبهة جديدة للهجوم حيث بلور فيفر استراتيجية للهجوم على دعم الدولة للأديان .. فقد كانت معظم المدارس العامة والخاصة على مستوى الدولة فى ذلك الوقت تقيم الصلوات الإجبارية للتلاميذ . كما أن مدارس عامة عديدة كانت تمنح التلاميذ فسحة من الوقت تخصص لدراسة الإنجيل والدين .. ولكن هذه الإجراءات تمت مواجهتها فى ساحة القضاء من خلال الأقليات المسيحية أو الملحدين . وامتنع اليهود فى ذلك الحين عن المشاركة فى الهجوم خوفا من إثارة أية مشاعر معادية للسامية . ولكن فيفر اختار الانضمام لفريق الهجوم فى عام ١٩٤٧ . وأقام دعوى أمام المحكمة العليا ضد مجلس إدارة مدرسة إيفرسون والذى وضع حدا لحق المنطقة التعليمية

فى نيوجيرسى فى مساعدة المدارس الدينية ودعوى أخرى ضد مجلس إدارة ماكولان التعليمى الذى يفرض الفسحة على التلاميذ فى آلينوى لدراسة الإنجيل . وخلال الخمسينات ظل فيفر يعمل بكل نشاط فى مجال اقامة الدعاوى القضائية أو الإنضمام للآخرين فى دعاواهم واضعا أمام عينيه هدفا واحدا هو مساواة اليهود بالآخرين ، وكان هذا يعنى الفصل الكامل بين السلطة والكنيسة حتى لو كان هذا يعنى أن منع الدعم المالى الحكومى عن المدارس الدينية سيؤدى لمنع الدعم عن المدارس العامة أيضا .

وفى ميامى انضم فيفر لقضية أقيمت بسبب قراءة الإنجيل وإقامة الصلوات فى فصول المدينة عام ١٩٥٩ ، وقد أثارت تلك القضية التوتر بين اليهود والمسيحيين فقال المسيحيون ان النسيج الذى بنيت منه أمريكا هو نسيج مسيحى خالص .. وقد شعر يهود المدينة بالذعر لأن منظمة المؤتمر اليهودى الأمريكى أثارت القضية وبعد مغادرتهم للمدينة سيبقى السكان اليهود وحدهم ليدفعوا الثمن ، ولذلك نظم اليهود فى ميامى مسيرات احتجاج ضد تدخل «المؤتمر اليهودى الأمريكى» وفى عام ١٩٦٠ أخذ مجلس الاتحادات اليهودية تعهدا كتابيا على «منظمة المؤتمر اليهودى الأمريكى» بعدم إثارة أى قضايا فى أى منطقة دون الحصول على موافقة مسبقة من السكان اليهود هناك .

وتوالت القضايا فيما بعد حتى أصدرت المحكمة العليا – وبدون تدخل من فيفر – حكما بأغلبية ستة أصوات إلى واحد فقط فى يونيو ١٩٦٢ يقول ان الإتحاد بين الحكومة والدين يؤدى فى نهاية الأمر إلى تدمير الحكومة والإقلال من شأن الدين ، وقد أثار هذا الحكم القضائى غضبا شديدا على مستوى الدولة ، فالرؤساء السابقون مثل أيزنهاور وهوفر ومعهم رجال الكنيسة البروتستانتية الليبراليون وكاردينالات الكاثوليك اعترضوا دائما على هذا الفصل ، وحاول حكام الدولة أن يدعموا تعديلا دستوريا يبيح الصلوات فى المدارس ولكن بعد عام واحد فقط أصدرت المحكمة العليا قرارا آخر بمنع قراءة الإنجيل فى المدارس العامة بسبب دعوى أقامها فيفر . قال فيفر ان اليهود شركاء كاملون فى المشروع الأمريكى وأن أمريكا لا تستطيع أن تسير للأمام كدولة مسيحية فقط . وقال القاضى ويليام بيرنان ان الدولة «تضم العديد من الأقليات ليس فقط الكاثوليك أو اليهود وإنما أيضا هؤلاء الذين يتعبدون دونما التزام بالكتاب المقدس أو هؤلاء الذين لا يتعبدون بالمرة» .

هنا أرسلت منظمة المؤتمر اليهودى الأمريكى لأعضائها تبلغهم بأن الثورة الاجتماعية من أجل المساواة الدينية قد هبت . ولكن لم تكن هذه الثورة موضع ترحيب كامل من كل التنظيمات اليهودية . حيث دعت لجنة يهود أمريكا ولجنة مكافحة تشويه الصورة ، وهما الأكبر حجما والأكثر ثراء ، إلى التزام الحذر . من قبل وخلال الثلاثينات رفضت المنظمتان مقاطعة الواردات الألمانية التى دعا إليها المؤتمر اليهودى الأمريكى ، ثم عارضوا بعد ذلك فكرة اللجوء إلى ساحات القضاء . وقد حرصت لجنة مكافحة تشويه الصورة أثناء كل المناقشات التى دارت حول إلغاء الصلوات بالمدارس ألا تؤذى مشاعر الأغلبية المسيحية . وفى عام ١٩٤٩ انضم لوكالات الدفاع طرف جديد هو الحركة الإصلاحية . وقد أسست الحركة (لجنة العمل الاجتماعى) للدفاع عن الأفكار المتحررة للحركة ، وأصبحت هذه اللجنة هى الأكثر نشاطا وحماسا من كل وكالات الدفاع مستخدمة فى ذلك شبكة واسعة من المكاتب التابعة لكنيس الإصلاحيين . من أكثر هذه المكاتب شهرة وتأثيرا مركز العمل الدينى لليهود الإصلاحيين (RAC) ومقره واشنطن افتتح عام ١٩٦٢ وتولى إدارته منذ عام ١٩٧٥ الحاخام الزعيم دافيد سابرستاين . وقد حقق هذا المكتب نفوذا قويا فى العاصمة ولا يفوقه فى القوة سوى (أيباك) فقط .

وعلى مستوى المحليات ارتفع عدد مجالس العلاقات الطائفية لليهود بصورة كبيرة كل واحد منها يعمل بطاقم خاص لتوحيد عمل وكالات الدفاع فى كل مدينة من فروع بناى بريث وفروع لجنة يهود أمريكا ولجان العمل الاجتماعى التابعة للمعابد . وعادة ما يدعم هذه الوكالات اتحاد يهودى محلى، وتعمل الوكالات على إجبار كل اللاعبين على الإجماع على كلمة واحدة والحديث بصوت واحد أو على الأقل تبادل وجهات النظر ثم دعمهم جميعا بأموال التبرعات الخيرية .

وفى عام ١٩٤٤ كان عدد مجالس العلاقات الطائفية ١٤ مجلسا فقط وارتفع فى عام ١٩٥٤ إلى ٣١ مجلسا ثم ارتفع ثانية إلى ٧٥ مجلسا عام ١٩٦٤ . أما المؤسسة التى جمعت كل هذه المجالس تحت رعايتها وقدمتهم كترس واحد فى الآلة السياسية اليهودية فهى المجلس الاستشارى القومى للعلاقات الطائفية والذى تشكل عام ١٩٤٤ كجماعة «مظلة» للوكالات القومية والمحلية .

● مكافحة تشويه الصورة ●

على مدى عشرين عاما بعد الحركة التى قادها ماسلو فى نيويورك عام ١٩٤٥ ذابت معارضة التنظيمات اليهودية التى واجهت الليبرالية اليهودية الشديدة فى الكونجرس . لقد اختفت الدبلوماسية الهادئة وحل محلها العمل القانونى لمواجهة التفرقة العنصرية فى ولاية تلو الأخرى كما انهالت التبرعات على وكالات الدفاع الثلاث الكبرى وتضخمت ميزانياتها وعدد العاملين بها حيث تضاعفت الميزانية السنوية للجنة يهود أمريكا أربع مرات خلال خمس سنوات بعد الحرب من ٥٠٠ ألف دولار إلى ٢ مليون دولار . وكانت ميزانية منظمة مكافحة تشويه الصورة أقل من ذلك قليلا ، أما منظمة المؤتمر اليهودى فقد ارتفعت ميزانيتها من ٥٠ ألف دولار أثناء الحرب إلى ١,٥ مليون دولار عام ١٩٤٩ .

ولم يحدث فى كل الأحوال أن أنفقت هذه الأموال بالعناية الكافية . فقد كان لليهود دائما أعداء من اليمين الأمريكى ولم يحسن اليهود تقدير مدى إصرار المعارضة التى يواجهونها بشكل دائم . من بين الحسابات الخاطئة لليهود (قانون المشردين) الذى أقره الكونجرس عام ١٩٤٨ والذى جرى تجديده عام ١٩٥٠ . كان المتوقع أن تفتح أمريكا أبوابها لمائة ألف من لاجئى الحرب المشردين فى أوربا . وكان هذا القانون يمثل حلما من أحلام يهود أمريكا كطريق لإنقاذ اليهود من ضحايا النازى والذين بقوا على قيد الحياة فى معسكرات التعذيب لمدة عامين بعد انتهاء الحرب . وقد دعم هذا القانون فى الكونجرس لوبى كبير ضم الأساقفة الكاثوليك والكنائس البروتستانتية الكبرى والتنظيمات العمالية وإليانور روزفلت شخصيا . وعندما وصل القانون إلى مرحلة التوقيع كانت الأغلبية الجمهورية قد أدخلت عليه تعديلات بحيث يتم استبعاد معظم اليهود . من هذه التعديلات منح نصف تأشيرات الدخول للفلاحين وسكان القرى فى حين أن معظم يهود أوربا من سكان المدن . وعند تعديل القانون مرة أخرى عام ١٩٥٠ أدخلت قيود جديدة اشترك فى وضعها تحالف الانعزاليين فى الكونجرس من الجمهوريين وديمقراطيى الجنوب الغربى يتزعمهم السناتور بات ماكران من نيفادا . وانتهى الأمر بأن ١٦ ٪ فقط من إجمالى ٣٦٥ ألفا من لاجئى أوربا جاءوا إلى أمريكا كانوا من اليهود ، أى حوالى ٦٥ ألفا فقط . أما معظم الباقين فكانوا من مسيحيى دول البلطيق فروا من الجيش السوفيتى الزاحف على بلادهم . ومن بين هذه الآلاف كان هناك كثيرون من المتعاونين مع النازى تمكنوا من الهروب إلى الولايات المتحدة فى ظل القانون الذى أصدره الكونجرس . وعندما

اتضحت هذه الحقيقة شكل الكونجرس لجنة بعد ثلاثة عقود لإجراء التحقيقات وإعادة المتعاونين مع النازى إلى أوربا لمحاكمتهم . إذن الخطة التى دفعت بها لجنة يهود أمريكا لإنقاذ يهود أوربا انتهت بمساعدة أتباع النازى بدلا من ضحاياهم . فى نفس الوقت مرت لجنة مكافحة تشويه الصورة ولجنة يهود أمريكا بتغييرات ثورية داخلهما .

فمنذ بداية تأسيس لجنة مكافحة تشويه الصورة وهى ملتزمة بفكرة عدم الهجوم على أمريكا المسيحية ، كما أوضحنا فى الفصل الرابع . وقام برنامج عمل اللجنة على كتابة الخطابات ونشر الكتيبات لاقناع أعداء السامية بخطأ أفكارهم . وظل ريتشارد جوتشتات المدير القومى للجنة مؤمنا بالعمل من وراء الكواليس وابعاد الصراعات بعيدا عن عيون وسائل الإعلام ، وبعد أن تولى جوتشتات منصبه عام ١٩٣١ بوقت قصير أسس قسما لجمع المعلومات وتقصى الحقائق الخاصة بالمنظمات المتطرفة على نحو هادىء وتوصيل المعلومات للوكالات القانونية المختصة وتجنب وسائل الإعلام حتى لا تشتعل العداوات الساخنة . كما أسس مكتب (السلوك اليهودى) الذى كان يضع قواعد السلوك لليهود بحيث لا تثير المشاعر المعادية لليهود . وقد مات جوتشتات متأثرا بمرض السرطان فى نهاية الحرب العالمية الثانية وكان مؤتمر ناكراك عام ١٩٤٦ هو آخر مؤتمر يحضره . وقد خلفه فى المنصب بنچامين إيبستاين المحامى الشاب ونائبه آرنولد فورستر وتمرد الإثنان على المحاذير التى وضعها جوتشتات منذ ما قبل الحرب . وبدلا من التقصى الهادىء للحقائق فضل إيبستاين وفورستر التغلغل فى الجماعات المؤيدة للنازى وسرقة ملفاتها . وبينما كان المدير السابق يتحاشى وسائل الإعلام عقد فورستر صداقة مع الكاتب الصحفى والتر وينشيل محرر باب «النميمة» وأمده سرا بالمعلومات حول أعداء السامية . وقد دعا إيبستاين وفورستر فى عام ١٩٤٥ لأول مؤتمر صحفى لهما وأعلنا فيه أنهما يخططان للبحث عن أدلة تدين عصابات الشوارع المعادين للسامية فى مدينة نيويورك . وقد أثار هذا الإعلان جوتشتات بشدة ولكنه مات بعد عام واحد . وألغى الإثنان اللذان خلفاه مكتب السلوك اليهودى فى أول عمل لهما بعد تولى القيادة .

أما الثورة فى صفوف لجنة يهود أمريكا فقد كانت أكثر بطئاً وأكثر اصرارا وخبثا وفى النهاية أكثر عمقا . كانت منظمة الصفوة، ولازال يدير شئونها المرموقون . كما كانت الأكثر ثراء ونفوذا بين كل الوكالات اليهودية ، وقد بلغ عدد العاملين بها قرابة المائة يعملون فى برنامج موسع للأبحاث والضغط الهادىء والدبلوماسية تحت سيطرة محكمة

من قيادات وأعضاء المنظمة . ولكن لم تستطع اللجنة المقاومة طويلا . بدأت اللجنة فى خلال الثلاثينات تشكيل الإتحادات المحلية الاجتماعية والتى أسست بدورها لجان العلاقات الطائفية ، وكانت كل لجنة من هذه اللجان نموذجا مصغرا للجنة يهود أمريكا برغم عدم سيطرة اللجنة الأم على أى من لجان العلاقات الطائفية بل كانت الاتحادات تعمل بسيطرة الاتحادات المحلية والأعضاء أنفسهم . وعمل فى لجان العلاقات الطائفية جيش مدرب من العاملين بالحقل الاجتماعى والذين سعوا لاحداث تغييرات اجتماعية كبيرة . وفى عام ١٩٤٤ تقاعد النائب التنفيذى للجنة يهود أمريكا موريس والدمان وخلفه فى المنصب چون سلوسون وهو ذو جذور روسية وتمتع بإرادة قوية ، وقد بلور سلوسون أفكاره منذ أول خطاب له أمام اللجنة بقوله ان العمل من أجل اليهود لا يكون إلا بأيدى اليهود . وتحت قيادة سلوسون قررت لجنة يهود أمريكا لأول مرة أن تشكل فروعا لها وأن تفتح باب العضوية أمام الفئات المختلفة ليهود أمريكا . ودفع سلوسون اللجنة إلى تأييد الدولة اليهودية بعد أن كانت هذه الفكرة من الأفكار الراديكالية . وأسس مجلة (كومنترى Commentary) والتى ظلت لسنوات عديدة أهم وأرقى الأصوات اليهودية الليبرالية (ثم تحولت بعد ذلك فى أواخر الستينات إلى صوت المحافظين الجدد) . وربما كان الأكثر أهمية هو أن سلوسون قام بتوسيع قسم الأبحاث فى اللجنة ، وبدأ علاقة وطيدة مع العلوم الإنسانية . وخلال الأربعينات والخمسينات أصبحت لجنة يهود أمريكا من أهم الجهات غير الأكاديمية دعما لأبحاث العلوم الإنسانية الخاصة بجذور ومعانى العنصرية . وساعدت اللجنة على جمع التبرعات لدعم مدرسة (فرانكفورت) وهى مدرسة ضمت علماء اجتماع يهوداً هربوا من ألمانيا عام ١٩٣٤ واستقروا فى نيويورك . ومن بين هؤلاء برونو بيتلهام وتيودور أدورنو وهيربرت ماركوس وماكس هوركهايمر .

كان أبرز ما حققته هذه المدرسة هو أعمال النشر خلال الخمسينات حيث نشرت دراسات من خمسة أجزاء عن (الانحياز) أشرفت عليها لجنة يهود أمريكا . من ضمن هذه الدراسات (الشخصية الفاشستية) لتيودور أدورنو و (ديناميكية الشخصية) لبرونو بيتلهايم وموريس جانوفيتس و (معاداة السامية والاضطراب النفسى) وقامت بها مارى يهودا وناثان آكرمان . وقد تسببت هذه الدراسات ، التي دعمتها اللجنة ومولتها ، في ثورة حول أسلوب تفكير يهود أمريكا تجاه العنصرية والانحياز . وفى خلال الخمسينات والستينات غرست لجنة يهود أمريكا ولجنة مكافحة تشويه الصورة فى عقول جيل كامل

من اليهود فكرة أن الانحياز هو نوع من الاضطراب النفسى . وأصبح هولوكست النازى نموذجا على الصراعات داخل جماعة واحدة وأصبح نتيجة منطقية للانحياز بين عناصر هذه الجماعة . وبعد أن كانت اللجنتان فى أيامهما الأولى تسعيان لتفسير الصراعات بين عناصر كل جماعة وتبحثان فى أسباب الصراع أصبحتا الآن تلقيان باللوم على الضحايا . لقد أصبح التشدد بين يهود أمريكا أمرا ملائما من أجل اكتساب الحصانة والحصول على مكانة على المائدة السياسية . وبصباغة العالم باللونين الأبيض والأسود فقط أصبح اليهود لا يتساهلون ولا يقبلون الحلول الوسط فى الدفاع عن حقوقهم وحقوق الآخرين

يقول المنظّر الاجتماعى المحافظ توماس سويل ان الاختلاف الأساسى بين الليبراليين والمحافظين هو التفاؤل بشأن الظروف الإنسانية لليهود، ويشترك الليبراليون فى فكرة أن البشر يستطيعون تحسين حياتهم عن طريق العمل المشترك . أما المحافظون على عكس ذلك فهم يعتقدون أن الطبيعة الإنسانية مسألة أصيلة تماما ومتصدعة تماما بحيث لا تسمح بالتطوير أو التحسين . لقد كان لليهود الأمريكيين كل الحق فى أن يكونوا متشائمين أثناء الخمسينات بعد أن تلقوا درسا قاسيا حول شرور الطبيعة الإنسانية وذبح ستة ملايين منهم أثناء ذلك الدرس . وسقط ثلاثة ملايين آخرون خلف الستار الحديدى لحكم ستالين . حتى أمريكا نفسها كانت تبدو حذرة جدا فى التوجه نحو الديمقراطية ، ومع ذلك كان هناك بعض التفاؤل المعتدل . ويقول المؤرخان البارزان أوسكار ومارى هاندلين ان المشاعر كانت خليطا بين التفاؤل والتشاؤم ، ونشرا هذا الرأى فى مقال لهما عام ١٩٥٤ بمناسبة مرور ٣٠٠ عام على نشأة الطائفة اليهودية فى أمريكا . كتب المؤرخان «فى منتصف القرن العشرين كان باستطاعة يهود أمريكا أن ينظروا إلى الوراء ولديهم الشعور بالرضا عما أنجزوه فى الماضى القريب حيث انتصرت القوى الصحيحة فى الحياة الأمريكية وأعطت الفرصة للتخلص من مشاعر التوتر التى سادت الفترة السابقة . وأصبح لدى اليهود الآن شعور بالتكامل والاندماج فى الحياة الأمريكية وأظهروا ثقة جديدة فى تعاملهم مع مشكلاتهم» .

الفصل السادس

ستة أيام فى يونيو: وانتصرت عقدة الأمن

فى الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ أقلعت الطائرات الإسرائيلية فى هجوم لها قبل الفجر ثم تغير بعد ذلك وجه الشرق الأوسط ومسار التاريخ اليهودى .

اتجهت الطائرات الإسرائيلية إلى الجنوب الغربى نحو مصر وضربت مطارات هذه الدولة العربية بسيل من القنابل ، وفى خلال ساعة تقريبا تمكنت إسرائيل من تدمير سلاح الجو المصرى قبل أن يحلق فى الفضاء. وعلى مدى ستة أيام متتالية تقدمت القوات البرية الإسرائيلية من جنود ودبابات نحو مصر وحليفيها الرئيسيين : سوريا فى الشمال والأردن فى الشرق ، وعندما توقف القتال فى يوم ١٠ يونيو كانت إسرائيل قد استولت على أراض من جيرانها تعادل مساحة إسرائيل نفسها مرتين ونصفا .

ولم يوقف التقدم الاسرائيلى سوى وقف اطلاق النار الذى فرضته الأمم المتحدة بعد ستة أيام فى العاشر من يونيو .

فى تلك الأيام الستة كانت إسرائيل قد استولت على صحراء سيناء المصرية بأكملها ، وعلى مرتفعات الجولان السورية ذات الأهمية الاستراتيجية ، ومن الأردن استولت اسرائيل على الضفة الغربية ، هذه المنطقة المرتفعة ذات الكثافة السكانية العالية وذات الأهمية الدينية والتى سار فيها الأنبياء اليهود فى الماضى البعيد. واستولت إسرائيل أيضا على مدينة القدس العتيقة وحائط المبكى والأثر الأخير للهيكل المقدس أكثر رموز اليهودية قداسة والذى أغلق أمام اليهود منذ تأسيس إسرائيل عام ١٩٤٨

الآن وفى أقل من أسبوع تحولت إسرائيل إلى قوة كبرى .

وبالنسبة لليهود كان التغيير مفاجئا وكبيرا . نقلتهم الأحداث من كارثة كبرى إلى نصر عظيم . قال أبا ايبان ، وزير خارجية إسرائيل الذى تلقى تعليمه فى جامعة أوكسفورد ، أمام الأمم المتحدة : «وحدنا ، بدون أية مساعدة لم نسع للحصول عليها ،

هبت دولتنا للدفاع عن نفسها » . قال آبا ايبان هذه الكلمات يوم ١٩ يونيو ١٩٦٧ أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة .

وقال أيضا «طالما يحترم الإنسان الحرية وطالما تكافح الدول الصغيرة من أجل كرامتها ووجودها فإن انتصار جيش إسرائيل ستتناقله الأجيال بزهو وفخر » .

ولم يتأثر أحد بكلمات آبا إيبان بنفس قدر تأثر يهود أمريكا ، وترددت حكاية الانتصار الاسرائيلى مرة بعد أخرى داخل المعابد ولعدة سنوات تالية فى الاجتماعات اليهودية والصحافة اليهودية أيضا ، لقد استغرق الأمر ربع قرن من الزمان حتى أتت هذه اللحظة واستطاع بعدها يهود أمريكا أن ينظروا إليها كأروع لحظات الحياة .

لقد وضع هذا الانتصار حدا لعصر وبداية لعصر جديد فى حياة يهود أمريكا ، ففى تلك الأيام أصبح بإمكان اليهود أن يفخروا لكونهم يهودا .

وبرغم أن هذه الحرب دارت فى مكان بعيد للغاية إلا أنها تركت أثرا شخصيا كبيرا على الكثيرين منهم شعروا بالارتباط والتعاطف مع إسرائيل وكأن مصيرها هو مصيرهم .

اتخذت ردود الفعل أشكالا عديدة ، فى نيويورك خرجت مسيرة مؤيدة لإسرائيل فى يوم ٢٨ مايو ١٩٦٧ اشترك فيها ١٥٠ ألف شخص وهو أكبر تجمع ليهود أمريكا حتى تلك اللحظة . وفى واشنطن تلقى المحامى الشاب بول بيرجر الذى يعمل بنشاط فى مجال الشئون اليهودية مكالمات تليفونية عديدة فى ساعة متأخرة من المساء من مسئولين حكوميين لم يذكروا من قبل أنهم يهود والآن يتحدثون إليه ليعرفوا كيف يمكن أن يقدموا المساعدة . وعلى مستوى الدولة نظم اتحاد النداء اليهودى حملة طارئة لمساعدة إسرائيل لتمويل نفقات الحرب وتعويض خسائر الاستعدادات التى سبقت الحرب الفعلية ، وخلال ستة شهور جمع الاتحاد ٣٠٧ ملايين دولار وهو مبلغ يصل إلى ضعف ما جمعه الاتحاد فى عام كامل .

وفى بالتيمور تولت «شوشانا كاردين» وكانت وقتئذ متطوعة شابة فى اتحاد النداء اليهودى ، جمع التبرعات اليهودية فى أحد البنوك المحلية ، كان المتبرعون يقدمون نقودا سائلة ومن لم تتوفر لهم السيولة اللازمة تبرعوا بالمجوهرات وآخرون رهنوا منازلهم لصالح إسرائيل . وتطوع مئات من الطلبة الجامعيين من اليهود أن يتركوا الدراسة فى وقت مبكر ليتوجهوا إلى إسرائيل من أجل المساعدة فى جنى محصول الربيع وليحلوا محل الاسرائيليين الذين يخدمون فى صفوف الاحتياطى، وعندما انتهى العام الدراسى فى

شهر يونيو تطوع آلاف آخرون من الطلبة اليهود فى أمريكا ، وبنهاية عام ١٩٦٧ توجه عشرة آلاف شاب أمريكى لإسرائيل للعمل كمتطوعين .. لم يحدث شئ كهذا من قبل .

وأعداد أخرى كبيرة من اليهود الذين بقوا فى أمريكا حدث لهم تحول ضخم بسبب تجربة الحرب ، مثلا «مايكل روزنبرج» كان حينذاك طالبا فى الجامعة الحكومية فى نيويورك ومقرها آلبنى ، كما كان زعيما للحركة المناهضة للحرب فى فيتنام وكاتبا يساريا فى جريدة الجامعة ، ولكنه تحول تماما للنشاط المؤيد لإسرائيل داخل الجامعة وأصبح شخصا مشهورا تماما فى الجامعة وعلى مستوى الدولة أيضا فى مجال العمل من أجل إسرائيل. بعد تخرج روزنبرج انتقل إلى واشنطن وحصل على وظيفة فى «آيباك» وعمل ضمن الطاقم الخاص بأحد أعضاء الكونجرس المؤيدين بشدة لإسرائيل هو جوناثان بينجهام من نيويورك .

يقول روزنبرج «قبل حرب الأيام الستة لم تكن ديانتى اليهودية جزءا مهما من حياتى ، ولكن مجرد فكرة أن الدمار سيصيب إسرائيل استغرقتنى تماما وغيرت مجرى حياتى » .

فى أنحاء أمريكا كان هناك الآلاف من أمثال روزنبرج . كانت هناك صحوة يهودية عبر أمريكا والعالم بعد حرب الأيام الستة ، هذا ما يقوله ريتشارد شيفتر المحامى الشاب وقتئذ فى واشنطن ثم أصبح مسئولا لامعا فى وزارة الخارجية فى عهد الرئيس ريجان ثم بوش ، فى اليوم الرابع من حرب الأيام الستة ذهب شيفتر إلى حديقة لافاييت المواجهة للبيت الأبيض ليشارك فى مسيرة (انقاذ إسرائيل) وسرعان ما تحولت المظاهرة الكبيرة إلى احتفال بالنصر .

وتقول «شوشانا كاردين» ان «عام ١٩٦٧ كان نقطة تحول فى حياة يهود أمريكا، فى هذه النقطة اجتمع يهود أمريكا معا بمبادرة منهم وبدون دعوة من أحد بسبب اعتقادهم أن خطرا داهما يحيق باسرائيل والشعب اليهودى ، وأن دولتهم الوحيدة يمكن أن يلحق بها الدمار والزوال ، عند هذا الحد كان لابد من حدوث استجابة ، ولم يكن الأمر بحاجة إلى مساعدة من المنظمات اليهودية وإنما اشترك أفراد الطائفة فى الأمر تلقائيا » .

ومثل معظم الأحداث الأسطورية سنجد أن حرب الأيام الستة قد حدثت بالفعل ولكن ليس تماما بالكيفية التى يتذكرها الناس ، لقد كبرت الحكاية وتضخمت مع تناقلها من شخص لآخر .. ومع هذا التناقل ضاعت بعض الحقائق التى لا تتفق مع الاسطورة المنقولة .

نبدأ القول بأن حرب الأيام الستة ليست هى التى حولت حياة يهود أمريكا ، وإنما فترة الانتظار الحرجة خلال الأسابيع الثلاثة التى سبقت الخامس من يونيو ، كان هذا التوتر كاسحا لدرجة أنه غطى على ما حدث بالفعل عندما وقعت الحرب .

ما حدث هو أن إسرائيل قد فازت بهذه الحرب فعلا ، وبرغم أن الجماهير كانت معجبة للغاية بسرعة وحسم هذا الانتصار إلا أن المحللين الإسرائيليين والأمريكيين لم يكونوا كذلك ؛ لقد كانوا يعرفون قوة إسرائيل وضعف أعدائها ومع ذلك وبمجرد وضوح هذا الضعف العربى وبعد أن اتضح أن إسرائيل لا تواجه أية أخطار أعطى الواقع الجديد اليهود جرعة منشطة من الثقة بالنفس .

ولكن رد الفعل كان عكسيا حيث تسببت أحداث مايو ويونيو فى شد عصبى لأبناء الطائفة اليهودية الأمريكية كما أن القيادات اليهودية شعرت ، وبصورة هائلة ، بالعزلة والضعف .

بشكل موضوعى أظهرت حرب الأيام الستة أن إسرائيل أكثر قوة وأمنا مما كان يحلم به أى شخص ، يمكن أن يحدث أى شئ لإسرائيل ولكن أن تدمرها جيوش العرب فهذا أمر مستبعد الحدوث . وعلى مدى عشرين عاما تالية أكدت المواجهات العربية الإسرائيلية المتكررة هذه الحقيقة مرات ومرات .

ولكن الذى تعلمه يهود أمريكا من حرب الأيام الستة كان عكسيا تماما ، تعلموا أن إسرائيل يمكن أن تتحطم فى أى لحظة وأن العالم سيسمح بحدوث ذلك وفى العالم المليئ بالعداء والخطورة لا يهتم أحد بأمر اليهود ولذلك لا يجب أن يهتم اليهود بالآخرين .

توصل اليهود إلى استنتاج مفاجئ بأن القتل الجماعى ومعاداة السامية ليست مجرد أشياء سيئة وغبية مرتبطة بالماضى وإنما هى واقع حقيقى ، وقد كتب ميلتون هيميلفارب مدير الأبحاث فى لجنة يهود أمريكا فى مجلة كومنترى فى عدد أكتوبر ١٩٦٧ «نتيجة للحرب أعاد اليهود النظر فى أعدائهم وأصدقائهم وأصبح اليسار موضع شك كبير بالنسبة لهم فى حين أصبح اليمين موضع ثقة، كما زادت ثقة يهود أمريكا بالدول والجيوش وقلت ثقتهم بالمحادثات الدبلوماسية . لقد مال اليهود إلى الاتجاه المحافظ وإن لم يصبحوا محافظين تماما» .

وقال هيميلفارب أيضا ان اليهود تعلموا الحقيقة القديمة والمؤكدة بأن يعتمد كل شخص على نفسه وأنه لا أحد يشعر بآلام الآخر مثلما يشعر بها المتألم نفسه .

لقد كانت لحظة مهمة فى تاريخ اليهود ، فمنذ عشرين عاما وبعد مذابح النازى كان رد فعل اليهود هو الاغراق فى التفاؤل والثقة بالسياسة ، وكان رد فعلهم إزاء الحرب العالمية الثانية هو أن يخلقوا عالما جديدا لهم لا تتكرر فيه هذه الأحداث مرة أخرى ، والآن كما كتب هيميلفارب وغيره كثيرون نجد رد فعل اليهود تجاه انتصار إسرائيل الكبير هو العودة من جديد لسياسة الخوف والشك .

ما الذى سبب رد الفعل العكسى ؟ الخوف على أمن إسرائيل هو مجرد جزء من القصة ، ولكن هناك أجزاء أخرى ، ففى صيف وخريف ١٩٦٧ ثم فى عام ١٩٦٨ وقعت سلسلة من الأحداث بعضها متصل بحرب الأيام الستة وبعضها منفصل عنها ولكن هذه الأحداث مجتمعة أدت فى النهاية إلى هذه النتيجة وخلقت شعورا بالمرارة غطى على حلاوة النصر .

أول هذه الأحداث كان نتيجة مباشرة للحرب ، حيث ظهر وضع جديد لإسرائيل كقوة عسكرية كبيرة أمام الليبراليين الأمريكيين . ذلك الوقت كان قمة الصراع الخاص بفيتنام وقد تراجعت شعبية العسكرية والحرب فى دوائر المثقفين والأكاديميين ، هذه الدوائر هى نفسها التى كانت تحتضن يهود أمريكا وتغمرهم بالتأييد منذ أجيال ، الآن هم مصدر عداوة ، لقد وجد يهود أمريكا أنفسهم وأفكارهم ليسوا فى موضع ترحيب من جانب دوائر الليبراليين ، وقد أقلق هذه الدوائر استيلاء إسرائيل على أراض جديدة وبخاصة الضفة الغربية ذات الكثافة السكانية العالية ، كان الاسرائيليون أكثر من «فائزين» بل كانوا «غزاة» وبهذا تغيرت صورة إسرائيل داخل الجامعات الأمريكية بين عشية وضحاها .

والحقيقة أيضا أن إسرائيليين كثيرين لم يكونوا مرتاحين لدورهم الجديد كقوة احتلال، وخلال شهور من الحرب ظهرت فى إسرائيل موجة شعبية من مراجعة النفس وعبرت هذه الموجة عن كوامنها فى عدة كتابات منها الكتاب الذى تصدر قوائم المبيعات «تكلموا يا جنود» والذى نشر بالإنجليزية بعنوان «اليوم السابع .. الجنود يتحدثون عن حرب الأيام الستة» . ثم أغنيات شعبية ناجحة منها (أغنية السلام) ، والأهم من ذلك أن حكومة إسرائيل نفسها عرضت فى التاسع عشر من يونيو أى بعد أيام من انتهاء الحرب أن تعيد كل الأراضى التى احتلتها تقريبا مقابل التفاوض على اتفاقيات للسلام .

ولكن الدول العربية رفضت التفاوض بالإجماع ، وطلبت جامعة الدول العربية انسحابا إسرائيليا كاملا من الأراضى المحتلة ، وبذلت الجامعة جهودا دبلوماسية مكثفة من أجل هذا الغرض، وخلال أسابيع نجحت الجامعة فى تشكيل كتلة معادية لإسرائيل داخل الأمم المتحدة تضم الدول العربية والإسلامية ومعظم الدول الشيوعية ودول العالم الثالث، هذه الدول شكلت أغلبية فى الجمعية العمومية ، وشهدت مناقشات الأمم المتحدة جرعات منتظمة من الحملات المعادية للسامية ، وكان الأكثر هجوما على إسرائيل هو جميل البارودى سفير السعودية فى الأمم المتحدة الذى أخذ يذكر الآخرين بأن هؤلاء هم نفس اليهود الذين قتلوا السيد المسيح .

هكذا تحولت الأمم المتحدة إلى منصة للهجوم المستمر على إسرائيل واليهود بصفة عامة مما ترك أثرا نفسيا مدمرا على الليبراليين الأمريكيين ، كما أن معظم اليهود كانوا يرون المنظمة الدولية كحجر الزاوية فى أيديولوجية التفاؤل التى انتهجوها عقب الحرب العالمية الثانية ، كانت تجسيدا حيا لثقتهم بمستقبل إنسانى أفضل ، ولكن النغمة الآن فى إسرائيل هى أن «العالم كله يقف ضدنا » .

هذا التغيير فى العالم الثالث تجاه إسرائيل كان مثيرا للقلق ، فقد اعتبرت إسرائيل نفسها ومنذ تأسيسها تجسيدا عن حق اليهود القومى فى تقرير مصيرهم ، وعلى مدى عشرين عاما سعت إسرائيل جاهدة لتقيم علاقات مع دول آسيوية وافريقية حديثة العهد بالاستقلال ، ولكنها وجدت نفسها منبوذة وانتهى عهد الصداقة القصير مع هذه الدول ، وبدا من الواضح للاسرائيليين أن سموم كراهية اليهود أكثر قوة من تضامن المقهورين معا .

أما التغيير الأهم فقد حدث فى العالم الشيوعى ، فى عام ١٩٤٨ أيد الاتحاد السوفيتى قيام إسرائيل دبلوماسيا وعسكريا ، وخلال الخمسينات تراجعت صداقة الكرملين لإسرائيل ثم انتهى الأمر بالعداء، وبحلول عام ١٩٦٧ أصبحت موسكو الحليف العسكرى الفعلى للعرب .

بعد حرب يونيو ١٩٦٧ اتخذ العداء السوفيتى لإسرائيل منعطفا جديدا ، حيث قطعت الدول الشيوعية كلها - باستثناء رومانيا وكوبا - علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل .

وأصبح الاتحاد السوفيتى نفسه نبعا لا ينضب للدعاية المضادة والمعادية لإسرائيل ، وبدأ السوفيت فى تسليح وتدريب الفلسطينيين العرب الذين بدأوا فى شن هجمات على إسرائيل واليهود والغرب . ولم يكن هذا الموقف السوفيتى مثيرا لاحباط يهود أمريكا على أية حال ، فقد كان هؤلاء لهم نظرة قاتمة تجاه الشيوعية منذ البداية ، ولكن كان هناك أثر غير مباشر: وجد الموقف السوفيتى طريقه إلى الأمم المتحدة وظهر على صفحات الجرائد فامتلأ الجو العام بدعاية معادية لليهود بصورة لم تحدث منذ أيام النازى .

ثم ان قطاعات عريضة من اليسار الأمريكى - برغم أنهم لم يكونوا شيوعيين - أعربت عن ثقة بسياسة موسكو الخارجية أعلى من ثقتها بسياسة واشنطن خلال الستينات، حيث تسببت حرب فيتنام فى تقويض مصداقية أعداء الشيوعية بالنسبة لليبراليين ، وأصبح الاهتمام منصبا الآن على الامبريالية ، هكذا كان الحال داخل الجامعات الأمريكية، حيث سيطر الشباب الراديكالى من اليسار الجديد على الأجواء العامة ، وفى صيف ١٩٦٧ عقدت منظمة يسارية بارزة (اليسار الجديد - الطلبة المدافعون عن المجتمع الديمقراطى) أول مؤتمر عام لها وتبنت المنظمة موقفا متشددا معاديا لإسرائيل ، وبعد شهر واحد شهدت مدينة بوسطن اجتماعا ضم تيارا عريضا من الجماعات الراديكالية وجماعات اليسار الجديد تحت شعار المؤتمر القومى للسياسات الجديدة وأدان هذا التيار أيضا إسرائيل لحربها الصهيونية الاستعمارية ، وفى الشهور التالية تصاعد نقد إسرائيل من جانب قطاعات أوسع فى يسار المجتمع الأمريكى من الماركسيين الراديكاليين إلى التيار العريض من الليبراليين إلى المجلس القومى لكنائس السيد المسيح .

وكرد فعل على ذلك بدأ اليهود فى الانسحاب من الجماعات الليبرالية واليسارية وهاجموا زملاءهم الذين استمروا فى عضويتها واتهموهم بالخيانة . كتب روزنبرج «لن أؤيد أية حركة لا تقر كفاح شعبى» فى مقال له بعنوان «إلى العم توم وأمثاله من اليهود» .

كان هناك أيضا حدث آخر ساعد على زيادة عزلة اليهود برغم عدم علاقته بحرب الأيام الستة ولكنه ظهر معها كجزء منها . ففى الربيع فى مدينة نيويورك حاول المسئولون عمل تجربة جديدة هدفها لا مركزية الإدارة التعليمية والتى تشمل مليون تلميذ بالمدينة ، وبتمويل من مؤسسة فورد تم تأسيس ثلاث مناطق تعليمية فى ثلاثة أحياء ، ويدير كل منطقة منها مجلس مدرسى محلى منتخب من الحى . وكانت إحدى هذه المناطق التعليمية فى الحى الأسود من بروكلين (أوشن هيل - براونزفيل) ، وقد ظن أولياء أمور

كثيرون أن هدف اللامركزية هو أن تكون أمامهم الفرصة - كمواطنين سود - أن يتحكموا في تعليم أبنائهم والتخلص من الصبغة العنصرية البيضاء. وكان معظم المعلمين في مدينة نيويورك من اليهود - كما هو الحال الآن أيضا - كما كان التدريس دائما كخدمة عامة للمجتمع أسلوبا مفضلا بالنسبة لليهود للخروج من الجيتو منذ جيل مضى ، وهذا الاتجاه مستمر حتى اليوم بالنسبة للشباب اليهود من الليبراليين ومحبي العمل الاجتماعي .

وعلى مدى العام الدراسي ٦٧ - ١٩٦٨ حاول المجلس التعليمي المحلي في (أوشن هيل - براونزفيل) زيادة عدد المدرسين السود في المقاطعة ، ولكنهم واجهوا معارضة كبيرة من اتحاد المعلمين بمدينة نيويورك ، حيث حاول الاتحاد حماية أعضائه والابقاء على وظائفهم وتفوقهم الاجتماعي ، وقد وصلت الأزمة إلى نقطة الغليان وتحولت اجتماعات المجلس إلى مباريات ساخنة في الصراخ بين البيض والسود. بدأ السود المتحمسون للقضية في التجمع في (أوشن هيل- براونزفيل) لمساعدة الآباء ودفع العمل في برنامج مكافحة العنصرية ، بعضهم كان معاديا للبيض وبعضهم الآخر من السود المسلمين المعادين لليهود وردد هؤلاء شعارات دول العالم الثالث الماركسية والتي حققت شعبية في تلك الأيام في أوساط السود ، وظهرت أعداد كبيرة من النشرات في ذلك الحي تضع المدرسين اليهود في مكان واحد مع الاسرائيليين الامبرياليين الذين يستعبدون سكان العالم الثالث بسبب لونهم .

وفي خريف ١٩٦٨ نظم اتحاد المعلمين اضرابا للمطالبة بتأمين وظائف المعلمين؛ وللحصول على التعاطف الشعبي قام رئيس الاتحاد ألبرت شانكير بإعادة طباعة المنشورات التي وزعها السود في المدينة ، ولكن هذه الفكرة هاجمها البعض على اعتبار أنها ستدفع قضية زائفة إلى المقدمة وهي قضية معاداة السامية والتي كثيرا ما كانت محورا للخلاف بين البيض والسود ، ولكن شانكير نفذ فكرته على أية حال . وكما توقع المعارضون لفكرة شانكير فقد التهبت المناقشات في المدينة وأصبحت أكثر راديكالية . وبرغم أن هذه المنشورات لم تكن صادرة عن المجلس التعليمي المحلي ولا عن المتحمسين له إلا أن موجة غضب جارفة انصبت على المجلس وتدخلت سلطة المدينة وحلته وأنهت سيطرة السود على شئون تعليم أبنائهم .

في هذا الوقت وصلت مشاعر يهود أمريكا إلى نقطة الغليان وأصبح تشدد السود ومعاداة السامية من المحاور الأساسية لكل المناقشات العامة بين اليهود ووجد المدافعون

عن الحريات المدنية أنفسهم معزولين داخل المعابد وبدأت الجماعات اليهودية للحريات المدنية مثل المؤتمر اليهودى الأمريكى ولجنة مكافحة تشويه الصورة ، لأول مرة، فى التركيز على مشكلة معاداة السامية بين السود كخطر على اليهود ، وهاجم حاخام شاب هو مائير كاهانا جماعات التيار العام لليهود باعتبارها جماعات لا حول لها ولا قوة تقدم الاعتذارات هنا وهناك ، ولذلك أسس (جبهة الدفاع اليهودية) وسلح جبهته بالسلاسل الحديدية ومضارب البيسبول .

قبل عشرين عاما من حرب الأيام الستة كان هناك تحالف رسمى بين التنظيمات اليهودية وتنظيمات السود ، هذا التحالف كان حجر الزاوية لنجاح الاتجاه الليبرالى الأمريكى ولكن أحداث أوشن هيل – براونزفيل جعلت من الصعوبة بمكان على اليهود أن يستمروا فى هذا التحالف ، وأصبح كل زعيم أسود موضع شك لميوله المعادية للسامية . وإذا لم يكن مؤمنا بها تماما فإنه على الأقل يتساهل مع زملائه الآخرين المعادين للسامية.

ولم ينبع اضراب المعلمين فى نيويورك من فراغ فقد كانت مشاكل السود عنصر فصل داخل حركة الحقوق المدنية لعدة سنوات ، حيث فصلت بين السود الموافقين على التعاون بين البيض والسود والمعارضين منهم ، أما البيض فى هذه الحركة – ومعظمهم من اليهود – فقد انسحبوا بأعداد كبيرة منها بسبب هذا الانشقاق بين السود حيث بدا لهم أن السود متعصبون لقضاياهم، ولأنهم شعروا بعدم تمثيل هذه الحركة لهم باعتبارهم ليبراليين ويهودا .

إذن جاءت أحداث أوشن هيل – براونزفيل كنقطة تحول مهمة ، قبلها اعتقد معظم اليهود أن السود لديهم التزام عام تجاه الأخوة والعدالة الاجتماعية وبعدها شعر اليهود الذين لازالوا على هذا الاعتقاد بضرورة الدفاع عن رأيهم بعد أن زادت الشكوك فى نوايا السود لتصل إلى بؤرة الاهتمام فى أجندة عمل اليهود .

وفى النصف الآخر من الكرة الأرضية فى الاتحاد السوفيتى حدثت أشياء أخرى عززت مشاعر الخوف لدى يهود أمريكا . لقد تغيرت نظرة يهود أمريكا تجاه السياسة الأمريكية وكذلك تأثرت نظرة السياسة الأمريكية تجاه اليهود ، كان هذا العامل هو عودة الطائفة اليهودية السوفيتية إلى بؤرة الاهتمام بعد نصف قرن من الصمت والخوف . كان القمع السوفيتى لليهود عملية بطيئة ومتراكمة عبر العقود المتتالية مثلها مثل شرور الشيوعية الأخرى . فى البداية لم تكن الأمور واضحة تماما أمام الليبراليين فى الغرب الذين رأوا فقط النوايا الحسنة فى بدايات الثورة الشيوعية ، ولكن عندما اتضحت الحقائق

حول معاداة السامية داخل الاتحاد السوفيتى اهتزت الطائفة اليهودية فى أمريكا ، وشغلهم كثيرا مصير أبناء عمومتهم فى موطنهم القديم وأصبحت هذه القضية على رأس اهتمامات النشاط السياسى اليهودى الحديث .

لقد رحب يهود روسيا وكذلك يهود العالم بالثورة الشيوعية عام ١٩١٧ ورحبوا بالإطاحة بالقيصر رومانوف ونظامه الدموى ، وقد أعطت الثورة لليهود حريات لم يعرفوها من قبل ، وفى العشرينات حدث توسع كبير فى النشر باللغة اليديشية ، والمسرح والسينما والأدب اليهودى والمنح الدراسية باللغة اليديشية والروسية على حد سواء ، كما دعمت الحكومة السوفيتية مستعمرات زراعية يهودية بمساعدة لجنة التوزيع اليهودية المشتركة الأمريكية .

ولكن أسدل الستار على هذه الحريات فى نهاية العشرينات عندما أحكم چوزيف ستالين قبضته على الكرملين ، فأغلق المسارح ودور النشر وحل منظمات اليهود والمعابد وقطع الاتصالات بين اليهود السوفيت ويهود الخارج ، ومع مطالع الثلاثينات قتل الكتاب والفنانين اليهود البارزين ، وبذلك أصبحت الطائفة اليهودية السوفيتية فعليا بلا صوت مسموع ، وبحلول الحرب العالمية الثانية حدثت هدنة مؤقتة حيث استغل ستالين اليهود السوفيت للحصول على تأييد الغرب له ، ولكن بمجرد انتهاء الحرب انطفأت آخر أضواء الثقافة اليهودية فى روسيا .

عندما ولدت إسرائيل عام ١٩٤٨ اشتعل يهود روسيا حماسا لها ، وخرج عشرات الآلاف منهم إلى الشوارع عندما وصل أول فريق ديبلوماسى إسرائيلى إلى موسكو فى سبتمبر بقيادة السفيرة جولدا مائير ، وقد أثار ذلك رد فعل عنيف وحاسم من جانب الكرملين تجاه اليهود حتى رجال الحزب الشيوعى المخلصين له تماما وحرم اليهود من كل المناصب الحكومية والحزبية تقريبا .

وفى عام ١٩٥٢ تم اعدام قرابة عشرين كاتبا وشاعرا يهوديا يكتبون باللغة اليديشية هم آخر من تبقوا من جيلهم فى صباح يوم واحد من شهر أغسطس فى بدروم سجن لوبيانكا فى موسكو . لم يتبق بعد ذلك اليوم من حياة اليهود فى روسيا سوى ستة معابد متهالكة وجهازين للدعاية الشيوعية يعملان باللغة اليديشية ثم شبكة سرية من اليهود تتهامس تحت الأرض ، هؤلاء وصفهم الكاتب الفرنسى الشاب إيلى ويزل فى جريدة عام ١٩٦٦ بأنهم (يهود الصمت) . وقد نشر ما كتبه ويزل فى كتاب بالإنجليزية حقق أرقاما قياسية فى المبيعات فى نوفمبر ١٩٦٧ فى الولايات المتحدة . فى هذا الوقت كانت الأمور

تتغير بالفعل، لقد انتهى عهد الصمت بالنسبة ليهود روسيا بعد حرب الأيام الستة . لقد أذهلهم الانتصار الإسرائيلى بأكثر مما فعل بالنسبة ليهود أمريكا ، كان راديو موسكو يتنبأ بأن الدمار سيلحق بإسرائيل ، ولكن هذا لم يحدث ، وهنا جاءت الصحوة اليهودية فى روسيا فنشأت فصول سرية فى المدن الكبرى لتعليم العبرية وبعث اليهود برسائل للصحف يحتجون فيها على الدعاية المعادية للسامية ، وتجمع اليهود بأعداد كبيرة أمام المعابد الباقية فى المناسبات الدينية يغنون ويرقصون ، وتقدم آلاف من اليهود بطلبات للحصول على تأشيرات لمغادرة الاتحاد السوفيتى والذهاب إلى إسرائيل برغم أن مجرد التقدم بهذا الطلب كان يعنى البطالة عن العمل ونبذ المجتمع . ومرة أخرى ضرب الكرملين اليهود بقوة، سقط نشطاء اليهود فى المعتقلات بتهمة تشجيع الهجرة إلى الخارج أو بتهمة تدريس العبرية. وفى ديسمبر ١٩٧٠ أعدم يهوديان من لينتجراد بعد أن حاولا اختطاف طائرة سوفيتية ، ولكن فى نفس الوقت كان عشرات فقط من اليهود يحصلون على تأشيرات للخروج من الاتحاد السوفيتى .

نظم يهود أمريكا احتجاجات ومسيرات ضد الاتحاد السوفيتى ومعاداته للسامية منذ أوائل الستينات . ولكن بعد عام ١٩٦٧ وصحوة يهود روسيا تحولت هذه الاحتجاجات إلى حركة جماهيرية واسعة ، وبحلول عام ١٩٧٢ أصبحت حرية اليهود السوفيت قضية أساسية بالنسبة ليهود أمريكا ، وخرج هؤلاء بأعداد تصل إلى مئات الآلاف للشوارع الأمريكية يطالبون بحرية اخوانهم فى الاتحاد السوفيتى . ونجح اليهود السوفيت فى عرض قضيتهم على أجندة العلاقات الأمريكية – السوفيتية وأعاقوا محاولات نيكسون للوفاق مع الاتحاد السوفيتى ، أما النتيجة النهائية فكانت عام ١٩٧٣ عند اقرار قانون جاكسون – فانيك فى الكونجرس الأمريكى الذى جعل من حقوق اليهود السوفيت شرطا مسبقا للمعاملات الاقتصادية بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى .

● الهولوكست والوعي الصحيح ●

أما الحدث الرابع الذى أثر على يهود أمريكا فى أعقاب عام ١٩٦٧ فلم يكن حدثا فعليا وإنما تغييرا فى نظرة يهود أمريكا للعالم ، وقد تغلغل هذا التغيير ببطء وعمق إلى ضمائر ووعى يهود أمريكا ، وساهم فى تشكيل ردود أفعال اليهود تجاه الأحداث ، إنه الوعى الصحيح بالهولوكست .

فعلى مدى نصف قرن مضى ظهرت كتابات كثيرة للغاية عن الهولوكست ربما أكثر مما ينبغي ولدرجة لا تسمح بالتفكير الجيد أو الفهم الصحيح للحدث . ولكن كانت نقطة التحول فى فهم اليهود الدقيق للهولوكست هى نشر آرثر مورز كتابه (موت ستة ملايين) .

ويكيل مورز فى كتابه الاتهامات لحكومة روزفلت - بشكل جرئ للغاية - لتجاهلها الفرص العديدة لانقاذ اليهود من النازى ، ومنذ ظهور ذلك الكتاب قامت صناعة كاملة من الكتب التى تتبنى نفس فكرة الاهمال والتجاهل وتصدرت نسبة كبيرة من هذه الكتب قوائم المبيعات ، بالإضافة إلى فيلم وثائقى ومحكمة دولية يرأسها قاضى المحكمة العليا السابق آرثر جولدبرج والتى حاكمت قيادات العمل اليهودى الأمريكى لخضوعهم لروزفلت .

عندما ظهر كتاب مورز لمس جرحا غائرا لدى يهود أمريكا . منذ شهور كانوا يتحدثون عن تجربة إسرائيل فى الحرب والعزلة التى ترتبت عليها دبيلوماسيا ، ولكن الآن يدور الحديث كله عن عداء غير اليهود لليهود واستخدام الهولوكست كرمز ودليل على ذلك . أصبح التذكير بالهولوكست من المحاور الأساسية لنشاط يهود أمريكا، إلى جانب محورين آخرين هما الدفاع عن إسرائيل وعن اليهود السوفيت وفى بعض الأحيان كانت الدروس المستفادة من الهولوكست هى أهم المحاور على الاطلاق ، واستعادة هذه الدروس هو السبيل الأساسى لعدم تكرار المأساة .

ولكن يجب أن نذكر أنه قبل صدور كتاب مورز عام ١٩٦٨ لم يكن هناك صمت يهودى تجاه الهولوكست ، وإنما كانت هناك سلسلة من الأعمال ، فقد أذيعت محاكمات جرائم الحرب فى نورمبرج فى عامى ١٩٤٥ و ١٩٤٦ ، وأذيعت محاكمة آيخمان تليفزيونيا عام ١٩٦١ ونشرت كتب عديدة تصدرت قوائم المبيعات عن الهولوكست مثل كتاب چون هيرسى (الحائط) عام ١٩٥٠ و (مذكرات آن فرانك) عام ١٩٥٢ و(المساء) لإيلى ويزل عام ١٩٦٠ و(الفجر) لنفس المؤلف عام ١٩٦١ بالإضافة إلى أفلام روائية عديدة أنتجتها هوليوود ، وأفلام تسجيلية أيضا . ولكن هذا كله لا يقارن بالوعى اليهودى الأمريكى بالهولوكست بعد نشر كتاب مورز عام ١٩٦٨ . منذ ذلك الحين افتتحت عدة متاحف للهولوكست تكلفت عدة ملايين من الدولارات فى واشنطن ولوس أنجلوس بالإضافة إلى خطة لافتتاح متحف ثالث فى نيويورك وعدد كبير من المتاحف الأصغر فى مئات من الأماكن الأخرى ، كما أسست الحكومة الأمريكية وكالة خاصة لتعقب مجرمى النازى ومحاكمتهم عن جرائم الحرب ، وتم تعديل المناهج الدراسية على مستوى الدولة لتضم

فصولا عن الهولوكست ، وفى الجامعات بل والجيش الأمريكى أيضا ، وغير ذلك من الكتب والأفلام والعروض .

لقد تغيرت نظرة اليهود مع كل هذا الوعى بالهولوكست وعبرت هذه النظرة عن الشعور بالغضب والانعزالية المسيطرين على يهود أمريكا .

قبل ١٩٦٨ تعلم اليهود من الهولوكست أن الشعوب يمكن أن تسئ لبعضها البعض عندما تفقد رؤيتها الإنسانية فى عالم يمكن - ولابد - أن يصبح أفضل ، أما بعد ١٩٦٨ فقد تعلم اليهود ألا يسلموا قيادهم لأحد أبدا فى عالم لا يوجد ما هو أسوأ منه .

ومن بين كل الأفكار التى نتجت عن حرب الأيام الستة ، تبرز فكرة معينة وهى أن هذه الحرب قد غيرت أسلوب تفكير معظم يهود أمريكا ، ولكن الحقيقة تختلف عن ذلك بدرجة ما وهى أنه برغم أن الحرب وما تبعها قد أثرت على معظم يهود أمريكا إلا أن أقلية منهم فقط هم الذين غيروا أسلوب تفكيرهم بدرجة كبيرة .

والفارق بين الحالتين كبير ، لقد وجد كثيرون من يهود أمريكا أنفسهم خلال عام ونصف من مايو ١٩٦٧ وحتى خريف عام ١٩٦٨ منزعجين جدا بسبب عزلة إسرائيل داخل الأمم المتحدة وغاضبين جدا بسبب معاداة السود للسامية فى نيويورك تلاحقهم فى ذلك الذكريات الأليمة للهولوكست .. هؤلاء هم الأقلية التى غيرت تفكيرها والتى استعادت درس الماضى البعيد على حد قول ميلتون هيميلفارب فى مجلة (كومنترى - أكتوبر ١٩٦٧) وهو أنه لا يوجد أحد يشعر بمثل ما تشعر به من ألم .

صحيح أنهم أقلية ولكنهم يتحدثون الآن باسم الأغلبية اليهودية ، وتحركهم فى ذلك مخاوفهم من معاداة السامية والشعور بالذنب إزاء تخاذل قيادات الماضى فى واجبهم نحو يهود أوربا والشك الكبير فى غير اليهود والليبراليين وحلفائهم السياسيين . هؤلاء أمسكوا عجلة القيادة السياسية ليهود أمريكا ، ولم يحاول أحد أن يوقف دوران هذه العجلة ، وبالتالى أصبحت آراء الأغلبية غير ذات أهمية فى عملية صنع السياسة . وهذه هى الثورة الحقيقية التى أحدثتها حرب الأيام الستة. بعد شهور قليلة من انتهاء حرب يونيو ١٩٦٧ أجرى مارشال سكلير وهو واحد من أبرز الباحثين فى موضوعات السلوك اليهودى دراسة مهمة حول أثر الحرب على اليهود ونشر نتائج بحثه فى أكتوبر ١٩٦٨ .

سكلير باحث فى العلوم الاجتماعية بجامعة (باشيفا) دينية يديرها اليهود الأرثوذكس فى نيويورك ، واختار لبحثه ضاحية ليكفيل بمدينة شيكاغو وقد وجد أن مجتمع اليهود فى

ليكفيل – كنموذج على المجتمع اليهودى ككل – لم يتحول أو يتغير بالدرجة التى كان يتوقعها قبل إجراء البحث . وجد سكلير من البحث أن معظم اليهود لم تغيرهم الأزمة وإن كانت قد أثرت فيهم كما وجد أنهم يؤيدون بشكل لا غموض فيه إسرائيل وأنهم طربوا تماما للنصر . وتساءل سكلير كيف لا يحدث تغيير ثورى فى حياة اليهود؟ ثم أجاب بقوله ان يهود أمريكا يتأثرون بالأنباء السيئة بدرجة أكبر من الأنباء الجيدة ، وأن لديهم اهتماما كبيرا بإسرائيل لدرجة أن بقاءها ووجودها لا غنى عنه ليشعر يهود أمريكا بإنسانيتهم وأنه إذا ما تعرضت إسرائيل للدمار سيشعر يهود أمريكا بأنهم تعرضوا لهولوكست جديدة وبأن هتلر لازال حيا وأنه له النصر فى نهاية الأمر .

ولكن لأن شيئا من هذا لم يحدث، بل على العكس فقد انتصرت إسرائيل ، شعر يهود أمريكا بالحرية الكاملة لينصرفوا إلى شواغلهم الخاصة .

ولعل اجابة سكلير نصف صحيحة فقط . حقيقة أن معظم اليهود لم يتغيروا جذريا بسبب الأزمة ، ولكن هذا لأنه منذ بداية الأمر لم يحدث أن اعتبر يهود أمريكا وجود إسرائيل مسألة بهذه الأهمية والحيوية بالنسبة لهم. وقد أثبت سكلير نفسه هذه المقولة فى دراسة سابقة له أجراها عام ١٩٦٥ فى (ليكفيل) أيضا ، وقد وجد فى تلك الدراسة أن يهود أمريكا لديهم اهتمام عميق بإسرائيل ولكنهم لا يرونها مركزا تتمحور حوله ذواتهم ، وأن يهود أمريكا لديهم اهتمامات محلية وشخصية أكثر أهمية من إسرائيل بالنسبة لهم، منها الأسرة والطائفة اليهودية الأمريكية والمعابد والقيم الاجتماعية . وفى هذه الدراسة أجاب ٦٥٪ فقط بأنهم سيشعرون بخسارة فادحة إذا ما لحق إسرائيل الدمار، وأجاب ٢٥٪ بأنهم سيشعرون بنوع من الخسارة ، وفى سؤال آخر حول الأشياء التى تصنع يهوديا جيدا جاء تأييد إسرائيل فى المرتبة الرابعة عشرة من بين ٢٢ اختيارا .

والمدهش أنه بعد ربع قرن من الزمن، أى فى عام ١٩٨٩، أجرى الباحث الاجتماعى ستيفن كوهين دراسة مشابهة على المستوى القومى . أجاب فيها ٦٥٪ بأن دمار إسرائيل سيكون من أفظع مآسى حياتهم ، وأنه سيكون خسارة فادحة ، ومن قائمة المقومات الأساسية للأعمال اليهودية جاء تأييد إسرائيل فى الموقع الثامن بين ٢٠ اختيارا، ولكن الفارق بين قائمتى سكلير وكوهين هو أن الاهتمام بقضايا الليبرالية والعدالة الاجتماعية تراجعت من مقدمة القائمة لدى سكلير إلى ذيل القائمة لدى كوهين .

إذن هل أصبح اليهود أقل ليبرالية ؟ لا ، والدليل على ذلك أنماط التصويت الانتخابى

واستجاباتهم المسجلة فى استطلاعات الرأى وغيرها الكثير ، ولكن اليهود تعلموا أن يفصلوا بين الليبرالية واليهودية، وعلى مدى ٢٥ عاما أعقبت حرب ١٩٦٧ تعلموا أن وظيفة المنظمات اليهودية ليست أن تمثلهم وتمثل أفكارهم أو احتياجاتهم أو قيمهم ، ولذلك تمكنت تلك الأقلية الخائفة من عودة هتلر التى ذكرها سكلير من السيطرة على البنية الأساسية للتنظيمات اليهودية وحولتها إلى وسيلة دفاعية عن اليهود ، أما الأغلبية فقد بقيت بعيدة عن هذا المضمار ولم تجعل الكفاح من أجل إسرائيل على رأس أولوياتها دون أن يعنى هذا أنهم يرحبون بظهور هتلر جديد . وبعد أن أصبحت المنظمات اليهودية آلة جيوبوليتيكية بحث معظم يهود أمريكا عن مجالات أخرى يعبرون فيها عن أنفسهم وأفسحوا المجال أمام من يسمون باليهود الجدد .

اليهود الجدد لهم ثلاث جماعات كلها ليست جديدة بالمرة فالجماعات الثلاث كانت موجودة على الخريطة اليهودية من قبل ولكن كلا منها اتخذت شكلا جديدا فى أعقاب عام ١٩٦٧ .

الجماعة الأولى هى واحدة من أقدم الجماعات اليهودية الأمريكية وهى جماعة (اليهود الأرثوذكس) والثانية تضم واحدا من أحدث تيارات الفكر اليهودى العلمانى القومى المعروف باسم (الصهيونية) والثالثة التى لا تعتبر قوة يعتد بها وإنما هى دائرة محدودة من المثقفين الذين يطلقون على أنفسهم اسم (المحافظون الجدد) .

إن الفكرة الأساسية للصهيونية وهى إقامة دولة يهودية على أرض إسرائيل هى المحور الأساسى للتقاليد اليهودية ، وخلال ألفى عام من الشتات يصلى اليهود ثلاث مرات يوميا لأجل اليوم الذى تقوم فيه القدس من جديد وتجمع يهود العالم ، والشعر والصلوات من أجل القدس وجبل صهيون تملأ الطقوس اليهودية ، ويصلى اليهود فى أنحاء العالم متخذين القدس قبلة لهم .

ولكن إذا كان (صهيون) من الطقوس والعقائد القديمة إلا أن الصهيونية ليست كذلك.. فقد بدأت الحركة الصهيونية بين المثقفين العلمانيين الذين ثاروا على تقاليد اليهودية القديمة . ظل الحاخامات فى الماضى يعلمون الأجيال اليهودية أن اليهود تشتتوا وخرجوا من القدس عقابا لهم على خطاياهم ، وأن الله وحده هو القادر على إعادة صهيون بعد أن يرسل السيد المسيح ليخلصهم فى نهاية الزمان . كان الصهاينة الأوائل من مفكرى القرن التاسع عشر ، وأصر هؤلاء على أن يد الإنسان هى التى صنعت التاريخ وأن اليهود

ليسوا بحاجة لأن يقبلوا هذا العقاب الإلهى الأليم ، ودعا الصهاينة اليهود لأن يغيروا أقدارهم بأيديهم .

وقرب بداية الحرب العالمية الأولى وبرغم المعارضة الكبيرة من الحاخامات أصبحت الصهيونية حركة جماهيرية واسعة بين يهود أوربا الشرقية ، وزاد من شعبيتها الشعور باليأس تجاه اضطهاد القياصرة .

ومع نمو وتطور الصهيونية فقدت الحركة نغمتها الثورية وتحولت منظمة الصهيونية العالمية (WZO) من مجموعة من الحالمين إلى آلة سياسية معقدة يتزعمها تكنوقراط محترفون (الفنيون) ويتبعهم جهاز ادارى كبير .

وانقسم أتباع الصهيونية إلى فرق كل واحدة منها لها فكرها الخاص حول شكل الدولة اليهودية التى يجب بناؤها : العمال الاشتراكيون أرادوا دولة يهودية عمالية ، أما الباقون ففضلوا ديمقراطية السوق الحرة بصورة تختلف قليلا عن لندن أو نيويورك ، أما الصهاينة المتدينون فأرادوا أن يقيموا دولة دينية أرثوذكسية ، وكل أربع سنوات كانت الانتخابات الصاخبة تعقد فى الأحياء اليهودية فى أنحاء العالم لاختيار قيادة المؤتمر الصهيونى العالمى، من بين الفرق الثلاث، والذى ينعقد لاختيار اللجنة التنفيذية لمنظمة الصهيونية العالمية .

فى أمريكا بدأت الصهيونية كجماعة هامشية غير مؤثرة ، ونشأت بهدف الخروج من أزمة معاداة السامية وهو أمر لم يهم يهود أمريكا كثيرا ، لقد حلوا مشكلتهم بالهجرة إلى أمريكا ، وعارضت تيارات اليهودية المستقرة بالفعل فى أمريكا - اليهود الألمان والاصلاحيون ولجنة يهود أمريكا - هذا التيار القومى الخطير . وبعد الحرب العالمية الأولى حققت الصهيونية فى أمريكا شعبية كبيرة بسبب قائدها الجديد لويس برانديس والذى اختارته قيادة المنظمة الدولية لتوحيد صفوف الصهاينة فى أمريكا عام ١٩١٤ ، وخلال عامين من توليه المهمة ارتفع عدد الأعضاء المسجلين فى المنظمة من ١٢٠ ألفا إلى ١٥٠ ألفا وارتفعت التبرعات للمنظمة بصورة كبيرة .. وظل برانديس فى منصبه لمدة عامين فقط ثم استقال بعد اختياره للعمل فى المحكمة العليا ، ومع ذلك فقد بقى يعمل بنشاط من خلف الكواليس . فى عام ١٩١٤ وقف برانديس يخطب بحماس قائلا «لنصبح أمريكيين أفضل يجب أن نكون يهودا أفضل ، ولنصبح يهودا أفضل يجب أن نكون صهاينة» وأثارت هذه الكلمات حماس ومشاعر من احتشدوا لسماعه فى بوسطن .

وخلال العشرينات عمل الزعماء الأوربيون للصهيونية الدولية على ازاحة برانديس عن موقعه بسبب دعوته الخيرية ، ولكن هذه الدعوة لاقت قبولا كبيرا لدى قطاع عريض من يهود أمريكا ، ووافق فى ذلك الوقت أعضاء لجنة يهود أمريكا على الوقوف خلف برانديس فى دعوته من أجل بناء دولة يهودية فى فلسطين ، وتبعهم خلال الثلاثينات حاخامات الاصلاحيين واليهود الاشتراكيون . وبنهاية الحرب العالمية الثانية انضم تيار كبير من يهود أمريكا وراء فكرة الدولة اليهودية ، وبمجرد اعلان قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ حازت على تأييد ودعم كل المنظمات اليهودية الأمريكية باستثناء عدد قليل من المعابد .

فى الخمسينات وأوائل الستينات كان تأييد إسرائيل كبيرا جدا بين يهود أمريكا لدرجة دفعت الصهاينة - أعضاء المنظمة الدولية - للتساؤل بصوت عالٍ : هل لازالت هناك حاجة للصهيونية .. ؟ الإسرائيليون قالوا ان مهمة الصهاينة أن يقنعوا يهود أمريكا بحزم أمتعتهم والهجرة إلى إسرائيل ، وهى مهمة رفض صهاينة أمريكا القيام بها . أما المهمة الثانية التى وضعتها الصهيونية العالمية لنفسها فهى مناقشة مستقبل اليهود ولكنها لم تعد بحاجة إلى ذلك ، ومع تأسيس دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ أصبحت منظمة الصهيونية العالمية ذراعا للحكومة الإسرائيلية وواجبها الأول أن تحترم قانون إسرائيل الأساسى والذى نص فى عام ١٩٥٢ على أن المنظمات القومية عليها أن تنظم علاقة إسرائيل بيهود الشتات ، وكانت إسرائيل تسعى للحصول على دعم هؤلاء وليس الدخول معهم فى جدل .

قرب نهاية عام ١٩٥٣ وفى اجتماع دار فى الخارجية الأمريكية أثار واحد من أبرز خبراء أمريكا فى شئون الشرق الأدنى وإفريقيا - هنرى بيرود - سؤالا مهما ألقاه على أسماع رئيس منظمة الصهيونية العالمية ناحوم جولدمان ، سأل بيرود جولدمان عن وسيلة تجعل يهود أمريكا يوحدون صوتهم . كان بيرود سعيدا بعمله فى الشرق الأدنى باستثناء شئ واحد هو أن يضطر للاستماع لكل الجدل اليهودى حول سياسة أمريكا فى المنطقة، وكان يشاركه الشعور وزير الخارجية جون فوستر دالاس الذى خسر السباق على مقعد بمجلس الشيوخ لصالح منافس يهودى ديمقراطى - هيربرت ليمان - عام ١٩٤٨ ، وألقى دالاس اللوم على اليهود فى هذه الخسارة .

أما ناحوم جولدمان ، الذى ولد بألمانيا وعاش فى جينيف أثناء الثلاثينات، فقد ظهر كدبلوماسى مؤثر فى منظمة الصهيونية العالمية ، وكان أحد الصهاينة القلائل الذين يحتفظون بروح الدعابة أثناء لقاءاته مع زعماء أوربيين ، وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية

واستقرار معظم قيادات منظمة الصهيونية الدولية فى إسرائيل استقر جولدمان فى نيويورك ومن هناك استمر فى عمله بالمنظمة ، وكان موضع ترحيب مستمر فى قصور الرئاسة كمتحدث باسم يهود الشتات ، وإلى جانب عمله فى منظمة الصهيونية العالمية تزعم المؤتمر اليهودى العالمى وعددا آخر من المنظمات.

المهم أن جولدمان وعد بيرود بأن يحاول أن يجمع يهود أمريكا تحت سقف واحد ، وتعاون جولدمان مع آبا إيبان السفير الاسرائيلى فى واشنطن لتحقيق هذا الهدف ، وأقنع جولدمان رؤساء عشرات من التجمعات اليهودية للقاء غير رسمى واتفق الجميع على تأسيس منظمة (مؤتمر زعماء المنظمات اليهودية الكبرى) والتى تعرف باسم (مؤتمر الزعماء) اختصارا ، وكان الهدف من هذه المنظمة هو التعبير عن اجماع يهود أمريكا على تأييد إسرائيل .

ولعدة شهور أدار جولدمان (مؤتمر الزعماء) من ماله الخاص ولكنه أدرك سريعا أن المنظمة بحاجة إلى مزيد من الهيكلة وأقنع أحد مستثمرى العقارات فى شيكاغو فيليب كلوتسنيك - رئيس بناى بريث - بأن يتولى القيادة ، وتم تعيين مدير للعاملين بالمنظمة الجديدة هو يهودا هيلمان الذى حضر مؤخرا من إسرائيل ، وأخذ جولدمان وآبا إيبان يراقبان الأحداث من بعيد ، وقد حازت منظمة (مؤتمر الزعماء) اعترافا كبيرا من جانب البيت الأبيض والخارجية الأمريكية كصوت ممثل ليهود أمريكا ولكن ظهورها لم يمنع المنظمات الأخرى من الطرق على أبواب البيت الأبيض وانتهى الأمر بوجود صوت جديد إلى جانب الأصوات الأخرى القديمة .

● الذراع الضاغطة ●

إذن لقد أصبح ليهود أمريكا صوتان مركزيان : (ناكراك) كما جاء فى الفصل الخامس و(مؤتمر الزعماء) ، ثم ظهر صوت ثالث هو لجنة العلاقات الأمريكية الإسرائيلية (آيباك) والتى نشأت فى عام ١٩٤٤ كمكتب لمنظمة الصهيونية العالمية فى واشنطن . وبعد قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ تغير اسم المكتب وسجل كجماعة ضغط رسمية لدى الحكومة الأمريكية ، وفى منتصف الخمسينات أعيد تنظيم اللوبى الصهيونى مرة أخرى ولكن هذه المرة - ولتفادى النقد - كممثل لحكومة أجنبية . ونشأت علاقة رسمية بين آيباك ومؤتمر

الزعماء : أيباك تضغط على الكونجرس بينما مؤتمر الزعماء تتولى المكاتب التنفيذية ، وكل منظمة منهما تحتفظ بتمثيل لها لدى المنظمة الأخرى . رسميا أصبحت أيباك هى الذراع الضاغطة للتنظيمات اليهودية ولكنها فعليا كانت عبارة عن مكتب يعمل به رجل واحد هو مؤسسها ومديرها الصحفى الكندى المولد إيسايا كينين .

كان كينين شخصا دمث الخلق وكان معجبا بالمشـرعين فى الكونجـرس ويكـن لهـم احتراما كبيرا ، وكان الأمر كذلك بالنسبة للمشرعين أيضا، وتميز أداؤه بالعبقرية من حيث حسن التوقيت والتقدير السياسى، والنتيجة أنه حقق لإسرائيل كل ما تريده عن طريق عدد قليل من المكالمات التليفونيـة ، مؤكدا على شئ واحد هو أنه لا ضـرر من مساعدة دولة ديمقراطية حديثة السن تدافع عن وجودها ضد المتطرفين والطغاة، أما إذا كان الاتصـال التليفونى لا يكفى ، فقد كان كينين يجرى اتصالات أخرى مـهمـة مع الحاخامات وزعماء الطائفة اليهودية ممن يستطيعون أن يؤثروا على النواب المنتخبين . وقد عمل كينين عن قرب مع يهودا هيلمان مدير (مؤتمر الزعماء) وإيسايا مينكوف (ناكراك) ، واشترك ثلاثتهم فى توجيه وتنسيق النفوذ اليهودى ومعهم سفير إسرائيل أبا إيبان كشريك رابع خفى .

ويقول إيرفينج ليفين الذى عمل طويلا فى لجنة يهود أمريكا ان «معظم اليهود يتحدثون بصوت مرتفع ونبرة عدوانية ويستفزون الآخرين، أما هؤلاء الثلاثة فقد عرفوا كيف يتعاملون مع الآخرين ويعملون بأسلوب هادئ ».

قبل عام ١٩٦٧ كانت الفكرة السائدة أن تيار الأرثوذكس مجرد قوة يهودية مفقودة يرفضها الصهاينة العلمانيون ، وبالنسبة للآخرين الذين عاشوا فظائع الهولوكست لم يكن تيار الأرثوذكسية تيارا يمكن تصديقه أو الانتماء إليه ، وظل اليهود الأرثوذكس يؤكدون دائما أنهم المذهب الصحيح للديانة اليهودية ، ولكن هذا الادعاء لم يكفل لهم أكثر من وجود هامشى بين اليهود الاصلاحيين ودولة إسرائيل تحت قيادة العلمانيين .

وكانت أوربا الشرقية المعقل الأساسى لليهـود الأرثـوذكس ولكن أبناء هذا التيـار قد اختفوا من هناك وأبيدوا ، ولم يكن لليهـود الأرثوذكس أية جذور فى أمريكا قبل الحرب العالمية الثانية وكذلك فى إسرائيل ، وعندما وصلوا إلى هناك تبنوا تيارا حديثا للأرثوذكسيـة ، مزج هذا التيـار بين الالتزام بالطقـوس وشعـائر اليهـودية وبين الفلسـفة البراجماتية، وكان أبرز ما يميز الأرثوذكس المحدثين هو رغبتهم المخلصة فى

التعايش مع التيارين الآخرين المسيطرين على يهود أمريكا : الصهيونية واليهودية غير الأرثوذكسية .

وقد نظر الحاخامات التقليديون إلى الأرثوذكسية الحديثة بدرجة كبيرة من الحذر . وفى عام ١٩١٢ اجتمع حاخامات أوربا الشرقية لأول مرة فى التاريخ ليشكلوا تنظيما لهم يواجه هرطقة الآخرين، هذا التنظيم هو (أجودات إسرائيل) أو (اتحاد إسرائيل) وأصبح هذا التنظيم هو صوت الأرثوذكس المعارض للصهيونية واليهود غير الأرثوذكس ، ولكنه لم ينْمُ أو يتطور بحيث يصل إلى فكر الأرثوذكسية الحديثة .

وقد طور الأرثوذكس المحدثون ثقافة خاصة بهم ومزجوا بين الالتزام بقواعد الدين فى الطعام وعطلة السبت وغير ذلك من الطقوس ، ولكنهم أهملوا طقوسا أخرى أقل أهمية والتى طالما فصلت اليهود عن جيرانهم، وارتدى الأرثوذكس المحدثين الأزياء الحديثة وقبلوا بإجراء حوار بين الأديان وممارسة النشاط السياسى والذهاب لحفلات الموسيقى بل والرقص المختلط أيضا . وحمل هؤلاء شعار (التوراة والعلم) وكان هذا يعنى التعايش بين الدين والعلم دون محاولة من أى جانب منهما لتفسير الجانب الآخر .

من أبرز حاخامات هذا التيار كبير حاخامات فلسطين فى العشرينات والثلاثينات آبراهام آيزاك هاكوهين كوك وهو من مواليد بولندا ، وكان كوك يقول عن الصهيونية انه لا يمكن اعتبارها تمردا على الله ، وقال : لأن الزعماء الأساسيين للصهيونية لم يؤمنوا بالله فلابد أنه أرسلهم ليتموا عمله ويمهدوا الطريق نحو (آخر الزمان) والاستعادة النهائية للقدس . وقال أيضا ان تأسيس الدولة اليهودية ليس هو الخلاص المنتظر على يد السيد المسيح «ليس هذا هو فجر الخلاص» كما عبر عنه الحاخام كوك.

واعتنق الشباب مبادئ كوك ، واليوم يرأس ابنه الحاخام زيفى يهودا كوك المنتدى الدينى الذى أسسه والده فى الماضى ، وقد أصبح هذا المنتدى مركزا دينيا مهما فى إسرائيل ، وقد وضع حاخامات إسرائيل صلوات أسبوعية باسم الحاخام كوك تتلى فى أنحاء العالم من أجل سلامة إسرائيل أول خيوط فجر الخلاص .

ومع انتصار إسرائيل فى ١٩٦٧ ترددت أصداء أفكار الحاخام كوك في عالم اليهود الأرثوذكس ، وبالنسبة لهم كان هذا الانتصار بمثابة معجزة يصعب تفسيرها، والأهم من هذا أنها فتحت الطريق نحو الخلاص : لقد أصبحت كل الأرض المقدسة تحت سيطرة إسرائيل لأول مرة منذ العصور الأولى للديانة اليهودية ، وفيها المقدسات اليهودية جبل

الهيكل ومغارة الأنبياء وغيرها ، وبدا للآخرين أن ما حدث يؤكد صحة تعاليم الحاخام كوك .

وفى إسرائيل يسير الحاخام زيفى يهودا كوك على نهج والده ويؤكد لأتباعه أنه لم يتبق شئ لتقترب من (آخر الزمان) سوى أن يظهر السيد المسيح ويكشف عن نفسه ويعيد بناء الهيكل الثالث ، وهذ بدوره يعنى عدم أحقية القيادة العلمانية للدولة فى اغضاب الله وافساد عمله بالتنازل عن أجزاء من الأراضى المقدسة والذى يسميه حزب العمل الاسرائيلى بالتسوية على الأرض أو التفاوض على الأرض .

فى أبريل ١٩٦٨ قام مجموعة من الشباب التابعين للحاخام كوك وبقيادة حاخام آخر ألمانى الأصل ومتشدد الاتجاهات هو موشى ليفنجر بالذهاب إلى مدينة الخليل المحتلة ونزلوا فى فندق ليقضوا هناك احتفالات عيد الفصح . ولكن عندما انتهت عطلة الأعياد رفض ليفنجر ومن معه أن يرحلوا وأعلنوا أنهم قد عادوا إلى مدينة الأنبياء ، وأثار هذا التصرف الاضطراب داخل الحكومة الإسرائيلية خوفا من بقاء هؤلاء المتشددين فى قلب المدينة ذات الأغلبية العربية المسلمة والتى يصل تعدادها إلى خمسين ألفا ، ولكن لم تكن هناك الارادة السياسية لإبعاد ليفنجر وأتباعه ، وبعد عدة أسابيع وافق الحاخام على مغادرة الفندق فى مقابل الحصول على تصريح حكومى لإقامة منزل على ربوة على مشارف مدينة الخليل . هذا المنزل أصبح نواة لمستوطنة يهودية هى (كريات أربع) التى كانت الحلقة الأولى فى سلسلة مستوطنات يهودية أقيمت فى الأراضى المحتلة ، أسسها أتباع الحاخام كوك بقيادة ابنه زيفى والحاخام ليفنجر، وكون الاثنان منظمة للعمل فى بناء المستوطنات باسم (جوش أمونيم) أو (كتلة الإيمان) ، وهدف هذه المنظمة هو ملء الأراضى العربية بالمستوطنات اليهودية ليصبح الطريق مفتوحا أمام ظهور السيد المسيح وفجر الخلاص ، ويؤمن أتباع جوش أمونيم بأن التنازل عن الأرض سينزل غضب الله على إسرائيل وقد يؤدى إلى دمارها وتشتيت اليهود للمرة الثالثة .

وخلال عشر سنوات سيطرت جوش أمونيم على المناقشات العامة لمجتمعات اليهود الأرثوذكس من الخليل وحتى هونولولو ، وامتد أثرها ونفوذها إلى ما وراء حدود الأرثوذكس . واعتبر نشطاء اليسار واليمين على حد سواء المستوطنين من أتباع جوش أمونيم أفضل أشكال اليهودية المعاصرة وأكثرها ذكاء ، وأنهم الورثة الروحيون لرواد الصهيونية والاشتراكية الذين أسسوا دولة إسرائيل . وبالنسبة للكثيرين نجح المستوطنون

فى تحـــويل صـــورة الأرثوذكس من مـجـرد الدعوة الدينية الكلامـيـة إلى حـرس وحُمـاة للشعب اليهودى .

لقد كان النفوذ الصهيونى وأثره على السياسة الأمريكية فى الواقع العملى أقل كثيرا من التصور النظرى .

هذه البسالة التنظيمية الجديدة لليهود تؤكد الأساطير المسيحية الأولى حول التآمر اليهودى ، فى أواخر الأربعينات تكررت شكاوى وزير الخارجية البريطانى إرنست بيڤين من قوة يهود نيويورك الذين وضعوا الرئيس الأمريكى ترومان «فى جيبهم » وتدخلوا فى شئون السياسة الخارجية البريطانية . وفى الخمسينات أكد وزير الخارجية الأمريكى دالاس صعوبة اتخاذ القرارات السياسية التى تغضب التنظيمات اليهودية الأمريكية . ولكن هذه المخاوف كانت مبالغا فيها ، حيث لم يمنع النفوذ اليهودى بيڤين من العمل على اخفاء الصوت الصـهيونى ومنع الصـهاينة من حيازة الأرض ومنع هجرة اليهود إلى فلسطين هربا من أوربا النازية ، أو الامتناع عن مساندة العرب أثناء حرب الاستقلال عام ١٩٤٨ . ولم يمنع النفوذ اليهودى حكومة آيزنهاور من مساندة مصر أثناء أزمة السويس عام ١٩٥٦ . الحقيقة أن آيزنهاور قد ندم ، فيما بعد ، على قراره بإلزام إسرائيل بالانسحاب من سيناء عام ١٩٥٧ رغم الأصوات اليهودية المعارضة لذلك ورغم معارضة الكونجرس أيضا ، فقد كان من أثر ذلك أن جعل من عبدالناصر بطلا مناهضا للاستعمار فى العالم الثالث كله ، وكان انتصار عبدالناصر على العدوان الثلاثى – إسرائيل وبريطانيا وفرنسا – عامل دفع وتعزيز لكل الثورات المعادية للغرب لمدة عشرات السنين ، وقد قال آيزنهاور لأصدقائه قبل وفاته «بمزيد من النفوذ الصهيونى فى واشنطن فى الخمسينات كان يمكن أن نتجنب الوقوع فى ذلك الخطأ» . ولكن لا يعنى هذا أن كينين واللوبى اليهودى لم يكن لهما تأثير على السياسة الخارجية الأمريكية ، ولكن هذا التأثير والنفوذ كانت لهما حدود دقيقة ، لقد نجح اللوبى الصهيونى من حين لآخر فى محاولاته للتأثير على تفاصيل السياسة الأمريكية وفى كثير من الأحوال أخفق اللوبى فى التأثير على رجال الكونجرس بأسلوبهم المتشدد وصوتهم العالى ، ففى الأربعينات ضاق الرئيس ترومان بزعيم الصهاينة الحاخام آبا هليل سيلفر – من كليفلاند – ومنعه هو وأتباعه من دخول البيت الأبيض، كما يقال أيضا ان داڤيد نيلز مستشار البيت الأبيض للشئون العرقية والأقليات فى عهدى روزفلت وترومان كان شديد الإلحاح فى الدفاع عن قضايا

الصهيونية لدرجة أن ترومان امتنع تماما عن الاستماع لآرائه .

وكثيرا ما كان الكونجرس يصدر بيانات ضعيفة للاعراب عن تأييد إسرائيل ، ونادرا ما تحولت هذه البيانات إلى ترجمة عملية للدفاع عن الدولة الناشئة ، ولم تتجاوز المساعدات المالية لإسرائيل هامشا ضئيلا من إجمالى المساعدات الخارجية الأمريكية . فى عام ١٩٥٢ وصلت المساعدات إلى ٧ر٦٣ مليون دولار وفى ١٩٥٣ وصلت إلى ٦ر٧٣ مليون دولار ثم انخفضت فى عهد آيزنهاور عام ١٩٥٤ إلى ٤١ مليون دولار ، نصفها قروض ترد ، ثم انخفضت مرة أخرى بمقدار النصف - ٢٤ مليون دولار - عام ١٩٥٥ أى حوالى ١ على ١٠ من الميزانية الأمريكية التى خصصت فى ذلك العام لفيتنام ولاوس وكمبوديا، وأقل من نسبة ١ / من إجمالى المساعدات الخارجية الأمريكية والتى بلغت حينئذ ٣ر٣ مليار دولار ، أما عن المساعدات العسكرية فهى لم تحدث بالمرة .

ويرغم تكرار الإعلان عن الصداقة بين أمريكا وإسرائيل خلال الأربعينات والخمسينات إلا أن الدولتين لم تكونا حليفتين . كانت واشنطن فى ذلك الوقت متحالفة مع العراق وتركيا وايران بشكل رسمى فيما عرف باسم حلف بغداد . وأبعدت إسرائيل خوفاً من اثارة مشاعر حلفاء أمريكا المسلمين . وعندما تصاعدت منافسة كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فى الهيمنة وبسط النفوذ على الشرق الأوسط أواخر الخمسينات ، بدأت الولايات المتحدة فى إرسال السلاح للأردن للابقاء عليها داخل المعسكر الغربى . وظلت فرنسا هى مورد السلاح الأساسى بالنسبة لإسرائيل . وقد تزايد النفوذ الصهيونى نسبياً أثناء حكومتى كنيدى وجونسون وكان هذا لأن ارتباط اليهود بالمجتمع الأمريكى قد تزايد ولأن أثرهم فى المجتمع قد تزايد أيضا . فى ذلك الحين أصبح اليهود متبرعين ذوى أهمية بالنسبة للحزب الديمقراطى وشغلوا مناصب مهمة فى الاتحادات العمالية والتى كانت من العناصر المهمة بالنسبة للحزب الديمقراطى ، وشغل اليهود مواقع بارزة فى الدوائر الليبرالية للمثقفين والمفكرين والأكاديميين . وبشكل لم يسبق له مثيل أحاط كنيدى وجونسون نفسيهما بعدد كبير من اليهود فى المكتب البيضاوى من بينهم مستشارون مقربون ومتبرعون أسخياء وأصدقاء على المستوى الشخصى.

كان جون كنيدى صاحب أول صفقة سلاح أمريكية تصل إلى إسرائيل ، حيث أقر صفقة صواريخ هوك والتى استلمتها إسرائيل بعد اغتيال كنيدى عام ١٩٦٤ . واستمر ليندون جونسون على نفس سياسة كنيدى الدافئة تجاه إسرائيل . وكان جونسون أول رئيس أمريكى يستقبل رئيس وزراء إسرائيليا فى زيارة رسمية حيث

استقبل ليفى أشكول فى البيت الأبيض عام ١٩٦٤ . ثم أقر چونسون فى عام ١٩٦٦ ثانى صفقة سلاح أمريكى لإسرائيل وهى صفقة طائرات حربية.

ولكن ينسب معظم الفضل إلى ريتشارد نيكسون الرئيس الجمهورى - الذى لم يحصل على تأييد يهودى كبير فى الانتخابات - فى خلق شكل جديد للعلاقة بين أمريكا وإسرائيل وهو الشكل الأقرب لما هو معروف لدينا الآن . لقد جعل نيكسون من إسرائيل أكبر متلق للمساعدات الخارجية الأمريكية وهو الذى رفع الحدود عن تصدير السلاح الأمريكى لها ، واعتبر إسرائيل سنداً استراتيجياً للولايات المتحدة . رغم ذلك لم يكن نيكسون محبوباً بين يهود أمريكا بسبب انتمائه للمحافظين المتشددين . ويبدو أن المشاعر كانت متبادلة بين الطرفين . فبعد نشر شرائط عديدة ومذكرات للرئيس اتضحت حقيقة آرائه المعادية للسامية . ولكن الغريب أن نيكسون حافظ على علاقات وثيقة مع دوائر يهودية عديدة لعل أهمها علاقته بمجموعة صغيرة من الكتّاب والباحثين المنتمين لتيار المحافظين الجدد . وكان المحافظون الجدد ليبراليين فى السابق ولكنهم أعربوا بصخب شديد فى منتصف الستينات عن فقدان ثقتهم بالليبرالية واحباطهم بسببها . وكلمة «الجدد» هنا لا تعنى أية أفكار جديدة ولكنها تعنى حداثة عهد هؤلاء بالتيار المحافظ . ومع ذلك بقيت بعض الخيوط تربط بين المحافظين الجدد وجذورهم الليبرالية . وعلى عكس قدامى المحافظين فضل المحدثون أن يكون لأمريكا موضع وصورة قوية بالخارج . وأرادوا تقليل - وليس إلغاء - المساعدات الحكومية للفقراء . وأصبح الحرس القديم فى اليمين يرى المحافظين الجدد على أنهم ليبراليون متنكرون فى ثياب مختلفة . ووصفهم البعض بأنهم « حصان طروادة اليهودى» وقد اقتحم صفوف اليمين الأمريكى . ونظراً لأن أفكار المحافظين الجدد عريضة ومتنوعة للغاية نجد صعوبة كبيرة فى أن نعتبرها مدرسة فكرية حيث لم تجمع هؤلاء أفكار أساسية محددة ولكن جمعهم رفض أفكارهم الليبرالية السابقة.

على سبيل المثال نجد الكاتب ايرڤينج كريستول وهو الأب الروحى الفكرى للجماعة كان ينتمى للماركسية ولكن كراهيته للاتحاد السوڤيتى أدت إلى نمو اعجابه بالقوة الأمريكية ثم معاداته لليبراليين الذين تحدوا هذه القوة ، وهنا أصدر كريستول الجريدة المعبرة عن الحركة الجديدة عام ١٩٦٥ ، (جريدة بابليك انترست) . أما نورمان بودهوريتس من مجلة كومنترى وهو من أكثر الوجوه المعروفة بين المحافظين الجدد فقد

ضاق ذرعاً بالاسراف وحب المظاهر بين ليبراليى الطبقة الوسطى وأعلن تمرده على الليبرالية واستقلاله عنها فى مقال مهم كتبه عام ١٩٦٣ بعنوان (مشكلة الزنوج ومشكلتنا) وفى ذلك المقال أكد أنه «لا داع لأن يشعر الليبراليون بالذنب تجاه السود . وأنه حيث نشأ فى بروكلين لم يكن السود مقهورين بل قهروا الآخرين».

ويقول ايرفينج ان التجربة الشخصية والعداء تجاه الزملاء الليبراليين القدامى هما اللذان جمعا المحافظين الجدد . وقد ولدت جماعة المحافظين الجدد أثناء الثلاثينات فى كافيتريا احدى كليات كولدج سيتى فى نيويورك ، والتى كانت تعج بأبناء الطبقة العاملة من اليهود المهاجرين . وكانت مركزاً ساخناً لتفريغ الأفكار الاشتراكية أثناء فترة الكساد الاقتصادى . وبدأ البعض فى الالتفاف حول ماكس شاختمان الذى آمن بأفكار تروتسكى . كان شاختمان ذكياً لامعاً محباً للجدل والنقاش دون اهتمام كبير بالجوهر . والتف حوله الاشتراكيون الثوريون الذين آمنوا بأن الثورة الشيوعية أسوأ كثيرا من الرأسمالية الأمريكية . وبعد التخرج دخل هؤلاء مجالات العمل الأدبى والأكاديمى ، وبدأوا فى مسيرتهم نحو اليمين خلال الأربعينات والخمسينات. ومع بداية الستينات أصبح هؤلاء مدافعين عن النظام الأمريكى وأعداء لنقاده .

ولم يكن كل المحافظين الجدد من اليهود . أما اليهود منهم فقد ظلوا متعلقين بالعلمانية وعدم الولاء الدينى مثل عهدهم القديم بالماركسية ، ولكن رغم هذا فإنهم يعرفون بأنهم أحد التجمعات اليهودية وذلك لعدة أسباب من أهمها أنهم يشكلون مدرسة فكرية يميزها انعزال اليهود داخل التيار اليمينى الأمريكى وكأنهم قرية مغلقة على من فيها وسط أرض لم يطأها يهود قبلهم .

وأعلن المحافظون الجدد عن صوتهم وأفكارهم من خلال مجلتين تحت اشراف كريستول (بابليك انترست) وبود هوريتس (كومنترى) وتؤكد المجلتان أنهما يهوديتان . والحقيقة أن مجلة (بابليك انترست) ظهرت كمجلة مستقلة علمانية لا تنتمى لأى اتجاه طائفى وبتمويل غير يهودى فى معظمه . أما (كومنترى) فقد نشأت بتمويل ودعم لجنة يهود أمريكا ، ووصفت نفسها بأنها مجلة (الفكر والرأى حول قضايا اليهود المعاصرة) .

تأسست كومنترى أثناء الأربعينات . ولم تكن تجربة ناجحة تماماً . وكان هدفها أن تكون منبراً لليهود الذين خرجوا على الخط التقليدى ، ولكنها فى نهاية الأمر جاءت كصحيفة يمولها اليهود ويحرر مادتها الصحفية اليهود أيضا . وقدمت المجلة لقرائها

خليطاً غريباً يجمع بين العلوم والثقافة اليهودية وبين قضايا أخرى معاصرة دون أى محتوى يهودى . وفى ظروف محدودة جداً نجحت المجلة فى الوصل بين هذين العاملين المختلفين فى المقالات الخاصة بالسياسة الخارجية وأزمة الشرق الأوسط ومشكلة الشيوعية . ثم فى عام ١٩٦٧ وبعد حرب الأيام الستة وصحوة اليهود السوفيت وأحداث اضراب المعلمين فى نيويورك ، أصبحت مجلة كومنترى فجأة فى بؤرة اهتمام العالم اليهودى الحديث . وكانت أحداث عامى ١٩٦٧ و١٩٦٨ مثيرة للقلق والاضطراب بالنسبة ليهود كثيرين حيث أكدت صحة ما نشرته كومنترى من قبل ؛ أن العالم مكان خطير ملىء بالشرور، وأن أكثر قوى العالم شراً هى الشيوعية ، وأن الصراع بين الشيوعية والديمقراطية لا مفر منه ولا يقبل أى تفاوض وهو صراع بين الخير والشر ، وأن الصراع ضد الامبريالية فى العالم الثالث – وراديكالية السود فى أمريكا – ما هو إلا هجوم جديد على الديمقراطية .

وجذبت كومنترى انتباه الصفوة الأمريكية السياسية بعد تردد، حيث سمعت هذه الصفوة صوتاً يهودياً جديداً . ربما لأنها أوضحت تفسيرات معقولة لما يقلق يهود أمريكا وربما لأنها تحظى بدعم لجنة يهود أمريكا ، وأخيراً لأنها تعكس ثقة كبيرة بالنفس بين المحافظين الجدد نمت وترعرعت بينهم منذ أيام الدراسة الجامعية . وبمرور الوقت تنبأت كومنترى بأن يهود أمريكا قد انتهى عهدهم بالليبرالية وأنهم سيلحقون بصفوف المؤيدين للجمهوريين ، ولكن الواقع يؤكد أن هذا لم يحدث أبداً. وفى كل أربع سنوات – منذ عام ١٩٦٨ – تؤكد المجلة مراراً وتكراراً أن اليهود سيرون النور قريباً ويمدون يد الصداقة لليمين ، ولكن فى كل مرة يثبت عدم صحة النبوءة .

أما باقى الدولة فقد تحولت فى عام ١٩٦٨ على أية حال . وكان فوز ريتشارد نيكسون الضئيل على منافسه هيوبرت همفرى فى انتخابات الرئاسة التى جرت فى ذلك العام بداية عهد جديد للسياسة الأمريكية ، حيث بدأ ربع قرن من الزمان لم يخرج فيه اليهود الجمهوريون – تقريباً – من البيت الأبيض . وقد رأى نيكسون فى المحافظين الجدد أكثر من تعبير أو تفسير لقلق ومخاوف اليهود . وجدهم طريقاً سهلا يصل به إلى عقول وقلوب اليهود بل وجيوبهم أيضاً. وفى أذهان العامة أصبح اليهود الجدد – ١٩٦٧ – الصهاينة والأرثوذكس والمحافظون الجدد هم قيادات يهود أمريكا . إنهم يمثلون التحدى الصارم والغضب الشديد لدرجة جعلت باقى اليهود يقفون خلفهم باحترام بالغ ويسلمون

لهم القياد ، إذن فالأقلية سمح لها بأن تتحدث باسم الصوت اليهودى وتتكلم نيابة عن الأغلبية .

ونجد فى ضوء هذا كله أن الدفاع عن اليهود وقضاياهم قد مر بتحول كبير فى المفاهيم ، وأن العالم بعد عام ١٩٦٧ انقسم إلى فريقين إما أصدقاء أو أعداء لليهود، أما القيم الأخرى التى طالما وحدت اليهود ، المساواة والتسامح والعدالة الاجتماعية فقد أصبحت موضع شك كبير من جانب القيادات اليهودية الجديدة ، وحلت محلها قيم ومفاهيم جديدة هى الولاء للشعب اليهودى والالتزام بأهمية وجوده وبقائه ومعاداة أعدائه.

وقد تولى قيادة اليهود بعد عام ١٩٦٧ هؤلاء الذين جسدوا هذه القيم الجديدة . واليهود الآن ينتظرون أن يمثلهم الأكثر ولاء للشعب اليهودى وعاداته وقيمه والأكثر عداء لأعداء اليهود ، فى حين أنهم لا يريدون تمثيلاً لهم من جانب من يعبرون عن معتقداتهم وآمالهم .

الفصل السابع

اليهود يفوزون فى الحرب الباردة

ظهرت فكرة ضرورة خروج التنظيمات اليهودية الأمريكية إلى المسرح الدولى وأن «تفرد عضلاتها» كقوة دبلوماسية دولية فى يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٧٢ أثناء انعقاد اجتماع لجماعة بناى بريث فى واشنطن العاصمة . فى مساء ذلك اليوم عقد (المؤتمر القومى من أجل اليهود السوفيت) (NCSJ) جلسة طارئة لمناقشة آخر الانتهاكات الروسية لكرامة اليهود السوفيت . قبل ستة أسابيع - وبسبب ارتفاع معدل طلبات هجرة اليهود من الاتحاد السوفيتى - فرضت الحكومة السوفيتية ما أسمته بالضريبة التعليمية على راغبى الهجرة . فى ذلك الوقت كان معدل هجرة اليهود قد بلغ ثلاثين ألفا سنويا . ومنذ صدور القانون السوفيتى الجديد يدفع كل راغب أو راغبة فى الهجرة تكلفة تعليمه الجامعى للدولة . وقدرت هذه الرسوم بمبلغ ١٢ ألف دولار عن درجة البكالوريوس و٢٠ ألف دولار عن درجة الدكتوراه. وبالنسبة للمحللين اليهود الأمريكيين كانت هذه الرسوم عبارة عن فدية أو إتاوة ليس إلا . واجتمع المؤتمر القومى من أجل إعداد الرد المناسب بحضور ١٢٥ مندوبا يمثلون قرابة ثلاثين منظمة يهودية قومية وحوالى مائة اتحاد يهودى محلى .

وصل المندوبون إلى مكان الاجتماع وهم فى حالة قتالية ومزاج غاضب وتوقع الجميع أن يسمعوا خطبا ملتهبة تعقبها قرارات بالاجماع ثم ضغط على الكونجرس قبل أن يعود الجميع أدراجهم فى اليوم التالى على أن يتلو ذلك بيان قوى بالإدانة وحملة من المظاهرات الشعبية فى أنحاء الدولة وخطابات والتماسات للبيت الأبيض بالإضافة إلى تكهنات قليلة بقيام جماعات هامشية بردود فعل عنيفة ، ولكن ما حدث بالفعل أثار دهشة الحضور جميعا . بعد افتتاح الاجتماع بساعات قليلة تلقى مدير العاملين بالمؤتمر القومى جيرى جودمان مكالمة هاتفية من ريتشارد بيرل أحد مساعدى السناتور الديمقراطى هنرى جاكسون ، عن ولاية واشنطن ، وأراد بيرل أن يعرف ما إذا

كان يمكن للسـناتور أن يحضـر الاجتماع ليلقى كلمة على الحاضرين ، وكان المعروف وقتـها أن بيـرل وعددا من العاملين فى الكونجـرس يعدون مشـروع قـانون يربط بين العلاقات التجارية الأمريكية - السـوفيتية وقـوانين الهجرة السوفيتية الخاصة باليهود ، وبعد أخذ ورد ، حصل بيرل على الموافقة بظهور السناتور جاكسون أمام المؤتمر القومى من أجل اليهود السوفيت .

حضـر جاكسـون سريعا ومسلحا بصورة مشروع القـانون الجديد وقرأها على الحاضرين . وقد أعد هذا المشروع باعتباره تعديلا لقانون إصلاح العلاقات التجارية بين الشرق والغرب وأحد العناصر المهمة فى سياسة الإنفراج أو الانفتاح على الاتحاد السوفيتى التى تبناها ريتشارد نيكسون . القانون الذى عمل به نيكسون يمنح الإتحاد السوفيتى - من بين أشياء أخرى - وضع الدولة الأولى بالرعاية وهذا يعنى مزايا جمركية خاصة تعطى للشركاء التجاريين مع أمريكا ولكنها لم تمنح من قبل لمعظم الدول الشيوعية. أما التعديل الذى اقترحه جاكسون فكان يعنى حرمان أى دولة شيوعية تمنع مواطنيها من الهجرة للخارج من هذه المزايا التجارية .

قال جاكسـون لأعضـاء المؤتمـر انه ينـوى تقديم المشروع للكونجرس وأنه بحاجة لتأييد الطائفـة اليهودية حتى يمكنه تمرير القانون . وأكد جاكسون - مداعبـا - أن المسألة لا علاقة لها بالسياسة مشيرا إلى العـدد القليـل للناخـبين اليهـود فى دائرته ، ويعد جاكسون واحدا من أكثر أعداء الشـيوعية داخـل الكونجـرس برغم اعتقـاده بأفكـار ليبـرالية أخـرى على صعيد السياسة الأمريكية الداخلية . وقد ناقش المؤتمر القومى مشروع جاكسون حتى ساعة متأخرة من الليل . وكان المشروع فرصة جيدة لعدم تكرار خطأ عدم المسارعة لإنقاذ يهود أوربا من النازى فى الماضى . ولكن هذا المشروع يعتبر اجراء أقوى من أى سلاح امتلكه يهود أمريكا حتى تلك اللحظة. كان الصبر على السوفيت قد اقترب من النفاد واشتعل غضب المتطرفين . ففى مدينة نيويورك فى شهر يناير من عام ١٩٧٢ وقع انفجار قامت به جبهة الدفـاع اليهودى الراديكالية فى معرض فنى وراح ضحيتـه يهودى أيضا كان يريد مشـاهدة أعمـال فنانين سوفيت زائرين بالمعرض . وقد أزعج هذا التطرف المتزايد قيـادة المؤتمر القومى من أجل اليهـود السـوفيت، وزاد الضغوط الواقعة على قيادة المؤتمر لضرورة عمل شئ ما حتى لا يتسع نطاق العنف .

من جانب آخر كان يبدو أن مشروع چاكسون لن يشق طريقه فى الكونجرس ، ويمكن أن تكون هذه المحاولة باهظة الثمن سياسيا فتطيح بالمكاسب التى تحققت خلال العام السابق وأهمها ارتفاع معدل هجرة اليهود السوفيت على نحو متواضع . كما أنه من المؤكد أنه سيغضب إدارة نيكسون وهى الإدارة الأكثر ميلا نحو إسرائيل بين كل الإدارات الأمريكية السابقة . ولا شك أن الهجوم على البيت الأبيض سيؤذى إسرائيل . مجرد هذا الاحتمال أثار غضب الخارجية الإسرائيلية . فى النهاية صوت المؤتمر القومى لصالح الانفصال عن السفارة الإسرائيلية ونصيحة قادة اليهود ذوى الخبرة وأقروا الوقوف خلف مشروع چاكسون . هذه اللحظة كانت نقطة تحول حاسمة ليس فقط فى المؤتمر القومى وحركة اليهود السوفيت ولكن بالنسبة لسياسة يهود أمريكا بوجه عام . وكانت الحملة من أجل مشروع چاكسون هى الأولى فى سلسلة من المبادرات التشريعية اليهودية التى حولت اللوبى اليهودى إلى قوة سياسية كبرى فى واشنطن خلال السبعينات .

بدأ (المؤتمر القومى من أجل يهود روسيا) عمله فى أوائل الستينات بمبادرة إسرائيلية ، كانت إسرائيل ترتبط بعلاقات قوية مع (يهود الصمت) فى روسيا منذ أوائل الخمسينات عن طريق وحدة سرية تابعة لمكتب رئيس الوزراء . هذه الوحدة عرفت باسم (مكتب الاتصال) وقد عملت من خلال البعثات الدبلوماسية الاسرائيلية . وأمد المكتب يهود روسيا بنسخ من الكتاب المقدس وكتب الصلوات ونتائج التقويم العبرى والكتب الدراسية وأقام الصلات البسيطة مع اليهود . وفى أواخر الخمسينات ومن خلال دبلوماسى بالقنصلية الإسرائيلية فى نيويورك بدأت القنصلية فى تجنيد يهود أمريكيين للمساعدة فى نشر حقائق ما يدور خلف الستار الحديدى . وزاد نشاط مكتب الإتصال فى عام ١٩٦٢ فى أمريكا تحت رعاية الدبلوماسى - المحامى مائير روزين . وتمكن روزين من الحصول على تعاون عضوين يهوديين بإدارة الرئيس كنيدى وهما وزير العمل آرثر جولدبرج ووزير الصحة والتعليم أبراهام ريبيكوف . ثم بدأ روزين فى الاتصال بمدير منظمة (مؤتمر الزعماء) يهودا هيلمان وذلك من أجل وضع استراتيجية عريضة لشحن وتحريك يهود أمريكا . وقد بقى الدور الإسرائيلى فى هذه الاستراتيجية فى طى السرية والكتمان . حتى وجود مكتب الإتصال ظل سرا من أسرار الدولة حتى التسعينات .

نظم هيلمان وروزين مسيرة احتجاج فى نيويورك عام ١٩٦٣ ثم مؤتمرا لمدة يومين فى واشنطن العاصمة عام ١٩٦٤ . وجذب المؤتمر مئات المشاركين الممثلين للمنظمات اليهودية

المختلفة فى أنحاء أمريكا . رأس ذلك المؤتمر زعيـ منظمة لجنة يهود أمريكا المحامى الشهير فى قضايا حقوق الإنسان موريس أبرام . وكان المتحدث الأساسى أمام المؤتمر هو آرثر جولدبرج الذى أصبح فيما بعد قاضى المحكمة العليا الأمريكية . وعندما انتهى جدول المؤتمر رفض المشاركون فض أعماله وقرروا اعتباره جهازا دائما هـو (المؤتمر القومى من أجل يهود روسيا) والذى اعتبر فى ذلك الوقت تحالفا للمنظمات القومية اليهودية فى أمريكا وعمل كمؤسسة ظل تابعة لمؤتمر الزعماء ولكن دون هيئة عاملين . وأدارت عمل (المؤتمر القومى) مكاتب الأعضاء التابعين له بالتناوب كل ستة شهور بدأت بلجنة يهود أمريكا ثم مؤسسة الشباب الصهيونى – التابعة للصهيونية العالمية – وبعد ستة شهور أخرى تولى الإدارة (المجلس الاستشارى لشئون علاقات الطائفة اليهودية) والذى يتولى أعمـ له مسئول العلاقات الدولية فى (ناكراك) أبراهام باير، وقد كان شخصا متحمسا للعمل ولديه نشاط وطاقة لا حدود لهما وكذلك شبكة واسعة من الاتصالات بالقاعدة الجماهيرية . وبحلول عام ١٩٧٠ فتر حماس المنظمات اليهودية القومية تجاه المؤتمر القومى من أجل اليهود السوفيت ، واعتبروا أنه مؤتمر تابع لأعمال ناكراك . وبإلحاح شديد من مؤتمر الزعماء ومكتب الاتصال بقى أعضاء آخرون فى التحالف .

فى عام ١٩٧١ صوت (المؤتمر القومى من أجل يهود روسيا) ضد استمراره العمل فى مقر قيادة (ناكراك) ولصالح تأسيس مكتب مستقل للمؤتمر . وقد أثبتت تجربة ناكراك فى إدارة المؤتمر أهمية العمل من خلال مجالس العلاقات الطائفية المحلية ولكن هذا الإجراء كان يعنى تقويضا لوضع المؤتمر القومى كعمل يمثل كل الطائفة اليهودية الأمريكية. وتحت رقابة عميل مكتب الإتصال فى واشنطن ناحميا ليفانون أعيد تنظيم المؤتمر ، وتضاعف حجم مجلس إدارته ثلاث مرات وانضم إليه مندوبون عن المجالس اليهودية المحلية والاتحادات اليهودية بالاضافة إلى رؤساء المنظمات القومية . ووقع الاختيار على چيرى جودمان ليكون مديرا للمؤتمر وهو خبير شاب فى شئون السياسة الخارجية وهو تلميذ مقرب إلى ناحميا ليفانون . وبإصرار من جودمان وافق رجل الأعمال الثرى ريتشارد ماس من نيويورك على أن يكون زعيما للمؤتمر القومى من أجل اليهود السوفيت . وارتبط المؤتمر بصورة وثيقة بكل من اسرائيل ومؤتمر الزعماء والاتحادات اليهودية لكنه احتفظ باستقلاليته فى تبنى السياسات التى

يراها مناسبة . وهذا بالضبط هو ما حدث فى اجتماع سبتمبر ١٩٧٢ والذى حضره السناتور چاكسون .

لم يكن المشروع الذى قدمه السناتور چاكسون للمؤتمر من بنات أفكاره ،ولكن الفكرة اختمرت فى مكتب النائب الديمقراطى بيرترام بوديل وهو يهودى من حى بروكلين . وضع بوديل الخطوط الأولى فى المشروع بناء على اقتراح من أحد تلاميذه فى بدايات الصيف من عام ١٩٧٢ . ثم عرض الموضوع على إيسايا كينين عضو اللوبى اليهودى ومدير آيباك والذى أعجب بها تماما ، ولكنه طلب من بوديل أن يجد شخصية أكبر تدعم المشروع وتتبناه فى الكونجرس ليعزز فرصه الضئيلة للخروج إلى النور . ووافق بوديل على الاقتراح وقام كينين بعرض مسودة القانون على ريتشارد بيرل والذى عرضها بدوره على السناتور هنرى چاكسون . ويقول أحد المشاركين فى قصة هذا القانون «بهذا سقط اسم بوديل من ذاكرة التاريخ . كما أنه خرج من الكونجرس عام ١٩٧٤ بعد اتهامه باستغلال النفوذ بينما يصر حتى الآن أن خروجه من الكونجرس كان بلعبة قذرة من نيكسون ».

ريتشارد بيرل خبير لامع وله ميول قوية نحو المحافظين الجدد . وتصاعد اهتمامه بمشاكل اليهود السوفيت أثناء زيارة له لإسرائيل قام بترتيبها ناحميا ليفانون . بعد ذلك حدث تقارب كبير بين بيرل وأحد المساعدين فى مجلس الشيوخ يشترك معه فى الآراء والأفكار هو موريس عاميتاى الضابط السابق وهو رئيس طاقم العاملين فى مكتب السناتور الديمقراطى آبراهام ريبيكوف . عندما أعلن السوفيت عن قانون الضريبة التعليمية فى أغسطس ١٩٧٢ اجتمع بيرل وعاميتاى مع مجموعة من الأصدقاء العاملين فى مجلس الشيوخ لمناقشة الفكرة ، وقد حضر الإجتماع كثيرون من كبار شيوخ الديمقراطيين بالإضافة إلى أحد الجمهوريين وهو السناتور چاكوب چاڤيتس من نيويورك الذى عرف عنه الولاء اليهودى الكبير وسعيه لأن يتصدر اسمه مانشيتات الصحافة . كما دعى أيضا للاجتماع كل من كينين ممثلا لآيباك وداڤيد برودى ممثل لجنة مكافحة تشويه الصورة ثم چيرى جودمان ويهودا هيلمان الذى جاء من القنصلية الإسرائيلية فى نيويورك .

انتهى الاجتماع وخرج جودمان ولديه شعور بأن المشروع لن يتحقق من ورائه الكثير ، وبعد عدة أسابيع أثار السناتور چاڤيتس الفكرة فى كلمة له قبل مسيرة نظمت من أجل اليهود السوفيت فى مانهاتن، وحققت الكلمة صدى واسعا بين المتظاهرين وتناقلتها الأفواه بسرعة بين نشطاء العمل اليهودى فى نيويورك . فى تلك الأثناء وفى واشنطن

كان بيرل وعاميتاى يعملان بلا كلل أو ملل . وعندما حان اجتماع المؤتمر القومى من أجل اليهود السوفيت كان الإثنان قد نجحا فى الحصول على تأييد جيد بين شيوخ الديمقراطيين . ثم بعد فترة قصيرة وجد الإثنان من يتبنى المشروع فى مجلس النواب وهو النائب شارلز ڤانيك الديمقراطى من كليڤلاند وعضو لجنة (الأساليب والوسائل) بالمجلس . ڤانيك هو ابن لمهاجر تشيكى ولديه تاريخ طويل فى الدفاع عن حقوق الإنسان فى الكتلة الشرقية أما رئيس العاملين فى مكتب ڤانيك فهو مارك تيلسمان وهو يهودى تربطه صلات واسعة بيهود كليڤلاند . ويجيد تيلسمان العمل التكتيكى التشريعى .

فى أوائل أكتوبر التقى السناتور چاكسون على انفراد بالرئيس نيكسون فى البيت الأبيض لمناقشة المشروع . ووافق الرئيس على أن يؤيد شيوخ الجمهوريين المشروع فى الكونجرس مقابل ألا يثير چاكسون المسألة كقضية انتخابية فى الانتخابات الرئاسية المقبلة، فالانتخابات القادمة ستركز على سياسة الإنفراج تجاه الاتحاد السوفيتى ، ثم أن الدولة لازالت تعانى من أوجاع حرب ڤيتنام والوقت غير مناسب لإحياء الحرب الباردة . على أية حال لم يتوقع أحد أن ينجح چاكسون فى مسعاه ثم أن مساعدى الرئيس اعتبروا أن هذا الإلتزام من جانب چاكسون هو ضمان مبكر لأصوات اليهود فى الانتخابات عام ١٩٧٦ . ولكن خلال أسبوعين فقط اختلف شكل الأمور حيث نجح بيرل وعاميتاى فى جذب ٧٦ مؤيدا للمشروع داخل مجلس الشيوخ . وداخل مجلس النواب لم يتخلف تيلسمان كثيرا عن الركب . وبحلول فبراير جمع تيلسمان ٢٥٨ مؤيدا له . أما المترددون فقد جمع جودمان وكينين وبرودى أسماءهم وطلبوا من أبناء دوائرهم الانتخابية – من اليهود – أن يتصلوا بهم أو يزورونهم فى منازلهم . ويقول تيلسمان ان «ثلث من قاموا بهذا العمل كانوا واقعين تحت تأثير الإلحاح الشديد والثلث الثانى بسبب صلتهم الوثيقة بالاتحادات العمالية المعادية للسوفيت بسبب كل شئ وأى شئ ، أما الثلث الأخير فقد اشترك بمجرد أن طلب منهم» .

ولكن هذا المشروع الذى يتبناه چاكسون وڤانيك دق جرس الإنذار فى البيت الأبيض حيث ان برنامج الإنفراج الذى يقوده نيكسون برنامج معقد وحساس يقوم على الصفقات المتبادلة وجاء بعد سنوات متعبة من المفاوضات بين الطرفين . وقد مزج البرنامج بين الامتيازات التجارية الأمريكية للإتحاد السوفيتى مقابل مساعدة موسكو لواشنطن فى إنهاء حرب ڤيتنام، إلى جانب تخفيضات عسكرية ثنائية لتقليل المخاطر

النووية على الجانبين . لقد هدد مشروع جاكسون كل هذا وبعد أن كانت مناقشة الإنفراج تجرى بين البيت الأبيض والكرملين أصبحت المناقشة رباعية الأطراف بعد انضمام جاكسون والقيادات اليهودية .

سعى نيكسون فى البداية لعزل جاكسون عن مؤيديه اليهود . وبرغم أن (المؤتمر القومى) يقر مشروع جاكسون إلا أن مؤتمر الزعماء لم يقره بعد . وحاول نيكسون أن ينفذ من هذه الثغرة واختار مستشاره للأمن القومى هنرى كيسنجر للقيام بالمهمة . بالإضافة إلى أن كيسنجر أحد كبار مفاوضى الرئاسة الأمريكية مع الروس فهو يتمتع بمصداقية عالية لدى اليهود . هو شخصيا مهاجر يهودى فقد عددا من أبناء عائلته على يد النازى مما جعله الاختيار الأمثل لمواجهة مخاوف القيادات اليهودية ولأن يطلب منهم تهدئة اللعبة .

ولم يتخوف نيكسون من أن اثنين من كبار القيادات اليهودية كانا من أسخى المتبرعين للحزب الجمهورى وهما جاكوب ستاين رئيس مؤتمر الزعماء وماكس فيشر رئيس مجلس الإتحادات اليهودية . فيشر واحد من أغنى أغنياء أمريكا وهو شخصية محبوبة من الدوائر العليا للقيادات اليهودية . ولد في ١٩٠٨ لأب بقال فى مدينة صغيرة بولاية أوهايو ثم انتقل إلى ديترويت بعد إنهاء تعليمه الجامعى وكون ثروة طائلة من العمل فى سوق البترول . ويتميز فيشر بأنه شخصية واضحة ولاعب قديم لكرة القدم فى فريق الجامعة وجمهورى قديم شديد الولاء لأبناء طائفته ومع ذلك فهو لا ينتمى بأى حال للتقليديين منهم . ولكن أهم مزاياه هى استعداده الدائم لتوقيع الشيكات وإقناع أصدقائه بتوقيعها أيضا . وهذا كله يجعله شخصية بارزة للغاية فى عالم التبرعات الخيرية لليهود . كما أن كرمه الزائد جعله من الشخصيات المهمة فى الحزب الجمهورى . ثم قفز على خشبة المسرح كرئيس لصندوق تمويل انتخابات الرئاسة التى خاضها حاكم ميتشجان جورج رومنى عام ١٩٦٨ . وعندما فشل رومنى فى مواجهة نيكسون انضم فيشر لفريق نيكسون وأصبح من الوجوه المعتادة فى البيت الأبيض كمستشار لشئون اليهود وهو الدور الذى لعبه من قبل آبى فاينبرج وآرثر كريم الديمقراطيين . ولكن فيشر لعب الدور بطريقة جديدة . وبخلاف من سبقوه من اليهود فى ذلك المنصب ، أصر فيشر دائما على أنه لا يدلى بوجهة نظره الشخصية وانما يعبر عن يهود أمريكا وقياداتهم المنتخبة . وربما كان فيشر مبالغا فى تقديره لأهمية المنظمات اليهودية إلا أنه فى نهاية الأمر اتضح أن تقديره صحيح تماما ففى عهد

نيكسون وصل (مؤتمر الزعماء) إلى ما كان يصبو إليه كمتحدث رسمي باسم يهود أمريكا .

جاك ستاين رئيس (مؤتمر الزعماء) يصغر فيشر بحوالى عشر سنوات من العمر وقد نشأ فى حى بروكلين وصنع ثروته من مراكز التسوق التجارية فى لونج آيلند فى نيويورك وقدمه فيشر للعالم السياسى للحزب الجمهورى عام ١٩٦٠ واعتبره الكثيرون التلميذ النجيب لفيشر . ستاين نحيل البنية وهو يهودى متدين ودارس لعقيدته . ولم يدخل مؤتمر الزعماء عن طريق توقيع الشيكات ولكن بعد أن فاز برئاسة اتحاد المعابد اليهودية الأمريكية وهو الإتحاد الذى يجمع تيار اليهود المحافظين . وبخلاف فيشر يقول ستاين ان دخوله الحزب الجمهورى جاء من علاقاته الشخصية ولم ينبع من علاقات فلسفية أو أيديولوجية .

أبلغ كيسنجر كلا من فيشر وستاين بالتنازلات السوفيتية الموجودة بين يديه وهى : إلغاء هذه الضريبة التعليمية وإشارة إلى احتمال رفع عدد تأشيرات الخروج إلى ٣٥ ألفا بدلا من ٣٠ ألفا كل عام . وقال كيسنجر إنه يمكن الوصول إلى المزيد عن طريق الإبقاء على القنوات المفتوحة مع السوفيت بدلا من سدها . أعجب فيشر بالفكرة أما ستاين فكان ممزقاً بين الرغبة فى تحقيق الهدف وبين الخوف من فقدانه تماما . ولكنه وافق فى النهاية وبعد تردد على نقل فكرة كيسنجر إلى مؤتمر الزعماء .

فى أبريل ١٩٧٣ اجتمع (مؤتمر الزعماء) فى نيويورك من أجل الاقتراع – الذى تأجل طويلا – على مشروع جاكسون – فانيك . كان الاجتماع طويلاً وسخيفاً وارتفع الصراخ واتهامات الخيانة هنا وهناك . فيشر رجل الدولة رفيع المستوى أبقى نفسه بعيداً عن هذا الصراخ ولكن جاك ستاين كان فى قلب الأزمة وانتهى الأمر بتأييد كاسح للمشروع .

وخلال الشهرين التاليين رتب كيسنجر لكل من ستاين وفيشر لقاء مع كبار القيادات السوفيتية ومن بينهم السفير أناتولى دوبرينين ووزير الخارجية أندريه جروميكو وأخيراً زعيم الحزب الشيوعى ليونيد بريچينيف، ومن المفاوضات التى اشترك فيها كيسنجر وفيشر وستاين صدرت سلسلة من التصريحات السوفيتية المتضاربة . تارة يقولون انهم سيمنحون ٤٠ ألف تأشيرة خروج وتارة يقولون إنه لا توجد قيود بالمرة على الهجرة وأخيراً يحتجون على التدخل الأمريكى فى الشئون الداخلية للسوفيت . وخلال كل هذه

الفترة ظل كيسنجر مستمراً فى محاولاته لاقناع چاكسون و (المؤتمر القومى) للتخلى عن المشروع . وتحولت المرارة بين كيسنجر والدوائر المحيطة بالسناتور چاكسون إلى المستوى الشخصى .

● الانفراج الامريكى السوڤيتى ●

فى أكتوبر ١٩٧٣ أصاب نيكسون الشلل بسبب ووتر جيت وأصبح كيسنجر وزيراً للخارجية كما اندلعت الحرب فى الشرق الأوسط . أجرى كيسنجر محاولة أخيرة للإطاحة بمشروع چاكسون - ڤانيك . فى خلال الأسبوع الثالث الحرج من حرب أكتوبر التقى كيسنجر وستاين وفيشر وريتشارد ماس وقال لهم كيسنجر ان المساعدة الروسية مطلوبة لانهاء الأزمة الدائرة فى الشرق الأوسط واقرار السلام بعد الحرب . وافق فيشر وستاين أن يطلبا من چاكسون التراجع إلا أنه رفض وقال لهما ان كيسنجر «يستغلهما» ، وهنا قرر ستاين أن ينسحب بينما ظل فيشر معارضاً للمشروع.

ولأسابيع عديدة ظل نيكسون وحيداً ومحاصراً فى معركته يتوسل للمشرعين ألا يعرقلوا الانفراج الأمريكى - السوڤيتى ولكن الوقت أصبح متأخراً جداً . فى ١٣ ديسمبر ١٩٧٣ أقر نواب الكونجرس مشروع چاكسون - ڤانيك بنسبة ٣٣٨ إلى ٤٤ أى أنه الفوز الساحق .وعندما رأى كيسنجر اتجاه الموجة حول اتجاهه بسرعة من معارضة چاكسون إلى اللحاق بركبه ، وعلى مدى العام التالى ازداد نيكسون غرقاً فى فضيحة ووترجيت وأقنع كيسنجر السوڤيت بأن هجرة اليهود ثمن لابد من دفعه للحصول على امتيازات تجارية أمريكية ، وفى نفس الوقت أقنع كيسنجر السناتور چاكسون بأن يقبل مهلة رئاسية تعطى السوڤيت امتيازات تجارية مؤقتة لمدة عام واحد فقط طالما أنهم يسمحون بالحد الأدنى المقبول لهجرة اليهود . وافق چاكسون على مضض . فى ذلك الوقت لم يكن چاكسون يعمل وحيداً ولكن انضم إليه عضوان يهوديان فى مجلس الشيوخ هما ريبكوف وچاڤيتس . وافق السوڤيت فى أول الأمر على اصدار ٣٥ ألف تأشيرة خروج ثم أربعين ألفاً . أما مجلس الشيوخ فقد طلب مائة ألف تأشيرة ثم وافق على ٧٥ ألفاً .

فى ٩ أغسطس ١٩٧٤ استقال ريتشار نيكسون وخلفه فى البيت الأبيض نائبه چيرالد فورد النائب السابق من ولاية ميتشجان . والذى بدأ منصبه بكتابة عقد «زواج» مع الكونجرس .

خشى السفير الروسى فى واشنطن أناتولى دوبرينين من أن زيادة قوة الكونجرس يمكن أن تقتل العلاقات التجارية الأمريكية السوفيتية ، ولذلك قطع أجازته وعاد إلى واشنطن ليلتقى بالرئيس فورد . وبسرعة استدعى فورد كلا من جاكسون وريبكوف وتم الاتفاق على العدد النهائى لتأشيرات الخروج وهو ٦٥ ألفاً سنوياً وبعد أسابيع قليلة تحولت الصفقة إلى اتفاق كتابى . وبعث كيسنجر بخطاب إلى جاكسون يوم ١٨ أكتوبر يبلغه بتأكيدات السوفيت الرسمية بزيادة عدد المهاجرين السوفيت . إذن لقد أصبحت حرية اليهود السوفيت عنصراً رسمياً فى السياسة الخارجية الأمريكية ، وجزءاً مهماً من نسيج الانفراج الأمريكى – الروسى .

بعد أيام قليلة ، انهارت الصفقة التاريخية تماماً . فقد أرسل جروميكو يوم ٢٦ اكتوبر خطاباً إلى كيسنجر يحتج فيه على استخدامه كلمة «تاكيدات» . وقال ان عرض الكرملين ما هو إلا «توضيح» فقط لخططه . وأنهى خطابه بأن الكرملين يتوقع أن يتناقص الطلب على تأشيرات الخروج قريباً . أخفى كيسنجر الخطاب عن الكونجرس على أمل أن يستطيع اصلاح الأمور قبل أن تنفجر الصفقة وتضيع تماماً . فى ١٣ ديسمبر أقر مجلس الشيوخ تعديل جاكسون بنسبة ٧٧ صوتاً ضد ٤ فقط . ولكن بعد خمسة أيام أعلن السوفيت موقفهم صراحة ، وذكرت وكالة أنباء (تاس) الرسمية أن الدوائر العليا فى موسكو ترى أنه ليس من المناسب أبداً الربط بين التجارة والشئون الداخلية السوفيتية . تراجع السوفيت عن الاتفاق وانخفض عدد المهاجرين بسرعة وتزايدت الانتهاكات السوفيتية لليهود .

ولكن ما السبب فى هذا التراجع المفاجىء ؟ ألقى كيسنجر باللوم الكبير على ريتشارد بيرل وعاميتاى اللذين أطلعا الصحافة على الخطاب الذى بعث به إلى السناتور جاكسون يوم ١٨ أكتوبر مما أحرج الحكومة السوفيتية التى أرادت إبقاء الصفقة بعيداً عن الأنظار . ولكن الدوائر اليهودية أرجعت هذا الانهيار إلى حدث ثانوى ، وهو تمرير تشريع آخر فى الكونجرس جعل مزايا مشروع جاكسون – فانيك لا قيمة مهمة له بالنسبة للسوفيت . هذا التشريع هو تعديل لقانون التجديد الروتينى لتمويل بنك الصادرات والواردات الأمريكى . وقف وراء ذلك التعديل آدلاى ستيفنسون الديمقراطى ليحدد اعتمادات الواردات السوفيتية بمبلغ ٣٠٠ مليون دولار على مدى خمس سنوات وبدون الحصول على وضع الدولة الأحق بالرعاية . وقد ظهر تعديل ستيفنسون بهدوء ومر سريعاً لدرجة أنه لا كيسنجر ولا المنظمات اليهودية شعروا به حتى أصبح قانوناً سارى المفعول ،

وكان السبب فى ذلك أن ستيفنسون لم يناقش مشروعه مع أى من أعضاء اللوبى اليهودى أو فريق چاكسون – ڤانيك.

ويقول بيت ليكلاند وهو مساعد سابق لچاڤيتس «لقد جاء ذلك القانون من حيث لا ندرى . لقد جعل الروس يفقدون اهتمامهم بمشروع چاكسون . لم تكن هناك عصا فقط ولكن جزرة أيضاً وأصبح لديهم احتمال الحصول على ما هو أفضل . السوفيت يوجهون لنا الأذى اقتصادياً وسياسياً أيضاً . وأصبح من الواضح أن هناك فريقا قويا فى الاتحاد السوفيتى يعمل ضد اليهود، ثم وضع ستيفنسون المسمار الأخير فى نعش قانون چاكسون» .

ولماذا لم يضغط أحد على ستيفنسون حتى يتراجع عن مشروعه خلال شهرين مرا منذ تبنى الشيوخ له فى سبتمبر ثم حتى مروره كقانون فى ديسمبر ؟ يثير هذا السؤال جدلاً كبيراً . قال چيرى جودمان «كان يجب أن يراقب كيسنجر الأمر . نحن نعتمد على الإدارة فى مراقبة مثل هذه الأمور» .

ومنذ صدور تعديل چاكسون – ڤانيك عام ١٩٧٤ لم يتوقف نشطاء اليهود فى أمريكا والاتحاد السوفيتى على حد سواء فى التهليل له كسلاح غير مسيرة الكفاح من أجل حرية اليهود السوفيت . أما الحقيقة فإن واقع الأمر عكس ذلك تماماً . ولكن هذا التعديل كان له أثر السحر على معنويات يهود الاتحاد السوفيتى . لقد شعروا أنهم ليسوا بمفردهم وأن لديهم أصدقاء أقوياء فى النصف الآخر من الكرة الأرضية . ولكن النتيجة المرجوة لم تتحقق فقد انخفض معدل الهجرة بدلاً من أن يرتفع. ومنذ تراجع السوفيت عن صفقة كيسنجر لم يبذلوا أى محاولة للوفاء بمعدلات الهجرة المتفق عليها والحصول على وضع الدولة الأحق بالرعاية . وفى واشنطن لم يحاول أحد أن يعمل على إلغاء قانون ستيفنسون . وبقى القانونان محفوظين فى السجلات الأمريكية ضمن ما تبقى من رموز الحرب الباردة . وعلى مر السنين تذبذب معدل هجرة اليهود السوفيت بين الارتفاع والانخفاض وفقاً لما يراه الاتحاد السوفيتى وحسب رؤية الكرملين للعلاقات السوفيتية – الأمريكية . ولكن هل كانت هذه الممارسة خطأ منذ البداية ؟ يصر بعض المراقبين على أنه خطأ ذريع . ويقول ماكس فيشر « أثبت التاريخ أننى كنت على حق عندما عارضت مشروع چاكسون – ڤانيك ، كان نيكسون يحاول انجاز المهمة عن طريق الديبلوماسية الشخصية ، أما كيسنجر فقد ظن أنه يستطيع أن يخرج ٣٠ أو ٤٠ ألفاً كل عام وهذا يصنع رقماً هائلاً خلال عشرين عاماً» . .

وبينما لم يحقق التعديل الشيء الكثير من أجل اليهود السوفيت إلا أنه أحدث بحراً هائلاً من التغييرات في وضع يهود أمريكا . لقد تحدى اليهود إدارة نيكسون والكرملين وفازوا . أثبت اليهود لأنفسهم وللعالم أنهم يستطيعون أن يهبوا للدفاع عن أنفسهم ، وأخيراً سقطت عنهم تهمة التخاذل عن الدفاع عن ضحايا الهولوكست . ولكن نجد أن هناك بعض الخداع للنفس حيث لم يكن اليهود الأمريكيون هم قادة الصراع من أجل قانون جاكسون – فانيك وانما استدرجوا إليه . وزادت سخونة دفاعهم عنه بشكل تدريجي ولكن في نهاية الأمر اعتبر الانتصار في هذه المعركة انتصاراً لليهود . ولأن آخرين رأوا الأمور بهذه الطريقة أصبح انتصار اليهود أمراً واقعياً . وإذا كان ثلث من صوتوا لصالح قانون جاكسون – فانيك فعلوا ذلك بفعل الإلحاح عليهم كما قال تيلسمان من قبل ، إلا أن كثيرين آخرين صوتوا لصالحه استجابة للمظاهرات في الشوارع والمقالات الصحفية والاحتجاجات العنيفة . لقد نجح اليهود خلال السبعينات أن يصلوا الى الجماهير العريضة ويقولوا ان حرية اليهود السوفيت أمر يهم يهود أمريكا . وقد أصغت الأمة كلها لهذا القول . لم يكن الأمريكيون وحدهم الذين أصغوا لصوت يهود أمريكا ، وانما العالم أيضا باستثناء السوفيت أنفسهم .

يقول تيلسمان «يبقى أن جاكسون – فانيك واحد من أفضل التشريعات وأصبح لدينا كتلة في الكونجرس تحسب الدول الأخرى ألف حساب لها . التشيك والمجر ورومانيا كل هؤلاء أدركوا ضرورة تحسين سلوكهم ، والتقى كل هؤلاء بنا خلال العقد التالي ، وكنتيجة لذلك اكتسبت تنظيمات الطائفة اليهودية في أمريكا قوة مساومة عالية في أنحاء العالم» .

وقد أدى هذا القانون أيضاً إلى تغيير وضع اليهود كقوة سياسية في الداخل الأمريكي أيضاً . الآن أدرك اليهود أن لديهم القدرة على تغيير القوانين وبالتالي تغيير التاريخ . تحول الانتباه والمال من نيويورك إلى واشنطن . وبرغم بقاء مقار قيادة المنظمات اليهودية في نيويورك التي تعتبر منطقة تركز سكاني لليهود إلا أن مكاتب واشنطن أصبحت من مراكز القوى في العاصمة . والحقيقة أن نفوذ اليهود في واشنطن وبالذات في الكونجرس أمر مسلم به ومعروف في مجال السياسة الأمريكية . فكم مرة اتخذ الكونجرس اجراءات عبر السنوات الطويلة لإسعاد الناخبين اليهود والمتبرعين اليهود بداية من قرارات معارضة نظام القياصرة في مطلع القرن الحالي إلى جلسات الاستماع الخاصة بالدولة اليهودية بعد الحرب العالمية الثانية . ولكن باستثناء أحداث قليلة جادة كان الباقي كله مجرد كلام في الهواء . وبرغم أن الكونجرس كثيرا ما كان على استعداد

لقول أشياء تسعد اليهود إلا أنه نادراً ما كان على استعداد لاتخاذ خطوات فعلية للتنفيذ، بل ولم يكن لديه أية رغبة فى تحدى البيت الأبيض .

الحقيقة أن يهود أمريكا قبل عام ١٩٧٤ لم يكونوا بهذا الحجم من القوة التى كانت فى ذهن السياسيين فى لندن أو القاهرة . كانوا أشبه بالغوريلا الحبيسة فى قفص . دائما تجذب الانتباه عندما تزأر ولا بأس من حصولها على قطع حلوى قليلة ولكنها دائماً خلف القضبان عاجزة عن السيطرة على الأحداث فى العالم الخارجى .

نجح قانون چاكسون – ڤانيك فى تغيير ذلك الوضع عن طريق أحد المشرعين من غير اليهود وبدعم عدد من مساعدى أعضاء الكونجرس من اليهود ثم استراتيچيين يهود أيضا. وزعماء الطائفة اليهودية الأمريكية فى أنحاء الدولة يضغطون على ممثليهم فى الكونجرس. ونجح الكونجرس فى الالتفاف على معارضة البيت الأبيض وأصدر قانوناً وقائياً غير شكل العلاقات الأمريكية – السوفيتية . هذا بغض النظر عما إذا كان القانون قد ساعد فعلاً الجهة المعنية – اليهود السوفيت – أم لا ، ولكنه تسبب فى إطلاق رسالة واضحة وهى أن يهود أمريكا قوة لا يستهان بها .

وبعد أن كان اللوبى اليهودى لعدة سنوات عنصرا محوريا للتحالف الليبرالى على اليسار ، أصبح الآن عنصراً مهما بالنسبة لليمين الذى يهتم بقضايا الأمن القومى . وهكذا أصبح اللوبى اليهودى أحد أهم لاعبى السياسة فى واشنطن الذين تربطهم علاقات وثيقة مع كل من اليسار واليمين . وعلى مدى عشر سنوات تالية استخدم اليهود قوتهم الجديدة بشكل متكرر فى اتخاذ عدد من المبادرات التشريعية . وصدرت القوانين للهجوم على المقاطعة العربية لإسرائيل ولتنظيم دخول المهاجرين من اليهود السوفيت إلى الولايات المتحدة ولمطاردة مجرمى النازى والذين دخلوا إلى أمريكا بين مشردى أوربا الذين وصلوا هناك أوائل الخمسينات . وأصبح كل انتصار أسهل من سابقه بعد أن تعلم يهود أمريكا كيف يتعاونون .

أدرك والتر شتيرن قبل كثيرين غيره القوة التى أصبح اليهود يتمتعون بها . كان شتيرن مديرا للإستثمارات من نيويورك وله نشاط متعدد فى منظمات يهودية مختلفة . أثناء أزمة البترول التى أعقبت حرب أكتوبر اجتمع شتيرن مع رجال أعمال يهود بارزين ومتشابهى الأفكار لمناقشة رد الفعل المناسب . ومع رجال الأعمال كان هناك ممثلون للثلاث الكبار من وكالات الدفاع لجنة مكافحة تشويه الصورة ولجنة يهود أمريكا والمؤتمر

اليهودى الأمريكى . تولى المشروع چيسى هوردز الذى حصل مؤخراً على درجة الدكتوراه من معهد چون هوبكينز فى العلاقات الدولية وله مكتب فى مقر آيباك فى واشنطن ، ومن ذلك المكتب قام هوردز بمراقبة حركة البترودولار وتدفقه فى الاقتصاد الأمريكى وكانت الثلاث الكبار تتقاسم المرتب الذى يحصل عليه هوردز فيما بينها . وكانت المهمة الأولى بالنسبة لهوردز أن يبحث عن الاستثمارات العربية التى تدخل الولايات المتحدة فى صورة أموال بترولية مسترجعة . كان الخوف الذى يساور هوردز هو أن يسعى العرب لشراء صناعات أمريكية حساسة . ولكن بعد عام اتضح له أنهم لن يشتروا شيئاً مثل كرايزلر ، فقد كانت هناك قوانين تتحكم فى الأمور وبعض الحساسيات التى لم يرغب العرب فى اثارتها . اتجه العرب لشراء المشروعات العادية دون الاستثنائية ، كما أصبحوا أكثر مهارة من حيث استئجار المحامين البارزين وأعضاء جماعات الضغط مثل فريد ديتون المساعد السابق لكنيدى وغيره من الشخصيات ذات العلاقات المهمة بالخارجية الأمريكية والكونجرس . وسرعان ما اتضح أن أحد الآثار المهمة لارتفاع أسعار البترول وحركة البترودولار هو ذلك الأثر الذى انعكس على التجارة الأمريكية - الإسرائيلية . وبشكل عام نتحدث هنا عن المقاطعة العربية . يقول هوردز «كان لتضاعف سعر البترول أربع مرات أثر سلبى على الاقتصادات الغربية . لقد ظهر الاقتصاد العربى فجأة فى صورة تغرى بمحاولة القيام بأعمال هناك» . وحتى تتمكن الشركات من اقتحام هذه الأسواق كان على الشركات الأمريكية وبأعداد متزايدة الالتزام بالمقاطعة العربية الاقتصادية لإسرائيل .

لقد فرضت الجامعة العربية هذه المقاطعة عام ١٩٤٦ . كانت عملية معقدة المقصود بها اعاقة الدولة اليهودية واصابتها بالشلل . هذه المقاطعة منعت أية اتصالات أو صفقات تجارية مباشرة بين العرب وإسرائيل . ليس هذا فقط وانما أيضا منعت الشركات التى تتعامل مع إسرائيل من التعامل مع الدول العربية . كما منعت استيراد المنتجات التى يدخل فيها أجزاء ومكونات تنتجها الشركات المفروض عليها المقاطعة . وكان على الشركات الراغبة فى التعامل مع العرب أن تقدم أوراقها لمكتب المقاطعة العربية فى دمشق وتقديم ما يدل على أن منتجاتها خالية من أى أثر لإسرائيل . والشركات الراغبة فى أن تمارس أنشطة فى الدول العربية ، المقاولات والإدارة والاستشارات وغيرها ، عليها أن تقدم قائمة بأسماء العاملين ومعها معتقداتهم الدينية حتى يسهل منع اليهود من الدخول.

حاولت «أيبال» عدة مرات خلال الخمسينات والستينات استصدار تشريع من الكونجرس بحيث تتخذ العقوبات ضد الشركات الأمريكية التى تلتزم بقرارات المقاطعة العربية ، ويشكل مستمر عارض البيت الأبيض هذه المحاولات بحجة أن هذا سيبطىء جهود السلام فى الشرق الأوسط وسيجعل الشركات الأمريكية تفقد فرص عمل في المنطقة العربية . فى عام ١٩٦٥ أقر الكونجرس بالفعل قانوناً بهذا المضمون ولكنه غرق تماماً بعد تهديد من ليندون جونسون باستخدام حق الفيتو ، وانتهى ذلك القانون بإجبار الشركات بضرورة ابلاغ وزارة التجارة فى حالة التزامها بقرارات المقاطعة . كان جونسون يخشى من حدوث شيء أقوى من ذلك فيما يخص الحظر الأمريكي المفروض على كوبا والصين وفيتنام الشمالية وكوريا الشمالية . ويأدب جم تراجعت إسرائيل واللوبى عن الاستمرار فى الحملة .

فى نيويورك لم تكن وكالات الدفاع اليهودية بنفس الخجل . واعتبرت هذه الوكالات أن المقاطعة من الحقوق المدنية حيث انها تنطوى على التفرقة العنصرية ضد اليهود الأمريكيين . ومن خلال ناكراك ظل اليهود يحتجون على المقاطعة العربية منذ منتصف الخمسينات . وازدادت الحملة بعد حرب الأيام الستة . وأسس الكونجرس إدارة خاصة لمكافحة المقاطعة العربية برأسها المدير التنفيذى المتقاعد ويل ماسلو . وعندما رفضت شركة كوكاكولا أن تبيع انتاجها فى إسرائيل وجدت الشركة نفسها فى مواجهة حملة معارضة يهودية على مستوى الدولة ، وأخذ المتظاهرون فى سكب زجاجات الكوكاكولا فى الشوارع .

أرسل مدير لجنة مكافحة تشويه الصورة بين إيبشتاين عميلاً سرياً ليتسلل إلى مشروعات كوكاكولا فى أوربا . فقد رأى إيبشتاين أن معاداة الصهيونية هى معاداة للسامية من جديد . وتراوحت ردود الفعل الإسرائيلية ازاء الاحتجاجات والمظاهرات ضد المقاطعة بين الفتور أو العداء . كانت وزارة المالية الإسرائيلية تحصر الأرقام الخاصة بأثر المقاطعة العربية على الاقتصاد الإسرائيلى . بينما اعتبرت وزارة الخارجية المسألة هامشية إذا ما قورنت بالحظر العسكرى الذى يهدد وجود إسرائيل . كما استاء قادة إسرائيل من تركيز يهود أمريكا على المقاطعة باعتبارها انتهاكا للحقوق المدنية يتجاهل الضحية الحقيقية وهى إسرائيل .

فى واشنطن سعى السفير آبا إيبان ثم أفراهام هارمان من بعده للضغط على وكالات الدفاع اليهودية للتراجع عن هذه الحملة . وعندما سعت لجنة مكافحة تشويه الصورة

لتنفيذ المقاطعة ضد شركة تويوتا لأنها رفضت التعامل مع إسرائيل تدخل وزير المالية الإسرائيلى بنحاس شابير لإلغاء المقاطعة . وفسر شابير فيما بعد تدخله هذا بأن موزع تويوتا فى شيكاغو هدد بقطع تبرعاته السنوية لمنظمة النداء اليهودى الأمريكى وقدرها ٧٥ ألف دولار . وفى عام ١٩٧٤ ازداد الغضب الشعبى ضد الحظر البترولى العربى وعقد الكونجرس جلسات استماع حول المقاطعة العربية وأثرها على الاقتصاد الأمريكى . وهنا عمل شتيرن عن قرب مع المشرعين الأمريكيين وأخذ يمدهم بالمعلومات والشهود .

وجاءت النتائج كالصدمة : السعودية تضع قائمة سوداء بأسماء الشركات الأمريكية المحظورة وأن الحكومة الأمريكية تستثمر أموالها فى شركات تقاطع التعامل مع البنوك ذات الملكية اليهودية . والأكثر اثارة للجدل هو أن سلاح المهندسين بالجيش الأمريكى يلتزم سياسة سرية تمنع اليهود من الدخول فى مشروعاته الإنشائية فى الشرق الأوسط والتى تقدر بملايين الدولارات. وكل معلومة تتناولها وسائل الإعلام باستفاضة كبيرة من خلال محررين أصدقاء لليهود فى جريدتى وول ستريت جورنال ونيويورك تايمز . وفى عام ١٩٧٥ قرر فريق شتيرن أن يضغط من أجل اصدار قانون يمنع الشركات الأمريكية من الالتزام بقرارات المقاطعة العربية . وفى شهر مارس من ذلك العام قدم النائب جوناثان بينجهام الديمقراطى - من برونكس - مشروع قانون فى هذا الصدد واشترك فيه مع چيسى هوردز، كما تقدم السناتور آدلاى ستيفنسون بمشروع مماثل أيضا ، وخلال عام ١٩٧٥ اشتعلت الحرب فى وسائل الإعلام الأمريكية وأروقة الكونجرس لتحريض الوكالات اليهودية ضد حكومة فورد واللوبى العربى ومجتمع رجال المال والأعمال ، بينما كان معارضو القانون فى وضع لا يحسدون عليه حيث بدا للجميع أنهم يدافعون عن قوى أجنبية متميزة ضد الأمريكيين . والأهم من هذا أن تلك القوى الأجنبية كانت من أكثر الجماعات المكروهة فى أذهان الأمريكيين حينئذ .

تركت الشركات التى تلتزم بالقرارات العربية مهمة الدفاع عنها للرئيس فورد ووزير الخزانة ويليام سيمون ووزير الخارجية هنرى كيسنجر . قال سيمون «نحن نعتقد أن السلام فى الشرق الاوسط هو الحل الذى لابد منه » . والمدهش أن هذا كان يتفق فى الرأى مع وزارة الخارجية الاسرائيلية . وفي منتصف عام ١٩٧٦ طلب مجلس النواب بالكونجرس بيانات رسمية من وزارة التجارة حول الشركات الامريكية الملتزمة بالمقاطعة ولكن وزارة التجارة رفضت تقديم المعلومات المطلوبة ولذلك رفعت لجنة مكافحة تشويه الصورة دعوى ضد وزير التجارة روجرز مورتون . وفى النهاية عندما حصل المجلس

على المعلومات كانت المفاجأة أن حجم التجارة الخاصة بالمقاطعة يفوق كثيرا ما أعلنته الادارة من قبل حيث يصل حجمها الى ٤٫٥ مليار دولار وليس ١٠ ملايين دولار كما ادعت الادارة من قبل . وبنهاية سبتمبر ١٩٧٦ أقر النواب مشروع بينجهام بنسبة تصويت كاسحة وصلت الى ٣١٨ صوتا ضد ٦٣ فقط ثم أقر مجلس الشيوخ مشروع ستيفنسون بعد ذلك بوقت قصير بنسبة ٦٥ الى ١٣ .

في ديسمبر التقى رجل الصناعة ورئيس مكتب لجنة مكافحة تشويه الصورة في مينابوليس بيرتون چوزيف وايرڤينج شابيرو صديق طفولته الذى أصبح مؤخراً رئيساً لمجلس ادارة شركة «دوبونت». كان صعود شابيرو إلى ذلك المنصب حدثاً كالزلزال ، فلم يحدث من قبل أن وصل يهودى إلى قمة شركة أمريكية كبرى بهذا الحجم باستثناء مجالات محددة مثل تجارة التجزئة أو صناعة السينما . ولكن وصول شابيرو للقمة كان محط اهتمام وسائل الإعلام وكتبت نيويورك تايمز فى الصفحة الأولى لملحق الصناعة : شابيرو ليس مجرد يهودى وإنما هو «يهودى جداً» فخور بيهوديته منتظم فى التردد على المعبد ولم يحاول أن يغير اسمه .

قال شابيرو لچوزيف انه يريد أن يصل إلى حل وسط يرضى يهود أمريكا دون أن يلحق ضرراً بالصناعة ، وإلى جانب المنصب الجديد لشابيرو كان عضواً فى «المائدة المستديرة» وهى جماعة ضغط تضم ممثلين عن ١٧٠ شركة أمريكية كبرى .

وافق چوزيف ورتب لقاء بين المائدة المستديرة ووكالات الدفاع اليهودية عقد فى أواخر يناير، وعندما التقى الطرفان كان المناخ السياسى قد تغير تماماً . لقد خرج چيرالد فورد من البيت الأبيض ليحل محله جيمى كارتر حاكم ولاية چورچيا . كان كارتر متخوفا من الناخبين الديمقراطيين المتشككين، والمتبرعين أيضاً من اليهود التقليديين والليبراليين، ولذلك تطرق لمسألة المقاطعة العربية أثناء مناظرة تليفزيونية ووعد بمحاولة إفساح الطريق أمام القانون المضاد للمقاطعة . كما ركز أيضاً على نفس النقطة أحد مساعديه فى الحملة وهو محام يهودى من أطلانطا اسمه ستيوارت آيزنستات .

● المائدة المستديرة ●

فى يناير بدأت المحادثات بين الثلاث الكبار والمائدة المستديرة وجاء الحل الوسط ليمنع قانوناً التزام الشركات الأمريكية بقرارات المقاطعة إلا فى حالة واحدة استثنائية هى أن يقع الاختيار على هذه الشركة أو تلك من الجانب العربى للدخول فى مشروع مشترك .

ولكن سرعان ما انهار هذا الحل حيث تقدم بنيامين روزنتال النائب الديمقراطى اليهودى بالكونجرس بمشروع قانون أكثر تشدداً وصاغه العاملون مع روزنتال بالاشتراك مع

جيسى هوردز . شعر أعضاء المائدة المستديرة بالخديعة ولكن الادارة الأمريكية تدخلت فى شخص ستيوارت آيزنستات الذى أصبح مسئول الشئون الداخلية فى البيت الأبيض ، حيث أصر على ضرورة عودة الطرفين للمحادثات . ولأن صبر البيت الأبيض بدأ ينفد تم تشكيل لجنة رسمية للتفاوض اشترك فيها مجموعة من المحامين برأسهم المحامى هانز آنجر موللر من سيتى بنك ومثل هؤلاء المائدة المستديرة . ومثل يهود أمريكا ثلاثة محامين من واشنطن من الأعضاء فى الثلاث الكبار وهم ماكس كمبلمان عن لجنة مكافحة تشويه الصورة وآلفريد موسيس من لجنة يهود أمريكا وباول بيرجر من المؤتمر اليهودى الأمريكى وأخذ آيزنستات يراقب المحادثات من البيت الأبيض. وبحلول مايو نجح المتفاوضون فى الوصول إلى صيغة حل وسط جديد ، وقدمه لمجلس الشيوخ السناتور الجمهورى جون هايز ، من بنسلفانيا ، وقد مر هذا القانون بسهولة كبيرة .

كان مرور هذا القانون فى مايو ١٩٧٧ هو اتماما للعمل الذى بدأه السناتور جاكسون منذ خمس سنوات . لقد صنع اليهود قانوناً من بدايته وحتى صدوره . لقد حدد اليهود المشكلة ووضعوها تحت أعين الجماهير ثم خلقوا تشريعاً تطور إلى قانون وتغلبوا أثناء ذلك على اعتراضات الحكومة ورجال الصناعة والمال . لقد عملت المنظمات اليهودية معاً كجهة واحدة لتأمين تعاون اليهود الأصدقاء فى وسائل الإعلام والصناعة والإدارة الأمريكية والكونجرس، والنتيجة أن حدث تحول كبير فى السياسة الأمريكية .

بعد أن هدأ الضجيج حول قانون جاكسون - فانيك ذهب مارك تيلسمان إلى واشنطن كممثل لمجلس الاتحادات اليهودية . وكانت أولى مهامه أن يتعامل مع النتائج الطيبة التى أثمرتها عشر سنوات من العمل من أجل اليهود السوفيت . لقد هاجر تيار قوى من اليهود السوفيت واستقروا على الشواطىء الأمريكية وألقوا بأنفسهم تحت رحمة التنظيمات اليهودية .

فى الستينات لم يكن السعى من أجل اليهود السوفيت مقصده أن يهاجر هؤلاء إلى الولايات المتحدة ، ولكن الحركة من بدايتها كانت مشروعاً صهيونياً وضعه الاسرائيليون ثم حركته المنظمات اليهودية الأمريكية بهدف أن تتوجه أعداد ضخمة من اليهود السوفيت إلى إسرائيل موطن الأجداد .

وبعد حرب الأيام الستة وبعد أن فتحت موسكو الأبواب أمام اليهود اتجهت نسبة كبيرة منهم إلى الولايات المتحدة وتصاعدت هذه النسبة تدريجياً من ١٩ ٪ عام ١٩٧٤ إلى ٣٧ ٪ عام ١٩٧٥ ثم ٥٠ ٪ عام ١٩٧٦ ثم ٦٥ ٪ عام ١٩٧٩ .

والحقيقة أنه برغم فشل اتفاق كيسنجر - جاكسون وبرغم استمرار الانتهاكات السوفيتية ضد اليهود إلا أن السوفيت سمحوا لآلاف اليهود بالهجرة . ورغم رفض الكرملين أن يعود لمناقشة المسألة إلا أن الأعداد تذبذبت بين ارتفاع وانخفاض وفقاً لدرجة التفاؤل السوفيتى إزاء العلاقات مع واشنطن، حيث انخفضت الأعداد بعد انهيار اتفاق جاكسون ثم ارتفعت قليلاً مع زيادة حرارة سياسة الانفراج فى عهد فورد وكارتر من بعده . ثم انخفضت أعداد المهاجرين من اليهود السوفيت بعد الغزو السوفيتى لأفغانستان وما أعقبه من تجميد أمريكى للعلاقات مع موسكو، وفى عهد ريجان تراجعت أعداد المهاجرين بشدة حتى وصلت إلى ٨٩٦ فقط عام ١٩٨٤ قبل وصول جورباتشوف إلى السلطة بوقت قصير .

بحلول منتصف السبعينات، كان اليهود السوفيت المهاجرون يتجهون إلى أمريكا بمعدل يصل إلى عشرة آلاف كل سنة أغلبهم من العاطلين مما شكل وضعاً معقداً أمام يهود أمريكا . أولاً حصلوا لهم على تأشيرات للخروج والآن عليهم أن يجدوا لهم مساكن ووظائف وأن يعلموهم اللغة الانجليزية. وكان هؤلاء القادمون الجدد بحاجة للمساعدة ليشقوا طريقهم فى هذا العالم الرأسمالى بداية من أبسط الأمور مثل فتح حساب فى البنك ، كما كانوا بحاجة للمساعدة من أجل العودة إلى الدين بعد ثلاثة أجيال من العزلة والإلحاد الإجبارى . وكان مجرد انتقال المهاجرين من الاتحاد السوفيتى إلى أمريكا عبر أوربا يكلف اتحاد النداء اليهودى آلاف الدولارات لكل شخص ، ولكن بعد الوصول تتحمل الاتحادات المحلية اليهودية فى المدن الأمريكية بقية النفقات ، وغالبا ما اختار اليهود السوفيت أن يعيشوا فى مدن معينة هى نيويورك وشيكاغو وميامى وبوسطن وسان فرانسيسكو ولوس أنجلوس .

ولتخفيف الأعباء ، اقترح تيلسمان أن تقدم الحكومة الفيدرالية مبالغ توازى انفاق اليهود أنفسهم ، ورغم الصعوبة التى تبدو فى ذلك إلا أنه كان من السهل تسويق الفكرة حيث أظهر الكونجرس استعداداً كبيراً من قبل ليلقى بكل الثقل الأمريكى خلف اليهود السوفيت . إذن الآن كل المطلوب هو أن يصدر الكونجرس تشريعاً يوفر الأموال لمن يحتاجها خاصة وأن هناك سابقة فى ذلك . وبداية من عام ١٩٧٣ وبمبادرة من النائب الديمقراطى جوناثان بينجهام، من برونكس، خصص مجلس النواب ٢٥ مليون دولار لاتحاد النداء الاسرائيلى - أحد أذرع اتحاد النداء اليهودى - للمساعدة على توطين المهاجرين السوفيت فى اسرائيل ، إذن فالطلب الجديد سيكون استمراراً لأعمال

سابقة. وقد اقترح تيلسمان هذا التشريع وتعهده بالرعاية حتى خرج قانوناً معمولاً به من الكونجرس . ويقول فيليب بيرنستاين نائب رئيس (مجلس الاتحادات اليهودية) «كان تيلسمان ماهراً للغاية ، ليس فقط فى صياغة المشروع ولكن فى العملية كلها منذ بدايتها» وقد عمل تيلسمان مع ستيوارت أيزنستات وجعلا البيت الأبيض يدعم المشروع داخل الكونجرس ذى الأغلبية الديمقراطية . وفى الكونجرس كان أكبر مؤيدى المشروع هو السناتور دانيال إينوى من هاواى، رئيس لجنة المخابرات ووجه لمع أثناء التحقيقات فى ووترجيت وهو مؤيد بشدة لاسرائيل وقد فكر من قبل فى اعتناق اليهودية .

وبمجرد النجاح فى الحصول على الأموال الفيدرالية يصبح توطين اليهود السوفيت أمراً سهلاً . أما الأصعب فهو احضار اليهود إلى أمريكا . كان المهاجرون السوفيت يحصلون على تأشيرات مغادرة إلى إسرائيل ثم يتوجهون بالقطارات إلى فيينا حيث يستقبلهم ممثلو الوكالة اليهودية الاسرائيلية وهى أحد فروع منظمة الصهيونية العالمية. هؤلاء الذين لم يرغبوا فى التوجه لاسرائيل يتخلفون عن إتمام الاجراءات فى فيينا ثم يتقدمون إلى (هيئة مساعدة المهاجرين اليهود) وهى وكالة أمريكية تعمل من خلال مكاتب (لجنة التوزيع المشتركة) ، على مقربة من الوكالة الاسرائيلية ، ثم تساعد (هيئة مساعدة المهاجرين اليهود) اليهود السوفيت للتقدم بطلبات للحصول على تأشيرات لدخول الولايات المتحدة ، وحتى موعد الحصول على التأشيرة الأمريكية يبقى المهاجرون فى معسكر انتقالى على حدود فيينا . أما مسألة سرعة الحصول على التأشيرة فقد كانت تعتمد على معدلات الهجرة التى يحددها السقف القانونى الأمريكى . كان البعض يضطرون للانتظار عدة سنوات . وكانت هيئة مساعدة المهاجرين تسعى لادارج المهاجرين السوفيت تحت بند اللاجئين للتغلب على مشكلة السقف العددى .. هؤلاء يدخلون الولايات المتحدة تحت مسئولية مكتب اللاجئين التابع للخارجية الأمريكية . ولكن أولا يتعين على هؤلاء أن يقنعوا موظفى الهجرة بأنهم هاربون فعلاً من الاضطهاد ويقدموا الأوراق الدالة على ذلك . وهذه عملية تستغرق شهوراً طويلة بينما المعسكر الانتقالى أصبح مكدساً تماما، ولذلك ازدادت الضغوط على مكتب الهجرة والتطبيع فى البيت الأبيض للإسراع بالعملية ولكن لم تكن هناك وسيلة للإشراف على كل ممثلى المكتب فى أوربا .

فى منتصف ١٩٧٩ أصبحت مشكلة اللاجئين اليهود أزمة كبيرة، والسبب هو قيام الثورة الإسلامية فى إيران وصعود نظام حكم الخمينى بكل أفكاره المعادية للصهيونية

مما أشاع الفزع بين ٨٠ ألف يهودى فى ايران . معظم يهود إيران ينتمون للطبقة الوسطى من التجار ولهم ميول غربية فى المظهر والثقافة . وقد أزعجهم النظام الاقتصادى الجديد للثورة ووجد يهود ايران أنفسهم محل شك كبير بسبب علاقاتهم بإسرائيل ويهود العالم.

وخلال أسابيع فتحت طرق للهروب عبر الحدود مع تركيا ومع أفغانستان . وهناك تتلقاهم لجنة التوزيع المشتركة ثم تنقلهم إلى فيينا ليصطدموا بعد ذلك بالاجراءات البيروقراطية . وكثيراً ما كان موظفو الهجرة يعتبرون يهود إيران مجرد ايرانيين ومخربين محتملين يسعون لدخول الولايات المتحدة. وداخل أمريكا كانت المشكلة أصعب حيث يوجد عشرات الآلاف من الطلبة الايرانيين يدرسون فى الجامعات وكانت قلة منهم تؤيد الخمينى صراحة. ومع تصاعد المشاعر المعادية لإيران فى أوج أزمة الرهائن الأمريكيين فى طهران كان هناك ضغط كبير من أجل إرسال كل الطلبة إلى إيران وكان عدة آلاف منهم من اليهود . ويقول تيلسمان ان «طرد كل الطلبة الإيرانيين بغض النظر عن أفكارهم قد يكون قرارا غير عادل ولكن إعادة اليهود منهم على وجه الخصوص كان يعنى كارثة» .

لم يكن اليهود وحدهم فى مواجهة الخطر. ولكن أيضاً البهائيون وهم مذهب إسلامى مسالم وصغير الحجم وهم فى نظر ملالى ايران خارجون على الدين ولذلك فهم يتعرضون للاضطهاد .

مرة أخرى عاد تيلسمان إلى آيزنستات فى البيت الأبيض . وصدرت الأوامر لمكتب الهجرة والتطبيع لاستثناء اليهود والبهائيين من الاجراءات المعقدة التى تواجه الإيرانيين عند الحدود. ثم انتقل تيلسمان بعد ذلك إلى الكونجرس بهدف مراجعة قانون الهجرة ووضع قواعد بالنسبة للاجئين . وقد عمل تيلسمان وآيزنستات ونائب نيوچيرسى بيتر رودينو رئيس اللجنة القضائية بالكونجرس وصديق قديم لتيلسمان الذى نجح فى وضع نظام للسياسة الأمريكية الخاصة باللاجئين . هذا النظام جعل الولايات المتحدة ملتزمة بالقانون الدولى لأول مرة وقبول تعريف الأمم المتحدة للاجئين وهو (أى شخص يهرب من الاضطهاد فى بلاده سياسياً أو دينياً أو لأسباب أخرى محددة). وقد نص القانون الجديد على أن يتقدم الأفراد للحصول على وضع (لاجئ) ثم تقوم بدعمهم واحدة من الوكالات الأمريكية غير الربحية وتتولى هذه الوكالة مسئولية الإسكان والرعاية الصحية وتعليم

اللغة للاجئين . وتمـــول الحكومة الفيدرالية جزءاً من هذه النفقات . وسيتم تحديد أعداد اللاجئين الذين يسمح بدخولهم كل عام فى مناقشات تعقـدها ســـنويا وزارة الخارجية والكونجـرس والوكالات غير الربحية .

إذن ولأغراض عملية تم وضع الصيغة القانونية للعلاقة غير الرسمية التى وضعها تيلسمان من قبل للحصول على مساعدات حكومية للاتحادات اليهودية لتوطين اليهود السوفيت. الآن أصبح الطريق مفتوحاً أمام أى وكالة غير ربحية ترغب فى مساعدة اللاجئين على دخول الولايات المتحدة . وقد شق القانون طريقه فى مجلسى الكونجرس عام ١٩٨٠ . وتم إنشاء مجموعة عمل من الوكالات غير الربحية لإدارة المحادثات السنوية مع وزارة الخارجية ، ومن بينها كنائس الكـاثوليك وكنائــس لوثرن البروتســتانتية، وعدد من الكنائس الأصـغر، ومعهـــا لجنة الإنقـــاذ الـدولية وهى منظمة خيرية غير دينية أسسها ألبرت أينشتين مع آخرين عام ١٩٣٠ لإنقاذ اليهود من ألمانيا النازية . وقد مثل الطائفة اليهودية فى تلك المناقشات جمعية مساعدة المهاجرين اليهود والتى تمولها الاتحادات المحلية اليهودية .

كما قسمت مجموعة العمل مسئولية فئات أخرى من اللاجئين ممن ليس لهم جهة ترعاهم مثل الفيتناميين والبوذيين . وقد تولى هؤلاء الجمعيات الخيرية الكاثوليكية وتولت جمعية (مساعدة المهاجرين اليهود) أمر المهاجرين التبت الذين تربطهم علاقة وطيدة مع يهود أمريكا . فالدالاى لاما معجب للغاية بنجاح اليهود فى البقاء والإيمان بالعقيدة رغم سنوات الشتات الطويلة .

هذه الترتيبات كانت مرضية لجميع الأطراف فى واشنطن باستثناء طرف واحد هو السفارة الاسرائيلية. كانت اسرائيل خلال السبعينات تراقب الأوضاع الجارية بقلق . حيث انخفض عدد اليهود السوفيت المهاجرين إلى إسرائيل وارتفعت نسبة تخلفهم فى فيينا بشكل منتظم . وبينما كانت منظمات يهود أمريكا تدافع عن اليهود السوفيت باعتبارهم بشرا لهم حق طبيعى فى اختيار المكان الذى يرغبون فى الحياة فيه، فقد كانت اسـرائيل تدافع عن حق اليـهود الإلهى فى أن يعـيشـوا فى اسـرائيل . وقـد أصـر الاسرائيليون على أن خروج اليهود من الاتحاد السوفيتى إنما يأتى بتأشيرات دخول إسرائيل وحذرت من أنه إذا توقفت الصهيونية عن تحريك الأمور فإن السوفيت ببساطة سيغلقون الأبواب، وكان يهود أمريكا يردون بقولهم انه إذا ما فقد اليهود السوفيت حرية الاختيار فإن هذا سيكون بمثابة تراجع أمريكى عن الحملة وأنها قادت الحملة تحت شعارات مزعومة .

استشاط الاسرائيليون غضباً وأصدر رئيس الوكالة اليهودية آريا ديزلين، وهو سياسى اسرائيلى مكسيكى المولد، تصريحاً مدوياً وهو أن يهود أمريكا قد انضموا للحملة ضد الصهيونية، واتهم هيئة مساعدة المهاجرين اليهود بأنها وكالة معادية لإسرائيل وأن موظفى الهيئة يعملون على اغراء اليهود السوفيت بالتخلف عن السفر لاسرائيل بهدف إضعاف الدولة اليهودية . وقد أحدث هذا الموقف انقساما بين يهود أمريكا، بين المؤيدين للوكالة اليهودية والمؤيدين لبرامج الرعاية اليهودية المحلية، ووقف المؤيدون لليهود السوفيت فى منطقة وسط فى حيرة من أمرهم . وفى نهاية الأمر فى عام ١٩٨١ عقد اجتماع طارىء بين الوكالة اليهودية وجمعية مساعدة المهاجرين اليهود ومسئولى مجلس الاتحادات اليهودية ولجنة التوزيع المشتركة وتم الاتفاق على ألا تقبل الولايات المتحدة مهاجرين سوفيتا إلا إذا كان لهم أقارب من الدرجة الأولى يعيشون فى أمريكا أما الباقون فإنهم سيعيشون فى معسكر فى نابولى حتى موافقتهم على الذهاب إلى إسرائيل . ولكن بعد ثلاثة شهور انسحبت جمعية مساعدة المهاجرين اليهود من الاتفاق بعد أن وجدت أن المهاجرين يفضلون البقاء فى نابولى بدلا من التوجه إلى اسرائيل . وظل الصراع على مسألة حق اليهود فى الاختيار دائراً لمدة عشر سنوات كاملة . ولم تكن اسرائيل مستعدة للتعامل مع المنظمات اليهودية الأمريكية باعتبارها شريكا على قدم المساواة بل كانت تعاملها كمنافس مناوىء لها .

بنهاية السبعينات كان يهود أمريكا قد دخلوا فى تحدٍ لإدارتى نيكسون وفورد والكرملين بل واسرائيل أيضاً وخرجوا من هذا كله فائزين .

أما الصراع الأخير والأصعب فقد كان ضد مجرمى النازى حيث نجح مئات آلاف من مجرمى الحرب المشتبه فيهم فى دخول الولايات المتحدة إما كلاجئين أو بعد انتهاء الحرب فى إطار قوانين توطين المشردين التى صدرت فى أمريكا عامى ١٩٤٨ و ١٩٥٠ . وفى السبعينات بدأ اليهود وأصدقاؤهم فى الكونجرس حملة لترحيل المشتبه فيهم، ولكن اتضح فى النهاية أن أصدقاء النازى كانوا قليلين للغاية .

لم يعرف الامريكيون بوجود بعض مجرمى النازى فى أمريكا حتى يوليو عام ١٩٦٤ عندما نشرت جريدة نيويورك تايمز قصة هيرمين برادنشتاينر ريان حارسة أحد معسكرات النازى واتهمت بارتكاب فظائع ضد اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية وأدانتها المحكمة بعد الحرب واعتقلت لفترة ثم تزوجت من أمريكى واستقرت فى أحد أحياء نيويورك وقد لفتت القصة أنظار مكتب الهجرة والتطبيع الذى اتهم هيرمين بالكذب

بشـــأن ارتكابها جرائم حرب – عندما أصبحت أمريكية الجنسية . وفتح ملف للقضية لسحب الجنسية عن هيرمين وترحيلها ، واستمرت القضية مفتوحة لمدة سبع ســنوات حتى تنـــازلت هيـرمين عن جنسيتها الأمريكية طواعية عام ١٩٧١، وبعد عامين عادت إلى ألمانيا الغربية بناء على طلب ألمــانيا . ولم يتمكن مكتب التطبيــع والهجرة من عمل أى شىء .

كان تسليم هيرمين بداية المشكلة حيث أرسل المؤتمر اليهودى العالمى قائمة تشمل خمسين اسماً لأشخاص يشتبه أنهم ارتكبوا جرائم حرب ، ويعيشون فى أمريكا ، وقد كلف مكتب التطبيع والهجرة ضابطاً للتحقيق فى هذه الاتهامات ثم التصرف بعد ذلك .

ولكن كما حدث لزملائه من قبل بعد أن انتهى من التحقيق لم يكن أمام الضابط حل قانونى . وفى ابريل ١٩٧٤ أثير موضوع هذه التحقيقات فى الكونجرس على يد النائبة إليزابيث هولتسمان ، من بروكلين ، وقد دخلت اليزابيث مجلس النواب بعد أن تمكنت من هزيمة واحد من أبرز النواب هو إيمانويل سيللر والذى ظل يمثل يهود جنوب بروكلين لمدة اقتربت من خمسين عاماً .

وعزز اليزابيث هولتسمـان – فيما أثارته – النائب چوشـوا إيلبرج وهو يهودى من فيلادلفيا وعضـــو اللجنـة الفرعية للهجرة ، وقد كتب ايلبرج سلسلة من الخطابات إلى وزير الخارجية هنرى كيسنجر للاحتجاج على عدم تعاون الخـارجية مع مكتب الهجرة والتطبيع فى التـحـقـيـقـات الجارية ورد أحد مـسـاعدى كيـسنجر بأن جمع الأدلـة والشـــهادات من الاتحـاد السوفيتى أمر غير عملى، وأنه لا توجد طريقة للتأكد من صدق الشـهود الذين تقدمهم السلطات السوفيتية . واستمر الوضع بين التقدم والتراجع لمدة ٤ سنوات واقتربت الملفات التسعة والخمسون عدة مرات من النظام القضائى الأمريكى ولكن دون جدوى . وشن إيلبرج هجوماً على وزارة العدل ولم يكتف بمهاجمة الخارجية فقط . وظل الجمود مسيطراً على الموقف خلال فترة حكم الرئيس كارتر حتى أغسطس ١٩٧٧ حيث وضع المدعى العام الأمريكى كل المسألة بين يدى وحدة خاصة للتقاضى تضم خمسة محامين مكلفين بتعقب مجرمى النازى . وعلى مدى عامين حاكمت الوحدة خمسة متهمين وخسرت أربع قضايا .

تقدم هولتسمان للكونجرس عام ١٩٧٨ بمشروع اجراءات لوضع وحدة خاصة تتمتع بالقوة اللازمة لإجراء التحقيقات ومحـاكمة وترحيل مـجرمى الحرب على أن تخصص

للوحدة ميزانية مستقلة . وأصبح هذا المشروع قانوناً فى مارس ١٩٧٩ . وأسست وزارة العدل (مكتب التحقيقات الخاصة) . واختير لإدارة المكتب والتر روكلر الذى كان عضوا فى محكمة نورمبرج لمحاكمة مجرمى الحرب والتى عقدت بعد الحرب العالمية الثانية . وبحلول عام ١٩٩٦ كان المكتب قد نظر أكثر من ألف حالة ووجه الاتهامات إلى ٩٨ من المشتبه فيهم وقام بترحيل ٤٤ متهما، مستخدماً فى ذلك ميزانية سنوية قدرها ٣ ملايين دولار . ويعمل فى المكتب ١١ محاميا و ٨ مؤرخين . وأصبح المكتب واحدا من أكثر الأجهزة الحكومية نجاحاً على مستوى العالم لمحاكمة النازى .

ومن الناحية القانونية لا تجرى التحقيقات حول جرائم النازى فى حد ذاتها حيث انها وقعت على أراض غير أمريكية ولكن مع المشتبه فيهم لأنهم كذبوا بشأن المعلومات التى قدموها عن أنفسهم عند الهجرة لأمريكا ، ومن تثبت إدانتهم لا يتعرضون للسجن كمجرمين وإنما تسحب منهم الجنسية الأمريكية ويجرى ترحيلهم فى معظم الأحيان . ولكن محاكمتهم كمجرمى حرب تتم عندما يعودون إلى مواطنهم الأصلية .

ولكن من جانب آخر نجد أن المستهدفين من قبل ذلك المكتب أصبحوا أعضاء بارزين فى مجتمعاتهم العرقية مثل الأوكرانيين الأمريكيين واللاتفيين الأمريكيين ، وأحيانا يتسبب هؤلاء فى إحراج المسئولين الأمريكيين . فقد اتضح أن ثمانية ممن استعان بهم چورچ بوش فى حملته الانتخابية للوصول إلى الجماعات العرقية كانوا متهمين بجرائم الحرب ، وتم استبعادهم على الفور من الحملة .

وكثيراً ما يتعرض المكتب للانتقادات والاتهامات بأنه يعمل تحت ضغط وتأثير اللوبى اليهودى . فى الوقت الذى يدافع فيه المتهمون عن أنفسهم بأنهم فى أوربا الشرقية كانوا فى مأزق بين النازى وبين الشيوعيين . ويقول نقاد المكتب بأنه انعكاس للاهتمام الضيق بالمصالح اليهودية فقط .

أبرز الانتقادات التى تعرض لها المكتب كان فى عام ١٩٩٣ عندما أصدر المكتب حكما بترحيل چون ديميانيوك الأوكرانى المولد والذى عاش فى ولاية كليفلاند . وبعد مثوله للمحاكمة فى اسرائيل تمت تبرئته على أساس أنه ربما يكون قد عمل فى حراسة أحد معسكرات النازى ولكنه ليس الشخص المطلوب . وقد استأنف ديميانيوك الحكم فى أمريكا مطالباً باسترداد جنسيته الأمريكية ومتهما مكتب التحقيقات الخاصة بحجب المستندات الدالة على براءته تحت تأثير من يهود أمريكا . ثم جرت تحقيقات بعد ذلك حول

نشاط المكتب واتضح أنه فى قضية ديميانيوك لم يكن هناك أية ضغـــوط من المنظمات اليهـــودية.

والنقاش حول جرائم النازى يثير تساؤلا أكبر وهو لماذا يعتبر تعقب مجرمى الحرب من النازى مصلحة يهودية ؟ نجد أن عدداً كبيراً ، ربع مليون، من يهود أمريكا من الناجين من الهولوكست أو أقارب لهم . وأن اليهود لديهم علم يقين بأن النازى أرادوا أن يقتلوا كل يهودى ، ومن هنا يتضح لنا أن اليهود الأحياء يدخلون فى عداد الناجين من الهولوكست .

ومن منظور أوسع نجد أن الهولوكست مثل أى جريمة أخرى هى جريمة ضد المجتمـــع وليست فقط جريمة ارتكبت فى حق الضحايا وحدهم ومن هنا نجد أن محاكمة النـــازى لا تجرى باســـم الضـحـايا فـقط وإنما باسـم المجـتمع ككل ، مثلما تدافع الجماعات النسائية عن اصدار عقـوبات أشد فى جرائم الاغتصـــاب أو مطـــالبة الســـود بإعادة محاكمة رودنـــى كينج . هذه تصـرفات تتم نيابة عن الجماعة كلها . وبهذا المنطق يستمر اليهود فى سعيهم لتعقب مجرمى النازى حتى بعد مرور نصف قرن على الجريمة . وكل حكم يصدر ضد أحد المتهمين يكون خدمة عامة لمجتمع اليهـــود وتذكرة بأن جرائم الإبادة الجماعية لا يجب التجاوز عنها ، وأن جرائم النازى إنما هى جرائم ضد الإنسانية عمـــوماً . ولعل قيام اسرائيل باختطاف ومحاكمة «أدولف آيخمان» – مهندس الحل النهائى للخلاص من اليهود – فى عام ١٩٦١ أجبر الناجين من النازى على مواجهة ذكريات أليمة حاول معظمهم أن ينساها بعد استقرارهم فى المجتمع الجديد فى أمريكا .

وخـــلال الســتينات بدأت جماعات الناجين من النـــازى فى تنظيم أنفسهم وســـرد حكاياتهم والمطـــالبة باعتـــراف يهـــود أمريكا بهم . وفى حرب الأيام الستة حصلت حـــركة النـــاجين من الهولوكست على قـوة دفـــع كبـيرة . وبحلول عام ١٩٧٣ جرت احتفالات سنوية فى ذكرى الهولوكســت فى أكثر من مائة مجتمع يهودى محلى داخل أمريكا . ثم تبنت (ناكراك) مسألة إحياء ذكرى الهولوكست وتوجيه المنظمات اليهودية لرعاية يوم الهولوكست فى كل مدينة، والضغط من أجل تدريس الهولوكست فى المدارس وادراجها على رأس قائمة موضوعات كل حوار يهودى – مسيحى . وفى عام ١٩٧٨

عندما أذاعت شبكة إن بى سى التليفزيونية برنامجاً عن الهولوكست جذب البرنامج ١٢٠ مليون مشاهد ، أى حاز البرنامج على أعلى معدلات المشاهدة فى تاريخ التليفزيون .

جاء أول اقتراح بالاحتفال القومى بذكرى الهولوكست من مارك سيجيل وهو يهودى عمل فى طاقم البيت الأبيض أثناء إدارة جيمى كارتر ، وقد أثار المسألة عام ١٩٧٧ كطريقة لإقناع مجلس الشيوخ على التصديق على المعاهدة الدولية لتجريم الإبادة الجماعية . هذه المعاهدة تبنتها الأمم المتحدة عام ١٩٤٩ كرد فعل على الهولوكست ، وتنص على اعتبار الإبادة الجماعية العرقية جريمة ضد الإنسانية . وامتنع مجلس الشيوخ الأمريكى عن التصديق على هذه المعاهدة لمدة ثلاثة عقود ، ورأت مجموعة الديمقراطيين الجنوبيين والجمهوريين أن هذه المعاهدة انتهاك شيوعى للسيادة الأمريكية . وقد رأى سيجيل أن تسليط الأضواء على الهولوكست على مستوى الدولة سيقطع معارضة الشيوخ للتصديق على المعاهدة وللدفاع عن حقوق الإنسان خارج الحدود الأمريكية . وقد بدت الفكرة جذابة جداً بالنسبة لكارتر الذى يميل للدفاع عن حقوق الإنسان . كما أعجب آيزنستات بفكرة سيجيل إحساساً منه بأن ظاهرة إنكار الهولوكست قد أخذت فى الإتساع.

ففى كاليفورنيا تمكنت مجموعة صغيرة من اليمينيين المتشددين من شغل المانشيتات الصحفية بتكرارهم وتأكيدهم أن هولوكست النازى مجرد خدعة حبكها اليهود أنفسهم جذباً لتعاطف العالم وللتغطية على الجرائم التى يرتكبونها فى البنوك ووسائل الإعلام، ولجذب التأييد لدولة اسرائيل .

ولكن فكرة سيجيل التى سجلها فى مذكرة لم تشق طريقها بسهولة للمكتب البيضاوى. وفى ربيع ١٩٧٨ كان موقف كارتر بين اليهود سيئاً جداً بسبب خلافاته المتكررة مع رئيس وزراء اسرائيل مناحم بيجين وهذا بالطبع سيترك أثره على جهوده من أجل الترشيح لفترة رئاسية ثانية . ثم فى مارس ١٩٧٨ اقترحت إيلين جولدشتاين أن يجرى الربط بين إحياء ذكرى الهولوكست والاحتفال بذكرى مرور ٣٠ سنة على تأسيس دولة اسرائيل والذى يحين موعده خلال شهرين . وقد كان البيت الأبيض ينوى إقامة حفل لليهود فى ذلك الموعد لإصلاح الأمور بين الطرفين .

وبالفعل أعلن كارتر عن تأسيس (لجنة رئاسية للهولوكست) ، أصبحت فيما بعد

(المجلس الأمريكي لإحياء ذكرى الهولوكست) ، وهكذا فاز اليهود في حملتهم من أجل التذكير المستمر بمعاناتهم ووضع الهولوكست في الأچندة القومية . رأس اللجنة أحد الناجين من النازي وهو المؤرخ إيلي ويزل . ووافقت اللجنة على إقامة متحف قومي للهولوكست .

والهدف من المتحف هو أن يروي حكاية النازي ورغبتهم في إبادة اليهود . أما الجماعات الأخرى مثل الغجر والشواذ والاشتراكيين فقد كانوا أيضا ضحايا للنازي ولكنهم لم يكونوا هدفاً للهولوكست . وسعت جماعات عرقية أخرى ليشملها عمل اللجنة مثل الأوكرانيين والليتوانيين ولكن المؤرخ ويزل أصر على رفضه لهم بحجة أن أعداداً كبيرة منهم تعاونت مع النازي على قتل اليهود . كما رفضت اللجنة أيضاً ادراج الأرمن في متحف الهولوكست والذين تعرضوا لمذابح جماعية على يد الأتراك في ١٩١٥ – ١٩١٦، رغم عرض سخي من أحد المقاولين الأرمن – الأمريكيين بالتبرع لصالح المتحف . أما الحجة في ذلك أن الأتراك أرادوا إزالة وجود الأرمن من تركيا وحدها ولم يحاولوا قتل كل أرمني في العالم . ثم أن تركيا أصبحت دولة حليفة مهمة للولايات المتحدة وأخيراً فهي الصلة الوحيدة لإسرائيل مع العالم الإسلامي . والأهم أن تركيا يعيش بها جالية يهودية قديمة وغنية يرجع تاريخها لعام ١٤٩٢ عندما فتحت أبوابها لليهود الهاربين من محاكم التفتيش في إسبانيا . واكتفت اللجنة بالإشارة داخل المتحف إلى جملة واحدة قالها هتلر في الماضي وهي (من يتذكر الأرمن؟) واعتبر ذلك مصدر الإلهام بالنسبة لهتلر في خططه لإبادة اليهود .

وعندما سعى الأرمن لدفع قضيتهم في الكونجرس لإصدار قرار لإحياء ذكرى معاناتهم اصطدموا بشدة بكبار القيادات اليهودية وكبار مؤيدي اسرائيل وبخاصة النائب ستيفن سولارز من بروكلين والمحامي باول بيرجر عضو اللوبي اليهودي وأصر المعارضون على ضرورة عدم مقارنة الهولوكست بأية أحداث أخرى . وقال بيرجر «إن التجربة التاريخية لليهود مسألة مختلفة وهي تعكس كيف نظر العالم لليهود نظرة خاصة . وإن كان هذا لا يعني أنه لم تكن هناك آلام ومعاناة أخرى ، ولكن إدخال هذه الآلام الأخرى سيصرف الانتباه عن تجربة اليهود بحد ذاتها» .

وفي أذهان المدافعين عن اليهود ستبقى اللحظة التي افتتح فيها كلينتون متحف

الهولوكست فى صباح الخميس ٢٢ ابريل ١٩٩٣ ، لحظة راسخة فى الأذهان . هذا المتحف أقيم بموافقة الكونجرس وعلى أرض فيدرالية وبتكلفة ١٦٨ مليون دولار من التبرعات الخاصة.

حقاً ، لقد حاز اليهود ما كانو يسعون إليه حيث توافد فى الأسبوع الأول لافتتاح المتحف عشرات من زعماء الدول لحضور هذه المناسبة المهمة ، بالإضافة إلى قيام الرئيس كلينتون والسيدة الأولى بجولة فى المتحف المكون من أربعة طوابق لمدة ساعتين ونصف الساعة، وتلا ذلك احتفال زعماء الكونجرس والمنظمات اليهودية بإحياء ذكرى الهولوكست تحت قبة الكونجرس . ثم أقام كلينتون وجور وزوجتاهما حفلاً استقبلوا فيه ٥٠٠ من زعماء اليهود الأمريكيين داخل البيت الأبيض وقد تم تغيير اسم الشارع الذى يقع فيه المتحف من (شارع ١٥) إلى شارع (راؤول والينبرج) ذلك الدبلوماسى السويدى الذى ضحى بحياته لإنقاذ يهود المجر من أيدى النازى .

الفصل الثامن

اسرائيل على ضفاف نهر بوتوماك *

قوة اللوبى اليهودى تتصاعد

بلغت انتصارات اللوبى اليهودى فى الكونجرس ذروتها فى عام ١٩٨١ ، بعد العديد من النجاحات خلال السبعينات ولكن أكبر القصص فى الصراع السياسى للوبى هى قصة طائرات (أواكس) .

أواكس (AWACS) هو الاسم الذى أطلقه البنتاجون على طائرات C-5 للاستطلاع والانذار وهى مزودة بأحدث أجهزة المراقبة الالكترونية ، فى خريف ١٩٨٠ قررت الحكومة السعودية شراء خمس طائرات من هذا النوع من حكومة الرئيس چيمى كارتر .. واعترضت إسرائيل على الصفقة على اعتبار أن السعودية فى ذلك الوقت كانت لا تزال فى حالة حرب مع إسرائيل ، ويمكن أن تخدم هذه الطائرات الغرض المطلوب .

ومع اقتراب موعد الانتخابات الأمريكية وقف المرشح الرئاسى الجمهورى رونالد ريجان ضد الصفقة برغم أنه بعد دخوله للبيت الأبيض وافق عليها .

ويتطلب منع قيام الإدارة الأمريكية من بيع صفقة سلاح لدولة أجنبية أغلبية من الأصوات داخل مجلسى الكونجرس . وقد استمر الشد والجذب بين اليهود والبيت الأبيض حول الصفقة لمدة ١١ شهرا كل منهما يسعى لتحقيق الأغلبية المطلوبة . وعندما انتهت قصة (أواكس) خرجت (آيباك) على قمة القوى السياسية المؤثرة فى واشنطن ، هذا برغم حصول السعودية على الطائرات .

وقد قال الصحفى ادوارد تيڤنان وهو من غير المؤيدين لآيباك فى كتابه (اللوبى) «كانت النتيجة سببا فى إزالة الغموض عن آيباك كمنظمة قومية وكان الصراع على أواكس مثلا صارخا على الحالة الراهنة لفن السياسة عند اليهود » .

---

* نهر بوتوماك : نهر يجرى فى واشنطن العاصمة الأمريكية .

ومنذ عام ١٩٨١ تروى قصة أواكس طبيعة التفاعل بين جماعات المصالح والرئيس والكونجرس فى عملية صنع السياسية الخارجية .

فى نهاية الأمر وجدت إدارة ريجان عدد الأصوات المطلوبة بعد رفض مجلس النواب ذى الأغلبية الديمقراطية لها بنسبة ٣ إلى واحد ولكن انحاز مجلس الشيوخ ذى الأغلبية الجمهورية لصالح إقرارها بسبب الالتزام الحزبى للأعضاء وبعض التهديدات الصادرة عن البيت الأبيض ، كما كانت هناك بعض التطورات فى خلفية الأحداث . لقد اغتيل الرئيس المصرى أنور السادات وكان هذا تذكرة للمشرعين الأمريكيين بأهمية الزعماء المعتدلين فى العالم العربى .

ولكن نستطيع أن نقول ان سمعة منظمة (أيباك) كمؤسسة سياسية لا تقهر قد بنيت على هزيمتها فى تلك الصفقة كما أن الصراع على الصفقة لم تقم به أيباك وحدها ولكن كان هناك تنسيق محكم بين أيباك وعدد كبير من المنظمات اليهودية تحت مظلة (ناكراك) إضافة إلى (مؤتمر الزعماء) . واستخدمت هذه الأطراف وسائل الإعلام لخلق حالة مزاجية ونفسية جماهيرية رافضة لإتمام صفقة (أواكس) ، إلى جانب الاتصال الشخصى مع أعضاء الكونجرس والناخبين المؤثرين عليهم والجماعات غير اليهودية وأمدت أيباك الكونجرس بالحقائق والأرقام كما كانت هناك سلسلة من الوعود والتهديدات يلقيها اليهود هنا وهناك ؛ مثلما حدث من قبل فى تشريعات أخرى مثل جاكسون – فانيك والحملة من أجل اليهود السوفيت .

ولكن لدينا الآن نتيجتين مختلفتين :

أولا : خسر اليهود الحملة ضد أواكس .

ثانيا : ظهرت أيباك كأسطورة سياسية فى واشنطن .

على مدى عشر سنوات سابقة كانت إسرائيل تحرص على التقارب مع واشنطن بأسلوب يحكمه التواضع حتى لا تخسر ما تحصل عليه من ترحيب أمريكى ، ولكن صفقة (أواكس) كانت إشارة إسرائيلية بأن هذه الأيام قد ولت وأن إسرائيل لديها الاستعداد من الآن فصاعدا أن تعض اليد التى أطعمتها .

وبسبب الوضع القوى الذى خرجت به أيباك من الصفقة ظهرت سلسلة من الكتابات الناقدة للوبى اليهودى ؛ منها كتاب (المثلث القاتل) لمؤلفه ناعوم تشومسكى عام ١٩٨٣ وكتاب (الانحياز لأحد الجوانب) لمؤلفه ستيفن جرين ١٩٨٤، وكتاب (إنهم يجرأون على

الحديث) لبول فيندلي ١٩٨٥، و(اللوبي) لإدوارد تيفنان ١٩٨٧ ، وغير ذلك من الكتب التي ظهرت في التسعينات أيضا . ويتضح من هذه الكتب أن القوة الحقيقية لآيباك لم تظهر إلا بعد أن ترسخت الأسطورة في الأذهان أولا ، وقد تعلمت (آيباك) من قصة الصراع الذي دار حول طائرات (أواكس) أهمية أن تدير عملية الضغط السياسي بنفسها وبشكل مستقل ، كما نجحت في استثمار الصورة الذهنية التي انطبعت عن المنظمة بعد صفقة الطائرات .

ولكن كيف اكتسبت آيباك هذه القوة السياسية الكبيرة بعد فشلها في منع بيع أواكس؟

من بين الأسباب التي أدت إلى ذلك تغيير النظام الحاكم في واشنطن . حيث أحدث دخول ريجان البيت الأبيض تغييرا في المزاج السياسي العام في أمريكا . النظام بقيادة ريجان معاد متشدد ضد الشيوعية ومحافظ متشدد في الداخل الأمريكي ، وهذا جعل المدافعين التقليديين عن إسرائيل في واشنطن في حالة تباعد مستمر عن النظام الحاكم ، هؤلاء المدافعون أصحاب أجندة العمل على يسار الوسط السياسي ، وهنا ظهرت فجوة سياسية في الأوساط اليهودية مهدت الطريق لظهور قيادة جديدة يهودية تتعامل بسهولة مع نظام الحكم في واشنطن ولم يكن لهذه القيادة الجديدة أي شئ في أجندة العمل سوى إسرائيل فقط لا غير . ومن جانب آخر ، لقد تغير نظام الحكم أيضا في إسرائيل مؤخرا ، وانتهى عهد حكم حزب العمل الذي امتد لمدة جيلين كاملين وهو حزب يسار الوسط أيضا ، ليحل محله تكتل الليكود المحافظ بزعامة مناحم بيجين بكل تشدده وتطرفه.

رحبت المنظمات اليهودية على الفور بمناحم بيجين برغم ارتباطها الطويل السابق بحزب العمل واعتبرت هذا التغيير دليلا قاطعا على الديمقراطية السياسية في إسرائيل ، وأعلنت هذه المنظمات عن استمرار ولائها لإسرائيل ثم ظهر فيما بعد أن هناك أصدقاء لليكود على وجه الخصوص . وأخيرا فقد تغير النظام داخل آيباك نفسها ، ففي أكتوبر ١٩٨٠ وقبل أسابيع من احتدام الصراع على صفقة (أواكس) وقع الاختيار على توماس داين مديرا جديدا للعاملين في المنظمة . وقد عمل داين من قبل في الكونجرس مع عدد من الديمقراطيين الليبراليين مثل السناتور ادوارد كنيدي وفرانك تشيرش . كما عمل أيضا في معهد بروكنجز للأبحاث . وعندما تولى داين الإدارة كانت لديه خلفية قوية حول آلية صنع السياسة الخارجية الأمريكية ولكن صلته باليهودية أو يهود أمريكا

كانت غير موجـودة بالمرة . وقاد داين الحمـلة ضـد (أواكس) ثم بعد انتهائها تفَرغ لإحـداث تغيير ثورى فى هيكـل آيباك وصلاتها مع التنظيمات اليهودية والعمـلية السياسية ، والأهم من هذا الصورة الذهنية لدى الجماهير عن المنظمة . وقال داين فى مقابلة أجريت معه عام ١٩٩٢ : «لقد أردت أن تكون آيباك منظمة ذات قاعدة جماهيرية، وإننى أتصـور أن كسب الأصوات أو خسـارتها يجرى عند هذه القاعدة وليس فى واشنطن. ثانيا ، فإننى أردت أن تكون آيباك أكثـر اتصـالا وتأثيرا على عملية صنع القرار السياسى وهذا يعنى المؤسستين التشريعية والتنفيذية . وأخيرا ، لقد أردت أن تكـون آيباك أكثر تعبيرا عن اليهود ، وهذا يعنى توسيع دائرة المشـتركين فى صنع السياسة» .

قرر داين أن يحول آيباك من جماعة ضغط فى الكونجرس تعمل بالنيابة عن المنظمات اليهودية إلى قوة سياسية مستقلة لها قاعدة جماهيرية ويديرها المتبرعون الأثرياء . وفى أيام داين تضاعف عدد أعضاء آيباك خمس مرات وتضاعفت ميزانيتها عشر مرات . ومع هذا النمو الكبير أصبحت آيباك أكثر ظهورا ووضوحا ليس فقط فى دائرة الكونجرس وإنما أيضا لدى الإدارة الفيدرالية . ولم يقـتصر الضغط السياسى على أعضاء الكونجرس – وهو الشكل التقليدى – ولكن عملت آيباك أيضا على العمل مباشرة مع الجهات التنفيذية لتشكيل السياسة داخل وزارات الإدارة الأمريكية ، الدفاع والتجارة وأى وزارة أخرى حيث توجد مصالح لإسرائيل . وأصبحت آيباك آلة ضغط تخدم كل الأغراض فى نفس الوقت الذى تضخمت فيه سمعتها وصورتها ، وبعد أن كانت تعمل من خلف الكواليس ، أصبحت من الأسماء المعروفة فى الصحافة والدوائر السياسية فى واشنطن . وأخذ داين يتحدث علانية إلى الجماهير عن «النفوذ السياسى لليهود» إيمانا منه أن السمعة الكبيرة المبالغ فيها ستقلل المعارضة تجاه آيباك .

وأخيرا أجرى داين إصلاحا فى الهيكل الداخلى لمنظمتـه ، وأصبح المساهمون المباشرون فى آيباك هم الأغلبية الإدارية بدلا من زعماء التنظيمات اليهودية فى نيويورك . ولكن هذا التغيير لم يجعل من آيباك منظمة جماهيرية وإنما فصلها عن قاعدتها ، بعد أن أصبحت مقاليد الأمور فى يد المتبرعين الأثرياء الذين لا ولاء لهم لأحد سوى آيباك . ومن ناحية أخرى توارت شخصية داين خلف المليونيرات المحافظين الأقـوياء فـى آيباك أمثـال مسـتثمر العقـارات لارى واينبرج من لوس أنجلـوس والذى أصبح رئيسـا لآيباك عام ١٩٧٦ وقـد عاصـر واينبـرج تعـيين داين لإدارة آيباك عـام ١٩٨٠ وفصـله مـن الإدارة عام ١٩٩٣ . وظـل هو المديـر الفعـلى للمنظمة خلال التسعينات .

وربما كانت البداية الهادئة لآيباك قبل ثلاثين عاما من ذلك التاريخ راجعة لمديرها المؤسس إيسايا كينين ذى الشخصية المعتدلة ، اضافة إلى أن وضع إسرائيل فى ذلك الوقت لم يكن أكثر من قضية إنسانية مثارة فى الكونجرس ، ولم تصبح أهمية إسرائيل بهذه الحيوية الكبيرة إلا بعد أن أصبح الشرق الأوسط ساحة للصراع أيام الحرب الباردة. وبمرور السنين ومنذ كينين إلى توماس داين اتسع عدد العاملين فى آيباك ليصبح ١٥٠ شخصا وارتفعت ميزانيتها لتصبح ١٥مليون دولار. وخلال هذا الوقت تطورت طبيعة العلاقة بين إسرائيل والولايات المتحدة ، حيث كانت المساعدات الأمريكية لإسرائيل قبل ١٩٦٧ لا تزيد على ٦٦ مليون دولار قيمة مساعدات إنسانية ، ثم دفعها ريتشارد نيكسون دفعة قوية كما أشرنا من قبل . وبعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ ارتفعت المساعدات الأمريكية بصورة هائلة ووصلت إلى ٢,٢ مليار دولار . وبعد أن تلقت إسرائيل أول شحنة سلاح أمريكى فى عهد جونسون أصبح هناك خط إمداد عسكرى ضخم من واشنطن إلى إسرائيل .

ومع ذلك وفى منتصف السبعينات تزايد الشعور بعدم الأمان لدى إسرائيل . وأصبح الاحتلال العسكرى للأراضى العربية سلاحا دعائيا مهما فى أيدى العرب . وأصبحت إدانة إسرائيل ومعارضتها من الأمور الموازية للحديث عن مشكلة الفلسطينيين رغم العمليات المسلحة للفلسطينيين ضد الأهداف الإسرائيلية ومنها أهداف مدنية .

فى نوفمبر عام ١٩٧٤ وقف ياسر عرفات الزعيم الفلسطينى ليلقى كلمة أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة . بعد ذلك بعام واحد أدانت الجمعية العامة للمنظمة الدولية الصهيونية واعتبرتها شكلا من أشكال العنصرية . إذن ، أصبحت إسرائيل منبوذة دوليا ، وكلما تزايدت مشاعر العزلة الإسرائيلية تصاعدت قوة تحالفها مع واشنطن .

وفى منتصف السبعينات كان كيسنجر وزير الخارجية يسعى لعقد عدة اتفاقات بين إسرائيل ومصر وسوريا تقلل من مخاطر نشوب حرب جديدة . وكان هذا يعنى الحصول على تنازلات من الجانبين ، وغالبا عن طريق التهديدات الأمريكية الصريحة . وبالنسبة لإسرائيليين كثيرين كان هذا يعنى أن الصديق الوحيد لدولتهم قد انقلب عليها ولكن القيادة العليا فى إسرائيل لم تشعر بنفس المخاوف . اسحق رابين الذى خلف جولدا مائير كرئيس للوزراء عام ١٩٧٤ وبحكم مولده فى إسرائيل وعمله العسكرى كان يرى أن المخاوف من معاداة السامية ما هى إلا هوس أصاب يهود الشتات . أما الأراضى المحتلة فلم تكن بالنسبة له أرض الميعاد ولا هى مصد لأمواج الكراهية المحيطة باليهود . كانت هذه الأرض مجرد مواقع استراتيجية يمكن الاحتفاظ بها أو المقايضة عليها وفقا للظروف.

وقد دخل رابين ومساعدوه المفاوضات مع كيسنجر ولديهم تصور واضح عن الحد الأقصى للتنازلات . إنهم يعرفون جيداً كل ربوة يمكن أن ينسحبوا منها وما هو المقابل المحدد لهذا الانسحاب. وقد استخدموا كل سلاح تناله أيديهم ليحتفظوا بحق الكلمة العليا فى المفاوضات . وقد أشاعت هذه المفاوضات جواً متوتراً بين يهود أمريكا. وقد قال آلبرت شيرنين رئيس مجلس علاقات الطائفة اليهودية – من فيلادلفيا– «مع الحظر البترولى انتشر شعار أحرقوا اليهود ولا تحرقوا البترول». هنا أقرت الجمعية العامة لمجلس الاتحادات اليهودية ميزانية طارئة قدرها ٣ ملايين دولار تديرها مجموعة عمل من أجل إسرائيل. إذن جاءت الخطوة الأولى نحو تكوين «لوبى يهودى سوبر» من جانب يهود أمريكا. وضمت مجموعة العمل أعلى الخبرات بين الشخصيات اليهودية الأمريكية. وبتوجيه من (ناكراك) اتصل الأعضاء بالصحافة والأكاديميين ورجال الدين المسيحى ورجال السياسة المحلية للتأكيد على عدة أمور هى: الطبيعة الديمقراطية لاسرائيل، ورفض العرب للسلام، وأهمية احتلال إسرائيل للضفة الغربية. وفى كل الأحوال يجرى التذكير بمؤامرة الصمت ضد يهود أوربا خلال الحرب العالمية الثانية.

وأصبحت مجموعة العمل بمثابة جرس انذار يحرك اليهود إلى معركة ساخنة . وربما كان جيرالد فورد هو أول من احتك بقوة جهاز الانذار الجديد . ففى مارس ١٩٧٦ أعلن الرئيس فورد عن ضرورة إعادة تقييم العلاقات الأمريكية الاسرائيلية وقصد بذلك أن يزيل الجمود عن مهمة كيسنجر ودفع الاسرائيليين لأن يقدموا تنازلات تحرك الموقف . ولكن ما حدث هو أنه بعد ستة أسابيع اضطر فورد أن يقدم هو التنازلات؛ حيث جمع أعضاء مجلس الشيوخ ٧٦ توقيعا على خطاب يطلب من فورد التراجع. ثم فى أيام إدارة كارتر شعر الرئيس الديمقراطى بقوة لسعة مجموعة العمل اليهودية عندما قرر أن يبيع مقاتلات إف – ١٥ للسعودية. وبرغم فشل مجموعة العمل فى افساد الصفقة – كما حدث فيما بعد مع أواكس – إلا أنها كانت من أكثر العوامل قلقلة لوضع كارتر فى البيت الأبيض. ولكن مجموعة العمل كانت تحمل عوامل تدمير ذاتية وداخلية حيث عملت تحت إدارة (ناكراك) ، فقد كانت سماتها لا تبارى أهم وسائل الضغط الناجحة من أجل إسرائيل وهو الرأى العام اليهودى.

فى أعقاب حرب ١٩٧٣ تحولت دفة النقاش الأمريكى من حرب فيتنام إلى الشرق الأوسط. وفى أوائل ١٩٧٤ أعرب ياسر عرفات عن استعداده للتفكير فى نوع من التعايش بين الفلسطينيين والاسرائيليين ، وهنا وقفت اسرائيل بقوة فى طريق الحمائم من اليهود.

وظهرت جماعات يهودية مثل (بريرا) وتعنى البديل ودعت إلى حوار مفتوح حول علاقة إسرائيل بيهود الشتات فى ربيع ١٩٧٣. بعد حرب أكتوبر أصبحت (بريرا) - وهى جماعة من المثقفين - أداة فى يد اليسار الاسرائيلى لدعم فكرة الاعتراف المتبادل بين الاسرائيليين والفلسطينيين بين يهود أمريكا. وأثارت (بريرا) موجة غضب على المستوى القومى فى أمريكا وألبت عليها زعماء المنظمات اليهودية الكبرى واعتبر موقف (بريرا) انشقاقاً كبيراً. انضم إلى هذا الانشقاق عدد من اليهود البارزين قاموا بكتابة أعمدة رأى فى الصحف الأمريكية واشتروا مساحات اعلانية لنقد سياسة اسرائيل والاستيطان فى الأراضى العربية المحتلة.

وحاولت كل من (ناكراك) و(مؤتمر الزعماء) وضع حدود لسلوك الطائفة اليهودية. وأكدت المنظمتان على عدة نقاط. الأولى أن الاسرائيليين فقط هم أصحاب الحق فى اتخاذ السياسة المناسبة لأنهم الذين يتحملون المخاطر. والثانية أن يهود أمريكا يجب أن يوحدوا صفوفهم خلف اسرائيل. والثالثة أن اسرائيل لا يمكن أن تتفاوض مع الفلسطينيين لأن هذا سيكسبهم الشرعية. ووجد الزعماء اليهود الذين عارضوا هذه الأفكار أنفسهم أشخاصاً غير مرغوب فيهم فى المنظمات اليهودية بما فى ذلك ناحوم جولدمان وفيليب كلوتسنيك وهما من مؤسسى (مؤتمر الزعماء) حيث وجدا نفسيهما منبوذين بسبب تأييدهما لحل وسط فى الشرق الأوسط.

فى ذلك الوقت، كان القليلون فقط يعرفون أن كارتر عندما جاء إلى واشنطن فى يناير ١٩٧٧ كان عازماً على حل أزمة الصراع فى الشرق الأوسط حتى وإن أدى هذا إلى خروجه من البيت الأبيض بعد دورة رئاسية واحدة. لقد اهتم بالمنطقة بسبب معتقداته المسيحية وإيمانه بأن الصراعات يمكن حلها عن طريق التفاهم والحوار والحلول الوسط. ومال كارتر كثيراً تجاه العالم المنسى ألا وهو الشرق الأوسط وبالتحديد الفلسطينيون. ولأن كارتر عاش في جورجيا بعيداً عن المدن الكبرى فى الشمال الشرقى الأمريكى لم يكن يعلم جيداً مدى التوتر الذى سيثيره بين اليهود. وقد بدأت متاعب كارتر بعد أسابيع من توليه السلطة حيث استقبل رئيس الوزراء الاسرائيلى اسحق رابين فى البيت الأبيض ودارت بينهما المناقشات التى أعرب فيها كارتر صراحة عن أفكاره بخصوص الشرق الأوسط. وبسرعة وصلت العلاقة بين البيت الأبيض ويهود أمريكا إلى حد الأزمة. وحاول إيد ساندرز كبير القائمين بالاتصال بالطائفة اليهودية فى إدارة كارتر نزع فتيل الأزمة. دعا ساندرز - الرئيس السابق لـ (ناكراك) - زعماء اليهود إلى البيت الأبيض لإجراء

حوار بقصد التعرف على الرئيس الجديد، ولكن ساندرز انسحب من المحاولة قائلاً «الرئيس يحاول أن ينتقى زعماء اليهود الذين يريد التحدث إليهم». كان كارتر قد قرر أن يتحدث إلى زعماء مجلس علاقات الطائفة اليهودية ولكن الطائفة اليهودية كانت قد أقرت من قبل أن تكون منظمة (مؤتمر الزعماء) هى حلقة الوصل مع البيت الأبيض.

وفى سبتمبر تكررت المحاولة على يد وزارة الخارجية الأمريكية على أمل الحصول على موافقة اليهود لمحادثات مؤتمر السلام فى جينيف والتى تعارضها إسرائيل بقوة. ودعا سايروس فانس وزير الخارجية قيادات (مؤتمر الزعماء) ولكن قبل الاجتماع عرف هؤلاء أن هناك آخرين من خارج منظمتهم تلقوا نفس الدعوة من الخارجية الأمريكية ، فقد حصل الزعيم الاصلاحى للمنظمة آلكسندر شيندلر على قائمة بالمدعوين وجرت فى واشنطن بروفة على اللقاء وتوزيع الأدوار وبعد دخول مكتب فانس فى اليوم التالى كانت الأمور تحت سيطرة شيندلر لدرجة أن الحاخام موشى شيرر وهو من أكبر أعداء الاصلاح وقف ليقول لوزير الخارجية ان كل الحاضرين يؤيدون «الحاخام» شيندلر.. كاد شيندلر يسقط مغشياً عليه غير مصدق لما سمعه وقال فيما بعد «إنه لا يعترف أبداً بأننى حاخام ولكن عندما يتعلق الأمر بإسرائيل نصبح رجلاً واحداً».

فى نفس هذه اللحظة المهمة التى توحدت فيها كلمة يهود أمريكا، توجه الناخبون الاسرائيليون لصناديق الاقتراع فى مايو ١٩٧٧ وجاء مناحم بيجين خلفاً لاسحق رابين. بيجين الذى ولد فى بولندا يتزعم تكتل الليكود اليمينى وهو محافظ جداً فى الأمور الاقتصادية والاجتماعية وهذا يتعارض تماما مع الأفكار الليبرالية ليهود أمريكا. أما بالنسبة لحقوق الفلسطينيين فقد عارض بيجين تماماً أى فكرة للحل الوسط ولأى انسحاب من الأرض حتى لصالح الأردن أو لصالح السلام. وبالنسبة له كانت الضفة الغربية هى قلب أرض إسرائيل الكبرى.

أحدث وصول بيجين للسلطة صدمة كبيرة لدى النظام السياسى الأمريكى ، فى وسائل الاعلام والدوائر الأكاديمية وفى المستويات العليا للإدارة ، وهنا عاد شيندلر يحاول أن يخفف عملية الانتقال إلى اليمين برغم أنه كان رئيساً لاتحاد الاصلاح الليبرالى ولكنه شعر أن من واجبه كزعيم يهودى أمريكى أن يضمن لإسرائيل تأييداً لا يتزعزع.. وقال شيندلر فى خطاب أرسله لكل المنظمات القومية والمحلية «إن إسرائيل دولة ديمقراطية وعلينا أن نؤيد قيادة إسرائيل المنتخبة» . ولكن على أية حال ظهرت موجة أمريكية

السخرية من بيجين وتشبيهه بشخصية «فاجين» المعادى للسامية فى قصة أوليفر تويست للكاتب تشارلز ديكنز.

التقى شيندلر ويهودا هيلمان مع ستيوارت آيزنستات مدير الشئون الداخلية فى البيت الأبيض، ثم قرر الاثنان - شيندلر وهيلمان - أن يتوجها إلى إسرائيل على الفور ولقاء مناحم بيجين. وقد عرف الاثنان ما يجب أن يقولاه لرئيس الوزراء، وهو أنه برغم انتماء بيجين لليمين إلا أنه يجب أن ينتقل إلى الوسط حتى يحكم الدولة. وقال الاثنان فيما بينهما انه لا داعى للخوف من اليمين. فبرغم كل شىء نجح اليمين - نيكسون - فى عقد السلام مع الصين.

عندما وصل شيندلر إلى إسرائيل وجد أنه معجب بشخصية بيجين .. وبدلاً من الصورة التى كان يتوقعها لرجل متطرف ينفث النار وجد أمامه شخصاً متواضعاً يتحدث بهدوء أى «جنتلمان» أوربى ، والأهم أنه وجد لدى بيجين اهتماما كبيرا بيهود الشتات أكثر من رابين على الأقل. وعندما عاد شيندلر إلى البيت الأبيض رفع تقريراً بوجهة نظره وانطباعه الايجابى عن شخصية مناحم بيجين . وكالمتوقع أفردت الصحافة الأمريكية مساحات كبيرة للقائه مع بيجين. وبالتالى جاء أول استقبال لبيجين فى البيت الأبيض استقبالاً وبياً للغاية. أما خارج واشنطن فقد استقبل يهود أمريكا رئيس وزراء إسرائيل بنفس الحفاوة التى استقبلوا بها من قبل جولدا مائير وداڤيد بن جوريون. ورغم هذا لم ينجح شيندلر فى إزالة الخلافات بين بيجين وإدارة كارتر حول فكرة حل الصراع فى الشرق الأوسط عن طريق التفاوض، بسبب تكريس بيجين حياته كلها فى السعى وراء القوة والدفاع عن إسرائيل. وقبل أن يدمر كل منهما الآخر جاء الانقاذ على يد الرئيس المصرى أنور السادات .

لقد قال السادات أمام البرلمان انه مستعد للذهاب إلى آخر العالم لحل مشكلة الشرق الأوسط !! «إن إسرائيل سيصيبها الذهول عندما تسمعنى أقول هذه الكلمات أمامكم. إننى مستعد للذهاب إليهم، إلى الكنيست وأن أتحدث إليهم». وبعد عشرة أيام وصل السادات إلى القدس فى زيارة تاريخية كسرت الجمود الطويل فى الشرق الأوسط. ومر عام ونصف عام . فترة زمنية طويلة ومرهقة بين استئناف المفاوضات وانقطاعها . ولكن فى النهاية وقع السادات وبيجين اتفاقاً للسلام فى حديقة البيت الأبيض فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ . وبسبب تردد بيجين فى الوصول إلى حل وسط اشتعلت حركة احتجاج قومية يقودها ضباط الجيش تطالب (بالسلام الآن) حتى وزير الخارجية موشى ديان الذى كان

يوماً شخصية عسكرية مرموقة استقال من منصبه اعتراضاً على سياسة بيجين فى التفاوض.

وأثار موقف إسرائيل فى المفاوضات مخاوف كبيرة لدى يهود أمريكا .. ووجد زعماء اليهود أنفسهم مضطرين للدفاع عن موقف إسرائيل بينما هم لا يفهمون هذا الموقف، ومرت الاتصالات مع غير اليهود مثل زعامات الكنائس وقادة الحقوق المدنية والقيادات العمالية بموضع اختبار خطر صعب. وشعر حاخامات المعابد بتوتر أتباعهم بسبب التردد الذى تبديه إسرائيل تجاه السلام.

فى ربيع ١٩٧٨ قامت مجموعة العمل التابعة لـ (ناكراك) بعقد سلسلة من الندوات حول مستقبل سيناء فى أنحاء أمريكا لمساعدة القيادات اليهودية المحلية على فهم موقف إسرائيل . وقد وجدت مجموعة العمل توترا عميقا لدى هذه القيادات . ولذلك فى أوائل أبريل قررت القيادة اليهودية أن تقوم بتصرف ما ، حيث قام المديرون التنفيذيون لمنظمة ناكراك والوكالات الثلاث الكبار بالذهاب إلى إسرائيل ليواجهوا بيجين بعدم شعبية سياسته بين يهود أمريكا . قضى المديرون الثمانية ثلاثة أيام فى إسرائيل. التقوا أولاً مع بيجين لمدة ثلاث ساعات ثم مع وزير الخارجية موشى ديان ووزير الدفاع عيزرا فايتسمان، وقام الجميع بجولة بطائرات الهليكوبتر فوق الضفة الغربية وسيناء ليعرفوا لماذا لا تستطيع إسرائيل أن تتخلى عن مستوطناتها هناك. ثم التقوا بعد جولتهم برئيس الوزراء بيجين مرة أخرى . وعاد الثمانية إلى أمريكا لقضاء عطلة عيد الفصح ولديهم اقتناع كامل بأن الاسرائيليين لن يتنازلوا عن أى مستوطنات فى سيناء . بعد انتهاء عطلة الأعياد توجه المديرون الثمانية إلى البيت الأبيض حيث التقوا مع والتر مونديل نائب الرئيس الأمريكى ليعرضوا عليه نتائج الرحلة ثم انضم إليه الرئيس كارتر بعد قليل واستمر اللقاء لمدة ساعة أبدى خلالها كارتر تفهماً كبيرا ، وهنا استعاد اليهود قدراً كبيراً من الثقة التى فقدوها من قبل .

بمرور الوقت فقد الاسرائيليون اهتمامهم بمنظمة ناكراك وأصبحوا أكثر اهتماماً بالوكالات الأعضاء بها وهى مؤتمر الزعماء وآيباك على وجه الخصوص . وفى منتصف الثمانينات تراجعت ناكراك لتصبح من صغار اللاعبين فى لعبة القوة اليهودية وابتعدت كثيراً عن العملية الديبلوماسية فى الشرق الأوسط ، وأصبحت تصريحاتها تعبر عن التباعد الكبير بين اسرائيل وناكراك .

كان أول احتكاك بين إدارة الرئيس ريجان واللوبي اليهودي هو صفقة أواكس ، وقد خرجت منها الادارة الأمريكية بدرسين مهمين : الأول هو أن اللوبي اليهودي معارض عنيد، والثاني هو أن اللوبي يمكن أن يكون صديقا جيداً أيضاً . وبعد أن انتهت أزمة أواكس سعى مسئولو الإدارة الأمريكية نحو أيباك ودعوا مسئوليها للاشتراك في تخطيط سياسة الحكومة . وقد كان هذا تصرفاً ذكياً حيث إن اشراك أيباك في التخطيط السياسي سيمنعها من معارضة هذه السياسة فيما بعد . بالاضافة إلى إمكانية الاستفادة من صداقة أيباك بسبب سمعتها القوية بين رجال الكونجرس وصلاتها القوية مع الديمقراطيين وهذا سيمكن البيت الأبيض من تسويق سياساته بسهولة أكبر . وقد كانت أيباك وبشكل منتظم تتولى عملية حشد الصفوف خلف اقرار الكونجرس للمعونات الخارجية الأمريكية رغم أنها من البرامج التي لا تحظى بقبول جماهيري واسع خارج نطاق الطائفة اليهودية .

ويقول المراقب بول فيندلي انه ربما انهارت المساعدات الخارجية الأمريكية تماماً لولا وجود أيباك . وفي عام ١٩٨٣ كان توماس داين الوحيد من جماعات الضغط الذي شارك في لجنة (مواطني الشريط الأزرق) التي أسسها چورج شولتز وزير الخارجية لمراجعة برامج المساعدة الخارجية . وفي أكتوبر التالي طلب ريجان بنفسه مساعدة أيباك لمقاومة قرار من الكونجرس يجبر الرئيس على سحب قوات المارينز من بيروت ، وبالفعل حصل ريجان على طلبه بعد اتصال أيباك بعدد من أعضاء مجلس الشيوخ .

وخلال الثمانينات وبشكل منتظم ساعد اللوبي اليهودي إدارة ريجان في العديد من الموضوعات ، وكانت الحجة التي يسوقها اللوبي لليبراليين هي أن اسرائيل بحاجة لأصدقائها وتقديمهم لبعض التنازلات حتى يمكن الحفاظ على تأييد أمريكي قوي لاسرائيل، بالإضافة إلى أن الحفاظ على أداء عسكري أمريكي كبير أمر مفيد لإسرائيل لأن أمريكا الضعيفة لا تستطيع مساندة حلفائها . ونجح اللوبي في إقناع الليبراليين بهذا المنطق . وفي المقابل جعلت إدارة ريجان نفسها أكثر الإدارات الأمريكية ميلاً وتأييداً لاسرائيل على مر التاريخ ، وفي خريف ١٩٨١ وقعت اسرائيل ولأول مرة تحالفاً عسكرياً رسمياً مع واشنطن يجعلها شريكا فعلياً ، وبدأ الشريكان سلسلة من المغامرات العلنية والسرية ؛ مثل معاونة الكونترا في نيكاراجوا وتدريب قوات الأمن في زائير وإرسال أسلحة إلى إيران سراً والتعاون في مجال تطوير الأسلحة وتبادل المعلومات التكنولوچية ومعلومات أجهزة المخابرات بمستوى غير مسبوق . ثم إن المساعدات الأمريكية لإسرائيل

هى أكبر من أى مساعدات تحصل عليها دولة أخرى . وتحولت القروض إلى منح كما أضيفت منح أخرى .

وجد ريجان نفسه مرتبطاً بعمق مع يهود أمريكا نفسياً وفكرياً وسياسياً . وكان ريجان هو أول رئيس أمريكى منذ تيودور روزفلت يعتبر اليهود من أصدقائه الشخصيين . ويرجع ارتباط ريجان باليهود إلى سنوات بعيدة منذ كان ممثلاً فى هوليوود ذلك المجتمع الذى كان اليهود قادته . ثم تأثر فى السبعينات بظهور المحافظين الجدد من اليهود وأفكارهم التى عكستها مجلة (كومنترى) . ولذلك فبعد دخوله البيت الأبيض أحاط ريجان نفسه بعدد كبير من اليهود المحافظين الجدد وعينهم فى وظائف الإدارة الأمريكية خاصة فى المناصب الوسطى وهى المنطقة التى تتحول فيها السياسات العامة إلى عمل تنفيذى؛ لدرجة أن عدم تعيين أى يهودى فى مجلس الوزراء – لأول مرة منذ عهد ترومان – مر مرور الكرام وبمنتهى الهدوء . ولكن لأن المحافظين الجدد يمثلون تياراً ضعيفاً بين اليهود مثل ضباط بلا جنود وراءهم، وقع ريجان فى عديد من الخلافات مع التيار العام لليهود حول موضوعات عديدة مثل حق الاجهاض وحق الصلاة فى المدارس . وبرغم الصداقة القوية التى يبديها ريجان تجاه اسرائيل إلا أن هذا لم يكفل له التأييد السياسى العام بين يهود أمريكا . ولذلك خسر ريجان الصوت اليهودى فى انتخابات الفترة الرئاسية الثانية عام ١٩٨٤ وانخفضت نسبة تصويتهم لصالحه من ٤٠ ٪ إلى ٣٣ ٪ فقط ، أما منافسه الديمقراطى الذى خسر أصوات كل ولاية باستثناء ولاية مينيسوتا – ولايته – فقد حصل على ثلثى أصوات اليهود. إذن «آيباك» منظمة يهودية من نوع مختلف لأن لديها موضوعا واحدا تركز عليه هو اسرائيل ولا شىء غيرها .

فى يونيو ١٩٨٢ انفجر الخلاف بين الصقور والحمائم من اليهود فى أمريكا ودخل حيز العلانية وذلك فى أعقاب اغتيال سفير اسرائيل فى لندن . كانت هذه العملية بعد الاجتياح الاسرائيلى للبنان وضرب معاقل منظمة التحرير الفلسطينية . ادعت اسرائيل فى البداية أنها ستقوم بعملية سريعة لضرب القواعد الفلسطينية فى الجنوب اللبنانى عبر الحدود ولكن ما حدث فعلاً هو أن اسرائيل استمرت فى التقدم نحو الشمال حتى وصلت إلى بيروت العاصمة واحتلتها بعد قصفها . ثم فى سبتمبر دخلت اسرائيل معسكرين فلسطينيين فى ضواحى بيروت وقامت بمذبحة راح ضحيتها ٨٠٠ مدنى قتلوا بأعصاب باردة تماماً . وقد كان لكل هذا أثر مدمر على اتجاهات يهود أمريكا إزاء اسرائيل ورئيس الوزراء بيجين الذى وصف كل ناقد له بأنه معاد للسامية . دفعت العملية الاسرائيلية

البعض مثل الحاخام آرثر هيرتسبرج والذى رفض الاشتراك فى جماعة (بريرا) من قبل لأن يكتب مقالاً فى جريدة نيويورك تايمز بعنوان «بيجين لابد أن يذهب» . أما آلكسندر شيندلر فقد دعا لتشكيل برلمان يهودى عالمى يعبر فيه يهود الشتات عن آرائهم فى اسرائيل .

وفى استطلاع للرأى أجرى عام ١٩٨٣ اتضح أن اليهود فى أمريكا منزعجون بسبب السياسات الاسرائيلية بنسبة ٤٨ ٪ إلى ٢٩ ٪ غير منزعجين . وفى خريف ١٩٨٣ أرسلت منظمة (مؤتمر الزعماء) و (آيباك) رسالتين لرئيس الوزراء بيجين تلحان عليه فى أن يجعل سياسته أكثر اعتدالاً . كما أرسلت منظمة مؤتمر الزعماء شيندلر للقاء بيجين شخصياً ليطلب منه تشكيل لجنة رسمية للتحقيق فى المذابح .

استقال مناحم بيجين من منصبه بشكل مفاجىء فى أغسطس ١٩٨٣ بعد شهور قليلة من وفاة زوجته وبعد ستة شهور من ظهور نتائج لجنة التحقيق فى مذابح صبرا وشاتيلا والتى حملت حكومة بيجين مسئولية نسبية فى تلك المذابح .

جاء اسحق شامير خلفاً لبيجين ، وهو زعيم الجناح المتشدد فى الليكود ؛ عنيد وصامت وعميل سابق للمخابرات . واشترك قبل عام ١٩٤٨ فى عمليات إرهابية ضد الانجليز فى فلسطين . وفى يوليو ١٩٨٤ قاد شامير حزبه إلى الانتخابات العامة التى خسرها بعد حصوله على ٤١ مقعداً فى الكنيست من إجمالى ١٢٠ ، بينما حصل شيمون بيريز زعيم حزب العمل على ٤٤ مقعداً . ولم ينجح أى منهما فى تشكيل الحكومة بالائتلاف مع الأحزاب الدينية الصغيرة أو الأحزاب الهامشية ، وبدلاً من ذلك دخل الاثنان فى حكومة وحدة وطنية تولى فيها بيريز رئاسة الوزراء وحصل نائبه رابين على وزارة الدفاع وأصبح شامير وزيراً للخارجية ، على أن يتبادل بيريز وشامير المناصب بعد عامين.

ونتيجة ذلك كانت أربع سنوات من الخلاف والصراع بين شامير وبيريز . وخلال فترة بيريز نجح فى سحب القوات الاسرائيلية من لبنان ، وخفض معدل التضخم من ٨٠٠ ٪ سنوياً إلى ٤٠ ٪ فقط وأجرى أول لقاء قمة مصرى - اسرائيلى منذ ١٩٧٨ ، وبدأ بيريز أيضاً محادثات سرية مع الملك حسين ووسع دور الأردن تدريجياً فى الضفة الغربية بهدف الوصول لاتفاق سلام تحصل بموجبه الأردن على كل الضفة . أما شامير خلال عامى حكمه ، فقد نجح فى إغراق الاتفاق مع الأردن وتوسع بدرجة كبيرة فى إنشاء المستوطنات

اليهودية فى الضفة الغربية . وطوال الأربع سنوات لحكومة الوحدة الوطنية درج الاسرائيليون على تسميتها بالوحش ذى الرأسين ، ولكن كان التنافس الأساسى بين بيريز وشامير على العلاقات مع يهود أمريكا وفى هذا المجال فاز شامير فوزاً كبيراً ، حتى أن أحد كبار مستشارى بيريز فيما بعد قال « كان تجاهلنا ليهود أمريكا خطأ ذريعاً » .

قبل شامير كانت علاقات اسرائيل السياسية مع قيادات يهود أمريكا علاقات غير رسمية تعتمد على الصلات الشخصية للسفير الاسرائيلى فى واشنطن أو القنصل العام فى نيويورك . ولكن شامير تمكن من تطوير هذه العلاقة إلى عملية معقدة يشترك فيها الدبلوماسيون والموظفون الاسرائيليون ومسئولو الليكود ويصب كل هؤلاء لدى رئيس العاملين فى مكتب شامير اليمينى المتشدد والدبلوماسى السابق يوسى بن آهارون . وأصبحت مهمة هؤلاء جميعاً هى تحويل التنظيمات اليهودية فى أمريكا إلى بوق يردد سياسة الليكود . وقد كان أحد التكتيكات المتبعة لذلك هو ضمان سيطرة اليمين على قيادة المنظمات اليهودية الأمريكية .

فى ابريل ١٩٨٧ التقى شيمون بيريز - وزير الخارجية - مع الملك حسين فى أحد فنادق لندن لصياغة مفاوضاتهما السرية الطويلة فى شكل اتفاق للسلام تعيد اسرائيل بمقتضاه معظم الضفة الغربية إلى الأردن وتوقع الأردن معاهدة للسلام مع اسرائيل . ولكن لأن الأردن لن يحصل على كل شىء فقده فى عام ١٩٦٧ أصر الملك حسين على أن يعقد هذا الاتفاق فى ظل مؤتمر دولى للسلام حتى لا يضطر لمواجهة العالم العربى منفرداً . وافق بيريز على شرط ألا يتخذ هذا المؤتمر قرارات ولا يفرض شيئاً على اسرائيل . أرسل بيريز لوزير الخارجية الأمريكى چورچ شولتز يطلب منه أن يتبنى الفكرة كفكرة خاصة به حتى لا يصطدم بمعارضة شامير . ولكن شولتز رفض قائلا ان بيريز عليه أن يقنع رئيس الوزراء - شامير - أولاً بالفكرة . وعندما عرض بيريز فكرته على شامير رفضها تماماً . هنا بدأ صدام كبير وعلنى . بيريز ومعاونوه يعرفون جيداً أن شولتز معجب بفكرة لندن وبالتالى حاولوا إقناع يهود أمريكا بحث شولتز على إقناع شامير . وشامير من جانبه حاول أن يطيح بهذه المحاولات. وبينما كان بيريز يتمتع بتأييد أكبر بين يهود أمريكا ، كان شامير أكثر فهماً لسياساتهم .

وقف بيريز فى نهاية سبتمبر أمام (مؤتمر الزعماء) وعندما سئل هل من اللائق أن تختلف المنظمات اليهودية مع السياسة الاسرائيلية ؟ قال انه « ليس من اللائق أن يطلب

من اليهود ألا يعبروا بحرية عن آرائهم» . فى اليوم التالى ظهرت جريدة چيروزاليم بوست بعنوان يقول ان بيريز «يطلب من يهود أمريكا أن يتدخلوا فى سياسة اسرائيل» . غضب شامير وأرسل إلى موريس أبرام خطاباً غاضباً قال فيه «ليس من شأن يهود أمريكا أن يقرروا مستقبل اسرائيل» . ثم كتب لبيريز قائلا ان «أى اسرائيلى يتخطى الناخبين ويطلب مساعدة أصدقاء من الخارج لا يدلون بأصواتهم فى اسرائيل سيدمر سيادتنا وعاداتنا الديمقراطية» وأضاف أن «الخوف من أى ضغط خارجى أحد أهم الأسباب لمعارضة المؤتمر الدولى» . تراجع أبرام بسرعة ورد على شامير بقوله انه مهما كان الرأى الشخصى للأعضاء فإن مؤتمر الزعماء لن يتخذ موقفاً تجاه المؤتمر الدولى .

بعد شهرين فقد سائق اسرائيلى سيطرته على دراجته البخارية واصطدم بسيارة عربية فى قطاع غزة وتسبب فى مصرع ستة من العرب ، وأثار الحادث موجة من الغضب العربى تحول إلى انتفاضة فلسطينية منظمة استمرت خمس سنوات وأدت فى نهاية الأمر إلى أن تسيطر منظمة التحرير الفلسطينية على الضفة الغربية وغزة ، وهنا فقد الملك حسين أى أمل فى الأراضى المحتلة .

من الناحية النظرية – على الأقل – نجد وظيفة (مؤتمر الزعماء) خلق اجماع مؤيد لإسرائيل بين المنظمات اليهودية على اختلاف اتجاهاتها ، وترجمة هذا الإجماع إلى قوة سياسية فى واشنطن من خلال (آيباك) ، وتعمل المنظمتان عن قرب كبير ، كما أنهما متداخلتان بشكل ما . (آيباك) واحدة من خمسين منظمة هن أعضاء (مؤتمر الزعماء) كما أن (مؤتمر الزعماء) لها مقعد فى اللجنة التنفيذية (لآيباك) ، ثم أيا من كان الشخص الذى يتزعم مؤتمر الزعماء فإنه لابد أن يكون أحد أعضاء الدائرة الداخلية التى تحكم آيباك والذين يطلق عليهم اسم «الضباط» .

وبعد حرب لبنان ضاعفت آيباك حجم لجنتها التنفيذية حتى يمكن الفوز فى أى تصويت يجرى فى المنظمة على يد أفراد يجرى اختيارهم مباشرة من أعضاء آيباك ، ولأن اللجنة التنفيذية أصبحت سهلة الانقياد فقد وجد مجموعة «الضباط» حرية كبيرة فى العمل ، ومن الناحية العملية أصبحت القرارات تتخذ عن طريق مجموعة صغيرة يرأسها لارى واينبرج الرئيس السابق لآيباك . ويتمتع واينبرج بشخصية قوية بها تناقضات كبيرة وينتمى للمثقفين وله اسم بارز فى سوق العقارات ، وبرغم انتمائه للحزب الديمقراطى إلا أنه لم يجد أية غضاضة فى عقد التحالف بين التنظيمات اليهودية وادارة ريجان الجمهورية ، ورغم أن العاملين فى آيباك ومجموعة الضباط يصفونه بأنه طيب القلب إلا أنهم جميعا يخشونه تماما .

وكان واينبرج وراء قرار اللجنة التنفيذية لآيباك عام ١٩٨٠ لتعيين توماس داين الليبرالي الذي عمل كمستشار للسياسة الخارجية في مكتب السناتور ادوارد كنيدي ، كما قام بتعيين ستيفن روزين كمدير للأبحاث في آيباك - وهو منصب الرجل الثاني - وهو خبير في السياسة الخارجية ومحافظ متشدد . ومن وجهة نظر واينبرج كان وجود داين الليبرالي يعادل وجود روزين المحافظ ويحدث درجة كبيرة من التوازن .

وبعد أن تنحى واينبرج عن رئاسة آيباك عام ١٩٨٢ كرس جهده لإنشاء مؤسسة فكرية جديدة في واشنطن بهدف تغيير المناخ الفكري في العاصمة تجاه السياسة في الشرق الأوسط ، هذه المؤسسة هي معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى والذي بدأ عمله عام ١٩٨٤ برئاسة باربي زوجة واينبرج والتي تعد أيضا من الشخصيات البارزة في الدوائر اليهودية، وتولى مارتن إنديك منصب المدير التنفيذي للمعهد وهو يهودي استرالي درس شئون الشرق الأوسط وعمل مع قسم الأبحاث في آيباك تحت إدارة ستيفن روزين . وفي قمة سيطرة كتلة الليكود على مقاليد الأمور في إسرائيل كان المعهد يميل بقوة تجاه حزب العمل ، وعمل في المعهد أشد نقاد الليكود مثل الصحفيين الاسرائيلين هيرش جودمان وزئيف شيف وذلك كعاملين زائرين . وقد نشر المعهد آراء وأفكار المنظّرين الأمريكيين مثل دنيس روس وريتشارد هاس ، ولأن الاثنين عملا في إدارة الرئيس بوش فقد أصبحا «بعبع» بالنسبة لحكومة شامير . ولم يكن هدف هذا المعهد هو تسويق السياسة الإسرائيلية ولكن صياغة أجندة عملية تحقق مصالح إسرائيل .

وقد خلف واينبرج في منصبه مجموعة من الجمهوريين المحافظين مثل روبرت أشر ثم ادوارد ليفي ومائير ميتشل ، وكل منهم اسم معروف بين اثرياء رجال الأعمال وهم متبرعون كرماء للحزب الجمهوري مما جعلهم موضع ترحيب في البيت الأبيض ، وجعلهم أيضا متحدثين جيدين باسم آيباك وإسرائيل ولكن لم يتمتع أى منهم بأفكار واينبرج البراقة .

وقد أطلق على واينبرج وخلفائه الثلاثة اسم عصابة الأربعة ، واشترك الأربعة في العمل من أجل إسرائيل ، بداية من زيارات البيت الأبيض المتكررة إلى التجول بين أروقة الكونجرس ، وإذا كان واينبرج هو صاحب الأفكار المتعلقة بالديبلوماسية في الشرق الأوسط فقد كان الثلاثة الآخرون أصحاب الفضل في توسيع آيباك وتحويلها إلى جيش كبير وفعال . ويقود هذا الجيش توماس داين - المدير التنفيذي لآيباك - وكان هذا الرجل قد اختارته مجلة «تايم» الأمريكية كأحد أقوى الشخصيات وأكثرها نفوذا في واشنطن عام ١٩٨٤ ، وقام داين بإخراج آيباك من الظل إلى دائرة الضوء ، وجعل الدعاية من

الأسلحة المهمة لجنوده ، ويعتبر المؤتمر السنوى الذى تعقده (أيباك) فى أحد فنادق واشنطن هو أهم أحداث العام بالنسبة للوبى ، حيث يشترك فيه المئات من نشطاء اليهود من كل أنحاء الدولة ، ويستمر لمدة ثلاثة أيام يلقى أثناءها السياسيون الإسرائيليون والأمريكيون الكلمات ، ويجتذب حفل العشاء الذى يقام فى المؤتمر المئات من أعضاء الكونجرس وعشرات السفراء الأجانب، كل منهم يتحين الفرصة للإعراب عن نواياه الطيبة تجاه أيباك ويهود أمريكا .

والحقيقة أن الضغط على الكونجرس الأمريكى من أجل المساعدات التي تقدمها الولايات المتحدة إلى إسرائيل يعد مجرد جزء صغير من عمل أيباك تحت قيادة داين. ومن بين ١٥٠ شخصا عملوا فى أيباك فى التسعينات تفرغ ستة منهم فقط لعملية الضغط ومقابلة أعضاء الكونجرس والتأثير على أصواتهم ، أما الباقون فقاموا بتشغيل آلة عملاقة لممارسة النفوذ اليهودى المتنوع الأشكال : فريق يعمل فى الأبحاث لإمداد اللوبى بالمعلومات حول قضايا الشرق الأوسط بداية من حقوق المياه إلى تكنولوجيا الصواريخ ، والفريق الآخر يعمل على نشر سلسلة من الكتيبات والنشرات الصحفية مثل (نير ايست ريبورت Near East Report) التى تشمل عرضا وتحليلا للأنباء المتعلقة بإسرائيل ، ويقدمونها لأعضاء الكونجرس ، وفريق ثالث يعمل بالإدارة والتمويل وجمع التبرعات اللازمة لاستمرار عجلة (أيباك) فى الدوران .

وبرغم أن التبرعات التى تحصل عليها (أيباك) لا تمنح أصحابها اعفاءات ضريبية - على خلاف المنظمات اليهودية الأخرى - إلا أن دخل المنظمة قد ارتفع من ١ر٢ مليون دولار فى الثمانينات إلى ١٥ مليون دولار فى التسعينات، ويدل هذا على الأرضية التى تقف عليها أيباك بين يهود أمريكا ، وقد تضاعف عدد أعضاء أيباك خمس مرات خلال نفس الفترة ، وكلما ازداد عدد الأعضاء ازدادت أيباك قوة ، وكلما ازدادت قوة ارتفع عدد الأعضاء وهكذا .

ومن أهم مفاتيح القوة بالنسبة لأيباك - كما يرى عدد من العاملين الحاليين والسابقين بها ، هو القدرة على تحريك أعضائها كجيش منظم من المتطوعين يعملون فى كل أنحاء الدولة ، ويقوم العاملون فى المنظمة بمساعدة الأعضاء على المشاركة السياسية فى كل حملة انتخابية فى الولايات المتحدة سواء بالعمل التطوعى أو تقديم التبرعات، وتعتبر أيباك من هذا المنطلق الفائزة بمعظم مقاعد الكونجرس، وينظم العاملون فى المنظمة دورات للأعضاء لتدريبهم على المهارات الانتخابية وزيادة فاعلية أموال التبرعات وتحقيق الفائدة

السياسية القصوى من كل تبرع مالي للمنظمة . وفى كل حملة انتخابية بالكونجرس تطلب أيباك من كل مرشح أن يكتب تفصيلا آراءه حول الشرق الأوسط ، ولا يمانع المرشحون فى ذلك لسعيهم الساخن للحصول على عضوية الكونجرس ، ثم تجرى بعد ذلك مناقشة كل هذه الأفكار لتحديد الشخصيات الأكثر ميلا تجاه إسرائيل . وفى خلال خمسة عشر عاما كونت أيباك شبكة هائلة من الاتصالات بالنظام السياسى الأمريكى ، واقتحم أعضاؤها عالم السياسة ونجح بعضهم فى الوصول إلى مقاعد فى المجالس التشريعية المحلية وحاول بعضهم ، دون نجاح حتى الآن ، الحصول على عضوية الكونجرس . ويشغل العاملون فى آيباك وظائف أخرى فى الكونجرس لدى الحزبين الديمقراطى والجمهورى ويقدمون استشاراتهم السياسية لمن يرغب .

بعد أن خسر الجمهوريون انتخابات عام ١٩٩٢ ودخل بيل كلينتون إلى البيت الأبيض اختارت اللجنة المركزية رئيسا ديمقراطيا لآيباك هو ستيفن جروسمان من بوسطن وذلك مسايرة لاتجاه الريح ، ويرجع اختياره إلى أنه كان المدير المالى لحملة كلينتون فى ولاية ماساشوستس مما أعطاه مدخلا جيدا للبيت الأبيض ، ونجح جروسمان فى توطيد علاقة جيدة مع اسحق رابين الذى أطاح بإسحق شامير قبل شهور قليلة من دخول كلينتون للحكم ، ولكن لم يستطع جروسمان أن يحكم سيطرته على الأمور فى آيباك بسبب عصابة الأربعة واينبرج وآشر وليفى وميتشل الذين ظلوا متحكمين فى القيادة . وفى يونيو ١٩٩٣ قررت مجموعة «الضباط» التخلص من توماس داين ، المدير التنفيذى ، وكان السبب المعلن لذلك هو صدور كتاب عن السياسة الإسرائيلية أساء فيه داين لليهود الأرثوذكس وقال ان «رائحتهم كريهة» ، وثار اليهود الأرثوذكس وطالبوا برأس داين فقدمته لهم مجموعة «الضباط» . أما الصحافة الإسرائيلية فقد ذكرت أن خروج داين كان بتدبير من رابين الذى أراد أن يصفى الحسابات مع مؤيدي صقور الليكود الذين أداروا المؤسسة اليهودية الأمريكية ولكن الحقيقة كانت على عكس ذلك تماما ، لأن داين كان ليبراليا أما الاتجاه المتشدد فى آيباك فقد كان مصدره جماعة «الضباط» التى أطاحت بتوماس داين بعد أن وجدوا أنه شخصية مستقلة أكثر من اللازم . وبعد خروج داين حدث صراع فى آيباك لاختيار خليفة له ، حيث أرادت مجموعة الضباط اختيار «هوارد كور» الجمهورى المحافظ الذى عمل فى اللوبى منذ سنوات طويلة ولكن جروسمان نجح فى خلق جبهة معارضة على أساس أن الحكومتين الأمريكية والاسرائيلية انتقلتا نحو اليسار وبالتالى لا يوجد مبرر لأن تنتقل آيباك نحو اليمين ، واستقر الاختيار على «نيل شير» رئيس مكتب

التحقيقات الخاصة بالنازى - سابقا - بوزارة العدل ، ويتمتع شير بشخصية جذابة وحديث منمق وخبرة كبيرة فى الإدارة الفيدرالية والأهم من ذلك مصداقية عالية بين يهود أمريكا ، ولكن للأسف لم تكن لدى شير الخبرة الكافية بشئون الشرق الأوسط .

وبعد أن وقع رابين اتفاقا للسلام مع ياسر عرفات فى حديقة البيت الأبيض فى سبتمبر ١٩٩٣ بدأ روبرت آشر - من عصابة الأربعة - بالتحرك داخل الكونجرس لحشد المعارضة ضد الاتفاق والمبادرات الأمريكية التى تدعمه ، وعندما اجتمع جروسمان بمجموعة الضباط وتساءل كيف يمكن لآيباك أن تتغلب على المعارضة فى الكونجرس أطاحت عصابة الأربعة به على الفور . ثم فى ١٩٩٦ انسحب نيل شير من منصبه وحل محله هوارد كور ، ويفسر لنا أحد العاملين - السابقين - فى آيباك سر سيطرة عصابة الأربعة على المنظمة بأنه ناتج عن اذعان بقية المنظمة وتسليمها القياد لهم .

الباب الثالث

أزمة القوة اليهودية

الفصل التاسع

«أنا أخوكم يوسف»

اليهود فى المناصب العامة

قال يوسف لإخوته : «تعالوا ، أتوسل إليكم ، فجاءوا وقال لهم : أنا أخوكم يوسف الذى بعتموه فى مصر . لا تحزنوا الآن ولا تغضبوا على أنفسكم ، لأن الله أرسلنى لأنقذكم».

سفر التكوين ٤٥ : ٤ ـ ٥

يقول آبا ايبان السياسى الإسرائيلى الكبير وأشهر دبلوماسييها : إن اثنين فقط من يهود أمريكا هما اللذان حققا قوة حقيقية فى الولايات المتحدة ، أما الباقون فهم أصحاب نفوذ فقط يستطيعون اقناع صانعى القرار السياسى باتخاذ قرارات فى صالح اسرائيل . الاثنان هما آرثر جولدبيرج وهنرى كيسنجر .

كان جولدبيرج سفيرا لأمريكا فى الأمم المتحدة عام ١٩٦٧ عندما كان مجلس الأمن يناقش سبل اجبار اسرائيل على الانسحاب من الأراضى التى احتلتها أثناء حرب الأيام الستة ، وكان جولدبيرج يعمل بمفرده تقريبا حيث كانت إدارة جونسون غارقة فى مستنقع فيتنام . وظل جولدبيرج يناور بمهارة حتى لا تخسر اسرائيل داخل الأمم المتحدة ما كسبته على أرض المعركة، وكانت النتيجة صدور قرار ٢٤٢ الذى تبناه مجلس الأمن فى نوفمبر ١٩٦٧ .

القرار يسميه الدبلوماسيون اثنان ـ أربعة ـ اثنان ، ينص على انسحاب إسرائيل من «أراضٍ» احتلتها اسرائيل فى الحرب . دون أن تعرف كلمة أراضى بالألف واللام بناء على إصرار كبير من جولدبيرج ، وهذا ترك حرية لإسرائيل للانسحاب من بعض أو كل الأراضى حسب ما يتراءى لها وحسب ما تصل اليه من اتفاقات مع جيرانها ، كما جعل القرار الانسحاب الإسرائيلى جزءا من اتفاق شامل للسلام يحرر اسرائيل من المطالبة العربية بانسحاب اسرائيلى أحادى الجانب . ومنذ ذلك التاريخ أصبح القرار ٢٤٢

الأساس القانونى للديبلوماسية فى الشرق الأوسط . وبفضل جولدبيرج تمكن الإسرائيليون من الانتظار للحصول على اعتراف عربى بدولتهم قبل مناقشة الانسحاب .

أما كيسنجر فهو مستشار الأمن القومى ثم وزير الخارجية الأمريكى الذى قاد السياسة الخارجية الأمريكية فى حكومتى نيكسون وفورد . كانت تلك الفترة هى ذروة الأزمة فى مشكلة الشرق الأوسط ، حيث شهدت نشاطا للعمليات الفلسطينية المسلحة ، وحرب اكتوبر ١٩٧٣، والحظر البترولى العربى ، واتفاقية فض الاشتباك بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٨ . وخلال حرب ١٩٧٣ بالتحديد كان نيكسون غارقا حتى أذنيه فى ووتر جيت وتمكن كيسنجر من ادارة الأمور منفردا .

وبشكل ما ، نجد أن قائمة آبا ايبان قصيرة جدا فهى تعرف «القوة» بمنظور ضيق للغاية ؛ وهو : الشخصيات العامة التى تتمتع باستقلالية اتخاذ القرار مما يتيح لهم حرية التصرف بدون عوائق مفروضة عليهم .. ولكن حتى الرئيس الأمريكى يجد عوائق أمام قراراته متمثلة فى الكونجرس والقضاء والشعب ، كما أن تفسير آبا ايبان للقوة يفرض علينا سؤالا مهما وهو : ما معنى أن يتصرف المسئول اليهودى باعتباره «يهوديا»؟.. والحقيقة أن هناك كثيرين من اليهود حققوا قوة ونفوذا يؤخذان فى الاعتبار ، والكثيرين من هؤلاء عملوا فى أوقات حرجة لتغيير اتجاه الأحداث فى الشرق الأوسط ، تماما مثل جولدبيرج وكيسنجر ولكن ربما كانوا أقل ظهورا أو تأثيرا، ومما لاشك فيه أن بعض هؤلاء بنوا أعمالهم من باب شعورهم بالواجب كيهود، ثم إنه فى أحوال كثيرة يتصرف مسئولون رسميون كيهود دون أن يكون الأمر متعلقا بإسرائيل مثلما هو الحال فى مجال انقاذ اليهود السوفيت أو يهود اثيوبيا أو سوريا . وقد لا تكون المصلحة اليهودية بارزة بوضوح فى الصورة ولكن يتصرف هؤلاء المسئولون «كيهود» فى لحظات الأزمة مثل محاولات وقف التطهير العرقى فى البوسنة أو تأمين حق المرأة فى الاجهاض . وأخيرا فإنه فى بعض الأوقات عندما يكون على المسئول الرسمى أن يتخذ قراراته «كيهودى» فإن هذا لا يحدث .

ويقول ستيوارت آيزنستات الذى كان كبير العاملين فى السياسة الداخلية بالبيت الأبيض فى حكومة كارتر إن «قرارات المسئول اليهودى تتوقف على عدة أمور : هل هو يهودى بالميلاد؟ هل لديه روابط قوية بالطائفة اليهودية أو هل لديه ميول قوية تجاه اسرائيل؟ والاجابة فى أغلب الحالات هى النفى» .

أثناء حكم الرئيس بوش أحاط وزير الخارجية جيمس بيكر نفسه بطاقم من الخبراء فى شئون الشرق الأوسط بهدف دفع عملية السلام، وكان على رأس الفريق دنيس روس مدير التخطيط السياسى فى مكتب بيكر والذى رأس مكتب الشرق الأوسط فى مجلس الأمن القومى فى سنوات ريجان الأخيرة . وكان يساعد روس فى عمله الجديد دانيال كورتر النائب فى مكتب الشرق الأدنى بالخارجية الأمريكية ، وآرون دافيد ميللر أحد نواب روس فى مكتب التخطيط السياسى ، ويتصل هذا الفريق بالبيت الأبيض من خلال ريتشارد هاس خبير شئون الشرق الأوسط فى مجلس الأمن القومى .

والأربعة روس وهاس وكورتر وميللر يهود .

وقد أغضب هذا الفريق اليهودى رئيس الوزراء الإسرائيلى اسحق شامير واليهود الأمريكيين المؤيدين له . هؤلاء غضبوا بسبب ضغوط بوش على اسرائيل من أجل وقف بناء المستوطنات فى الأراضى المحتلة ومقايضة الأرض بالسلام ، وكثيرا ما كان يصف شامير ومساعدوه هذا الفريق باسم «الخونة» . ولكن بالنسبة للقيادات اليهودية الأمريكية المعتدلة أو على الأقل الذين لا يرتبطون بشكل خاص بالليكود ، كان روس وفريقه حلفاء فى الداخل يعملون بين نارين؛ بوش وشامير، ويحاولون حسر الخلاف بينهما.

وعلى أحد الجانبين رأى فريق من المراقبين أن الثلاثى روس وكورتر وميللر يعملون من منطلق الالتزام الكامل بالمصلحة اليهودية وأمن اسرائيل الذى يتحقق عن طريق السلام ، فى حين يرى الفريق نفسه أن «هاس» فى البيت الأبيض يتحرك بدوافع المصلحة الأمريكية دون أى ارتباط أو التزام تجاه اسرائيل .

وربما تكون الخلفية الدينية بالنسبة لريتشارد هاس قد أثرت فى مواقفه . حيث تربى هاس فى معبد للإصلاحيين ذوى الروابط الضعيفة بالتنظيمات اليهودية، أما روس وميللر فقد نشأ فى معابد يهودية محافظة ، ونشأ كورتر فى معبد لليهود الارثوذكس ويحرص ميللر وكورتر على طعام الكوشير فى منزلهما ويرسلان أبناءهما للمدارس الدينية . ويحرص الثلاثى روس ورفيقاه بالخارجية على أن يراهم الجميع باعتبارهم مسئولين يخدمون المصلحة الأمريكية دون أن يجدوا حرجا فى الاعراب عن مشاعرهم الشخصية تجاه اسرائيل .

ويصر الثلاثة على أنهم يعملون لصالح اسرائيل بدفعهم إياها لتقديم التنازلات والوصول الى سلام مع جيرانها . ويقول روس : «أعتقد أن السلام يخدم مصالح

اسـرائيل. إنه السـلام المرتبط بالأمن . إنه مـصلحـة أمـريكيـة أيضـا » . ولكن هذه الاستراتيجية أدخلتهم فى صراع مرير مع حكومة الليكود بزعامة شامير ، وجعلتهم أكثر قربا من حـزب العمل المعـارض ، حـتى أن بعض العـاملين فى واشنطن كـانوا يصـفـون الثلاثى روس وشريكيه بأنهم صهاينة عماليون . وقد لاحظ مسئولون بالطائفة اليهودية تغييرا بالنسبة لريتشارد هاس بعد المؤتمر الصحفى الذى عقده بوش فى سبتمبر ١٩٩١ ، وذكر فيه القوة السياسية التى تناوئه . وقال هؤلاء ان التجربة دفعت هاس الى اليهودية بدرجة واضحة.

وكثيرا ما يمر المسئولون الذين يدخلون الحياة العامة بتجربة «التهويد» حيث يصبح وعيهم بكونهم يهودا أكثر يقظة وتنفتح أعينهم على البعد السياسى لليهودية . ويجد المسئولون اليهود عندما ينتقلون الى واشنطن أن الكثيرين من اليهود وغيرهم يعتبرونهم مسئولين عن التصرفات التى تمس اليهود وأقدارهم ، وهذا يتضح أكثر فى الكونجرس . ويقول السناتور الديمقراطى پول ويلستون من ولاية مينيسوتا : «لقد نما احساسى بذاتى كيهودى خاصة عندما بدأ أبنائى يكبرون وبدأت أتساءل عن هويتهم ، ولكن الذى تغير بعد دخولى الكونجرس هى الأعمال المنتظرة منى عندما يتعلق الأمر بإسرائيل .. فى هذه الحالة من المنتظر أن يشترك الشيوخ اليهود فى هذه الأمور» .

ولكن الوضع يختلف بالنسبة للعاملين فى الادارة والأجهزة التنفيذية حيث ان القانون الأمريكى والتقاليد السياسية تشجع هؤلاء على أداء عملهم كمهنيين محترفين يضعون المصلحة الأمريكية فى المقام الأول . أما المشاعر اليهودية إذا ما ظهرت فى الصورة فإنها تكون على المستوى الشخصى .

فى عام ١٩٩١ وفى قمة المواجهة بين ادارة بوش وبين اسرائيل كان عدد اليهود الذين يشغلون منصب مساعد وزير الخارجية لا يقل عن سبعة من اجمالى تسعة عشر، بعض هؤلاء كان يتعامل مع موضوعات متعلقة باليهود بشكل يومى مثل دنيس روس وبرينستون ليمان الذى عمل فى مكتب شئون اللاجئين الذى يحتك بمشاكل اليهود المهاجرين ، ولكن هناك من لم يتعامل مع هذه المسائل اليهودية بالمرة مثل برنارد آرنسون «ابن آرنولد آرنسـون من ناكـراك» الذى يعـمل فى مكتب أمـريكا اللاتينيـة . وهـنـاك من وجـدوا أنفسـهم فى مواجـهة أزمـة يهودية على نحـو مفـاجىء ، ومن هؤلاء هيرمان كـوهين الدبلوماسى الذى نشأ فى بروكلين وكان مساعدا لوزير الخارجية لشئون افريقيا فى

ادارة بوش . فى مايو ١٩٩١ وفى قمة الحرب الأهلية الدامية فى اثيوبيا ، نظمت الادارة الأمريكية وقفا لاطلاق النار لمدة يوم واحد حتى يتمكن الطيران الاسرائيلى من نقل ٢٠ ألفا من يهود الفلاشا الى اسرائيل وقد أشرف كوهين على تلك المحادثات الحرجة التى جعلت وقف إطلاق النار ممكنا . ويقول كوهين «إننى أحمد الله كثيرا على أننى لا أعمل فى شئون الشرق الأوسط أو فى الأمم المتحدة حتى لا أضطر ذات يوم لأن أدين اسرائيل». ويقول أيضا : «إن حكومة الولايات المتحدة كان لديها اهتمام بالفلاشا ، ولكنها قضية ليست ذات أولوية كبيرة، ولو اقتضت مصلحة أمريكا اغفال المسألة كنت سأغفلها بالطبع وهنا كان سيحدث صراع بين يهوديتى وبين واجبى المهنى» .

فى أكتوبر ١٩٩٠ جرت محاولة للزج بإسرائيل في أزمة الفلاشا من جانب «الجمعية الأمريكية من أجل يهود اثيوبيا» وهى جمعية متشددة ، حيث استأجرت الجمعية قافلة من الشاحنات ونقلت كل أفراد الفلاشا الى العاصمة ووضعتهم فى حقل مقابل القنصلية الاسرائيلية فى أديس أبابا . وطار مايكل شنايدر المدير التنفيذى للجنة التوزيع المشتركة الى اثيوبيا ومعه فريق لاقامة معسكر لايواء الفلاشا على عجل . وأخيرا وافق شامير ـ الذى تردد كثيرا من قبل ـ على بدء العملية ، وتكونت لجنة عمل سرية ينسقها مسئول اسرائيلى فى تل أبيب هو يورى لوبرانى بالاشتراك مع شنايدر فى نيويورك ، وأشرفت على المحادثات مع الادارة الأمريكية منظمة «مؤتمر الزعماء» .

وفى الخارجية الأمريكية تلقى كوهين أوامره من وزير الخارجية مباشرة . يقول كوهين : «كانت الفوضى تشمل أديس أبابا تماما ، وطلبنا من المتمردين التزام الهدوء حتى نتمكن من الوصول الى حل سلمى للحرب المشتعلة ، وكانت الحكومة يائسة وتطلب منا الانقاذ ولكن قلنا إن لدينا شرطا واحدا هو أن تتركوا طائرات اسرائيل تحمل الفلاشا الى اسرائيل . ولكن لم تكن وعود السفارة الأمريكية موضع ثقة كبيرة ، ولذلك طلب المسئولون الاثيوبيون من القنصلية الاسرائيلية الحصول على ضمان شخصى من الرئيس بوش لتأمين حياة قادتهم بالاضافة الى ٣٥ مليون دولار تودع نقدا فى أحد بنوك نيويورك».

انتقل الطلب من أديس أبابا الى تل أبيب ومنها الى نيويورك حيث شنايدر ، وبدأ شنايدر العمل على الفور لجمع التبرعات من مليونيرات اليهود . وفى الوقت نفسه قامت

مجموعة من أعضاء الكونجرس اليهود بطلب أن يبقى أمر الـ ٣٥ مليون دولار سرا لضمان نجاح العملية . ثم توجه ماكس فيشر ورودى بوشثيتيس الى جورج بوش وطلبا منه أن يضمن شخصيا أمن وسلامة قادة اثيوبيا فوافق بعد تردد .

أرسل كوهين نائبه روبرت هوديك الى مقر المتمردين فى السودان وطلب وقف اطلاق النار لمدة ٢٤ ساعة فقط . بعد ظهر يوم ٢٤مايو هبطت أول طائرة اسرائيلية فى أديس أبابا ونقلت ألف يهودى من الفلاشا ثم طائرة أخرى فثالثة وهكذا حتى انتهت العملية بعد ظهر يوم السبت ٢٥ مايو . يقول كوهين «السؤال هو إذا لم أكن يهودياً هل كنت سأضع الأمر فى قائمة اهتماماتى ؟ لا أعرف الإجابة » .

عندما انتقل البروفيسور هنرى كيسنجر من هارفارد إلى واشنطن عام ١٩٦٩ ليشغل منصب مستشار الأمن القومى فى إدارة نيكسون وجد نفسه أمام أمرين ؛ من ناحية اتسع نطاق وظيفته عن النطاق الذى شغله من سبقوه فى المنصب ، فالمهمة الأساسية لمستشار الأمن القومى أن ينظم مرور أفكار السياسة الخارجية المقترحة من وزارتى الخارجية والدفاع بالإضافة إلى جهاز المخابرات . ولكن نيكسون طلب من كيسنجر أن يعمل معه فى توجيه السياسة الخارجية وإعادة رسم صورة الدور الأمريكى فى العالم . فقد كان نيكسون لا يثق كثيراً بوزارة الخارجية ، ومن جانب آخر وجد نيكسون أن حدود عمله تتوقف عند حدود الشرق الأوسط . وبقيت هذه المهمة فى يد وزير الخارجية ويليام روجرز صديق نيكسون القديم . ولم يسمح نيكسون لكيسنجر أن يلعب دوراً فى السياسة الأمريكية بالشرق الأوسط قبل ربيع عام ١٩٧١ وذلك بعد فشل محاولات روجرز وبعد أن اقتنع نيكسون بأن محاولات كيسنجر يمكن أن تنجح . بعد ذلك ازداد نفوذ كيسنجر على السياسة الأمريكية فى المنطقة بشكل منتظم . وبعد تعيينه فى منصب وزير الخارجية فى أغسطس ١٩٧٣ أمسك كيسنجر بزمام الأمور تماماً . وفى مذكراته «سنوات فى البيت الأبيض» قال كيسنجر ان تقسيم مهامه خلال العامين الأولين من حكم نيكسون يرجع إلى عدة عوامل منها العلاقة المتناقضة التى ربطت بين نيكسون وروجرز فبعد أن حدد نيكسون صلاحيات الخارجية الأمريكية ونقل عملية السياسة الخارجية للبيت الأبيض أراد أن يترك لروجرز منطقة عمل خاصة به هى الشرق الأوسط ، ولكن فى نفس الوقت كانت هذه المنطقة مغلقة أمام النشاط الدبلوماسى الأمريكى وهذا يعزز سيطرة نيكسون عندما يضع مستشاريه فى مواجهة كل منهما الآخر .

أما العامل الآخر والذى أشار إليه كيسنجر بكلمات قليلة جداً فى مذكراته فهو أن «نيكسون كانت لديه شكوك فى أن أصولي اليهودية يمكن أن تجعلنى أميل كثيراً لصالح اسرائيل». ويقول ويليام كوانت الذى عمل فى مجلس الأمن القومى تحت رئاسة كيسنجر انه لم يكن يتكلم عن أصوله مما جعله شخصا غير مريح بالنسبة لنيكسون، وكثيراً ما قال له نيكسون ان خلفيته اليهودية تجعل آراءه تجاه الصراع العربى الاسرائيلى موضع شك.. وفى تاريخ أمريكا القريب لم يتعرض أحد للشكوك فى ولائه مثلما حدث لكيسنجر، كما أنه لم يكتسب أحد قوة على المسرح الدولى مثله . وكثيراً ما كان نشطاء يهود أمريكا يقسون عليه فى نظرتهم لدرجة ولائه . وبالنسبة للكثيرين كان كيسنجر يجسد الحقيقة القديمة التى تقول ان اليهود فى المناصب العليا يكرسون خدماتهم لسادتهم دون إخوانهم. ويقول موريس عميتاى - المدير التنفيذى لآيباك عام ١٩٧٤ - ان جولدا مائير عقب خروجها من السلطة قالت له «أظن أن وزير الخارجية الأمريكى كان يمكن أن يقدم لنا ما هو أكثر». ويقول عميتاى «كأنها تقصد أن كونه يهودياً قد منعه من إعطاء اسرائيل ما يجب عليه من تأييد» .

وأثناء محادثات فك الاشتباك ودبلوماسية المكوك التى قام بها كيسنجر فى عامى ١٩٧٥ و ١٩٧٦ كثيراً ما استقبله الاسرائيليون بلافتات مكتوب عليها كلمة «خائن» . أو «هتلر قد تركك لتكمل مهمته» ، وذلك بسبب محاولاته الحصول على تنازلات اسرائيلية . وحتى بالنسبة لمن هم أكثر اليهود كرماً بالنسبة لكيسنجر فإنهم يظهرون تفهماً لدوافعه وأعماله . ويقول الحاخام اسرائيل ميلر «هؤلاء أشخاص لا يعملون من أجل اليهود ، حيث دائرتهم الأكبر هى كل الشعب الأمريكى . وإذا كان هناك من يرون كيسنجر غير صديق فإنهم يعتقدون ذلك لأنه يهودى بينما هو يؤدى وظيفته كما يراها» . أما من خارج يهود أمريكا فتختلف النظرة إلى كيسنجر . يقول بيتر رودمان تلميذ كيسنجر فى هارفارد ثم مساعده الشخصى بعد ذلك «فى الادارة الأمريكية كان الكثيرون واثقين بأن كيسنجر صهيونى ولهذا لم يتركه نيكسون يتدخل فى شئون الشرق الأوسط إلا فى وقت متأخر برغم أنهما كانا يتفقان فى وجهات النظر الاستراتيجية» .

ويرجع الكثير من الجدل حول ولاء كيسنجر لليهود إلى دوره فى الأحداث التى تلت حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ . قبل الظهر مباشرة شنت القوات المصرية والسورية هجوماً مفاجئاً ضد اسرائيل يوم عيد الغفران أكثر الأيام قداسة لدى اليهود وألحقت خسائر هائلة فى الجنود والمواقع بينما أذهلت الصدمة جيش اسرائيل وبقى فى انتظار

قدوم جنود الاحتياط . ففى ثلاثة أسابيع خسرت اسرائيل ٢٦٠٠ جندى، أى أكثر من ثلاثة أضعاف من فقدتهم فى يونيو ١٩٦٧ ولكن الخسائر النفسية كانت أفدح كثيراً . بعد حرب الأيام الستة شعرت اسرائيل بالأمن وبأنها قوة منيعة ومع احتلالها للأرض العربية توفر لها هامش أمنى يقلل المخاطر عن قلب الكثافة السكانية الاسرائيلية . ولكن الوضع الجديد على الأرض كان أكبر تعقيداً من كل التصورات، وبرغم أن احتلال الأراضى العربية أعطى اسرائيل مزايا تكتيكية فى العمق الجغرافى ولكن هذه المزايا تتوارى قيمتها بسبب العزلة الدبلوماسية المفروضة على إسرائيل . وبدلاً من قيام الاسرائيليين بتقييم أفكارهم السابقة عن الأمن والأرض بحثوا عن «خائن» بينهم ، ووجدوا كيسنجر اليهودى. واتهام كيسنجر بالخيانة يرجع إلى ثلاثة عوامل: الأول هو التأخير فى مد الجسر الجوى الأمريكى لتعويض خسائر اسرائيل الأولية لمدة أربعة أيام لأسباب غامضة، والثانى هو وقف اطلاق النار فى يوم ٢٢ أكتوبر قبل أن تنجح اسرائيل مباشرة فى تطويق الجيش الثالث المصرى، والعامل الثالث هو الطريقة التى أدار بها كيسنجر محادثات فض الاشتباك بين اسرائيل وكل من مصر وسوريا لمدة عامين قايض فيها التنازلات الاسرائيلية على الأرض بالتزامات كتابية من العرب على الورق .

وعن العامل الأول فقد قتل بحثاً وانتهى بالوصول إلى افتراضين وهما إما أن كيسنجر تأخر فى إرسال الامدادات لأنه لم يكن يبالى بمعاناة اسرائيل أو أنه صادف عوائق من البنتاجون من جانب چيمس شليزنجر وزير الدفاع أو نائبه ويليام كليمنتس . ولكن الحقيقة يشرحها كيسنجر فى مذكرات نشرها عام ١٩٨٢ قال فيها انه فى يوم ٧ أكتوبر ثانى أيام الحرب طلب امداد اسرائيل بالسلاح - رغم اعتراض زملائه - حتى يوجه رسالة للاتحاد السوفيتى . ولكن فى ذلك الوقت لم يتصور أحد فى واشنطن أن اسرائيل ستعانى من كل هذه الخسائر ولكن عندما اتضحت الصورة جيداً بعد يومين آخرين كانت هناك عقبات فنية أمام مد الجسر الجوى ، حيث طلبت واشنطن أن ترسل اسرائيل طائرات العال لنقل السلاح ولم تستطع اسرائيل أن تنفذ المطلوب . ومن ناحية أخرى خشى كيسنجر أن يزداد الحظر البترولى إذا غضب العرب من قيام الطائرات الأمريكية بالمهمة . ثم طلبت واشنطن ارسال السلاح عن طريق شركات الشحن ولكن لم تتقدم أى شركة للمهمة خوفاً من تعريض طائراتها للخطر فى منطقة حرب . وعندما صدر القرار بإرسال السلاح على متن طائرات عسكرية أمريكية رفضت البرتغال أن تحلق هذه الطائرات فوق أجوائها .

ويقول والتر إيزاكسون كاتب السيرة الذاتية لكيسنجر ان كليمنتس نائب وزير الدفاع، وهو رجل بترول من تكساس كانت له ميول تجاه العرب، وقف كعقبة أمام الجسر الجوى وقد كان وزير الدفاع شليزنجر يميل لرأى نائبه . ويشير يهود كثيرون إلى أن وزير الدفاع شليزنجر ليس لديه ولاء لليهود رغم مولده كيهودى ، إلا أنه فى شبابه قد تحول إلى المسيحية ، وهذا دليل - بالنسبة لهم - على عدم ولائه حيث اعتنق الديانة التى طالما شنت الحروب ضد اليهود فى قرون عديدة . ويزخر تاريخ العصور الوسطى بقصص عن يهود اعتنقوا المسيحية وانضموا لحركة اضطهاد اليهود ، ولكن العصور الحديثة بها نماذج لمن تحولوا إلى المسيحية ولكنهم كانوا مدافعين متحمسين عن اليهود مثل السياسى البريطانى بنچامين دزرائيلى والشاعر الألمانى هنريك هاين . أما كارل ماركس الذى جرى تعميده فى سن الرابعة مع أبويه فقد كان متعصبا تماماً ضد اليهود .

وفى الولايات المتحدة نجد على سبيل المثال كاسبار واينبرجر وزير الدفاع فى ادارة ريجان ، حيث لم يكن يبدى ارتياحاً كبيراً لمسألة جذوره اليهودية . وعندما يتعرف على شخصية لأول مرة فإنه يبادر بالتأكيد على أنه مسيحى الديانة رغم اسم العائلة اليهودى . وقد لعبت هذه المشاعر دوراً فى انحياز واينبرجر ضد اسرائيل أثناء عمله مع ريجان ويضربون مثلاً على ذلك بالحكم القاسى الذى صدر ضد چوناثان بولارد فى قضية التجسس الشهيرة .

ولكن لا يستطيع أحد أن يحكم ما هى السيكولوچية التى سيطرت على شليزنجر فى أكتوبر ١٩٧٣ . ولكن كيسنجر قد حاول أن يشرح السيكولوچية الخاصة به فى ذلك الوقت حيث قال إن محاولة تفادى استخدام الطائرات العسكرية الأمريكية لنقل السلاح إلى اسرائيل كانت محاولة مخلصة لمنع حدوث فجوة لا علاج لها مع العالم العربى يمكن أن تؤدى إلى كارثة اقتصادية متمثلة فى الحظر البترولى . وقد اتضحت صحة كلام كيسنجر فى هذا الشأن . ولكن هناك من يقولون ان كيسنجر كانت لديه نوايا ماكرة وهى أن يترك الأسلحة العربية تتقدم على أمل كسر الحاجز النفسى والجمود فى الشرق الأوسط وخلق المناخ المناسب للوصول إلى حل للأزمة عن طريق التفاوض بعد الحرب . ولكن هذا الافتراض احتمال مبالغ فيه . حيث ليس من المعتقد أن يتهاون كيسنجر فى تفادى وقوع آلاف القتلى الاسرائيليين بهدف التوصل إلى ميزان قوى جديد فى الشرق الأوسط . ويقول كيسنجر والمدافعون عنه ان هذا السيناريو محض خيال . وإن كان هؤلاء المدافعون أنفسهم يسوقون لنا نفس المبرر فى مجال عرض اختيار كيسنجر لتوقيت ٢٢ أكتوبر لإعلان وقف اطلاق النار . كانت اسرائيل فى الأسبوع الثانى من المعركة قد نجحت فى

عبور قناة السويس وحاصرت الجيش الثالث . فى يوم ١٩ أكتوبر دعاه الرئيس السوفيتى ليونيد بريچنيڤ للحضور إلى موسكو لمناقشة وقف اطلاق النار ، وقد ذهب كيسنجر فعلاً إلى موسكو اعتقاداً منه أن هذا يقوى مركزه بدلاً من التفاوض فى واشنطن الممزقة بفعل ووتر جيت . كما أنه فضل الذهاب حتى يعطى فرصة أطول للقوات الاسرائيلية لتحقيق المزيد من التقدم . وقد حاول كل طرف فى المفاوضات أن يحقق مصالح المحاربين الذين يدافع عنهم ولكن فى ٢١ أكتوبر وافق كيسنجر على وقف اطلاق النار قبل أن تتمكن اسرائيل من السيطرة تماماً على الجيش الثالث ، وبدأ تنفيذ الإتفاق فى اليوم التالى مباشرة .

ثارت ثائرة الاسرائيليين . واتهمت جولدا مائير كيسنجر بالتآمر مع الروس والمصريين ضد اسرائيل . وفى أمريكا ثار الشيوخ المدافعون عن اسرائيل مثل هنرى چاكسون وچاكوب چاڤيتس قائلين ان كيسنجر ضحى بإسرائيل من أجل سياسة الانفراج بين واشنطن وموسكو . ويقول كيسنجر نفسه ان تجميد وضع الحرب فتح ثغرة دبلوماسية كان يمكن أن يطيح بها تحقيق اسرائيل لانتصار كامل . فقد كان كيسنجر يعرف أن الرئيس أنور السادات يختلف عن عبد الناصر وأنه يسعى للاتجاه غرباً ولديه رغبة فى إنهاء المواجهة مع اسرائيل ، فإذا انتهت الحرب على نحو يحقق الكرامة المصرية فإن هذا سيقوي وضع السادات وسيدفع الأمل لدى شعبه مما يتيح له فرصة التحرك للأمام .

وعلى مدى العامين اللذين دارت خلالهما مباحثات فض الاشتباك عند الكيلو متر (١٠١) فى طريق سيناء ظل الاسرائيليون فى حالة الغضب المستمر . عندما بدأت المفاوضات يوم ٢٨ أكتوبر كانت هى المرة الأولى التى يلتقى مفاوضون عرب واسرائيليون وجهاً لوجه منذ عام ١٩٤٩ ، وفى ديسمبر تم تصعيد مستوى المحادثات من القادة العسكريين إلى مستوى وزراء الخارجية حيث عقد وزراء خارجية مصر وإسرائيل والأردن مؤتمراً رسمياً فى چنيف حضره كيسنجر ووزير الخارجية السوفيتى أندريه جروميكو. هنا بدأ كيسنجر جولة مكوكية طويلة تنقل خلالها بين عواصم الشرق الأوسط للوساطة فى عقد اتفاقيات بين إسرائيل وجيرانها ، وكانت النتيجة عبارة عن ثلاث اتفاقيات تاريخية ، واحدة مع سوريا واثنتان مع مصر.

كانت المفاوضات صعبة وشاقة. وكانت خطة كيسنجر أن يبتعد الاتحاد السوفيتى عن دبلوماسية الشرق الأوسط وأن يتيح لأمريكا نفوذاً كبيراً فى المنطقة. وكان نجاح كيسنجر يعنى أن الولايات المتحدة أصبحت هى الحكم فى المفاوضات وأنها تضغط على

كل من الطرفين بشكل متوازن ولو من الناحية الظاهرية. ولكن بالنسبة لإسرائيل كان هذا يعنى أن الصديق الوحيد لاسرائيل قد تخلى عنها. وعندما رتب كيسنجر أثناء عمله فى حكومة فورد اعلان اعادة تقييم العلاقات الأمريكية الاسرائيلية كنوع من الضغط على إسرائيل، انفجرت المشاعر ضد كيسنجر فى إسرائيل وبين يهود أمريكا أيضاً. ولكن فى النهاية نجحت استراتيجية كيسنجر ودخلت اسرائيل فى اتفاقيات طويلة الأمد مع جيرانها وهو ما كانت تسعى إليه منذ زمن بعيد. كما أن هذا هو الذى مهد الطريق أمام زيارة السادات للقدس عام ١٩٧٧ بعد خروج كيسنجر من منصبه ، وبعد عام آخر تفاوضت مصر واسرائيل على اتفاق للسلام مما أراح اسرائيل من أكبر أعدائها وأكثرهم خطورة.

لم تبدأ عملية صنع السلام بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ ولكن كيسنجر كان قد وضع استراتيجيته حتى قبل أن يسمح له نيكسون بالدخول لمنطقة الشرق الأوسط. قبل ذلك دخل كيسنجر فى صراع مع ويليام روجرز وزير الخارجية. ومن وجهة نظر كيسنجر – فى ذلك الوقت – أن التدخل الأمريكى المتوازن بين اسرائيل وجيرانها الموالين للاتحاد السوفيتى يعطى انطباعاً بعقاب اسرائيل ومكافأة أعدائها مما يقوى السوفيت فى النهاية ولكن تجاهل عملية السلام مؤقتاً كان يعنى أن أمريكا تقف خلف اسرائيل وهى رسالة للعرب بأنهم لن يجنوا شيئاً من معارضتهم للولايات المتحدة . كانت استراتيجية كيسنجر مثيرة للجدل. فحتى ذلك الوقت وقفت الولايات المتحدة بشكل رسمى على الحياد بين الطرفين المتصارعين فى الشرق الأوسط . صحيح أن الإدارات الأمريكية أظهرت تعاطفها مع اسرائيل بسبب ضغوط اللوبى اليهودى الأمريكى بالاضافة إلى الشعور الأمريكى العام بأن اسرائيل تستحق التعاطف لأسباب أخلاقية وانسانية ، ولكن لم يكن هناك أى تحالف رسمى واستهدفت السياسة الأمريكية الحفاظ على علاقات طيبة مع الطرفين.

ولكن كيسنجر كان يرى أن اسرائيل تمثل أهمية استراتيجية وأن التأييد الأمريكى لها يمكن أن يضعف الكرملين ويقوى النفوذ الأمريكى فى الشرق الأوسط.

فى سبتمبر ١٩٧٠ عندما شنت الأردن حرباً ضد الفدائيين الفلسطينيين، هددت سوريا بالتدخل ولكنها تراجعت بعد تهديد اسرائيل بالتدخل أيضاً . وقد أثبت هذا صحة نظرية كيسنجر بأن اسرائيل تمثل أهمية استراتيجية خاصة بالنسبة لواشنطن ، وقد قام كيسنجر بعقد عدة لقاءات مع الملك حسين ومع جولدا مائير وغيرهما فى أعقاب تلك الأزمة بعلم من نيكسون ، ولكن الرئيس الأمريكى لم يقذف بكرة الشرق الأوسط لملعب كيسنجر حتى ربيع ١٩٧١. وبعد عام واحد أعاد السادات ١٥ ألف خبير عسكرى سوفيتى الى

بلادهم. ويقول بيتر رودمان ان التغيير الذى حدث فى مصر كان أهم أحداث الشرق الأوسط منذ عشرين عاماً ، ولكن لأن نيكسون وكيسنجر التقطوا اشارة السادات ببطء قام السادات بحرب ١٩٧٣ .

وفى خلال الاسبوع الاول من حرب اكتوبر قام كيسنجر بزيادة المساعدات الامريكية لاسرائيل لتصل الى ٢,٢ مليار دولار سنوياً، وقدم نيكسون المشروع للكونجرس فى ١٩ اكتوبر ١٩٧٣، وهنا وضع كيسنجر أول حجر كبير فى العلاقة الخاصة بين امريكا واسرائيل ، ويقول ويليام كوانت ان وجهة نظر كيسنجر فى ذلك كان لها شأن كبير بالعلاقات مع السوفيت من جانب ومن جانب آخر فإن هذا الرقم الضخم يعنى التزاما امريكيا كاملا بضمان أمن إسرائيل بعد الحرب، وقد جعل كيسنجر من أمن اسرائيل أولوية مهمة من أولويات السياسة الخارجية وهو لم يتخذ هذه الخطوة بسبب المنطق أو المشاعر وانما بحكم آليات السوق، فقد أصبحت اسرائيل أكبر استثمار أمريكى خارجى، وهذا يعنى بالضرورة ان تقف واشنطن لحماية اكبر استثماراتها وتأمين هذا الاستثمار. وقد أثمر هذا الالتزام الامريكى الفعلى تجاه اسرائيل نتائجه بشكل سريع، ففى ديسمبر ١٩٧٣ عقد مؤتمر چينيف للسلام وكانت هذه هى المرة الاولى التى تلتقى فيها اطراف عربية مع ممثل لدولة اسرائيل لبحث مستقبل المنطقة.

ثم بعد شهور قليلة انعقد المجلس الوطنى الفلسطينى فى الجزائر وتبنى خطة مرحلية لتحرير فلسطين، هذه الخطة تدعو إلى تأسيس دولة فلسطينية على أى أرض فلسطينية يتم تحريرها عن طريق الجهود الدبلوماسية ، وبعد ايام اخرى من المؤتمر الفلسطينى أقرت الجامعة العربية اعلان الجزائر. ولكن اسرائيل هاجمت الاعلان وقالت انه صياغة جديدة للخطط الفلسطينية الأولى والتى ستؤدى الى تدمير إسرائيل على مراحل بدلا من تدميرها مرة واحدة، ومن ناحية أخرى رأى مراقبون عرب أن هذا الاعلان خطوة نحو الاعتراف بإسرائيل، ففى الجزائر ألغى المجلس الفلسطينى بندين أساسيين من الميثاق الفلسطينى وهما «عدم قبول تقسيم فلسطين» و«الالتزام بالكفاح المسلح كسبيل وحيد لتحرير فلسطين».

وقف شخص واحد متشدد ضد عرفات واتهمه بالخيانة وأعلن الحرب عليه ، وهو صبرى البنا – أبو نضال - وبدأ حملة مسلحة ضد عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية، ثم وقف ايضا نايف حواتمة زعيم الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ضد عرفات وقال ان اعلان الجزائر هو اعتراف بحقوق يهود اسرائيل فى فلسطين، وأن عرفات

ومنظمة التحرير والجامعة العربية بدأوا عملية السلام، وما هى إلا مسألة وقت حتى يوافق العرب رسمياً على قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين وتأسيس دولة إسرائيل.. وبذلك تكون اسرائيل التى تقف وراءها واشنطن بكل قوتها قد نجحت فى الحصول على اعتراف بشرعيتها.

لاشك أن سنوات نيكسون فى الحكم كان لها أثر كبير فى تصعيد قوة اللوبى اليهودى ، وبخلاف أن أيام نيكسون شهدت أكبر تصعيد فى العلاقات الأمريكية – الإسرائيلية ، فقد كان مسئولا أيضا عن رفع أسهم الحزب الجمهورى بين يهود أمريكا. وقد أحاط نيكسون نفسه - بشكل غير مسبوق - بعدد كبير من اليهود منهم ليونارد جارمنت مستشار البيت الأبيض ووليام صافير الذى كتب خطب الرئيس ووزير الخزانة آرثر بيرنز ورئيس الجهاز الاستشارى الاقتصادى هيربرت ستاين ، وبالطبع هنرى كيسنجر مستشار الأمن القومى ثم وزير الخارجية. كذلك ارتبط نيكسون بالمليونير اليهودى ماكس فيشر الذى تبرع بسخاء للحزب الجمهورى مما شجع عشرات آخرين على القيام بنفس العمل، وهذه العوامل اضافة إلى ترشيح الديمقراطيين لجورج ماكجفرن للرئاسة عام ١٩٧٢، أسهمت فى رفع نصيب الجمهوريين فى أصوات اليهود من نسبة ١٧٪ عام ١٩٦٨ إلى ٣٥٪ عام ١٩٧٢. وبسبب المساعدات الأمريكية الكبيرة التى التزمت بها تجاه إسرائيل أصبح لها شأن مهم فى واشنطن، وبفضل نيكسون ووزير خارجيته كيسنجر أصبح اللوبى اليهودى فى واشنطن ذا مكانة أكثر من متميزة.

فى عام ١٩٩٢ ألقى كيسنجر كلمة أمام منظمة الروابط الإسرائيلية التى منحته جائزتها السنوية - جائزة إيلى وايزل لاحياء ذكرى الهولوكست - قال فيها «لم أنس يوماً حقيقة أن ١٢ شخصاً من عائلتى راحوا ضحية الهولوكست ولذلك فإن مصير الشعب اليهودى يحظى باهتمامى العميق، ولكن فى نفس الوقت وضعتنى الأقدار فى منصب لابد لى فيه أن أرى الأمور من زوايا متعددة ».

الفصل العاشر

الشعب المختار :
اليهود وصناديق الاقتراع

حصل بول ويلستون على عضوية مجلس الشيوخ لأول مرة عام ١٩٩٠ بعد أن هزم منافسه الجمهورى السناتور رودى بوشڤيتس فى ولاية مينيسوتا بعد سباق متقارب جدا وساخن .

بوشڤيتس مليونير عصامى لاجئ من ألمانيا النازية ، ولم يحقق الكثير فى سجله كعضو بمجلس الشيوخ خلال الفترتين الرئاسيتين لرونالد ريجان . وبينما كان الشيوخ الآخرون يقفون جبهة واحدة وراء المصالح الإسرائيلية، اشتهر بوشڤيتس بالحفلات التى يقيمها فى المناسبات الدينية ، وقيامه بدور «الخاطبة» بين شباب اليهود العاملين فى الكونجرس حتى أصبح الكثيرون يطلقون عليه لقب «السناتور الحاخام» . وإذا افترضنا أن بوشڤيتس قد لعب دورا مهما فى يوم من الأيام فهذا لأنه كان اليهودى الجمهورى الوحيد فى مجلس الشيوخ .

أما المنافس ويلستون فقد كان أستاذا للعلوم السياسية فى جامعة كارلتون، وكان يجوب مينيسوتا فى أتوبيس متهالك ورفض أن يحصل على تبرعات تزيد قيمتها على مائة دولار لكل متبرع ، وفاز فى السباق بعد أن كانت مينيسوتا هى الولاية الوحيدة التى أعطت أصواتها لمرشح ديمقراطى عام ١٩٨٤ فى أوج اكتساح ريجان للانتخابات فكانت مفاجأة للديمقراطيين أيضا عام ١٩٩٠ .

عندما اقترب السباق من مراحله الأخيرة أرسل عدد من مؤيدى بوشڤيتس خطابا دعائيا للناخبين اليهود هاجموا فيه ويلستون لأنه متزوج من سيدة مسيحية وليس له تاريخ يدل على ارتباطه اليهودى . رد ويلستون الهجوم بأن اشترى صفحة إعلانية كاملة قال فيها «بوشڤيتس يهاجمنى بسبب زوجتى المسيحية» ، وكأنه يستنجد بالناخبين المسيحيين . وفى يوم الانتخابات فاز ويلستون بفارق بسيط لا يزيد على ٤٨

ألف صوت. وكانت هذه هى أول مرة يتنافس فيها مرشحان يهوديان فى دائرة انتخابية واحدة .

نشر الصحفى ستيفين آيزاك دراسة مهمة عام ١٩٧٤ حول «اليهود والسياسة الأمريكية» استخلص منها أن تواضع اليهود وسيطرة عقلية الجيتو عليهم وانتظارهم للتوقعات المحدودة والشعور بالضعف ، هذا كله يجعل اليهود يحجمون عن مجرد محاولة ترشيح أنفسهم فى المناصب الانتخابية . وعندما ظهرت دراسة آيزاك كان هناك شيخان يهوديان فقط فى الكونجرس هما جاكوب جافيتس من نيويورك وأبراهام ريبكوف من كونكتيكت ، مع شيخ ثالث معين هو هوارد ميتسنباوم من أوهايو . كما كان هناك قرابة ١٢ نائبا فى مجلس النواب بعد أن كان عدد اليهود فى أواخر الستينات وصل إلى ١٨ نائبا بالمجلس ، وهذا يعنى أن عدد اليهود فى الكونجرس لم يتناسب مع كثافتهم العددية فى أمريكا . كما كان هناك يهوديان بين حكام الولايات فى بنسلفانيا وماريلاند . وفى ٢٤ ولاية بالجنوب وبالغرب لم ينتخب أى يهودى لمنصب بارز بها أبدا . وبعد حوالى عشرة أعوام من صدور دراسة *آيزاك* ارتفع عدد *اليهود* تدريجيا *فى* الكونجرس . وبحلول عام ١٩٩١ أصبح هناك ٣٣ نائبا فى مجلس النواب من اليهود أى نسبة ٧,٩٪ ، وبعد انتخابات عام ١٩٩٢ وصل عدد اليهود فى مجلس الشيوخ إلى عشرة ، بالاضافة إلى دخول آلاف اليهود فى الوظائف الأدنى فى المجالس التشريعية المحلية ومجالس المدن فى مختلف أنحاء أمريكا .

أصبح اليهود فى الكونجرس منذ ١٩٩٠ أحد أهم أركان النفوذ السياسى لليهود بصفة عامة ، وشكلوا جبهة واحدة تدافع عن مصالح إسرائيل فى واشنطن ، وقادوا الجهود للحفاظ على - أو زيادة - المعونات الأمريكية لإسرائيل وأى دولة أخرى تتلقى معونات أمريكية ، ودخلوا فى مواجهات مع الإدارات الأمريكية عند أى محاولة للضغط على إسرائيل . وتبنى هؤلاء المبادرات المختلفة لخدمة قضايا اليهود فى الاتحاد السوفيتى أو إثيوبيا وغير ذلك من القضايا حتى أنهم أصبحوا يمثلون مجلسا تشريعيا داخل المجلس *التشريعى* ويعتبر اليهود في الكونجرس أكثر تمثيلا ليهود أمريكا من التنظيمات اليهودية الأخرى . وهم فى معظم الحالات ديمقراطيون ليبراليون مثل الأغلبية *العظمى* من يهود أمريكا ، ويعكسون *المجالات المختلفة لاهتماماتهم وارتباطاتهم* . وفى ظل سيطرة الديمقراطيين على الأغلبية فى الكونجرس نجح الأعضاء اليهود فى التحرك كتلة واحدة لخدمة احتياجات ومعتقدات ومصالح يهود أمريكا على وجه العموم ، ولكن بعد

سيطرة الجمهوريين على الكونجرس عام ١٩٩٤ أصبح العبء الأكبر يقع على السناتور آرلين سبكتر من بنسلفانيا وبن جيلمان النائب الجمهورى من نيويورك .

ويختلف مجلس الشيوخ عن مجلس النواب من الناحية السياسية . الشيوخ ينتخبون على أساس تمثيل الولايات الأمريكية وعدد الشيوخ مائة . أما النواب فهم ينتخبون لتمثيل الأحياء والمدن وعددهم ٤٥٣ يسعى كل واحد منهم للتخصص فى قضية ما . مجلس الشيوخ له تقاليد ومراسم وأما مجلس النواب فهو مكان ساخن يمثل اتجاهات كثيرة مختلفة . ولا يستطيع عضو مجلس الشيوخ أن يعمل بحيث يعرف عنه أنه «مشرع يهودى» لأن هذا يهز مصداقيته وفاعليته بالنسبة للولاية التى جاء منها. أما النواب فإنهم يصنعون مستقبلا سياسيا إذا ما عرف عنهم ذلك .

ويقول السناتور ميتسنباوم «نحن ننظر لأنفسنا باعتبارنا شيوخا عن ولايات أمريكية ولا ننظر لأنفسنا باعتبارنا شيوخاً يهوداً . نحن نفخر بيهوديتنا ونعمل من أجل مصالح يهود أمريكا، ولكن ليس لنا تجمع خاص داخل مجلس الشيوخ مثل تجمع السود» . وان كان هذا لا يعنى أن الشيوخ اليهود لا يلتقون، إلا أن لقاءاتهم تتم بشكل غير رسمى وغير منتظم وغالبا ما تكون فى مكتب أكبرهم سنا ربما ثلاث أو أربع مرات في السنة . ويقول السناتور ليبرمان «غالبا ما يكون ذلك عندما يتعلق الأمر بإسرائيل ، عندما يأتى رئيس وزراء إسرائيل للقاء المشرعين اليهود أو عندما تجرى مناقشة صفقة سلاح لدولة عربية» . أما النواب اليهود فى مجلس النواب فهم أيضا ليس لهم تجمع رسمى ولكنهم يلتقون أكثر ربما مرة كل شهر حول فنجان من القهوة فى مكتب أكبر النواب سنا أيضا ، ونظريا يلتقى هؤلاء النواب من أجل إسرائيل ولكن عمليا يلتقون من أجل موضوعات أخرى متنوعة تخدم المصلحة العامة لليهود الليبراليين ، وربما يكون هذا سببا فى شعور النواب الجمهوريين بالغربة أثناء حضور هذه اللقاءات .

وينظم الأعضاء اليهود بشكل دورى لقاءات مع تجمع السود فى الكونجرس لمناقشة المسائل ذات الاهتمام المشترك ، وغالبا ما تتعلق بالحريات المدنية ولكنها قد تتطرق أيضا إلى سياسة الشرق الأوسط وإفريقيا ، مثل مطالبة إسرائيل بتطبيق عقوبات خاصة على جنوب إفريقيا بسبب سياسة التفرقة العنصرية . ولكن شامير وقتها رد بأن حكومة إسرائيل ليست مضطرة لأن تكون أكثر تشددا من حكومة ريجان فى هذا المجال . إلا أن أعضاء الكونجرس أصروا على مطلبهم حتى استجاب لهم رئيس وزراء إسرائيل

حوالى نصف الأعضاء اليهود فى مجلس النواب يمثلون مدنا ذات كثافة سكانية يهودية عالية مثل نيويورك وميامى ولوس أنجلوس وسان فرانسيسكو وبوسطن وديترويت وشيكاغو، فى حين أن النصف الآخر يمثلون مدنا يعيش بها أعداد قليلة من اليهود . هذا النصف الآخر يحنو حنو الشيوخ اليهود فى مجلس الشيوخ بالتركيز على القضايا المثيرة لاهتمام ناخبيهم بصفة عامة ، وهم فى ذلك يختلفون عن النصف الأول الذى يدرك أن الدفاع بشكل حار عن قضايا يهودية أو إسرائيلية محضة سيكون له جوائز انتخابية فى دوائرهم .

وقد كان هذا الدفاع الحار سببا فى لمعان اسماء الكثيرين فى واشنطن مثل النائب توم لانتوس .. وكان يدافع عن اليهود السوفيت بنفس حرارة دفاعه عن البوذيين فى التبت واليمينيين فى السلفادور . وكذلك لارى سميث من فلوريدا وميل ليفاين من لوس أنجلوس ؛ فقد جعل هذان الاثنان من إسرائيل قضيتهما الأولى، ولما فشلا فى الانضمام إلى لجنة الشئون الخارجية بالمجلس أخذا يضغطان من أجل زيادة عدد أعضائها وتمكنا من الحصول على عضويتها ؛ وكان سميث يدافع عن إسرائيل دفاع المستميت لدرجة أن صانعى السياسة من الجمهوريين كانوا يكرهونه تماما ويكرهون الإدلاء بشهاداتهم أمام الكونجرس بسببه ، ولكن هذه الكراهية رفعت أسهمه بشدة فى فلوريدا .

والمثال الآخر عكس سابقه تماما وهو ستيفن سولارز من بروكلين ، والذى دخل الكونجرس فى عام ١٩٧٤ عقب ووترجيت . كان سولارز خبيرا فى شئون السياسة الخارجية وحظيت آراؤه باحترام كبير ، وقد نجح فى صياغة السياسة الأمريكية التى سهلت عملية خروج فرديناند ماركوس من الحكم فى الفيليبين عام ١٩٨٦ وإنهاء الحرب الأهلية فى كمبوديا عام ١٩٩١، والوحيد تقريبا الذى عبأ مجلس النواب لتأييد العملية العسكرية الأمريكية ضد العراق عام ١٩٩١ برغم معارضة معظم زملائه من اليهود الليبراليين فى المجلس . كما نجح فى تجميد أى محاولة لإحياء ذكرى مذابح الأرمن فى تركيا ودافع بقوله ان هذا سيضر بتركيا وهى حليفة أساسية لأمريكا وأقرب صديق لإسرائيل من العالم الإسلامى .

وبرغم الاهتمام الكبير الذى كانت تلقاه آراء سولارز وأعماله فإنه لم يكن زعيما لتجمع اليهود فى مجلس النواب . كانت آراؤه مهمة ولكن لم تكن له شعبية . وقد رأى زملاؤه أنه مغرور ومنعزل . أما الدبلوماسيون والقادة الاسرائيليون فكانوا يرونه شخصا غير

متعاون ولا يجيد العمل الجماعي أو تحت قيادة الآخرين . وبسبب عزلته عن باقي الأعضاء اليهود ولتمثيله اليهود الأرثوذكس في بروكلين تصور أنه قادر على الاحتفاظ بمقعده ، ولكن هذا لم يحدث عندما أعيد توزيع مقاعد الكونجرس بناء على التمثيل العرقي وفقا لنتائج الاحصاء العام سنة ١٩٩٠ . وبعد إعادة رسم خريطة التوزيع فقد هو ودائرته المقعد في مجلس النواب .

وقد نجح يهود أمريكا في صنع آلة سياسية خاصة بهم في عدد من المناطق التي يوجد بها تركز سكاني يهودي ملموس ، ولعل أنجح هذه الآلات تلك المسماة (برمان - واكسمان) في الجانب الغربي من لوس أنجلوس . وقد أسس هذه الآلة النائبان الديمقراطيان هنري واكسمان وهوارد برمان ، وظلت مؤسستهما متحكمة في الحياة السياسية على الجانب الغربي من المدينة لمدة عشرين عاما، تقدم الخدمات وتسيطر على التعاقدات المهمة ، والأهم من هذا أنها تحكمت في ترشيحات الحزب الديمقراطي في المحليات ، وعملت على تصعيد الشخصيات المرغوب فيها في المناصب المؤثرة في مجلس المدينة والمجلس التشريعي بالمدينة ، واقتربت كثيرا من المسئولين المنتخبين من اليهود وغيرهم على مستوى المدينة والولاية والمستوى الفيدرالي أيضا .

وهناك آلة سياسية أخرى صنعها (دوف هيكيند) في بروكلين منذ عشرة أعوام تقريبا وقد دخل هيكيند المجلس التشريعي لمدينة نيويورك في ذلك الوقت اعتمادا على أصوات اليهود الأرثوذكس والصهاينة المتشددين . كما سبق أن انضم للعمل مع الحاخام المتطرف مائير كاهانا في جبهة الدفاع اليهودي ، ومنذ دخوله لأول مرة في المجلس التشريعي أعيد انتخابه بعد ذلك عدة مرات بأغلبية هائلة من الأصوات . ولم يرتبط هيكيند مع زملائه الديمقراطيين أو حتى مع الديمقراطيين من اليهود الأرثوذكس في بروكلين ولكن علاقاته الأساسية كانت مع الدارسين التلموديين واتحادات الحاخامات المنتشرة في كل مكان بمدينته ، وعلى مر السنوات خصص مكتب هيكيند مئات الآلاف من الدولارات من أموال الولاية لهذه المؤسسات ، وبذلك نجح في جعل الأرثوذكس حلفاء مؤيدين له . واستغل أفكارهم المتشددة وخلافاتهم مع السود في المدينة وأفكارهم تجاه إسرائيل وجعل لها حضورا مشتعلا في المدينة والولاية .

وقد ظهر هيكيند كقوة سياسية مستقلة في نيويورك عام ١٩٨٨ حيث خرج على خط حزبه الديمقراطي ليؤيد المرشح الجمهوري للرئاسة جورج بوش . أما السبب الذي أعلنه فهو زيادة تأثير السود على سياسة الحزب الديمقراطي، ويقصد بذلك القس جيسي

جاكسون. وقال ان زيادة نفوذ السود تشكل خطراً على اسرائيل . ثم فى العام التالى وقف فى صف رودلف چوليانى المرشح الجمهورى لمنصب عمدة نيويورك حيث كان منافسه الديمقراطى داڤيد دينكينز من السود أيضاً .

وعلى مدى السنوات الأربع التالية صنع هيكيند تحالفاً قوياً مع السناتور الجمهورى ألفونس داماتو الذى عرف بأنه صانع ملوك الجمهوريين فى نيويورك . وقد أصبح داماتو من أهم المدافعين عن القضايا التى تهم اليهود فى واشنطن بداية من التقسيم الجغرافى للدوائر الانتخابية وحتى المستوطنات الاسرائيلية فى الضفة الغربية . وفى عام ١٩٩٢ لعب هيكيند دوراً كبيراً فى نجاح داماتو بدورة جديدة فى الكونجرس عن طريق جمع الأموال والتبرعات وحشد الناخبين لصالحه . وفى عامى ١٩٩٣ و ١٩٩٤ وقف هيكيند وراء رودلف چوليانى المرشح لمنصب العمدة وچورج باتاكى المرشح لمنصب حاكم الولاية، وقد نجح كلاهما بتأييد كبير من اليهود الأرثوذكس . ويؤكد هيكيند دائما للإدارة الأمريكية أنه همزة الوصل بينها وبين اليهود فى نيويورك وهذا يلغى عمل المنظمات اليهودية القديمة ، ولكن هذا الكلام ليس صحيحاً تماماً . رغم أن هيكيند يمثل قطاعا مهما هو اليهود الأرثوذكس، ولكن هناك تيارات أخرى مهمة فى نيويورك مثل الاصلاحيين والمحافظين الذين يسيطرون على سوق العقارات فى المدينة ووسائل الاعلام والاتصالات وسوق السندات والأوراق المالية . هؤلاء يمثلون التيار العام لليهود وبدون تعاونهم لا يمكن لأحد أن يحكم ولاية نيويورك . وقد استوعب چوليانى هذا جيداً وحافظ على صلاته الوثيقة باتحاد النداء اليهودى بعد شهر واحد من انتخابه . كما أدرك باتاكى نفس ما توصل إليه چوليانى وحافظ هو الآخر على علاقته بمؤسسات التيار العام من اليهود .

فى انتخابات عام ١٩٩٢ فقدت اسرائيل أهم مؤيديها فى مجلس النواب وهم كل من سولارز ولارى سميث، اللذين وجهت إليهما اتهامات بإساءة استغلال أموال الحملة ، وكذلك ميل ليڤين الذى خسر الانتخابات ولكن سرعان ما حلت مجموعة جديدة محل الثلاثة السابقين ، إذ جاء هوارد برمان من لوس أنجلوس بدلا من ليڤين ونيتا لووى من وست شستر فى نيويورك وشارلز شامر من بروكلين ودخل الثلاثة مجلس النواب ومنه إلى اللجان الفرعية للشئون الخارجية ، وحملوا لواء الدفاع عن اسرائيل .وقد وجد هذا الفريق الجديد أن مهمة تأييد اسرائيل مهمة صعبة للغاية بعد أن وقع رابين وعرفات اتفاق السلام فى حديقة البيت الأبيض فى سبتمبر ١٩٩٣ إذ بمقتضى هذا الاتفاق

تنسحب اسرائيل من مساحة كبيرة من أراضى الضفة الغربية وتسلمها للفلسطينيين وهنا وجد هؤلاء النواب أنفسهم فى مأزق بسبب رفض حاخامات اليهود الأرثوذكس هذا الاتفاق وهنا أصبح تأييد اسرائيل بمثابة انتحار سياسى، وواحدا تلو الآخر تحول النواب المؤيدون لإسرائيل إلى معارضين لها .

بعد ثلاثة أسابيع من توقيع الاتفاق بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية أرسل البيت الأبيض مشروع قرار للكونجرس لرفع الحظر عن الاتصال بين أمريكا ومنظمة التحرير وذلك حتى يتمكن كلينتون وإدارته من الاستمرار فى عملية السلام بشكل قانونى ، والأخطر من ذلك أن مشروع القرار تضمن مساعدات أمريكية عاجلة للفلسطينيين قدرها نصف مليار دولار، وذلك بناء على طلب اسرائيل بهدف تعزيز سلطة عرفات ومساعدته على مواجهة التيار الإسلامى الفلسطينى . عندما وصل القرار إلى اللجنة الفرعية للشئون الخارجية تلقاه شارلز شامر ، وهو النائب الوحيد الذى جاء من منطقة ذات كثافة عالية من الأرثوذكس هى بروكلين . وبرغم أنه ليس من الأرثوذكس إلا أنه لن يعاد انتخابه مرة أخرى بدون أصواتهم . وللخروج من المأزق اقترح شامر أن تكون المساعدة الأمريكية للفلسطينيين مشروطة برفع المقاطعة العربية عن اسرائيل . كان شامر وبرمان يدركان أن هذا الشرط يمكن أن يخنق عملية السلام بعد أن أوضحت الجامعة العربية أن إنهاء المقاطعة العربية لاسرائيل يكون فى نهاية عملية السلام وليس فى بدايتها كما أن عرفات ليس بيديه شىء يفعله فى هذا الصدد . وانضم إلى شامر وبرمان ، بيتر دويتش وألسى هاستينج وهؤلاء النواب الأربعة جاءوا من أكثر مراكز تجمع اليهود الأمريكيين . وأخذوا يناقشون معاً مصير المساعدات الأمريكية للفلسطينيين ، وفى النهاية اقترح برمان أن تقر اللجنة الفرعية المساعدات على أن تطلب أمريكا من عرفات محاولة إقناع باقى العرب بإنهاء مقاطعتهم لإسرائيل وبينما لازالت المناقشات دائرة حول كيفية تصويت النواب اليهود على مشروع المساعدات ، كان عضوان فى مجلس الشيوخ يقومان بإعداد خطاب للبيت الأبيض يقترحان فيه أن يفرض كلينتون هذا الربط بين المساعدات الأمريكية للفلسطينيين وإنهاء المقاطعة العربية لإسرائيل . هذان الشيخان هما جوزيف ليبرمان من كونيكتيكت وكونى ماك الجمهورى من فلوريدا وهو الذى تبنى من قبل قرار عدم إجراء أية اتصالات أمريكية مع منظمة التحرير . وعندما وصل الخطاب إلى البيت الأبيض بنهاية

أكتوبر كان يحمل ٥٠ توقيعاً من أعضاء مجلس الشيوخ من بينهم نصف عدد الأعضاء اليهود من الشيوخ .

ولم يغامر أى من الأعضاء اليهود بمجلس الشيوخ بتأييد عملية السلام بنفس قدر مغامرة السناتور فرانك لاوتنبرج من نيوجيرسى .

دخل لاوتنبرج مجلس الشيوخ عام ١٩٨٢ وهو مليونير عصامى ومتبرع كريم لصالح الأعمال الخيرية اليهودية وبنى ثروته فى مجال البرمجة الآلية للمعلومات ، وفى أوائل السبعينات عمل كرئيس لاتحاد النداء اليهودى وكعضو فى الوكالة اليهودية وطالما تدخل لحل مشكلات المسئولين اليهود فى مجالات مختلفة . وعندما تقدم مؤيدو الليكود فى الكونجرس عام ١٩٩٥ بمشروع لنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس وبسبب التهديدات العربية بوقف محادثات السلام مع اسرائيل لم ينقطع رنين التليفون فى مكتب لاوتنبرج والجميع يتساءلون هل سيصوت السناتور لصالح المشروع أم لا ، حيث أثار المشروع اضطراباً كبيراً فى الدائرة اليهودية بالكونجرس .

وقد اكتسب لاوتنبرج مكانة خاصة بين يهود الكونجرس عندما تقدم بمشروع لتعديل القانون المنظم لهجرة اليهود السوفيت إلى الولايات المتحدة . كان القانون الأساسى يلزم راغبى الهجرة إلى الولايات المتحدة أن يثبتوا مخاوفهم وتعرضهم للاضطهاد فى الاتحاد السوفيتى. ولكن بعد سقوط الشيوعية انفتح الباب أمام اليهود للهجرة للخارج كما سقطت مخاوف الاضطهاد معها وبالتالى ضاقت الفرصة أمامهم لدخول الولايات المتحدة أما التعديل الذى اقترحه السناتور لاوتنبرج فهو أن يأخذ ضباط الهجرة العوامل التاريخية فى الاعتبار ومن هنا قفز عدد المهاجرين من اليهود السوفيت إلى الولايات المتحدة على الفور .

ولكن هذا لا يمنع أن لاوتنبرج أثار غضب حكومة شامير فى عام ١٩٨٧ حين جمع توقيعات ٣٧ عضواً على خطاب موجه إلى وزير الخارجية جورج شولتز لمطالبته بالسعى من أجل تحقيق السلام بين اسرائيل والعرب . كما غضب أيضا اليهود المتشددون فى أمريكا بسبب ذلك الخطاب . انصب الغضب كله على لاوتنبرج برغم اشتراك السناتور كارل ليفين معه فى جمع التوقيعات ، والسبب أن لاوتنبرج كان مقبلاً وقتئذ على الانتخابات بعد عام واحد ، وهاجمه الحاخامات والصهاينة فى طول الولاية وعرضها،

وحاربه هؤلاء بجمع التبرعات وحشد التأييد لمنافسه الجمهورى بيت داوسون . ولكن لاوتنبرج نجح بأعجوبة فى تجديد عضويته بمجلس الشيوخ . وتكرر الهجوم على السناتور الديمقراطى بعد ست سنوات أخرى، وأظهر المهاجمون الخطاب القديم الذى أرسله لاوتنبرج إلى شولتز فى محاولة للتأثير على أصوات الناخبين اليهود . هذه المرة فاز لاوتنبرج بفترة برلمانية ثالثة ولكن بهامش ضئيل جداً . وقد شعر لاوتنبرج بألم شديد وهزة كبيرة بسبب هذا الهجوم رغم نجاحه فى الانتخابات وقال «فى يوم من الأيام كنت رئيساً لاتحاد النداء اليهودى وعضوا فى مجلس إدارة بنك لومى والجامعة العبرية ومتحف يهود الشتات في تل أبيب ، ولكن واجبى الأول هو حماية الدستور الأمريكى مع كل الحب والارتباط الذى أحمله تجاه اسرائيل ، وعملى الأساسى يبدأ فى بلدى ، أما تحالفى مع اسرائيل فهو الرباط بينى وبين الماضى . لقد شعرت بالصدمة عندما سمعت قطاعاً من اليهود يتهموننى بخيانة القضية ، ولكن الألم الذى شعرت به كان أقوى كثيراً من شعورى بالصدمة» .

وتوجد عدة أسباب لتأييد أعضاء الكونجرس لإسرائيل . هذا ما يؤكده النائب ميجور أوين من بروكلين ورئيس تجمع السود فى الكونجرس ، سابقاً . من هذه الأسباب الشعور العميق بالاحترام للديمقراطية الاسرائيلية . وأن اسرائيل تعبر من أزمة إلى أزمة دون أن تقع تحت طائلة الفوضى . وهناك من يظهرون اعجاباً كبيراً بمستوى أداء جيش اسرائيل . وكذلك مستوى المعيشة الذى حافظت عليه اسرائيل رغم وجودها فى عزلة كبيرة عمن حولها .

ويضيف جون لويس نائب ولاية چورچيا أن «معظم من يؤيدون اسرائيل لديهم أسباب عقائدية ومن بينهم متطرفون مسيحيون فى الجنوب ويؤيدون اسرائيل لأسباب دينية وهناك قليلون يؤيدونها لأسباب براجماتية » .

وقليلاً ما يتحدث اليهود عن أحد العناصر المهمة التى يمتلكونها وهو رأس المال . والسبب هو مخاوف هؤلاء - سواء كانوا من المتبرعين أو جامعى التبرعات أو المرشحين أو مراقبى الانتخابات - من تجديد المشاعر المعادية القديمة لقوة اليهود المالية وتجديد المؤامرات المعادية للسامية .

أما غير اليهود فهم لا يتطرقون لهذه النقطة خوفاً من اتهامهم بمعاداة السامية .

ولكن أموال اليهود وأثرها فى الانتخابات السياسية الأمريكية حقيقة لا يمكن انكارها. ويقول أحد الباحثين ان اليهود كرماء للغاية فيما يتعلق بالتبرعات الانتخابية ، ويرون أن هذه التبرعات وجه جيد للانفاق . وربما لا يفكر الأمريكيون العرب بنفس الطريقة . وعدم التوازن بين معدل انفاق اليهود وانفاق العرب له تأثير ملموس على السياسة الخارجية الأمريكية فى الشرق الأوسط . وقد توصلت إحدى الدراسات المنشورة عام ١٩٩٠ وأجراها أ . ف أورجانسكى إلى وجود علاقة تربط بين طريقة تصويت أعضاء الكونجرس على مشروعات القوانين وبين مستوى التبرعات التى يحصل عليها كل عضو أثناء حملته الانتخابية .

ومن بين ١٣٠ عضوا فى مجلس الشيوخ شملتهم الدراسة اتضح أن عشرة أعضاء تلقوا ١٥٪ أو أكثر من أموال حملاتهم الانتخابية من مصادر يهودية . هؤلاء الشيوخ العشرة صوتوا بنسبة ٩٥٪ لصالح اسرائيل . بينما ٥٣ عضواً من عينة البحث تلقوا أقل من ٢٪ من أموال الحملة الانتخابية من مصادر يهودية لم تزد نسبة تصويتهم لصالح اسرائيل على ٥٣٪ ، وهذه الأرقام تعنى أن التبرعات المالية اليهودية تلعب دوراً حاسماً فى تأييد الكونجرس لاسرائيل . ولكن أورجانسكى الذى قام بالدراسة يقول إن هذه النتائج لا تؤخذ كقول مسلم به . ويضرب مثلاً بعضو مجلس الشيوخ ديل بامبارز الذى تلقى أقل من ٢٪ من التبرعات اليهودية ومع ذلك فهو من أشد مؤيدى اسرائيل عند التصويت . والعكس أيضاً صحيح ويضرب مثلاً بعضو مجلس الشيوخ دينيس دى كونسينى . ويقول أورجانسكى أيضاً ان تأييد مجلس الشيوخ لاسرائيل كبير جداً لدرجة يصعب معها تفسير هذا التأييد بالأسباب المالية فقط .

كما يقول صاحب الدراسة أيضا ان تأييد اسرائيل عند التصويت يرتبط بأسباب أيديولوجية . وأكثر الشيوخ تصويتاً لصالح اسرائيل هم أصحاب النظرة العالمية والذين يؤيدون النشاط الخارجى لأمريكا لدعم الديمقراطية فى العالم ، بما فى ذلك الديمقراطية الاسرائيلية ، ويضاف إلى هذا عدم شعبية العرب لدى هؤلاء الأعضاء وتعاطف المسيحيين مع الأرض المقدسة ولذلك لا تكون هناك حاجة كبيرة لاقناع المشرعين باحتياجات اسرائيل. ووفقاً لرأى أورجانسكى فإن تبرعات اليهود تذهب للأعضاء الذين أثبتوا من قبل مواقف مؤيدة لاسرائيل ولا تستخدم هذه الأموال لتغيير مواقف وآراء أعضاء المجلس .

والسؤال هو لماذا تدعم أموال اليهود من هم مؤيدون بطبيعة الحال لإسرائيل ؟ والاجابة هى : لضمان بقائهم فى السلطة .

من ينتقدون السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط - مثل چيمس الزغبى وهو أمريكى عربى عليم بأمور واشنطن - يرون أن الأمريكيين العرب يحاولون اجتذاب الأصدقاء ولكنهم يفشلون . ويقول الزغبى «إنهم يصوتون ضدنا لأنهم خائفون . آيپاك لها سيطرة كبيرة على المسئولين المنتخبين ولذلك فهى تكسب . والسبب فى قوة تأييد اسرائيل هو التنسيق بين آيپاك والمنظمات اليهودية - على نحو غير قانونى - لتخصيص مبالغ كبيرة من التبرعات لمرشحين معينين ، وبشكل يتناسب مع أهمية كل واحد منهم داخل اللوبى اليهودى» .

القانون الأمريكى يحظر على آيپاك باعتبارها جماعة ضغط رسمية جمع التبرعات لصالح المرشحين ومحظور عليها تقديم الاستشارات للمنظمات اليهودية حول كيفية توزيع أموال التبرعات ، ولكن چيمس الزغبى يرى أن هذا يحدث بشكل غير رسمى . وقد تحول هذا الاتهام إلى دعوى قضائية رسمية أمام اللجنة الفيدرالية للانتخابات عام ١٩٨٩ ولكن الدعوى رفضت لعدم كفاية الأدلة .

والأهم من ذلك هو استخدام الأموال اليهودية لعقاب أعضاء الكونجرس الذين تخطوا حدوداً معينة عند التصويت ضد اسرائيل . وقد حدث هذا مرات عديدة فى أوائل ومنتصف الثمانينات . ويعد السناتور شارلز پيرسى هو أشهر هؤلاء الضحايا وهو جمهورى معتدل من ولاية آلينوى . ورغم نجاحه فى أول انتخابات يدخلها عام ١٩٧٢ بنسبة عالية من أصوات اليهود إلا أنه عند إعادة ترشيحه فى عام ١٩٧٥ قام برحلة للشرق الأوسط أعلن بعدها أنه على اسرائيل أن تتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية . ثم رفض بعد ذلك أن يوقع مع ٧٥ شيخاً آخرين على مطالبة فورد بعدم إعادة تقييم العلاقات الأمريكية الاسرائيلية، وبعد ذلك صوت پيرسى لصالح قرار كارتر ببيع طائرات اف - ١٥ للسعودية عام ١٩٧٨ ثم لصالح صفقة أواكس عام ١٩٨١ . وعندما سيطرت أغلبية الجمهوريين على مجلس الشيوخ فى ذلك العام أصبح شارلز پيرسى رئيس لجنة العلاقات الخارجية .

وأصبحت هزيمة پيرسى هدفاً يهودياً أساسياً فى انتخابات ١٩٨٤ ويقال ان منافسه

الجمهورى پول سيمون وافق على الدخول فى الانتخابات بعد أن حصل على وعد من رجل أعمال يهودى من شيكاغو بتقديم الطائفة اليهودية مبلغ ٥ر١ مليون دولار لتمويل حملته الانتخابية . وبلغ إجمالى التبرعات التى حصل عليها سيمون ٣ر٥ مليون دولار . وقد خسر شارلز پيرسى الانتخابات بفارق ضئيل لا يزيد على ٨٩ ألف صوت معظمهم من الجمهوريين المحافظين الذين رأوا پيرسى زعيماً للتيار المعتدل . والمدهش أن اليهود أعطوا أصواتهم لپيرسى بنسبة ٣٥٪ أى بنسبة تزيد على التى حصل عليها ريجان نفسه المرشح الرئاسى .

وبخلاف مثال شارلز پيرسى هناك أمثلة أخرى أقل وضوحاً مثل روچر چيسبن والذى عرف عنه تأييده لاسرائيل حتى خذل اليهود وصوت لصالح صفقة أواكس، وجاس ساڤيج النائب الديمقراطى الأسود من شيكاغو وهو معروف بين اليهود بسبب معاداته للسامية . والنائب پول فيندلى الجمهورى من ولاية آلينوى الذى أصبح مدافعاً عن منظمة التحرير الفلسطينية فى أواخر السبعينات ، وقد خسر انتخابات عام ١٩٨٢ بسبب التأييد اليهودى القوى لمنافسه . وبعد خروجه من الكونجرس أصدر كتاباً عن اللوبى اليهودى بعنوان «إنهم يجرأون على الحديث : أشخاص ومؤسسات فى مواجهة اللوبى الاسرائيلى» . ويتعرض الكتاب لردود الأفعال الغاضبة للوبى تجاه أمثال فيندلى برغم ثقتهم بأن صوتاً واحداً معارضاً لا يشكل أى خطر على اسرائيل .

ومما يثير الملاحظة حجم الأموال التى يتبرع بها اليهود للجمهوريين. وبرغم الميل التقليدى للديمقراطيين تجاه اليهود واسرائيل إلا أنه فى انتخابات عام ١٩٩٢ كان أكبر ثلاثة متلقين لتبرعات اليهود من الجمهوريين . أحد أسباب ذلك والتى يذكرها أورجانسكى هى أن هذه التبرعات تصل للأصدقاء الذين يمرون بأزمة . وقد كان الديمقراطيون يتقدمون بشكل واضح فى كل أنحاء أمريكا ولذلك كان يجب مساعدة الأصدقاء الجمهوريين الذين عرفت عنهم مواقف ترضي اليهود . هؤلاء الثلاثة هم روبرت كاستن من ويسكنسون وهو مسيحى محافظ وله ارتباط عاطفى قوى بإسرائيل ، وقد ساعد كثيراً أيام أزمة ضمانات القروض ، ورغم التأييد اليهودى القوى له إلا أنه خسر لصالح روسل فاينجولد اليهودى الديمقراطى الليبرالى . وقد فاز فاينجولد دون الحصول على تبرعات من اليهود رغم أن والده حاخام وكذلك شقيقه . واعتمد فى الفوز على أصوات يهود ويسكنسون الذين صوتوا لصالحه باكتساح .

في نفس العام ، ١٩٩٢ ، حصل السناتور الجمهوري كريستوفر بوند على تبرعات من أموال اليهود مقدارها ٥٠ ألف دولار في حين لم تحصل منافسته الديمقراطية جيري روثمان سيروت على أية تبرعات من اليهود وخسرت السباق امام بوند بفارق ضئيل في الأصوات.

أما ثالث من حصلوا على أكبر التبرعات اليهودية فهو ألفونس داماتو الجمهوري وكان ينافسه لعضوية مجلس الشيوخ المدعي العام بالولاية روبرت أبرامز وهو ديمقراطي ينتمي لليهود الأرثوذكس وأحد الأعضاء المؤسسين لمؤتمر نيويورك من أجل اليهود السوفيت ، ولكنه لم يحصل على أكثر من ٦٠ ٪ فقط من أصوات اليهود ولم يحصل على أية تبرعات منهم ، أما داماتو الذي عرف في مجلس الشيوخ بدفاعه عن الاستيطان الإسرائيلي في الضفة الغربية فقد فاز في الانتخابات بفضل أصوات النسبة الباقية من اليهود – ٤٠٪ – بالإضافة إلى التبرعات السخية التي قدموها له . وبحلول عام ١٩٩٦ كانت نسبة التبرعات المقدمة للجمهوريين مقابل الديمقراطيين ٦ إلى ٤ .

والنظام الحالي المعمول به لتمويل الحملات الانتخابية الفيدرالية وضع في أعقاب ما كشفته فضيحة ووترجيت وغضب الأمريكيين بعد ما عرفوا التفاصيل ، ففي حملة إعادة انتخاب نيكسون تم جمع تبرعات وصلت إلى ملايين الدولارات، وبعض هذه الملايين جاء من أشخاص على صلة وثيقة بالإدارة وكانوا في النهاية ينتظرون الحصول على مقابل، والبعض الآخر من شركات برغم أن القانون يمنع تبرعات الشركات منذ مائة عام ، والجزء الثالث كان عبارة عن أموال سائلة استخدمت لتمويل أنشطة غير مشروعة في الحملة الانتخابية ، وهي الحيل القذرة ، والتي أطاحت بنيكسون خارج البيت الأبيض فيما بعد . حدد القانون قيمة تبرع كل شخص بحد أقصى قيمته ألف دولار لمرشح الرئاسة ، ويمكن زيادة المبلغ قليلا لصالح لجان العمل السياسي وتستطيع هذه اللجان أن تمول أي حملة انتخابية بمبلغ خمسة آلاف دولار .

وقد كان اليهود بعد هذه التعديلات يخشون أن تؤثر على نفوذهم في واشنطن ، حيث كان أعلى اليهود صوتا هم أصحاب التبرعات الأكبر مثل ماكس فيشر وأبراهام فاينبرج وآرثر كريم ، ومن هنا جاءت الزيادة الهائلة في أعداد لجان العمل السياسي من ٦٠٨ لجان عام ١٩٧٤ إلى ٤٦٨١ لجنة عام ١٩٩٠ وبالتالي تصاعد حجم التبرعات التي يحصل

عليها المرشحون من هذه اللجان من ١٢ر٥ مليون دولار عام ١٩٧٤ إلى ١٥٠ر٥ مليون عام ١٩٩٠ . وتمثل هذه اللجان الشركات التى بقيت فى مجال التمويل الانتخابى وبعض جماعات المصالح الخاصة مثل الحركة النسائية أو المدافعين عن البيئة واللوبى الإسرائيلى. ومع ازدياد حجم التمويل الذى توفره اللجان ازداد دورها غموضا وبخاصة لجان العمل السياسى الإسرائيلية ، ويبلغ عدد هذه اللجان ٧٤ لجنة ولكن أسماءها لا تدل على طبيعة العمل الذي تقوم به ، مثل (أمريكيون لصالح مواطن أفضل) أو (منظمة المواطنين) وغير ذلك من اللجان التى لا تدل أسماؤها على علاقتها بإسرائيل .

فى عام ١٩٨٧ أصدر فيليب ستيرن كتابا بعنوان «أفضل كونجرس يمكن شراؤه بالمال»، وفى عام ١٩٩٢ أصدر جزءا ثانيا من نفس الكتاب، وقال فيه ان خمسين لجنة عمل سياسى مؤيدة لإسرائيل تبرعت بأكثر من ٤ ملايين دولار للمرشحين الفيدراليين ، ويتضح الحجم الضخم للمبلغ بمقارنته بمقدار تبرعات اللجان السياسية الأخرى للمدافعين عن قضايا محددة مثل معارضة الحد من التسلح الشخصى – ٩١٤ ألف دولار – أو الاجهاض – ٧٤٧ ألف دولار ، ويضاف إلى هذا المبلغ الآخر ٣ر٥ مليون دولار أخرى قيمة تبرعات الأفراد المباشرة للمرشحين الذين تدعمهم لجان العمل السياسى الإسرائيلية. وهناك عالم آخر أكثر اتساعا وهو لجان العمل السياسى التى تدعمها شركات كبرى مثل AT & T التى تبرعت بـ ١ر٤ مليون دولار لمرشحى الكونجرس من خلال لجان العمل ، ويقول أحد أعضاء الحزب الديمقراطى ان يهود أمريكا اعتادوا على التبرع للأعمال الخيرية منذ زمن طويل ، وتعلموا كيف يجمعون التبرعات من كل مكان ممكن ، واليهود الخبراء فى جمع التبرعات كثيرا ما يحصلون عليها من غير اليهود وإذا كان المتبرع لا يقدم أمواله بسبب إسرائيل أو الأجندة العريضة للمصالح اليهودية فإن جامع التبرعات لا يتوجه إليه لهذا السبب وحده ، وهذا يفسر سيطرة اليهود على عالم الاستشارات السياسية وجمع التبرعات فى الحزب الديمقراطى ومعظم هؤلاء عاملون سابقون فى أيباك أو اتحاد النداء اليهودى .

ويمثل يهود وول ستريت وهوليوود أكبر تجمع لأثرياء اليهود وغالبا ما يكونون أفضل مصادر التبرعات بالنسبة للديمقراطيين ، ولكن هذا لا يمنع أن فئات أخرى من اليهود تلعب دورا مهما فى دعم المرشحين ، ففى تكساس لا يمكن لأى جامع تبرعات أن ينجح

فى مهمته دون الاستعانة بمحام وهذه المهنة يعمل بها أغلبية يهودية ، وفى نيويورك يسيطر اليهود على صناعة الدواء وهم مؤيدون بشدة لإسرائيل ، وأول سؤال يوجهه هؤلاء لجامع التبرعات هو ما موقف المرشح الذى يعمل معه من إسرائيل ، وكل المسيطرين على هذه الصناعة أعضاء مشتركون فى آيباك مقابل ألف دولار سنويا لكل عضو وكلهم ديمقراطيون، وعندما يتعلق الأمر بإسرائيل أو صفقة أواكس يظهر كل منهم استعدادا كبيرا للمساعدة ، أما إذا لم تكن هناك أزمات معينة فهم ينصرفون للاهتمام بقضايا أخرى .

ووفقا لتقديرات مديرى الحملات الانتخابية للديمقراطيين فإن ٥٠٪ من تمويل هذه الحملات يكون بأموال يهودية ، ولكن الجمهوريين يقولون ان هذه النسبة غير دقيقة ، ويؤكدون أن نصف تمويل اللجنة المركزية للحزب الديمقراطى يأتى من اليهود ، وهذه اللجنة تقوم بتنسيق وتأييد المرشحين الأفراد وهى معفاة من الحد الأقصى للتبرعات كما أنها مسئولة عن نصف تمويل حملة الرئاسة الانتخابية للمرشحين الديمقراطيين، وقد زادت هذه الأموال بالنسبة لحملة مرشح رئاسى ذى شعبية عالية بين اليهود مثل بيل كلينتون، ولكن يقل دور أموال اليهود فى الانتخابات المحلية أو انتخابات الولايات، ولا تعبر أموال اليهود حدود الولايات إلا فى حالات محدودة ينجح فيها المرشح فى جذب اهتمام اليهود فى أنحاء الدولة مثل هارولد واشنطن المرشح الأسود لمنصب عمدة شيكاغو عام ١٩٨٣.

وبسبب الدور الكبير الذى تلعبه أموال اليهود فى دعم الديمقراطيين لا يحصل دورها بالنسبة للجمهوريين على نفس القدر من الاهتمام برغم تصاعد معدل هذه الأموال بشكل مستمر خلال السنوات الأخيرة. ولأن الحزب الجمهورى هو الحزب المدافع عن خفض الضرائب وخفض عدد التشريعات يكون الجمهوريون أصحاب فرصة جيدة فى الحصول على تبرعات اليهود أحيانا بمستوى لا يباريهم فيه الديمقراطيون حتى فى أوج سيطرة الديمقراطيين على الكونجرس وعملهم على اصدار التشريعات التى تحقق مصالح اليهود خلال الثمانينات. وبعد عام ١٩٩٤ عندما خسر الديمقراطيون سيطرتهم على الكونجرس ارتفعت التبرعات لصالح الجمهوريين بنسبة تصل إلى ٢ – ١ .

ولكن لأن الجمهوريين بصفة عامة لا يعتمدون على تبرعات اليهود بشكل أساسى نجد

أن الدور الذى يلعبه المستشارون السياسيون اليهود وجامعو التبرعات بالنسبة للحزب الديمقراطى لا يقابله دور مماثل لهم فى الحزب الجمهورى ، كما أن الجمهوريين لم يعتادوا على اصطياد التبرعات من أثرياء التكتلات الصناعية اليهودية ، وتشير تقديرات الحزب الجمهورى إلى أن التبرعات اليهودية لم تتجاوز نسبة ٢٠٪ من تمويل أى حملة انتخابية رئاسية بل ان اهتمام المتبرعين اليهود غالبا ما يكون لصالح مرشحين – أفراد – لعضوية الكونجرس .

ولعل أكثر مصادر التمويل اليهودية وضوحا بالنسبة للجمهوريين هو مجموعة صغيرة من أثرياء اليهود الذين لعبوا دورا بارزا سواء فى الحزب أو بين طائفتهم اليهودية منذ ١٩٦٨ . على رأس هؤلاء رجل البترول ماكس فيشر والذى يتزعم جهود جمع التبرعات لحملات مرشحى الرئاسة الجمهوريين ، وقد نجح فيشر فى تأسيس اللجنة القومية للجمهوريين – الفريق ١٠٠ – والتى تتألف من المتبرعين الذين لا تقل تبرعات كل منهم عن مائة ألف دولار ، وساهم فى تأسيس التحالف القومى اليهودى أثناء حملة ١٩٧٢ والذى يتكلم باسم اليهود الجمهوريين فى الحزب وفى الطائفة ككل، وأثبت هذا التحالف حضورا قويا أثناء حكومتى ريجان وبوش . وبعد تنحى فيشر عن رئاسة التحالف أعقبته شخصيات أخرى مثل جورج كلاين سمسار العقارات بنيويورك وشيريل فوكس المستثمر فى نيوجيرسى ورجل الأعمال جوردون زاكس من كليفلاند، وهؤلاء جميعا أصبحوا من أهم المتبرعين وجامعى التبرعات لصالح الجمهوريين.

وبعد النجاح الذى حققه التحالف القومى اليهودى، أسس الديمقراطيون تحالفاً ديمقراطيا مماثلا ولكن لم يصادف نفس الحظ من النجاح وذلك بسبب تداخل وتشابه العمل والوظيفة بين هذا التحالف وبين منظمات يهودية أخرى مثل وكالات الدفاع التى تتنافس مع التحالف فى نفس المجال وهو مجال جمع التبرعات المزدحم بالفعل بعشرات التنظيمات.

الفصل الحادى عشر

أعداء أنفسهم :
اليهود ووسائل الإعلام

فى ١٩٣٩ ، ذهب آرثر هايز سالزبرجر ناشر جريدة نيويورك تايمز لمقابلة الرئيس فرانكلين روزفلت فى البيت الأبيض ليحثه على عدم تعيين فيليكس فرانكفورتر فى المنصب الذى شغر فى المحكمة العليا بسبب وفاة القاضى بنچامين كاروسو . قال سالزبرجر للرئيس ان تعيين قاض يهودى خلفا ليهودى آخر وبالاضافة إلى القاضى لويس برانديس - اليهودى أيضاً - يمكن أن يثير المشاعر المعادية للسامية، ولكن روزفلت رد عليه بالقول إن وجود يهودى على رأس النيويورك تايمز يثير هذه المشاعر أيضا - وطرده من مكتبه .

ولم يحدث أن أثارت أى علاقة يهودية بالمؤسسات الأمريكية نفس الجدل الذى أثارته علاقتهم بوسائل الإعلام أو « الميديا » . كما أن الفرق شاسع جداً بين الطريقة التى يرى بها اليهود هذه العلاقة وبين نظرة الآخرين إليها ؛ الفجوة واسعة تماماً ، وبينما يرى غير اليهود أن الإعلام يمثل معقلا قويا للسيطرة اليهودية والنفوذ اليهودى فى المجتمع الأمريكى ، يرى اليهود عكس ذلك تماماً - وبخاصة المتشددون - الذين يرون الإعلام مصدراً أساسياً للانحياز ضد اليهود . ورغم التناقض الكبير بين وجهتى النظر إلا أن كلتيهما صحيحة بدرجة ملموسة . فالحقيقة أن نسبة العاملين فى مجال الإعلام من اليهود تزيد على نسبة تمثيلهم فى المجتمع الأمريكى ، ٥٪ فقط على مستوى الدولة ، إلا أنهم يمثلون حوالى ربع عدد العاملين فى أهم الوسائل الإعلامية الأمريكية والتى تسمى إعلام الصفوة ، ويعمل هؤلاء محررين وكتاباً ومنتجين للبرامج فى الشبكات الأخبارية وأهم المجلات والصحف الأسبوعية مثل نيويورك تايمز وواشنطن بوست ووول ستريت چورنال.

وفى عصر تضخمت فيه أعداد الشركات الإعلامية الكبرى يبرز اليهود بعدد كبير . نشرت مجلة «فانيتى فير» تحقيقاً صحفياً مطولاً فى أكتوبر ١٩٩٤ حول ملوك صفوة الإعلام أو إعلام الصفوة بعنوان «المؤسسة الجديدة» . وجاء فى التحقيق أن نصف هؤلاء

الملوك – وعددهم ١٢ – من اليهود . ومن وجهة نظر محررى التحقيق فإن هؤلاء يمثلون صفوة القوة الأمريكية الحقيقية فى مجال الإعلام الجماهيرى ووسائل الاتصال والترفيه وصناعة الكمبيوتر ؛ رجال ونساء صنعوا بطموحهم من أمريكا قوة عظمى حقيقية فى عصر المعلومات .

وفى مجالات بعينها للإعلام مثل استديوهات هوليوود يرتفع عدد العاملين اليهود لدرجة تجعلنا نقول انها صناعة سيطر عليها اليهود . ويقول يوچين فيشر مدير العلاقات الكاثوليكية اليهودية فى المجلس القومى لأساقفة الكاثوليك «إذا كانت هناك قوة يهودية فهى قوة الكلمة ، قوة كتاب أعمدة الرأى وصانعى الرأى العام ، مجتمع اليهود مجتمع متكلم ولديه الكثير ليقوله، واذا كان باستطاعة أى أحد أن يشكل الرأى العام فهو ولا شك قادر على صنع الأحداث أيضا» .

ولكن من وجهة نظر اليهود الملتزمين ، على الأقل ، والمتشددين فإن وسائل الإعلام الأمريكية تلعب دوراً سلبياً فى معالجتها للقضايا الخاصة بإسرائيل وعدد آخر من القضايا المهمة بالنسبة لليهود فى أمريكا ، ويشكو هؤلاء من أن الإعلام الأمريكى مولع بكشف عيوب إسرائيل . ويقول بعض الإعلاميين مثل مورلى صافير مراسل برنامج (ستون دقيقة) الإخبارى بشبكة سى بى إس «منذ حرب يونيو ١٩٦٧ اعتبر الكتاب والمحررون "الخطر الحقيقى" الذى يهدد وجود اسرائيل هو مجرد خرافات وأوهام ، إلا أن هذه الخرافات والأوهام ليست واضحة لديهم ، ومن هنا نشأت مشكلة الكيل بمكيالين» . وفى استطلاع أجرى عام ١٩٩٤ للرأى العام اليهودى اتضح أن ٥٤ ٪ يتفقون على أن الإعلام الأمريكى يكيل بمكيالين فى معالجة الموضوعات الخاصة بإسرائيل ويزداد الأمر سوءاً بالنسبة للدول العربية ، وقد شعر ٧٩ ٪ من اليهود بهذا الشعور فى المعالجة الإعلامية للانتفاضة الفلسطينية التى جذبت اهتمام العالم .

ولكن السؤال هو كيف يمكن أن تكون وسائل الإعلام واقعة تحت سيطرة اليهود ولكنها معادية لهم فى نفس الوقت ؟ الإجابة عن هذا السؤال معقدة بعض الشىء ولكن نبدأ بملاحظة مهمة وهى أن معظم اليهود المشتغلين بالإعلام الأمريكى قد جاءوا من مجتمعات يهودية اندمجت تماماً فى المجتمع الأمريكى الأكبر . إنهم يهود فعلاً ولكنهم ليسوا من ذلك النوع الذى يعطى أولوية كبرى للمصالح اليهودية .

ويقول ستيڤن آيزاك الرئيس السابق لقسم الصحافة بجامعة كولومبيا «اليهود فى الإعلام الأمريكى – بدرجة ما – مرتدون عن اليهودية . هؤلاء تجذبهم اهتمامات أخرى فى

عالم العمل مما يجعلهم يتخطون حدود اليهودية . واليهودى فى الصحافة لا يستطيع أن يظل يهودياً لأن العمل الصحفى يتطلب أن يبقى المشتغل به على الحياد دون انتماءات قبلية أو عنصرية» . ولكن فى الصحافة كما فى السياسة يصر أكثر اليهود اندماجاً فى المجتمع الكبير على أن مشاعرهم وقيمهم كيهود هى التى تقودهم فى العمل حتى وإن كان هناك تعارض أو صراع بين العمل وأجندة عمل التنظيمات اليهودية .

ولا شك أن أكثر اليهود المشتغلين بالإعلام صداماً مع القيم اليهودية هؤلاء المشتغلون بتغطية اسرائيل وهم دائماً يثيرون غضب اليهود المؤيدين لإسرائيل فى أمريكا . ومن الأمثلة البارزة أنتونى لويس وتوماس فريدمان من جريدة نيويورك تايمز ومايك والاس من شبكة سى بى إس . هؤلاء الثلاثة لا يخفون مشاعرهم المتعاطفة مع اسرائيل وقربهم الشديد منها الذى يتيح لهم معرفة العيوب . ويقول والاس «إذا كنت تحب اسرائيل فعلاً فإنك تريدها بلا عيوب» . ويؤكد أيضاً أن المواد التى قدمها فى برنامج (ستون دقيقة) كانت متوازنة ودقيقة . ولكنه لا ينكر أنه كان دائماً يبحث عن قصص الأخطاء أو الظلم ، مما جعله لعشرات السنين موضع غضب اليهود الذين كثيراً ما وصفوه بأنه «يكره نفسه» عندما لا تعجبهم الموضوعات التى يتناولها . ويقول والاس إنه لم يعان مثل آخرين كثيرين من معاداة السامية ، إلا أنه متعاطف مع هؤلاء الذين يعانون من التفرقة، وهذه هى نوعية القصص التى يفضلها .

ولكن هناك آخرين يؤكدون أن الخلفية الشخصية لهم لا تؤثر على عملهم فى التغطية الأخبارية وأنهم قليلاً ما يفكرون فى هذه الأمور . ويقول ريتشارد روث الصحفى بشبكة سى إن إن الأخبارية ومندوبها فى الأمم المتحدة ان العمل التليفزيونى الأخبارى لا يتيح الوقت للتفكير فى أى شىء باستثناء أداء العمل فقط . وبتدقيق أكثر نجد أن النفوذ اليهودى فى وسائل الإعلام عبارة عن ظواهر متفرقة : حيث تختلف وسائل الإعلام الترفيهية عن الأخبارية ، وتعمل الاثنتان وفقا لقواعد مختلفة وفى كل واحدة منها يوجد دور لكل من المالكين أو الناشرين، ودور للمحررين المسئولين عن الرسالة الإعلامية . ثم هناك حالة خاصة بجريدة نيويورك تايمز التى تضم رقما قياسيا من اليهود يعملون بها بالمقارنة بباقى وسائل الإعلام ، وهى أكثرها محاولة لتبدو غير واقعة تحت تأثير اليهود .

وتتفاوت درجة علاقة كل من الإدارة والتحرير فى وسائل الإعلام بيهود أمريكا . ولكن إجمالى هذه العلاقات هو الذى يصنع الصورة العامة لليهود فى الإعلام الأمريكى .

ولمحاولة فهم سر انجذاب اليهود للعمل الإعلامى نجد عدة نظريات، نظرية تقول ان اليهود الذين فشلوا فى الحصول على اعتراف غيرهم بهم اندفعوا للعمل فى مجال الإعلام للحصول على هذا الاعتراف والقبول من الآخرين . وهناك نظرية أخرى تقول ان العمل الإعلامى يجد جذوره فى التقاليد الثقافية اليهودية ، حيث تربي الأسرة اليهودية أطفالها على البراعة والمهارة اللغوية والتصويرية ، وهى من عوامل النجاح فى العمل الإعلامى . ولكن يوجد يهود كثيرون يضيقون بمحاولات فهم أسباب هذه الظاهرة . ويقول مورلى صافير «إن اليهود بشر مثل غيرهم . إنهم يتصرفون بطرق مختلفة ويتناقضون مع أنفسهم مثل الآخرين ولديهم انتماءات خاصة مثل الآخرين ويصعب التنبؤ بتصرفاتهم لأنهم بشر» ، ويضيف صافير أن كل هذه المحاولات تعيد للأذهان «بروتوكولات حكماء صهيون» والتى جعلت من نفوذ اليهود فى العمل الإعلامى صورة نمطية ملتصقة بهم . حيث يقول البروتوكول الثانى منها «من خلال الصحافة اكتسبنا نفوذاً ولكن أبقينا أنفسنا فى الظل» .

وعندما نشرت جريدة (ديربورن اندبندنت) هذه البروتوكولات فى أمريكا فى أوائل العشرينات روج هنرى فورد من خلال جريدته لفكرة أن نطاق النفوذ اليهودى يشمل المسرح والسينما أيضا . ومن وجهة نظره فإن هذه المجالات تخضع تماماً لسيطرة اليهود. وسادت فكرة المؤامرة اليهودية القائلة بأن اليهود لا يدخلون فى إطار التيار العام المسيحى بالدولة ، وأنهم عملوا على الإساءة للقيم المسيحية فى المجتمع ومعادون لها . وقد تطلب الأمر القيام بعدة حملات لتقويم هذا النفوذ اليهودى فى فترة العصر الذهبى للسينما الأمريكية قبل الحرب العالمية الثانية . ولكن خفتت حدة هذا الهجوم بعد الحرب العالمية الثانية وبعد فظائع النازى .

ومع تغير الميزان السياسى الأمريكى لصالح اليمين تغيرت الأمور من جديد ، حيث ظهر فيلم «الاغراء الأخير للمسيح» عام ١٩٨٨ فأثار غضبا شديدا فى دوائر المسيحيين المحافظين فى أمريكا ، فقد عرض الفيلم السيد المسيح فى صورة مشوهة ومادية، وصب المسيحيون الأمريكيون غضبهم على المنفذين اليهود للفيلم ، وتبنى القس آر إل هايمرز المتشدد حملة ساخنة من الخطب واللافتات التى حملتها الطائرات والتى تقول «الفيلم سيجلب الكراهية لليهود» . الفيلم كان من إنتاج شركة MCA للإنتاج السينمائى التى يجلس عل قمتها اثنان من اليهود هما ليو فاسرمان رئيس مجلس الإدارة وسيدنى شاينبرج مدير الشركة . وإلى جانب هذه الحملة الصريحة لمهاجمة الفيلم ، كانت هناك

حملة خفية لمعاداة السامية ، حيث هاجمت هذه الحملة موزعى الفيلم وهم من اليهود مع تجاهل حقيقة مهمة وهى أن مخرج الفيلم مارتين سكورسيس كاثوليكى وكاتب السيناريو بول شريدر بروتستانتى والفيلم مأخوذ عن قصة للكاتب اليونانى نيكوس كازانتازاكيس وهو مسيحى أرثوذكسى . واشترك فى الحملة الخفية رجال دين وسياسيون محافظون مثل السناتور بوب دول وباتريك بوكانان وعلمانيون متطرفون خاصة على هامش مجتمع السود ، والذين حملوا اليهود أيضا مسئولية الصورة المشوهة للسود فى هوليوود .

والحقيقة أن اليهود هم فعلاً الذين صنعوا هوليوود كما يقول المؤرخ نيل جابلر فى كتابه «امبراطورية من صنعهم» عام ١٩٨٨ . لقد ابتكر كاميرا السينما شخص غير يهودى ولكن حلم صناعة هوليوود تحقق على أيدى عدة مهاجرين يهود رأوا أن هذه الكاميرا يمكن أن تستخدم لرواية الحكايات ، فقاموا ببناء الاستديوهات وابتكروا نظم التوزيع وأقاموا دور السينما ونشروها فى كل أنحاء الدولة . هؤلاء اليهود هم أدولف سوكر ووليام فوكس وصامويل جولدوين ولويس ماير وكارل لاميل وماركوس لوى والإخوة وارنر وآخرون ، وقد قاموا بتحويل هذا الابتكار التكنولوجى إلى صناعة بملايين الملايين من الدولارات .

وبعد جيل آخر قامت مجموعة أصغر من المستثمرين اليهود بنفس العمل بالنسبة للبث الإذاعى بالميكروفون ثم البث التليفزيونى من بعده .. أسس ثلاثة رجال شبكات للإذاعة والتليفزيون هم ويليام بيلى ، سى بى اس ، وداڤيد سارنوف ، إن بى سى ، وليونارد جولدنسون ، إيه بى سى ، وحولوا المبتكرات الجديدة إلى صناعة كاملة .

وكما يقول جابلر كان يهود هوليوود متفاوتى التمسك بيهوديتهم لدرجة كبيرة لا يمارسها أكثر اليهود اندماجاً مع المجتمع الأمريكى الكبير . ولكن الاستثناء فى ذلك هو بارنى بالابان حيث أعطى اهتماماً كبيراً بالمنظمات اليهودية وسياساتها وكذلك أيضا دور شارى . وحتى من كانوا يواظبون على التردد على المعابد أو من يتبرعون للجمعيات الخيرية اليهودية حافظوا على الفصل بين الدين والعمل . ولهذا السبب جعلوا صور اليهود واليهودية بعيدة عن الشاشة الفضية إلا فى أحوال قليلة جداً مثل فيلم «مطرب الچاز» عام ١٩٢٧، ثم فيلم «إتفاق چنتلمان» عام ١٩٤٧ والذى حصل على جائزة الأوسكار ، وطالما تحكم عمالقة اليهود فى هوليوود فقد كانوا يقدمون قصص الحب والوطنية والقيم العليا، ولم يرغب هؤلاء فى خلق صورة لليهود على الشاشة ولكن خلقوا صورة لأمريكا بكل قيمها .

وفى الستينات ظهر اليهود على شاشة السينما بعد أن نشطت حركة الحقوق الدينية التى جعلت ظهور صورة العرقيات المختلفة على الشاشة مسألة مقبولة ولها شعبية . ولمعت أسماء مثل فيليب روث وساول بيللو فى الأدب وباربرا سترايساند فى الغناء وودى آلن وميل بروكس فى الكوميديا . وبمرور الوقت أصبح باستطاعة المخرجين مثل آلن وبروكس وبول مازورسكى أن يقدموا أى قصة تحلو لهم . وكان من نتيجة ذلك صراع ثقافى بين التنظيمات اليهودية فى نيويورك ويهود هوليوود ، مثل ذلك الذى حدث بعد العرض الأول لفيلم «المنتجون» من إخراج ميل بروكس عام ١٩٦٨ ويحكى عن محام يهودى مشبوه فى برودواى يتحالف مع النازى . ثم فى عام ١٩٧٢ عندما أذاعت شبكة سى بى اس فيلم «بريدچيت تحب بيرنى» حول زوجين سعيدين حيث تزوج يهودى من خارج ديانته . وقد أدت إذاعة الفيلم إلى حملة اعتراضات كبيرة ضد الشبكة تزعمتها منظمة المؤتمر اليهودى الأمريكى. ولكن خفتت حدة الهجوم على هوليوود بعد أن استسلمت المنظمات اليهودية تدريجياً لأعمال الفنانين ، وأصبحت صور اليهود مسألة معتادة فى أوقات المشاهدة التليفزيونية العالية . ومع اقتراب القرن العشرين من نهايته مازال كبار العاملين فى استديوهات هوليوود الشهيرة من اليهود سواء من المؤلفين أو المنتجين وبدرجة أقل المخرجين ، وتشير دراسة حديثة إلى أن هؤلاء يمثلون نسبة ٥٩ ٪ .

ويسبب الكثافة العددية لليهود فى هوليوود وهى مركز لواحدة من أهم الصناعات الرابحة يكتسب يهود هوليوود ثقلاً سياسياً خاصاً ، ومن أبرز الأسماء ذات الثقل السياسى فى مدينة السينما الأمريكية ليو ڤاسرمان رئيس مجلس ادارة شركة (MCA) وباربرا سترايساند كما دخل البعض فى قضايا سياسية مباشرة مثل دانى جولدبيرج ، «الحريات والحقوق المدنية » ، وورن سيلفر وريتشارد درايفوس « الشرق الأوسط ». ولكن يمكن القول ان اليهود لهم تأثير واضح على صناعات أخرى يتركزون بها مثل وول ستريت وسمسرة العقارات فى نيويورك كما أنهم أغلبية فى صناعة الأزياء وقد حولوا هذا التركز الكبير إلى وجود واضح على المستوى السياسى . ولكن الانطباع العام بأن يهود هوليوود يستطيعون خلق صورة معينة من خلال سيطرتهم على السينما لم يصبح أمرا واقعاً ، وذلك لأن اليهود الذين ذهبوا إلى هوليوود لم تتوفر لهم الرغبة فى ذلك.

فى ١٩٩٠ وأثناء مناقشة صورة الأمريكى الأسود فى السينما طالب ليجراند كليج وهو محام بإحدى ضواحى لوس أنجلوس ، بضرورة عقد قمة مع زعماء اليهود لمناقشة

دور اليهود من التنفيذيين فى هوليوود فى تشويه صورة السود على الشاشة ، وقال كليج فى كلمته «ما دام زعماء اليهود يرددون الشكوى من معاداة السود للسامية لابد أن يثير زعماؤنا – السود – قضية عمرها مائة عام وهى عنصرية يهود هوليوود» . ولكن كليج لاقى هجوما حادا جداً فى الصحافة الأمريكية ونشرت لجنة مكافحة تشويه الصورة عام ١٩٩٢ إعلاناً على صفحة كاملة بعنوان «معاداة السامية بين السود المتطرفين» . وبرغم تأكيد كليج بقوله «إن اليهود لم يقتلوا ولم يهاجموا مواطنين سودا ولكننا قلقون بشأن تشويه صورة السود، وعندما يثيرون هذه المسألة فإنهم يتهمون بمعاداة السامية» . ولكن فى النهاية لم يجد كليج آذانا صاغية ؛ فصناعة السينما يتحكم فيها رجال أعمال أولاً يلى ذلك فى الأهمية أنهم يهود أو مسيحيون أو ديمقراطيون وأحيانا جمهوريون . وقليلاً ما يستجيب هؤلاء لانتماءاتهم الأخرى . حتى عندما حاولت المنظمات اليهودية التدخل لما رأت تشويهاً لصورة اليهود لاقت جهودها نفس مصير كليج .

وتقول كارول بولتكين من المؤتمر اليهودى الأمريكى ان «معظم العاملين فى هوليوود من اليهود ليس لهم علاقة بالتنظيمات اليهودية بأى حال من الأحوال» . وترى التنظيمات اليهودية أن صناعة السينما فى هوليوود صناعة مغلقة أمامهم . وطالما يرى العاملون فى هوليوود أن أنشطتهم الاقتصادية قانونية ومشروعة فإنهم يرون أيضا أنهم غير مسئولين عن أولئك العاطين أو المشردين أو المنتهكة حقوقهم . ويبقى التركيز الأساسى على عرض الصورة التى تجتذب أكبر عدد من المشاهدين وتحقق الأرباح مثل أى صناعة أمريكية أخرى .

وفى مجال الإعلام الأخبارى تكون مناقشة الانحياز لصالح طرف ما أو ضد طرف آخر أكثر سهولة .. حيث تعتمد هذه المواد الأخبارية على ثقة الجماهير بها ، وينتظر هؤلاء أن تقدم لهم البرامج الأخبارية بشكل موضوعى ولو من الناحية النظرية وواجب هذه المواد أن تطلع الجماهير على ما يفعله من هم فى مقاعد السلطة ، وربما هذا هو السبب الذى يجعلنا نطلق على الصحافة اسم السلطة الرابعة فى الدولة ويجعلها تحظى بالحماية الدستورية .

والبحث عن الانحياز فى عالم الصحافة يتطلب تدقيقا ومتابعة ولكن الجانب الأصعب فى الموضوع هو إيجاد الدليل على التحيز لصالح اليهود أو ضد مصالحهم . وتوجد مجموعة من الكتاب المؤثرين يأخذون على عاتقهم مهمة الدفاع عن اليهود وعن اسرائيل

ومهاجمة أعدائهم . والقائمة هنا ليست كبيرة ويتصدرها الثلاثى ويليام صافير وإيه إم روزنتال من (نيويورك تايمز) وريتشارد كوهين من (واشنطن بوست) .

أما باقى أسماء القائمة فهم شارلز كراوتهامر من واشنطن بوست أيضا وفرانك ريتش من نيويورك تايمز ورئيس تحرير (نيو ريبابليك) مارتين بيريز ومحرر الأدب ليون ويزلتير من الجريدة نفسها .

وتوجد مجموعة صغيرة من المجلات التى تفرد مساحات كبيرة للمسائل ذات الاهتمام اليهودى مثل (نيويوركر) و (نيويورك ريڤيو أوف بوكس) و (ديسنت) ، وهذه المجلات ليست مجلات يهودية خالصة ولكنها مجلات تتناول موضوعات عديدة متنوعة، ومن هنا يصل اهتمامها بالأمور اليهودية للقارىء العادى وتصل وجهات نظر الطائفة اليهودية للرأى العام .

ثم هناك مجموعة من المعلقين الصحفيين من المؤيدين لليهود وهؤلاء يعكسون فكر يهود أمريكا دون أن يكونوا بالضرورة ملتزمين بالخط العام للطائفة اليهودية . من هؤلاء أنتونى لويس فى (نيويورك تايمز) وإيلين جودمان من (بوسطن جلوب) والذى يمثل كل اهتمامات اليهود الليبراليين حتى وإن لم يفصح عن ذلك صراحة . والأثر التراكمى لكل الكلمات المكتوبة بيد هؤلاء هو أنها تسعى لإبقاء اهتمامات ومخاوف يهود أمريكا فى قلب اهتمامات الرأى العام الأمريكى ، كما أن مهمتها أيضا أن توقف المعارضين لليهود عند حدهم تماماً مثل استخدام حملة يهودية ضد مرشح ما عن طريق تأييد منافسه بالتبرعات. ورغم أن الهجوم الصحفى اليهودى على أعداء السامية أمر لا يحدث كل يوم إلا أنه يترك أثراً بالغاً يجعل كل شخص يفكر مرتين قبل أن يهاجم مصالح اليهود .

ولم يحظ أحد الصحفيين بقوة ونفوذ مثل ذلك الذى يتمتع به ويليام صافير كاتب خطب الرئيس نيكسون ، وهو كاتب رأى فى جريدة نيويورك تايمز منذ ١٩٧٣ ويتمتع بشبكة اتصالات قوية جداً ومن الأعضاء المؤثرين فى عالم الصحافة بواشنطن .. وفى ديسمبر ١٩٩٣ كتب صافير عموداً فشل بسببه ترشيح الأدميرال بوبى إينمان لمنصب رئيس جهاز المخابرات الأمريكية ، فقد اتهم صافير الأدميرال إينمان بأنه معاد لإسرائيل . ورغم أن الهجوم على ترشيح إينمان كان حاداً لأسباب أخرى مختلفة إلا أن الأدميرال عندما أعلن فى يناير ١٩٩٤ عن انسحابه من الترشيح ألقى باللوم كله على صافير . وقال عاملون فى واشنطن من المطلعين على بواطن الأمور ان الهجوم على اينمان كان من تدبير المافيا المؤيدة لاسرائيل .

ولكن على أية حال لا نتطرق إلى الكتابة الأخبارية التى يفترض فيها الموضوعية بخلاف كتابة الرأى التى تعكس وجهات نظر الكتاب .. ومن الصعب أن ندرك وجود تحيز مع أو ضد اليهود أو اسرائيل فى صالات تحرير الأخبار مهما بلغ عدد العاملين اليهود بها وينطبق نفس الشيء على الشبكات الأخبارية . ويقول روبرت بيربوينت المندوب السابق لشبكة سى بى اس فى البيت الأبيض «أستطيع أن أسرد أسماء لا حصر لها من المحررين اليهود من غير المنحازين لاسرائيل والذين لا يدعون مشاعرهم الشخصية وانتماءاتهم تجاه اسرائيل تتحكم فى طريقة سردهم للقصص الأخبارية بأمانة» . ويرى بيربوينت أن بعض القراء يخلطون ما بين حامل الرسالة - اليهودى- والرسالة نفسها . كما يرى أن الحزب الديمقراطى على مدى الخمسين عاماً السابقة تسبب فى عدم التوازن السياسى الأمريكى فى الشرق الأوسط . وإذا كان هناك من يتهم الصحافة بأنها مؤيدة لليهود أو اسرائيل فلابد أنه قرأ تصريحات السياسيين على صفحات الجرائد .

ولكن أين يظهر التحيز الإعلامى فى التغطية الأخبارية ؟ يقول البعض ان اختيار نوعية القصص التى تغطيها الشبكات الأخبارية أو صفحات الأخبار بالصحف يوضح هذا التحيز إن وجد . ويقول من مارسوا العمل السياسى اليهودى خلال السبعينات من أجل اليهود السوفيت أو المقاطعة العربية إنهم تلقوا مساعدة كبيرة من عدد من المحررين الأصدقاء وإن لم يكن كلهم من اليهود - فى جريدتى وول ستريت چورنال ونيويورك تايمز، وقد كشف هؤلاء قصص القمع السوفيتى لليهود وقوة البترودولار . كما يحدث أحيانا - فى أحوال نادرة - أن تتأثر كيفية التغطية مثلما يقول «سانفورد سوكلو» النائب السابق لرئيس شبكة سى بى اس ويقول أيضاً دافيد جيبلر المنتج المنفذ لبرنامج وثائقى تذيعه ايه بى سى «لقد كان لى اهتمام خاص بالبوسنة خلال العامين السابقين ، وهذا له علاقة مباشرة بكونى يهودياً . لقد ذهبت إلى قرية فى البوسنة كل منازلها محطمة وكل سكانها محاصرون لأنهم مسلمون ؛ الرجال فى معسكرات والنساء مغتصبات والأطفال يموتون جوعاً . لو لم يكن هذا الموضوع يثير اهتمام اليهود فما الذى يثير اهتمامهم إذن ؟» . ويقر جيبلر بأن الموضوعات التى يختارها تتأثر فعلاً بخلفيته اليهودية ، حيث كان يشعر بالعزلة والوحدة فى مدرسته أيام الطفولة وسط أطفال غير يهود ، وقد دفعه هذا فيما بعد للاهتمام بموضوعات حقوق الإنسان .

وهذه الميول والاختيارات فى القصص الاخبارية يسميها البعض واجبات العمل التى تقتضى الجرى وراء قصص الظلم والأخطاء ، وقد كان لهذا أثر سلبى على إسرائيل خلال

ربع قرن منذ عام ١٩٦٧ ، وكان تصوير إسرائيل على أنها دولة منتصرة وتصوير الفلسطينيين كضحايا لها مناخا خصبا للتغطية السلبية للموضوعات المتعلقة بإسرائيل . ولكن كان من الممكن أن تتم الأمور بشكل عكسى حيث ظل اليهود يرون إسرائيل ضحية للعداء العربى واتفق معهم فى هذا الرأى أمريكيون كثيرون وبخاصة من المحافظين .

وبمراجعة التغطية الصحفية لإسرائيل فى الصحافة الأمريكية نجد أن تغطية الأخطاء والعيوب فى الصحف الليبرالية مثل (نيويورك تايمز وواشنطن بوست) أكبر كثيراً من تلك المنشورة فى الصحف المحافظة مثل (وول ستريت جورنال) أو (واشنطن تايمز) .

ويتدخل فى تغطية أخبار إسرائيل عدة عوامل منها أن إسرائيل تتلقى مساعدات أمريكية تزيد على ٢ مليار دولار سنويا منذ عام ١٩٧٤ . وبالنسبة لمحررين كثيرين تعتبر تغطية إسرائيل مسألة ضرورية لإعلام القراء بمصير دولارات الضرائب التى يدفعونها .

والعامل الثانى هو النظرة العامة لإسرائيل باعتبارها دولة غربية متقدمة . وعندما قتل ٢٩ مصليا مسلما فى مسجد بمدينة الخليل على يد متطرف يهودى عام ١٩٩٤ كان لابد أن يحتل الخبر الصفحات الأولى للجرائد الأمريكية لعدة أيام متتالية ؛ وفى المقابل عندما وقعت مذبحة فى بروندى راح ضحيتها عشرة آلاف شخص فى ربيع ١٩٩٤ غطت صحيفة نيويورك تايمز الخبر بشكل موجز فى إحدى صفحاتها الداخلية . فالأمريكيون يرون أن مذبحة يرتكبها يهودى مسألة أكثر إثارة للدهشة والانتباه وبالتالى فهى خبر مهم .

والعامل الثالث والأخير هو أن إسرائيل تفتح أبوابها للصحفيين وتمدهم بمصادر المعلومات اللازمة لتغطية أحداثها اليومية وإجراء المقابلات مع المسئولين والمواطنين بينما الدول المجاورة لها لا تفعل نفس الشىء . ويقول «سانفورد سوكلو» من شبكة سى بى إس «لقد سمعنا شكاوى كثيرة عبر السنين من عدم تغطية الأخبار العربية ، ولكن المسألة أننا فى إسرائيل نحصل على الأخبار بسهولة وحرية أكبر من الدول العربية ، والاسرائيليون لديهم من الذكاء ما يكفى ليعرفوا أنه بدون هذه التغطية لن يحصلوا على ما يحصلون عليه من مساعدات . وإذا كانت تغطية أحداث اسرائيل منحازة أو غير متوازنة كيف إذن مازالت إسرائيل هى أكبر متلق للمساعدات الأمريكية ؟» .

ويقول «مايك والاس» من سى بى إس أيضا « فى فترة الستينات كان الحماس من أجل إسرائيل شديدا جدا . وبمرور الوقت أدرك العرب أنهم لا يحصلون على تغطية صحفية أفضل بسبب ذلك الحماس ، وفطن بعض العرب للمسألة وقالوا نحن هنا ونريد تغطية صحفية لأحداثنا ، وعندما حدث ذلك اختلف شكل التغطية الصحفية لإسرائيل » .

ومنذ السبعينات أصبحت التغطية الصحفية لإسرائيل سلبية وبدأت الصحافة تخضع لفحص دقيق من جانب مؤيدى إسرائيل فى أمريكا . وبسبب الاعتراضات المتكررة شعر المحررون بالقلق تجاه إثارة غضب القراء اليهود وفضل البعض عدم تناول موضوعات الشرق الأوسط تجنبا للمتاعب، ومن أمثال هؤلاء أنتونى لويس الذى انتقد سياسة إسرائيل كثيرا فى السبعينات وأوائل الثمانينات ولكنه ابتعد عن هذه الكتابة فى منتصف الثمانينات .

وقد جاءت أول مواجهة علنية بين زعماء اليهود ومؤسسة إخبارية فى عام ١٩٧٣ ، عندما قدم روبرت بيربوينت تعليقا إخباريا فى راديو سى بى إس عن قوة اللوبى اليهودى أذيع بعد وقت قصير من قيام إسرائيل بإسقاط طائرة ركاب ليبية فوق سيناء وقتل ١٠٦ أشخاص مدنيين ، وقارن بيربوينت بين رد الفعل الأمريكى تجاه هذا الحادث وبين رد الفعل الشديد الذى أظهرته عقب حادث أوليمبياد ميونيخ الذى قتل فيه ١١ رياضيا إسرائيليا . واختتم تعليقه بالقول ان الفارق يوضح المعيار المزدوج الذى تكيل به أمريكا الأمور ، والسبب فى ذلك هو النفوذ السياسى لستة ملايين يهودى أمريكى . وقد أثار ذلك التعليق غضبا كبيرا بين اليهود وقامت لجنة مكافحة تشويه الصورة بحشد مؤيديها لتقديم الشكاوى لمكاتب شبكة سى بى إس ، وطلب (مؤتمر الزعماء) مقابلة رئيس قسم الأخبار بالشبكة ريتشارد سالانت الذى أمر بإجراء تحقيق داخلى . وتلقى بيربوينت نفسه ٤٠٠ خطاب احتجاج على برنامجه ولكنه قال فيما بعد إنه أساء اختيار الكلمات وكان بإمكانه أن يقول «النفوذ السياسى لبعض التنظيمات اليهودية» دون أن يعمم الأمر على يهود أمريكا . وبعد عام آخر حدثت مواجهة مشابهة مع مجلة (ناشيونال چيوجرافيك) بعد أن نشرت مقالا عن سوريا جاء فيه أن يهود سوريا يتمتعون بحرية العبادة والفرص المتاحة رغم أنهم يعانون بعض القيود ، وقد بلغ عدد خطابات الاعتراض على المقال ٦٠٠ خطاب شبه بعضها كاتب المقال بهتلر . ونظم المؤتمر اليهودى الأمريكى مسيرة احتجاج حول مبنى المجلة . وبعد عام آخر ارتكب مايك والاس نفس «الخطيئة» فى برنامجه (ستون دقيقة) عندما قلل من شأن سوء معاملة الأقلية اليهودية فى سوريا ، ولكن هذه المرة لم يذهب رجال (مؤتمر الزعماء) إلى مقر سى بى إس ولكنهم جعلوا والاس يذهب إليهم للقاء فى مكتب إدجار برونفمان ويقول والاس عن اللقاء «لقد جن جنونهم . إننى لم أر شيئا كهذا من قبل أو من بعد» .

وعندما بدأت صورة العرب وصوتهم يصلان عبر الصحافة الأمريكية دهش اليهود تماما مما يحدث خاصة وأن شهر العسل بينهم وبين صحف أمريكا لم ينته بعد . وقبل أن يمضي وقت طويل أصبحت التغطية السلبية لأخبار إسرائيل مسألة روتينية . ثم جاء صعود مناحم بيجين للحكم ليعطى مجالا مفتوحا للصحافة وظهرت مواد صريحة لمعاداة السامية مثل ما نشرته مجلة تايمز عن «بيجين» وتشبيه اسمه بشخصية «فاجين» المعادى للسامية فى رواية أوليفر تويست لتشارلز ديكنز . وتدهورت العلاقة بين الصحافة ويهود أمريكا بعد الغزو الإسرائيلى للبنان فى صيف عام ١٩٨٢ ووصلت العلاقة بين الطرفين إلى ما يشبه الحرب ، وبدأت المنظمات اليهودية مثل لجنة يهود أمريكا فى رصد تفاصيل المواد المنشورة التى تبدو منحازة ضد إسرائيل .

ومن أبرز المواجهات التى حدثت تلك التى أعقبت مذابح صبرا وشاتيلا التى اعتمدت بدرجة كبيرة على مصادر فلسطينية وقدرت الأخبار الأمريكية أعداد الضحايا المدنيين بعشرات الآلاف ، فى حين أن التقديرات الرسمية الإسرائيلية ذكرت فيما بعد عدد الضحايا بما يقرب من الألف شخص . ولكن فى سبتمبر التالى خرجت مظاهرة إسرائيلية من ٤٠٠ ألف شخص للاحتجاج على الحكومة الإسرائيلية بسبب المذابح . وهنا هدأت قليلا حدة الهجوم اليهودى على الصحافة الأمريكية ، فالمسألة ببساطة، لم تعد الادعاء بأن هؤلاء الكتاب أعداء للسامية بعد أن انتقد الإسرائيليون أنفسهم حكومتهم .

وتجددت المواجهة مرة أخرى بين اليهود والصحافة الأمريكية فى اكتوبر ١٩٩٠ بعد الأخبار التى نشرت حول مذبحة وقعت فى الحرم الشريف بالقدس ، فقد فتح البوليس الإسرائيلى النار على المصلين العرب خارج المسجد بالقدس وأسقط ١٧ قتيلا . وبعد أسبوعين فقط أظهر تقرير لجنة إسرائيلية أن الشرطة فتحت النار بعد أن بدأ العرب فى إلقاء الحجارة على مجموعة من المصلين اليهود عند حائط المبكى ، ولكن مايك والاس فى برنامج (ستون دقيقة) قال انه لم يكن هناك خطر وإنما الشرطة الإسرائيلية أصابها الذعر . وتعددت الشكاوى من المنظمات اليهودية الأمريكية ضد رئيس شبكة سى بى اس لورانس تيش ، وقد دخل تيش بدوره فى مواجهة كبيرة مع المنتج المنفذ دون هويت بسبب ذلك البرنامج رغم أن هويت من أكثر الشخصيات المحترمة فى مجال الصحافة التليفزيونية . ثم أن الاثنين تيش وهويت من اليهود ، ولكن تيش اتهم هويت بقوله «لقد خنت أهلك» . ولكن بعد تحقيقات مطولة فى إسرائيل قضت محكمة إسرائيلية بأن الشرطة قد أصابها الذعر فعلا وأطلقت النار بدون ضرورة ، وتأكدت بذلك صحة ما قاله والاس فى

برنامجه ، واضطر آبى فوكسمان مدير لجنة مكافحة تشويه الصورة لنشر خطاب اعتذار علنى لهويت . وربما كان الأكثر إثارة للجدل فى التغطية الإخبارية لذلك الحادث فى شبكة سى بى إس هو لورانس تيش نفسه ، فقد ظلت الشائعات تتردد فى نيويورك بأن تيش اشترى الشبكة عام ١٩٨٦ لرغبته فى معالجة الانحياز الإعلامى ضد إسرائيل ، وهو ما ينكره تيش قائلا ان دوافعه كانت استثمارية بحتة . كان تيش من أكثر الشخصيات اليهودية نشاطا فى مجال التبرعات والأعمال الخيرية اليهودية . وكان رئيسا سابقا لمنظمة النداء اليهودى الأمريكى ، مكتب نيويورك ، وتمكن تيش وشقيقه بريستون من تكوين سلسلة من الفنادق فى أنحاء الولايات المتحدة بالإضافة إلى شركة للدخان وممتلكات أخرى عديدة ، ولم تكن له أية علاقة بوسائل الإعلام، وإذا كان الدفاع عن إسرائيل هو هدفه إذن فاختيار (سى بى إس) لشرائها أمر غريب ، حيث كان النقد ينصب أساسا على شبكة (إيه بى سى) كأسوأ مثل للانحياز ضد إسرائيل ، تليها شبكة (إن بى سى) ، أما النقد الذى تعرضت له (سى بى إس) فقد كان من الأمور العارضة فقط ربما مرة فى العام ، ولكن على أية حال كانت (سى بى إس) هى الوحيدة التى عرضها مؤسسها ومالكها اليهودى ويليام بيلى للبيع .

كما اشتهرت الشبكة بالتغطية الجيدة للأحداث والترفيه الراقى أيضا . وبعد شراء تيش للشبكة لم يجد سبيلا للتأثير على البرامج الاخبارية وتعلم أن الصحفيين لا يقبلون التدخل الخارجى فى عملهم وأن العملية الاخبارية أمر مقدس بالنسبة لهم . أما وجه التدخل الوحيد الذى تمكن منه تيش فهو خفض الانفاق مما أدى إلى تقليل عدد المحررين وانخفاض معدلات مشاهدة برامج الشبكة من المرتبة الأولى إلى الثالثة . ويقول والاس ان تيش منذ شرائه المحطة لم يمارس عليه ضغوطا قبل أن يتم بث القصص الاخبارية الخاصة بإسرائيل على الهواء . ولم يتدخل فى العمل إلا للتأكد من دقة التغطية الاخبارية . وبرغم أن تجربة تيش فى شبكة (سى بى إس) وأهدافها الاستثمارية البحتة لا تعكس أى تركز لليهود فى وسائل الإعلام فإنها نجحت فى ترسيخ هذه الفكرة لدى الرأى العام . وكلما اتسع نطاق ممتلكات كبار الناشرين قلت سيطرتهم على المحتوى الإعلامى لممتلكاتهم الصحفية والإذاعية ، وهم يدخلون إلى هذا الحقل لأسباب تتعلق بالربح المالى ، ولا يرغب أى ناشر فى أن يتدخل فى سياسة التحرير لأسباب أيديولوجية إذا كان ذلك سيأتى على حساب الأرباح المالية .

هناك اثنان فقط من أباطرة الصحافة كان لديهم الاستعداد لتحمل الخسائر من أجل أفكارهم الأيديولوجية، أحدهما هو روبرت مردوخ (نيوز كوربوريشن) مالك جريدة نيويورك بوست التى حققت خسائر منتظمة ثم استثمر مبالغ مالية ضخمة فى جريدة (ويكلى ستاندرد) لنشر أفكاره المحافظة . والثانى هو سالزبرجر وعائلته أصحاب جريدة نيويورك تايمز ، وقد حققت الجريدة خسائر كبيرة فى السنوات الأخيرة بعد أن توسعت فى التغطية الإخبارية فى الوقت الذى انكمش فيه حجم هذه التغطية فى الجرائد الأخرى.

ولكن هناك مستثمرين أصغر حجما نجحوا فى التأثير على سياسة التحرير من خلال صحف صغيرة الحجم . من هؤلاء سمسار العقارات مورتيمر سوكرمان الذى بنى امبراطورية صغيرة فى الثمانينات تشمل مجلة (يو إس نيوز أند وورلد ريبورت) و(أتلانتيك مونثلى) و (نيويورك ديلى نيوز) ، وأثبتت هذه المجلات والصحف الأصغر حجما قدرتها على نشر الأفكار الجديدة ، ونجح سوكرمان فى أن يحول مسار الحديث إلى الكيفية التى يرى بها اليهود باقى العالم ، وذلك من خلال نشر المقالات المختلفة حول تغير طبيعة الإسلام أو نفوذ العرب فى وزارة الخارجية الأمريكية .

ومن أشهر الصحف التى يمتلكها اليهود جريدة (نيو ريبابليك) ويمتلكها ويرأس تحريرها مارتين بيريز . وتحتفظ الجريدة بحق الهجوم على أى جماعة أو أى فكرة باستثناء جماعتين فقط هما إسرائيل والشواذ ، بل على العكس ركزت الجريدة على مخاوف هاتين الجماعتين أو على الأقل ابداء التفهم الكامل لهذه المخاوف . ولا تجد جماعات أخرى نفس الاهتمام من الجريدة مثل السود أو المرأة أو المسيحين الأمريكيين .

ورغم نفوذ أفراد يهود فى وسائل الإعلام الأمريكية إلا أن هذه الوسائل لا تبدى اهتماما كبيرا بالبحث فى أمور الطائفة اليهودية وأنشطتها ، ولكن الاستثناء الوحيد فى ذلك هو مجموعة صغيرة من الدوريات العرقية والدينية وهذه يطلق عليها اسم (الصحافة اليهودية) وتشمل مئات الصحف الأسبوعية وعددا مماثلا من المجلات الشهرية والربع سنوية وتنشرها الاتحادات والمنظمات اليهودية على مستوى الدولة والمستوى المحلى فى الولايات والمدن ، وهناك عدد قليل من هذه الدوريات ذو طابع سياسى مثل مجلة (مومينت) الشهرية التى تصدر فى واشنطن و(جويش پريس) فى بروكلين نيويورك وهى متطرفة يمينيا، أما الباقية فهى مجلات تمتلئ بأخبار المعابد وشجاعة إسرائيل .

أما بالنسبة للعدد القليل من الصحف التى تظهر استقلالية وذكاء فى أسلوب التحرير إما خوفا من غضب الناشرين أو القراء فلا ينظر إليها باعتبارها مصدرا للمعلومات حول حياة يهود أمريكا وأفكارهم ، ويبرز فى هذا المجال اسم صحيفة «نيويورك تايمز» . وبرغم أن جريدة نيويـــورك تايمز ليست من أعلى الجرائد توزيعا فى الدولة أو حتى فى مدينة نيويورك ولكن ترجع أهميتها إلى أن قراءها من أكثر الشخصيات نفوذا فى أمريكا ، وهؤلاء يعتبرون (نيويورك تايمز) مصدرا أساسيا للمعلومات، وقد حافظت هذه الجريدة على موقعها الفريد بسبب محافظتها على مصداقيتها ، وبسبب هذه المصداقية نجد أن الصحفيين من الجرائد الأخرى وشبكات الإذاعة يبدأون يومهم بقـــراءة (نيويورك تايمز) مع فنجـان القهوة ، أى أن هذه الجريدة تحدد أجندة العمل الصحفى لباقى الصحف ووسائل الإعلام . وفى أعين العالم تبدو نيويورك تايمز صحيفة يهودية وربما اكتسبت الجريدة هذه السمعة من ملكية عائلة يهودية لها؛ فقد اشترى أدولف أوكس الجريدة عام ١٨٩٦ وتوارثتها عائلته، ويجلس على قمتها الآن آرثر سالزبرجر الحفيد الذى نشأ فى أسرة من أب يهودى وأم مسيحية وجرى تعميده فى طفولته ولكنه يؤكد أن ٩٩٪ من الناس يعتبرونه يهوديا وأنه يحرص على اصطحاب أطفاله فى طقوس عيد الفصح اليهودى حتى لا ينشأوا فى عزلة عن الدين كما حدث له فى صغره . ومن جانب آخر يؤكد أن نيويورك تايمز ملكية يهودية ولكنها ليست جريدة يهودية «نحن أمريكيون من أصول يهودية ولسنا يهودا نعيش فى أمريكا» .

وقد عملت أسرة سالزبرجر على تحاشى نظرة القراء لجريدتهم باعتبارها يهودية ، ودرجت الأسرة على اجبار المحررين ذوى الأسماء اليهودية الواضحة على التوقيع بالأحرف الأولى . مثل إيه . إم . روزنتال حيث إن اسمه الأول آبرهام . والأخطر من ذلك رفض ناشرى الجريدة تصعيد المحررين اليهود إلى مناصب تحريرية عالية ، ولكن هذه القاعدة تغيرت عام ١٩٦١ عندما وصل بانش سالزبرجر إلى منصب الناشر ، ففتح الباب أمام اليهود للحصول على أى منصب بفضل الكفاءة والعمل ، وتحطمت القاعدة تماما عـام ١٩٧٦ عندما وصل روزنتال إلى منصب رئيس التحرير المنفذ . ومنذ ذلك الحين لم يجلس فى هذا المنصب إلا اليهود .. ويقول المؤلف جاى تيليس فى كتابه «المملكة والسلطة» «ان الجريدة تراجعت إلى الوراء لتثبت أنها ليست جريدة يهودية» رغم رؤساء التحرير اليهود الذين تعاقبوا على قيادتها .

وقد اتخذ روزنتال قرارا ترك أثرا كبيرا على أسلوب معالجة الجريدة لشئون الطائفة اليهودية حيث قرر عام ١٩٦٣ حين أصبح مسئولا عن تحرير صفحات العاصمة إلغاء تغطية طبعة يوم الإثنين لأخبار الكنيسة وبدلا من ذلك أرسل المحررين للقاء الناس ونقل تجربتهم الدينية بدلا من تغطية أخبار المؤسسة الدينية الرسمية . وطبق روزنتال نفس القاعدة الجديدة على المنظمات اليهودية القومية وقد أثار هذا غضب هذه المنظمات . ويقول روزنتال «إن لقاءات هذه التنظيمات لم تكن أخبارا وانتقلت الجريدة مباشرة من التغطية الموسعة جدا إلى الضئيلة جدا» . وأصبح هذا هو الوضع السائد خلال السبعينات والثمانينات فى نفس الوقت الذى حاز فيه اليهود قوة ونفوذا متزايدين فى أمريكا . ولكن بعد أن تولى ماكس فرانكيل المنصب بعد روزنتال بدأت نيويورك تايمز فى التوسع التدريجى فى تغطية المسائل اليهودية بإفراد مساحة للمقالات فى باب السياحة أو كتابة الاعترافات فى المجلة التابعة للجريدة ، كلها بأقلام يهودية اندمج أصحابها فى المجتمع الأمريكى تماما ولديهم صراعات داخلية حول مفهومهم ليهوديتهم . ثم اتخذ الخطوة الأخيرة جوزيف ليفلاند - بعد فرانكيل - حيث كان أبوه حاخاما والرئيس السابق لمنظمة المؤتمر اليهودى الأمريكى عندما تولى ليفلاند المنصب عام ١٩٩٤ حيث قدم الأخبار الخاصة بيهود أمريكا لأول مرة وأصبح اليهود كطائفة عناصر مرئية على صفحات نيويورك تايمز .

الفصل الثانى عشر

اليهود والسود

ذات مساء هادئ وفى أواخر أغسطس عام ١٩٩١ ، وقع حادث سيارة فى حى «كراون هايتس» فى بروكلين ، فقد اختلت عجلة القيادة تحت يد السائق وهو من اليهود الهاسيديك ولقى الطفل ، الأسود ، جاڤين كاتو - ٧ سنوات - مصرعه على الفور كما أصيبت ابنة عمه أنجيلا فى الحادث .

كانت الساعة الثامنة والربع مساء عندما وقع الحادث ، وتجمع أطفال الحى بسرعة وانتشرت الشائعات بسرعة كبيرة قيل إنه جاءت سيارة اسعاف خاصة نقلت سائق السيارة فقط دون الطفلين ، والسائق هو المساعد الشخصى لحاخام معبد لوباڤيتش وهو رجل دين منعزل وزعيم اليهود الهاسيديك فى الحى ، وقيل أيضا ان الشرطة لن توجه تهمة القتل للسائق محاباة لليهود .

بينما الحقائق هى أن الشرطة استدعت سيارة الاسعاف لتنقل السائق بسرعة قبل أن يقتل بأيدى سكان الحى السود ، وأن السيارة كانت جزءا من موكب الأمن الذى يصحب الحاخام يوميا من وإلى مقبرة والد زوجته ، وأخيرا أن القاضى فى حادث كهذا لا يوجه تهمة القتل ولا يدين السائق .

بعد وقت قصير تحول التجمع فى مكان الحادث إلى مسيرة احتجاج اتجهت نحو معبد لوباڤيتش ، وعندما وصلت المسيرة إلى مقر المعبد تحولت إلى مظاهرة غاضبة وقذف بالحجارة وشعارات ساخنة « لا عدل ولا سلام» ، وبدأ البعض فى إلقاء الحجارة على منازل اليهود ومحالهم التجارية . ثم فى الساعة الحادية عشرة والثلث قامت مجموعة من الشباب بمهاجمة يهودى ارثوذكسى عند خروجه من محطة المترو وضربوه بعنف بالغ ، هذا الرجل هو السائح الاسترالى يانكيل روزنباوم والذى مات متأثرا بجراحه بعد ثلاث ساعات من نقله للمستشفى .

استمرت أعمال العنف حتى ساعة متأخرة من الليل ثم تجددت فى الصباح وظلت لمدة ثلاثة أيام متتالية ، ردد خلالها السود شعارات «لا عدل ولا سلام» و«اليهود - اليهود»

و«هاى هتلر» وهاجموا المارة اليهود – وعندما حاول عمدة المدينة الأسود التدخل من أجل إعادة الهدوء قذفه السكان الغاضبون بالزجاجات والحجارة . وبحلول يوم الثلاثاء وبعد انتهاء موجة الغضب كانت نيويورك قد شهدت أسوأ اضطرابات مدنية منذ عشرين عاما واجه اليهود خلالها أسوأ وأطول وأعنف هجوم خلال تاريخهم فى أمريكا طوال ٣٠٠ عام، وأول عمل منظم معاد للسامية فى تاريخ الدولة .

وبالنسبة ليهود «كراون هايتس» كانت الأحداث تذكرهم بالمذابح التى تعرض لها يهود روسيا القيصرية أثناء موجات العنف التى تكررت هناك فى الماضى ، ولكن بالطبع هناك فارق كبير حيث كانت أحداث الماضى تتم بتنظيم ودعم من الحكومات الأوربية والروسية ولكن فى كراون هايتس لم يكن هناك أى تدخل حكومى ، وخلال أسابيع من أحداث كراون هايتس تحول رد الفعل العاطفى بين يهود الهاسيديك إلى موقف سياسى ونشرت الطائفة اعلانا على صفحة كاملة فى صحيفة نيويورك تايمز تحت عنوان «ليلة الكريستال» وهى ليلة شهيرة من نوفمبر ١٩٣٨ عندما اشتعلت أعمال العنف ضد اليهود فى ألمانيا النازية والتى يشير لها المؤرخون باعتبارها الشرارة الأولى فى الهولوكست ، وجاء فى الإعلان «يهود كراون هايتس لن يخافوا ، لأننا إذا هربنا سيكون دوركم هو الآتى ، ولو خضعنا لتهديد النازى وتخلينا عن الحى وحقوقنا كمواطنين أمريكيين فإن يهود أمريكا كلهم سيتعرضون للخطر » .

ولكن هذا الإعلان الشديد اللهجة لم يعكس رأى التيار العام من القيادات اليهودية فى نيويورك حيث لم ير معظم الليبراليين أن أحداث كراون هايتس حلقة جديدة من الهولوكست ، وإنما مجرد صدام عرقى من ذلك النوع الذى أصبح مألوفا فى مدن أمريكا . ويقول دافيد لوشينز، المتخصص فى العلوم السياسية – وهو من الأرثوذكس – « انه صراع قبلى بين مجموعتين عرقيتين وليس ليلة كريستال جديدة» ، كما يقول أيضا انه بعد أسبوع واحد من تلك الليلة فى المدينة كان موعد طابور العرض الخاص بالكاريبى وفى مقدمة الاستعراض كان الحاخام شامونيل بوتمان من معبد لوباڤيتش ماريشال الشرف وظهرت صورته على الصفحة الأولى لجريدة نيويورك تايمز ، وبالطبع لم تقم ألمانيا بعد أسبوع من ليلة الكريستال طابور عرض يتقدمه يهودى ويسير فى أنحاء المدينة وسط تهليل سكانها » .

فى شهر سبتمبر اتفق مجلس علاقات الطائفة اليهودية فى نيويورك ووكالات الدفاع اليهودية الثلاث وقيادة يهود الهاسيديك فى نيويورك على تنظيم مسيرة للاحتجاج على

معاداة السامية . وحتى لا تتحول المسيرة إلى مواجهة عنصرية طلب الليبراليون عدم دعوة أى مسئولين سياسيين للمشاركة وبخاصة العمدة السابق للمدينة ادوارد كوخ – وهو يهودى – والذى تميز بكلماته الساخنة التى جعلته رمزا للانقسامات العنصرية فى نيويورك . ولكن كوخ جاء على أية حال بدعوة شخصية من كينيث بيالكين رئيس مجلس علاقات الطائفة اليهودية .

وقد أثبت تحقيق رفعت نتائجه إلى حاكم ولاية نيويورك عام ١٩٩٣ أن أحداث كراون هايتس شئ لم يسبق له مثيل فى نيويورك كأحداث اضطراب مدنى، ووصف التقرير الأحداث بأنها هجوم متعمد وموجه ضد فئة محددة من المجتمع .

وربما تكون الأحداث قد بدأت على نحو تلقائى ولكنها استمرت لمدة ثلاثة أيام وبصورة منظمة ، وقد توجه أكثر زعامات السود تشددا مثل سونى كارسون والقس آل شاربتون لتنظيم المظاهرات وتعبئة الغضب فى اليوم التالى لحادث السيارة ، وكان هدف الاثنين هو مثول سائق السيارة أمام العدالة ، وهذا هو الهدف المباشر، أما الهدف الأوسع فهو أن يجعلا من موت الطفل جاڤين كاتو دليلا ورمزا على قمع اليهود للملونين فى كل مكان ، كما حول القس شاربتون جنازة كاتو إلى مظاهرة شعبية ضد اليهود . وانصبت كلمات الرثاء على الهجوم على أخطاء اليهود بداية من الشرق الأوسط وحتى جنوب إفريقيا . قال القس « يقول الكتاب المقدس : الإنسان يجنى ما يزرع ، من زرع العنف؟ .. أنتم زرعتم العنف ، أنتم أخذتم إخوانى إلى الخليج ودربتموهم على القتل .. فلا تتكلموا عن العنف الآن » .

وفى المقابل رد اليهود المحافظون بحملة منظمة بهدف مثول قتلة السائح الاسترالى يانكيل روزنباوم أمام العدالة ، وهذا هو الهدف المباشر ، أما الهدف الأكبر فهو تحويل أحداث كراون هايتس إلى رمز ودليل على عداوة السود نحو يهود أمريكا . وفى أكتوبر ١٩٩٢ برأ المحلفون المشتبه فيه الوحيد فى حادث مقتل روزنباوم برغم العثور عليه على بعد مسافة قليلة من مكان الحادث مختبئا وحاملا سكينا ملوثة بالدماء فى جيبه . ورغم تعرف روزنباوم عليه قبل وفاته ، وقد ضمت هيئة المحلفين تسعة من السود واثنين من الهيسبانيك – ذوى الأصل الإسبانى – وواحدا أبيض ، وقد ذهب المحلفون للاحتفال مع نيلسون ببراءته . وقد أثار الحكم ببراءة نيلسون غضبا يهوديا شديدا وصعد من سخونة الحملة اليهودية ، وتزعم الحملة نورمان روزنباوم شقيق القتيل وهو محام جاء من استراليا واستقر فى نيويورك، وشاركه تحالف من الأرثوذكس والصهاينة الليكوديين المتشددين

وجمهوريين محافظين ، واعتبر هؤلاء جميعا حادث يانكيل روزنباوم رمزا للأخطار التى يواجهها اليهود ليس فقط من جانب السود المتعصبين ولكن أيضا من جانب المعتدلين وحلفائهم الليبراليين داخل مؤسسة اليهود الليبرالية .

وبسبب تصاعد الأحداث عقد المجلس الاستشارى لشئون علاقات الطائفة اليهودية جلسة طارئة لمناقشة أزمة علاقات اليهود والسود ، واجتمع أكثر من مائة شخص فى مقر لجنة مكافحة تشويه الصورة فى نيويورك يمثلون الوكالات اليهودية القومية الرئيسية وقرابة مائة آخرين يمثلون المجتمعات اليهودية المحلية من أنحاء الدولة . وباستثناء يهود شيكاغو ، حيث يعيش هناك الزعيم المسلم الأسود المعادى للسامية لويس فرقان – لم يشكُ أحد من وجود أزمة بين اليهود والسود ، وأعرب الجميع عن أن العلاقة بين الطرفين لم تتغير . وبصفة عامة نجد أن أحداث كراون هايتس غير مسبوقة بالنسبة ليهود أمريكا ولا يحمل اليهود والسود مشاعر عدائية كل تجاه الآخر ، ولكن تلك الأحداث أحاطت بها مجموعة من الملابسات والظروف ، حيث انفجرت المشاعر العرقية فى منطقة مضطربة وتصاعدت بسبب تكريس وشحن شخصيات متشددة للمشاعر الملتهبة ولذلك تحولت إلى هجوم منظم ضد فئة صغيرة فى المجتمع . ولكن بعد تلك الأحداث ظهرت مجموعة صغيرة من المعتدلين على الجانبين تحاول تأكيد أن المتشددين المدافعين عن كل طرف تمادوا فى تطرفهم وتشددهم . وفى المقابل تصاعدت الدعوة بين اليهود والسود لعدم التهاون فى تقدير اساءة الآخرين والأخطار التى يشكلونها واعتبرت أى محاولة لتهدئة النفوس خروجا على الولاء للجماعة .

فى معظم سنوات القرن العشرين كان اليهود والسود لهما عدو مشترك وهو عنصرية البيض المسيحيين ضدهم . وقد خلق وجود هذا العدو المشترك نوعا من التضامن بين الجماعتين، وجعل من هذا التضامن قيمة أخلاقية مهمة لهما ، ولكن جاءت أحداث كراون هايتس لتضع نهاية للوضع القديم . ويشكل ما كان اسكات صوت المعتدلين هدفا للمتشددين منذ بداية الأحداث ، وتولى الحاخام فيليب أبراموفيتس من المجلس الاستشارى لعلاقات الطائفة اليهودية محاولة تهدئة النفوس بين يهود الهاسيديك ولكن زعماءهم أصدروا تصريحات علنية تدين الوكالات اليهودية وتتهمها بالتخلى عن إخوانهم ، ثم حاول بعد ذلك وفد مشترك من لجنة يهود أمريكا وناكراك أن يتدخلوا لتقييم الموقف وبحث سبل لمداواة الجروح ولكن الصحف اليومية تجاهلت هذه الجهود .

وتعد علاقات الطائفة اليهودية بغيرها من فئات المجتمع من أقدم حلقات الهيكل الاجتماعي ليهود الشتات ، وفى العصور القديمة عندما كان اليهود يعيشون فى مجتمعات مغلقة عليهم كانت أهمية هذا العمل هو خلق همزة وصل بين الأفراد اليهود والسلطة ، وبحث حقوق اليهود فى المجالات الاجتماعية والاقتصادية وتحديد الضرائب المفروضة على اليهود ، ولكن فى أمريكا الحديثة أصبح دور العلاقات الطائفية لليهود ينصب أساسا على الدفاع عن مصالح يهودية محددة ضد أعداء السامية والعنصريين، وعلى نطاق أوسع الدفاع عن أمن إسرائيل ومراقبة الذبح الحلال فى طعام الكوشير والدفاع عن قيم دينية خاصة مثل التسامح .

أما إدارة علاقات اليهود مع فئات المجتمع الأخرى مثل السود أو الهيسبانيك فهى قفزة كبيرة إلى أعلى ، ويشير علماء السياسة أن إدارة هذه العلاقات مسألة حتمية ومهمة حيث إن طبيعة الديمقراطية الأمريكية تعتمد بدرجة كبيرة على التفاعل والتداخل بين الجماعات الأمريكية المختلفة غير الرسمية خارج الإطار الحكومى، وتلعب هذه الجماعات غير الرسمية دورا مهما فى الوساطة بين الأفراد والمجتمع والحديث باسم الأقليات، ويطلق النقاد على هذه الجماعات اسم «جماعات المصالح الخاصة» أما مؤيدوها فيطلقون عليها اسم «الجماعات التطوعية» ويعتبرونها أحجارا أساسية فى بناء المجتمع الأمريكى .

وتختلف جماعات المصالح الخاصة عن بعضها البعض من حيث الشكل والحجم وتشمل الكنائس والغرف التجارية وجماعات الدفاع عن البيئة أو نوادى السلاح وغير ذلك، ودورها فى أمريكا قديم قدم الدولة نفسها . وعندما تعمل هذه الجماعات على أفضل مستوى فإنها تتمكن من مقاومة احتكار الحكومة للسلطة وبهذا فهى تستطيع حماية الضعفاء وتمنع استبداد الأغلبية . وقد يبدو لنا هذا فى دولة ديمقراطية عملا غير ديمقراطى بالمرة حيث لا تستطيع الأغلبية أن تحقق رغباتها بسبب الأقليات .

ولعل أبرز إسهامات اليهود فى الديمقراطية الأمريكية هو حماية حقوق الأقلية الضعيفة وتوفير الحماية القانونية لها من الأغلبية من خلال المحاكم والمجالس التشريعية . واعتبر اليهود أنفسهم شركاء شرعيين فى العملية الديمقراطية يتحدثون باسمهم كجماعة ضعيفة وباسم الجماعات الأخرى التى لا تستطيع الحديث . وحاز اليهود هذه الشرعية خلال الربع قرن الممتد بين الحرب العالمية الثانية وحرب فيتنام ، ففى تلك الفترة تحالف اليهود والسود معا ووضعوا الإطار القانونى والتشريعى للحريات والحقوق المدنية الحديثة فى أمريكا ، وأصبحت منظمات اليهود والسود تحظى بصورة عامة كصوت الضمير

وصوت المقهورين . كما أصبحت صورة الضحية سلاحا أساسيا فى ترسانة النفوذ السياسى اليهودى ، وكذلك أيضا بالنسبة للسود ، وتقوم البرامج السياسية للجماعتين على أساس الافتراض بأنهما لا حول لهما ولا قوة وأنهما تتحدثان بصدق إلى السلطة الفعلية وتطلبان اعتراف الآخرين بهما، ورأى اليهود والسود أن أعمالهما غير عدوانية حيث إنهم ببساطة لا يمتلكون القوة . ولكن أن يقوم زعماء الضحايا ، السود ، بالهجوم على بعض أعضاء جماعتهم وهم ضحايا أيضا ، اليهود ، فهذا هو عين التعصب. وقد استخدمت وكالات الدفاع اليهودية قوة هذا السلاح وهو الضحايا فى مجالات عديدة مثل الحكومة والاقتصاد والحوار بين الأديان ، ويبرز لنا هذا المعنى من الحوار بين اليهود والكنيسة الكاثوليكية الرومانية والذى بدأ فى الستينات ، ومن وجهة نظر الفاتيكان فهذا الحوار هو محاولة لتحقيق التفاهم بين الديانتين ، أما من وجهة نظر اليهود فكان هدف الحوار هو إزالة التعاليم المعادية لليهودية من بين تعاليم الكاثوليكية ، هذا الاصرار من جانب بعض اليهود جعل الكاثوليك ينظرون اليهم باعتبارهم متعصبين .

ويقول يوجين فيشر مدير قسم العلاقات اليهودية الكاثوليكية فى الاتحاد القومى للأساقفة الكاثوليك «يشعر بعض الكاثوليك بالاستياء ولكن الأساقفة من موقعهم الدينى يستطيعون رؤية آلام الآخرين ، ونحن نعرف جيدا أن جروح اليهود عميقة »، هذا النوع من التسامح أمر أساسى فى الاستراتيجية السياسية لليهود عند تعاملهم مع الجماعات الأخرى . وقد استمر الوئام بين اليهود والسود طالما كان لهم عدو مشترك، وعندما توقف الطرفان عن التركيز على هذا العدو ، عنصرية البيض ، انصب تركيز كل طرف على الآخر ، وكل طرف انتظر من الآخر العطاء والتسامح . وقد ارتبط هذا التحالف بين اليهود والسود بمفاهيم الليبرالية الأمريكية ، وفي خيال الليبراليين أصبح هذا التحالف علاقة حب تجمع الملايين من السود واليهود ، ولكن مؤخرا أصبح من المألوف أن يقال ان هذا التحالف لم يكن موجودا على أرض الواقع . ولكن الحقيقة أن كلا القولين خطأ ، فقد كان التحالف عبارة عن علاقة عمل رسمية بين مؤسسات الجماعتين . وكما تقول زعيمة الحقوق المدنية اليانور هولمز نورتون «يوجد تحالف طبيعى بين الاثنين ، ويظهر تماما بين القيادات القومية من السود واليهود بما فى ذلك أعضاء الكونجرس وقيادات حركة الحريات المدنية ، وهو تحالف فعال على المستوى القومى إلى المستويات المحلية » .

وقد بدأ ظهور هذا التحالف فى المرحلة الأخيرة من الحرب العالمية الثانية حين شكل المجلس القومى لتنمية الملونين وناكراك مجلسا مشتركا لإعادة النظر فى اللجنة الرئاسية

لعدالة التوظيف ، ثم في عام ١٩٥٠ قرر المجلس أن يوسع نطاق أعماله والقيام بحملة أكبر ضد العنصرية فى الإسكان والتعليم والتوظيف ، وهى القطاعات التى يشكو منها اليهود والسود على حد سواء ، وعرف هذا المجلس باسم (قيادة مؤتمر الحقوق المدنية) وكان روى ويلكيز مدير ناكراك رئيسا له ، كما اتخذ المجلس من مكتب ناكراك مقرا له حتى عام ١٩٦٣ ثم انتقل المقر بعد ذلك إلى واشنطن حيث مكتب الحركة الإصلاحية .

ومن الصعب أن نقول ان هذه الفترة شهدت تعاونا كبيرا بين اليهود والسود ، حيث ركزت أجندة عمل اليهود على الفصل بين الكنيسة والدولة فى حين ركز السود على ضرورة الاهتمام بتنمية الجنوب وحل مشاكله، كما أنه من الصعب القول بأن الجهود ضد التفرقة العنصرية عكست تعاونا قويا ، ويقول ويل ماسلو إن «الهجوم الاستراتيجى بالنسبة للسود كان موضوعه التفرقة العنصرية فى المدارس ، وقد أعطيناهم تأييدا معنويا كبيرا دون مساعدة فعلية بنفس الحجم ، وفى معظم الأحوال كان السود قادرين على إدارة المعركة بأنفسهم ، كما أنهم ، السود، فى أحوال نادرة استطاعوا مساعدتنا » .

وعلى المستوى الأمريكى العام كانت قوة التحالف بين السود واليهود تفوق حقيقته الواقعية ، ولكن اكتسب هذا التحالف قوة أخلاقية لمجرد أنه يضم جماعتين من الضحايا تؤازر كل منهما الأخرى ، ومن هنا اكتسب التحالف بينهما أهمية على المستوى الفيدرالى ومستوى الولايات والمحليات أيضا . وكان من نتيجة ذلك أنه فى الفترة من ١٩٤٥ إلى ١٩٥٠ طبقت حوالى عشر ولايات أمريكية عدالة التوظيف بها . ثم فى الخمسينات انتقل الصراع من أجل الحقوق المدنية من مجالس التشريع إلى ساحات القضاء ، وكان النصر الحاسم عندما قضت المحكمة العليا بعدم مشروعية التمييز العنصرى فى المدارس ، وقد جاء هذا الحكم بعد اقتناع القضاء بما جاء فى بحث مهم أثبت أن التمييز العنصرى يؤذى الأطفال السود ، هذا البحث أجراه الباحث الاجتماعى الأسود كنيث كلاركس بتمويل من لجنة يهود أمريكا . ثم جاء النصر التالى عندما أقرت المحكمة العليا أيضا مبدأ «رجل واحد - صوت انتخابى واحد » فى عام ١٩٥٩ والذى منح السود حقوقهم الانتخابية بعد معركة فى ساحات القضاء استمرت لمدة عشر سنوات قادها محام من أبناء يهود چورچيا هو موريس أبرام والذى أصبح فيما بعد رئيسا للجنة يهود أمريكا.

وقد كان الصراع من أجل الحقوق المدنية فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية يسير على محورين ، الأول هو المحور القانونى الذى نظمه اليهود والسود بداية من عام ١٩٤٥ وانتهى بإقرار الكونجرس لقانون الحريات المدنية عام ١٩٦٤ ثم حق الانتخاب للسود

عام ١٩٦٥ . والثانى هو الكفاح الشعبى فى الجنوب الذى اشترك فيه الطلاب والمدافعون عن الحقوق المدنية تحت قيادة القس مارتن لوثر كينج ، وبوفاة كينج فى ممفيس عام ١٩٦٨ سيطر منشقون سود على حركة موازية للحقوق المدنية . وبرغم العلاقة التى تربط بين الحركتين إلا أن عمل كل منهما كان مستقلا، الأولى كانت تسعى فى الشمال لتغيير القوانين، والثانية كانت تسعى فى الجنوب لتغيير السلوكيات والمفاهيم . وقد عكست الحركتان التعاون بين اليهود والسود ، ولكن الحركة الشمالية فقط هى التى دخلت فى التحالف الرسمى بين الجماعتين وبقيت الجنوبية حركة تعمل وتدافع عن حقوق السود، وانضم اليها عشرات الآلاف من البيض كمدافعين عن الحرية ، وتطوع آلاف آخرون بالعمل كمحامين أمام القضاء وساعدوا على تنظيم المسيرات وتبرع البعض بأمواله لتأييد الحركة ، ولكنها كانت حركة للسود يقودها السود وتنظمها مؤسسات السود .

ومن بين آلاف البيض المشاركين كان نصف العدد من اليهود حيث ذهب آلاف الطلبة اليهود إلى الجنوب فى العطلات الصيفية فى منتصف الخمسينات للمشاركة فى حركة الحقوق المدنية ، وتطوع مئات من المحامين اليهود للدفاع عن المساجين من أعضاء الحركة. من بين هؤلاء المحامى ستانلى ليڤيسون من نيويورك الذى لحق بكينج وأصبح من أقرب أصدقائه وأخلص مساعديه .

وقد لمعت أسماء أفراد من اليهود من المدافعين عن الحقوق المدنية للسود مثل الأخوين چويل وأرثر سبينجرام واللذين قادا ناكراك لعدة عقود ، ولويس مارشال رئيس لجنة يهود أمريكا وستيڤن دايز رئيس المؤتمر اليهودى الأمريكى ، وچوليوس روزڤالد صاحب محلات سيرز ومن أبرز المتبرعين اليهود بعد الحرب العالمية الأولى حيث كان أكبر مؤيدى تعليم السود خلال القرن العشرين ، وبنى أكثر من خمسة آلاف مدرسة ابتدائية من خلال تأسيسه لصندوق مالى عام ١٩١٧ قدم ٣٠ مليون دولار لصالح هذا الهدف ، وفى الستينات ذهب حاخامات بارزون إلى الجنوب للانضمام إلى مسيرة مارتن لوثر كينج من أجل الحقوق المدنية على رأسهم أبراهام چوشوا ميشيل .

ولكن متى بدأت أواصر التحالف بين اليهود والسود فى الانحلال ؟

يتفق الجميع على أن هذا قد حدث فى الستينات ، ولكنهم يختلفون حول الموعد المحدد والسبب المباشر ، ويقول البعض ان اضراب المعلمين فى نيويورك عام ١٩٦٨ هو السبب ، ويقول البعض الآخر ان اليهود مؤيدى إسرائيل شعروا أن السود قد خذلوهم عندما أخذ بعض السود يرددون الشعارات المعادية لإسرائيل عام ١٩٦٧ ، أما المحافظون فيقولون ان

التحالف قد تهاوى قبل ذلك فى عام ١٩٦٥ عندما تحولت حركة الحقوق المدنية إلى ثورة ضد العنصرية أساسا .

ولكن وجهات نظر الباحثين السود والصحفيين والسياسيين السود فى أمريكا تختلف بدرجة كبيرة عن وجهات النظر التى عرضناها من قبل ، ويقول ويليام چيبسون وهو رئيس سابق للمجلس القومى لتنمية الملونين ، ان عام ١٩٧٨ هو التاريخ الذى بدأ فيه التحالف بين اليهود والسود فى الانهيار . فى تلك السنة حكمت المحكمة العليا فى دعوى قدمها مسيحى أبيض من ولاية مينيسوتا هو آلان باك ، بأن بعض برامج مساعدة الأقليات تؤدى إلى التفرقة العنصرية ضد البيض . وقد أقام آلان باك دعواه فى المحكمة عندما رفضت كلية الطب فى جامعة كاليفورنيا عام ١٩٧٤ قبوله بين طلابها فى حين وافقت الكلية على التحاق طلبة آخرين بها أقل منه فى المستوى العلمى تحت برنامج إلحاق الطلاب من الأقليات والذى حدد نسبة هؤلاء بـ ١٦٪ من إجمالى الطلاب الجامعيين على مستوى الدولة، ودفع باك بأن هذا البرنامج قد انتهك حقه المدنى بتكافؤ الحماية المكفولة له بموجب القانون . وأمام المحكمة العليا قدمت منظمات الحقوق المدنية للسود مذكرات تؤيد موقف الجامعة ، بينما قدمت وكالات الدفاع اليهودية ، الثلاث الكبار ، مذكرات مؤيدة لآلان باك . ومن هنا بدأ الشقاق حول الحقوق المدنية الأساسية وخسر السود هذه المواجهة .

وتميزت ردود أفعال السود بالغضب الشديد واتهم القس چوزيف لووى ، الذى خلف مارتن لوثر كينج بعد وفاته ، اليهود بأنهم قادوا الحملة ضد برنامج جامعة كاليفورنيا . واتهم الصحفى لويس كلاينون چونز زعيم السود المعتدلين فى حركة الحقوق المدنية بايارد راستين وأصدقاءه من جماعة بناى بريث والمؤتمر اليهودى الأمريكى بنفس الاتهام ، وشبه القس چيسى چاكسون قرار المحكمة كأنه مسيرة للنازى وسط ضاحية سكوكى التى تعيش فيها أغلبية يهودية فى شيكاغو . وتسببت ردود الأفعال الغاضبة فى ظهور اتهامات يهودية للسود بمعاداة السامية .

كان يهود أمريكا منذ أواخر الستينات يهاجمون البرامج التى تعزز التفضيل العرقى والتى انتشرت فى أيام نيكسون ، واعتبرت منظمات يهودية مثل لجنة مكافحة تشويه الصورة واتحاد اليهود الأرثوذكس واليهود المحافظون هذه البرامج انتهاكا لتكافؤ الفرص الذى حاربوا طويلا من أجله ، فقبل ذلك التاريخ بربع قرن بدأت الولايات فى اعتبار نظام الحصة العرقية والذى أغلق أبواب الجامعات أمام اليهود نظاما غير قانونى ، ولكن الليبراليين يقودهم اتحاد الاصلاحيين والمجلس القومى للمرأة اليهودية دافعوا عن نظام

الحصة الجديد بقولهم ان هناك فارقا بين قانون يجعل من نظام الحصص العرقية وسيلة لإشراك الأقليات فى التيار العام وبين النظام القديم الذى أغلق الأبواب أمامهم .

وقد حاولت كل من لجنة يهود أمريكا والمؤتمر اليهودى الأمريكى استيعاب الموقف ، وجاء الاقتراح بتأييد القوانين التى تتيح الفرصة لزيادة عدد الطلاب السود فى المدارس المهمة وعدد العاملين فى الوظائف المحترمة من حيث المبدأ مع رفض أية حصص أو نظم تقوم على التقسيم العرقى . وقد شهدت ساحات القضاء عددا من الدعاوى فى أوائل السبعينات رفعها البيض بهذا الصدد ، وفى يناير ١٩٧٤ قامت وكالات الدفاع الثلاث برفع مذكرات للمحكمة العليا فى القضية التى حركها ماركو دى فيونيس بعد أن رفضت كلية الحقوق بجامعة واشنطن طلب التحاقه بها ، كما رفعت منظمات السود للحقوق المدنية ثلاث مذكرات معارضة لهيئة المحكمة وهدد الموقف بمواجهة كبيرة بين اليهود والسود ، كان دى فيونيس يهوديا ولكن «الثلاث الكبار» لم يعلموا بذلك عندما رفعوا المذكرات للمحكمة ، وبعد أن أصبحت ديانته مسألة معروفة وعلنية أصرت الوكالات الثلاث على أن تأييد الطالب مسألة مبدأ لا علاقة لها بالدين ، وهى استمرار لكفاح بدأ منذ مائة عام من أجل مجتمع لا ينحاز للون معين ويعامل أبناءه على قدم المساواة بغض النظر عن العرق أو الدين ، ولكن لم يقتنع السود بهذا الكلام واعتبروا أن اليهود يتعصبون لأنفسهم فقط ، ولكن لم ينقذ الموقف من الانفجار سوى رفض المحكمة العليا نظر الدعوى فى ابريل ١٩٧٤ ، وتسبب القرار فى تدعيم برنامج إلحاق الأقليات بالجامعة كما تسبب أيضاً فى هز العلاقة والتحالف بين السود واليهود . وبعد عام كامل من المناقشات الساخنة وأثناء المؤتمر العام لمنظمة ناكراك استقرت الأغلبية على تأييد الاقتراح الذى قدمته لجنة يهود أمريكا والمؤتمر اليهودى الأمريكى بتأييد القانون بصفة عامة ورفض البند الخاص بنظام الحصة العرقية ، ولم يعارض رأى الأغلبية سوى اتحاد اليهود الأرثوذكس الذى اعتبر أن أى نظام للحصص العرقية يعد انتهاكا للحق الدستورى بحماية الجميع على قدم المساواة.

وقد بدأت بعد ذلك جهود مكثفة لاصلاح الأمور بين اليهود والسود، والتقى زعماء الطرفين سراً وعلانية للتوصل إلى سبل الإصلاح . وعقد زعماء السود مؤتمرات صحفية للمطالبة بحرية اليهود السوفيت ، وانضمت المنظمات اليهودية إلى حركة السود من أجل مكافحة الفقر وزيادة الفرص الاقتصادية أمام السود، وقادت المنظمات حملة ضغط مكثفة فى واشنطن من أجل برامج الحقوق المدنية . وبعد صدور قرار الأمم المتحدة فى

ربيع ١٩٧٥ والذى يساوى بين العنصرية والصهيونية أسس زعماء سود بارزون ومثقفون أيضاً (لجنة السود لتأييد اسرائيل).

وبرغم حسن سير الأمور على مستوى القيادات فى القمة إلا أنه على مستوى القاعدة تعمقت المشاعر بأن كل فريق قد أصبح معادياً للآخر ، وبأعداد متزايدة أصبح اليهود يرون أن السود فى أمريكا من أهم أسباب اثارة المشاعر ضد اسرائيل . أما السود ، وبأعداد متزايدة أيضاً ، فقد رأوا أن اليهود يقفون ضد القوانين الايجابية التى تفتح أمامهم الفرص . ولكن على أية حال كان التيار العام للسود مؤيدا لاسرائيل باستثناء قلة راديكالية تصب اهتمامها على العالم الثالث وكراهية اسرائيل . وبالنسبة لليهود بصفة عامة كانوا مؤيدين للقوانين الايجابية ومعارضين لنظام الحصص العرقية باستثناء قلة من المحافظين الجدد كانوا معارضين للقانون من أساسه . وقد كانت القيادات على الجانبين تتفهم حقيقة الموقف واستمرت اللقاءات بشكل منتظم ولكن فشلت هذه القيادات ، وربما لم ترغب ، فى عزل الراديكاليين الذين أساءوا للعلاقة بين اليهود والسود .

وقد ساهمت فى الإساءة للتحالف بين اليهود والسود بدرجة كبيرة المواد الصحفية المنشورة فى مجلة (كومنترى) التابعة للجنة يهود أمريكا فى الوقت الذى كانت تعتبر فيه المجلة صوتاً معبراً عن الرأى العام اليهودى ولكنها فى الحقيقة كانت معبرة عن صوت الرافضين المتشددين للقانون الايجابى سواء نص على بند الحصة العرقية أم لم ينص . ومن الناحية الشكلية كانت (كومنترى) تؤيد إنهاء التفرقة العنصرية ضد السود ومعاملتهم على قدم المساواة مع الآخرين ولكنها من الناحية العملية كانت موضوعاتها الخاصة بالسود تنصب على الهجوم ليس على العنصرية وانما على القوانين المعالجة لها . وحاولت لجنة يهود أمريكا أن تؤكد عدة مرات أن المجلة لا تعد صوتاً للتيار العام اليهودى وإنما تعكس أفكاراً تحريرية مستقلة ولكن هذا لم يكن مقنعاً بما فيه الكفاية بالنسبة للسود . وقد بذل الليبراليون بلجنة يهود أمريكا جهوداً متكررة لفصل العلاقة بين المنظمة والمجلة الصادرة عنها ولكنهم لم ينجحوا فى ذلك حيث كان مؤيدو (كومنترى) أكثر من معارضيها .

فى أغسطس عام ١٩٧٩ أجبرت الخارجية الأمريكية سفيرها فى الأمم المتحدة أندرو يانج ، وصاحب أعلى منصب يشغله أسود فى ادارة كارتر ، على الاستقالة والسبب هو ما كشفته مجلة نيوزويك الأسبوعية من أن يانج قد التقى سراً مع مسئول كبير فى منظمة التحرير الفلسطينية خروجاً على القرار الأمريكى بعدم الاتصال مع المنظمة والذى صدر

عام ١٩٧٥ . وقد أحدثت استقالة يانج الاجبارية دوياً هائلاً فى دوائر السود ، واتهم زعماء السود فى لقاءات صحفية وتصريحات رسمية اليهود بأنهم وراء ما حدث . وقال عمدة إنديانا، ريتشارد هاتشر جراى ، وهو أسود ، « إن اليهود والاسرائيليين لا يدركون مدى الارتباط بين أندرو يانج وبيننا » . ونشرت هذا التصريح جريدة نيويورك تايمز .

وبعد أسبوع واحد من استقالة السفير يانج اجتمع مائتا زعيم من الزعماء السود من مختلف التيارات الاجتماعية والسياسية فى مقر لجنة تنمية الملونين بنيويورك لمناقشة العلاقات بين اليهود والسود . وبعد يوم كامل من المناقشات أصدر المؤتمر عدة بيانات تخص اليهود والقانون الايجابى والعلاقات العسكرية بين اسرائيل والنظام العنصرى فى جنوب افريقيا ، وانتقدت التصريحات المنظمات اليهودية التى سبق وأن أيدت الحقوق المدنية ولكنها بشكل مفاجىء أصبحت مؤيدة للأوضاع الراهنة .

وقد أكد زعماء اليهود بأنهم لم يتسببوا فى استقالة يانج ؛ ففى خلال ساعات من نشر تقرير مجلة نيوزويك حول لقاء السفير مع مسئول منظمة التحرير اتصل البيت الأبيض بتسعة من زعماء المنظمة اليهودية القومية لبحث الموقف واستطلاع الرأى ، ومن بين هؤلاء التسعة لم يطلب أحد استقالة أندرو يانج باستثناء الحاخام جوزيف ستيرشتاين رئيس منظمة الصهيونية الأمريكية .

ويقول الزعيم الاصلاحى الكسندر شندلر ان «المسئول عن القرار هو المكتب البيضاوى بالبيت الأبيض ، فقد كان كارتر مقبلاً على انتخابات تجديد رئاسته وتأكد أن أندرو يانج سيعرضه لهجوم اليمين ، والحقيقة أنه لم يكن يرغب فى المخاطرة بأصوات اليهود . ثم إن اليهود قرروا ألا يدخلوا فى أزمة مع السود خاصة وأن السفير الأمريكى فى ڤيينا ميلتون وولف وهو يهودى كان يقوم باتصالات مع منظمة التحرير الفلسطينية دون أن يثير ذلك أية مشاكل » .

اتصلت جريدة نيويورك بوست بالزعيم الاصلاحى شندلر وسألته هل يجب إقالة يانج ؟ فأجاب بالنفى وأعطى المحرر أسماء خمسة أو ستة زعماء آخرين ليستطلع رأيهم ، فأجابوا كلهم بالنفى باستثناء جوزيف ستيرشتاين ، ثم خرجت الجريدة فى اليوم التالى بعنوان يقول : اليهود يطلبون اقالة يانج .

ويضيف شندلر أن زعماء اليهود اتصلوا بالبيت الأبيض وطلبوا من كارتر أن يوضح أن اليهود لم يسعوا لإقالة يانج ولكن كارتر ظل صامتاً طوال أربعين يوماً وحتى تم تعيين

دون هنرى خليفة لأندرو يانج فى منصبه . وربما لم يكن يهود أمريكا طلبوا إقالة السفير الأسود من الأمم المتحدة ولكن اسرائيل هى التى فعلت ذلك ؛ فقد كانت المخابرات الاسرائيلية هى التى كشفت عن الاتصال بين أندرو يانج ومنظمة التحرير من خلال مراقبتها لأعمال بعثة المنظمة فى نيويورك . وقدم رئيس الوزراء مناحم بيجين احتجاجاً بنفسه للإدارة الأمريكية رغم تحذيرات مساعديه بأن اقالة يانج ستضر بالعلاقة بين اليهود والسود فى أمريكا ، وبمجرد أن احتجت اسرائيل لم يكن أمام كارتر اختيارات كثيرة .

كان المؤتمر الذى عقده زعماء السود فى أغسطس ١٩٧٩ بمثابة اعلان الاستقلال بالنسبة للسود فى أمريكا . هكذا يصوره لنا عالم النفس الأسود كينيث كلارك . فى هذا المؤتمر انهزم الليبراليون والشماليون ذوو العلاقات الوثيقة مع اليهود فى حين حقق الجنوبيون نصراً كبيراً وهم الذين خلفوا حركة مارتن لوثر كنج ولهم روابط ضعيفة مع اليهود . وقد أعلن الجنوبيون فى ذلك المؤتمر أنهم سيفتحون الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية وحصلوا على التأييد بالإجماع . كما شهد المؤتمر نفسه بزوغ نجم جديد هو القس چيسى چاكسون الذى تميز بالشباب والوجه التليفزيونى الجذاب ، وقاد چاكسون حملة لا هوادة فيها ضد الفقر فى شيكاغو . وبعد إقالة يانج ظهر اسم چاكسون على السطح كواحد من أقسى نقاد النفوذ اليهودى وتأثيره على السود .

وفى الخريف قام چاكسون بجولة شهيرة فى الشرق الأوسط صاحبتها ضجة دعائية كبيرة ، وتتبعته وسائل الإعلام كما لو كان مسئولاً رسمياً أو رجل دولة مهم . وفى اسرائيل ذهب چاكسون لزيارة متحف الهولوكست (ياد فاشيم) ثم خرج ليصف الاسرائيليين بأنهم مصابون بعقدة الاضطهاد . وفى لبنان اشترك فى مسيرة لمنظمة التحرير الفلسطينية والتقطت له الصور وهو يعانق ياسر عرفات . ثم بعد عام آخر التقى چاكسون بمجموعة من الأمريكيين العرب ووصف الصهيونية بأنها «عشب سام» مما تسبب فى صدمة لليهود .

وفى خلال سنوات قليلة أصبح چاكسون من الشخصيات القيادية البارزة فى مجتمع السود وتمتع بشعبية خاصة بين المجموعات التى لم يتمكن معظم زعماء السود من الوصول إليها مثل الليبراليين البيض والسود الذين يعيشون فى مجتمعات مغلقة عليهم فى الشمال . وتوج چاكسون شهرته بترشيح نفسه لانتخابات الرئاسة عام ١٩٨٤ . وأصبح چاكسون مبعث الأمل بالنسبة للسود الأمريكيين فهى أول مرة يقدم فيها أسود بكل جدية على هذا الترشيح ، واعتبر السود هذه الخطوة من جانبه انتصاراً للسود كلهم

فى الولايات المتحدة، وبالنسبة للكثيرين أصبح أى هجوم على چاكسون بمثابة هجوم على السود جميعاً . وفى الوقت نفسه أصبح چاكسون رمزاً للتوتر القائم بين اليهود والسود فى أمريكا . ولم يعد چاكسون مؤشراً على وجود مشكلة وإنما أصبح هو المشكلة نفسها بسبب ردود أفعاله المعادية لاسرائيل والصهيونية ، ومع كل هجوم يشنه چاكسون يقابله هجوم من اليهود ثم آخر من السود وهكذا .

شعر اليهود بأن چاكسون عامل تهديد لهم ، فهو يقوم بحملة رئاسية جادة ، وتظهر النتائج الأولية أن هناك كثيرين مؤيدين له وهذا يعنى أنه سيكون قوة تؤخذ فى الاعتبار أثناء المؤتمر العام للحزب الديمقراطى ، ولم يحدث خلال جيل كامل أن حاز أى معارض لاسرائيل أى نفوذ فى الحزب الديمقراطى . ولذلك وفى كل مناسبة بادر اليهود بمهاجمة چاكسون حتى تهبط أسهمه فى دوائر حزبه ، وشعر السود بأن هناك حرباً يهودية شاملة ضدهم .

على أية حال ، ففى عام ١٩٨٨ عندما خاض القس چاكسون الانتخابات للمرة الثانية يبدو أنه ندم على تصرفاته فى الحملة السابقة ، وفى المراحل الأولى من الحملة ظهر چاكسون فى أحد المعابد اليهودية بضاحية فى مدينة بوسطن وأعلن أنه جاء ليعلن «التوبة» ولكن لم يفلح ذلك فى انقاذه من الفشل . وعندما وصلت الحملة الانتخابية لچاكسون إلى نيويورك قال العمدة ادوارد كوخ «لابد أن يكون اليهود مجانين حتى ينتخبوا چاكسون » وأصبحت الحقيقة الواضحة هى أنه ما من مرشح يقترب من چاكسون إلا ويصيبه الضرر البالغ ، فهو إما يؤيد چاكسون ويخسر أصوات اليهود أو يتجاهل القس ويخسر أصوات السود .

من أمثلة ذلك السناتور آل جور ، من ولاية تينيسى ، الذى حظى بتأييد العمدة كوخ فى نيويورك فكانت النتيجة أن خسر أصوات السود فى المدينة واضطر للانسحاب من السباق الانتخابى سريعاً فى عام ١٩٨٨ . وفى أبريل ١٩٩٢ أثناء الانتخابات الأولية فى نيويورك سقط ضحية جديدة للقس ، فقد جاء إلى المدينة حاكم ولاية كاليفورنيا السابق چيرى براون وكانت فرصته كبيرة أمام بيل كلينتون ، ولكن بمجرد أن أعلن عن نيته فى ترشيح چيسى چاكسون لمنصب نائب الرئيس انخفضت شعبيته بين اليهود فى نيويورك من ٣٠٪ إلى أقل من ١٠٪ وانفتح الباب واسعاً أمام المنافس كلينتون .

وقد فطن چاكسون لخطورة الموقف فى أعقاب أحداث كراون هايتس والتى كانت خطواته غير المحسوبة جيداً مسئولة عنها بدرجة كبيرة ، ولذلك أخذ يلتقى علانية مع آبى

فوكسمان مدير لجنة مكافحة تشويه الصورة ووصفه بكلمة «صديق» كما طار إلى بروكسل في مايو ١٩٩٢ وألقى خطبة مهمة أمام المؤتمر الدولي ضد معاداة السامية والذى دعمه المؤتمر اليهودي الأمريكي . وأثناء المؤتمر العام للحزب الديمقراطي في صيف ذلك العام وجه تحية حارة مؤثرة لاسرائيل بسبب حبها للسلام ، وعلى مدى شهور الخريف والشتاء ألقى عشرات الكلمات أمام البيض والسود على حد سواء وتكلم عن مخاطر معاداة السامية وأهمية التعاون بين السود واليهود .

تسببت الأحداث التى وقعت في أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات في جروح غائرة ، وظهر المتطرفون بين السود وبين اليهود أيضاً واعتبر كل منهما الآخر عدواً له . ورغم قلة عدد هؤلاء المتطرفين إلا أنه كان لهم نفوذ واضح وصوت مسموع . ومن بين هؤلاء المتطرفين برزت عدة أسماء منها البروفيسور ليونارد جيفرز أستاذ الدراسات الافريقية والافريقية الأمريكية في جامعة سيتي كولدج في نيويورك . كان جيفرز قد نشأ وسط حي يهودي في مدينة نيوارك – نيوجيرسي ، وأحاط به أصدقاء يهود في مراحل دراسته وكان رئيساً لجمعية الأخوة اليهودية في الجامعة ، وبعد تخرجه سافر إلى أوربا مع زملاء يهود ، وبعد أن نال درجة الدكتوراه عام ١٩٧٢ في التاريخ واشتغاله بالتدريس لفترة قصيرة في كاليفورنيا أصبح رئيس قسم دراسات السود في سيتي كولدج ، وكان قسماً جديداً بالجامعة ، بفضل مساعدة رئيس الجامعة وهو يهودي . ثم بعد عشر سنوات من الدراسة والبحث ظهر صوت جيفرز عالياً يؤكد أن اليهود كانوا من أكثر الجماعات اساءة للسود لمدة قرون من الزمن، وهم من صمموا رحلات تجارة العبيد من افريقيا إلى أمريكا عبر الأطلنطي، وهم مبتكرو نظام المستعمرات الزراعية ، وهم الذين يشوهون الصورة الذهنية لليهود من خلال سيطرتهم على هوليوود، وأخيراً فهم أصحاب نفوذ قوى داخل حركة الحقوق المدنية . ويدعي جيفرز أن المحافظين من البيض قد تحالفوا مع المحافظين من اليهود لاستمرار السيطرة على مقدرات السود .

ويقول جيفرز «لقد كنت زميل دراسة لليهود عندما كان المجتمع مغلقا أمامهم في الخمسينات وعندما انفتحت الأبواب أمامهم بسبب الكفاح من أجل الحقوق المدنية نفذوا من خلالها إلى العمل والثروة وأغلقوا هذه الأبواب وراءهم بإحكام » .

وإلى جانب جيفرز كان هناك عدد آخر من الزملاء في أقسام دراسات السود في أنحاء أمريكا دعوا إلى انفصال السود عن اليهود خلال الثمانينات ، ولكن اليهود لعبوا دوراً ضئيلاً لتعزيز هذه المشاعر المريرة لدى السود ، في حين ساهم بدرجة كبيرة في ذلك

مناخ الاحباط الذى عاشه السود بسبب المشاكل التى يعانى منها اليهود فى المدن الكبرى مثل ارتفاع معدلات البطالة والتفكك الأسرى وانتشار الجريمة والمخدرات . وتقول إليانور هولمز نورتون «لقد مرت ١٢ عاماً سيطرت فيها إدارات معادية للسود وخلقت مناخاً خصباً للتعصب».

ويحلول منتصف الثمانينات حدث تقارب كبير بين نظرية المؤامرة التى تبناها چيفرز وأمثاله مع أفكار لويس فرقان الزعيم الأسود لجماعة «أمة الإسلام» ويتبنى فرقان أفكارا متشددة معادية للبيض والشواذ واليهود ويهاجم هؤلاء جميعاً بلغة خشنة ومتعصبة فى خطبه كوصفه اليهودية بأنها ديانة قذرة تستخدم كأداة سياسية .

ويتعرض فرقان لهجوم اعلامى شديد بسبب أفكاره وتصريحاته وكلما زادت حدة الهجوم عليه ارتفع عدد أتباعه من السود الغاضبين سواء كانوا فنانين أو مفكرين أو غيرهم ، واتجه إليه الزعماء السود كزعيم كبير له مصداقية عالية بين الشباب السود ، وقام أتباعه بالسعى من أجل تغيير القوانين والشكل المتهالك فى أحياء السود مما رفع شعبيته بدرجة كبيرة . وفى أوائل التسعينات أصبح لويس فرقان واحدا من أكثر الشخصيات نفوذاً وتأثيراً على مجتمعات السود ، وفى عام ١٩٩٣ تلقى أول دعوة رسمية لحضور المؤتمر السنوى لتجمع السود فى الكونجرس، وعقد رئيس التجمع كويزى مفيوم عهداً بين التجمع وفرقان، ثم فى أكتوبر نظم فرقان مسيرة «المليون» فى قلب واشنطن العاصمة والتى جذبت قرابة ٨٠٠ ألف مشارك أسود وهو أكبر تجمع للسود فى تاريخ أمريكا .

ويصر زعماء التيار العام من السود على أن ظهور فرقان واكتسابه لهذه الشعبية لا يعد دليلاً على نمو المشاعر المعادية بين السود . ويقول الصحفى الأسود دون روچاز «إن فرقاناً لم يلق هذا القبول الكبير بسبب معاداته للسامية ولكن لأنه يوجد جيل جديد من الشباب يشعرون بخيبة الأمل فى السياسيين من التيار العام ويشعرون بالإحباط تجاه چيسى چاكسون أيضاً ، إنهم يبحثون عن شىء جديد ومختلف وقد نجح فرقان فى أن يكون هذا الشىء المختلف والجديد بدرجة ما » .

ولكن لويس فرقان ليس مجرد شخص لديه أفكار معادية للسامية إنما هو يشن الحرب على اليهود بصفة عامة وهدفه الواضح هو أن يرسخ أفكاراً محددة تجاه اليهود فى أذهان الشباب السود ، وقد أصدر مركز الأبحاث التابع لمنظمته بحثاً ضخماً عام ١٩٩١ بعنوان «العلاقة السرية بين اليهود والسود» ، واعتمد البحث على أسلوب الانتقاء المتعمد

للمعلومات والأقوال التى تؤكد تورط اليهود بشكل كبير فى عمليات تجارة العبيد الأفارقة ونقلهم عبر الأطلنطى .

كما قام أتباع فرقان ببيع نسخ من «بروتوكولات حكماء صهيون» من خلال المكتبات التى تلبى اهتمامات السود ، وانتشرت بسرعة نظرية المؤامرة اليهودية بين المدافعين عن حقوق السود وشباب الجامعات . وفى جامعة كاليفورنيا نشرت مجلة الطلبة موضوعاً يؤكد صحة ما جاء فى البروتوكولات ، وبسبب هذا الموضوع نشبت حرب كلامية ساخنة مع الطلبة اليهود الذين احتجوا على نشره ولكن إدارة الجامعة بقيت على الحياد واعتبرت الموقف تبادلاً للرأى .

فى أوائل التسعينات بدأت شخصيات قيادية من السود تشارك قيادات يهودية الشعور بالقلق ازاء انتشار الأفكار المعادية للسامية بين السود ، ولكن إلى أى مدى كانت معاداة السامية تنتشر بين السود فى ذلك الوقت ؟ يقول چيرومى شانس من (ناكراك) «الحقيقة أننا لا نعرف على وجه التحديد ، حيث لا تتوافر لدينا معلومات كثيرة فى هذا الشأن ولكن أحياناً تسيطر بعض الأفكار دون بيانات أو معلومات تؤكدها . من هذه الأفكار أن معاداة السامية تتزايد بين السود الأكثر تعليماً ، وقد جاءت هذه الفكرة من دراسة أجريت فى كاليفورنيا وأصبحت مسلماً بها فى دوائر كثيرة ، ولكن هناك دراسات أخرى تشير إلى أن معاداة السامية تتراجع بين السود كلما ارتفع مستوى التعليم تماماً كما هو الحال بين البيض» .

وتعتمد معظم الأبحاث الخاصة بمعاداة السامية من خلال أسلوب وضعته لجنة مكافحة تشويه الصورة فى الستينات . حيث يطلب من المتلقى أن يضع علامة (صح) أو خطأ أمام مجموعة من الصور الذهنية أو النمطية المرتبطة بمعاداة اليهود ؛ مثل اليهودى طماع أو استغلالى أو متعصب لطائفته . وقد وضعت اللجنة قائمة من إحدى عشرة صفة أو صورة نمطية وهؤلاء الذين يضعون علامة (صح) أمام خمس منها يعتبرون الأكثر معاداة للسامية . وفى استطلاع للرأى أجرى عام ١٩٦٩ تم تصنيف ٤٧٪ من السود باعتبارهم من الفئة الأكثر معاداة للسامية فى مقابل ٣٥٪ فقط من البيض . وفى دراسة أخرى أجريت بعد ربع قرن تقريباً من ذلك التاريخ - ١٩٩٢ - اتضح انخفاض النسبة بين البيض والسود وتم تصنيف ٣٧٪ من السود و ٢٠٪ من البيض كأكثر الفئات معاداة للسامية .

وفى عدد من اللقاءات التالية لاستطلاع الرأى اتضح أن البعض ، وبخاصة السود ، يرون أن بعض الصور النمطية المتعلقة باليهود إيجابية ، مثل : لا يساعد اليهودى إلا يهوديا مثله ، وقال هؤلاء الذين جرت مقابلتهم انهم يتمنون أن يتعلم السود هذا السلوك وقد أثارت هذه النتائج دهشة كبيرة بين العاملين فى لجنة مكافحة تشويه الصورة لدرجة أنهم أجلوا نشر نتائج الدراسة لمدة ستة شهور لاجراء المزيد من العينات بين السود ، وقد أكدت نتائج العينات الجديدة نتائج الاستطلاع الأولى . وقد حاول بعض العاملين فى اللجنة الغاء البحث بأكمله وعدم نشر نتائجه ولكن رئيس اللجنة آبى فوكسمان تجاهل هذه المحاولات ونشر النتائج ولكن بعد اجراء تعديل واحد وهو أن صفة الأكثر معاداة للسامية تشمل من أجابوا بنعم على ستة أسئلة بدلاً من خمسة .

وسراً ، يعترف بعض العاملين فى لجنة مكافحة تشويه الصورة بأن نسبة غير معروفة من السود المعادين للسامية هم أشخاص فى حقيقة الأمر محبون لليهود يتمنون لهم الخير. ويقول القس كالفين باتس من حى هارلم «نحن نشترك مع اليهود فى عدد من القيم المهمة ، بعضها يرجع إلى آيات من الكتب المقدسة مثل «دع العدل ينتشر كالماء» . اليهود والسود يؤمنون بالروابط العائلية القوية ، ويؤمنون بالمجتمع الذى ينتمون إليه ، ولكن ربما كان اليهود فى موقع أتاح لهم الاندماج فى المجتمع بصورة أسهل بسبب عامل لون البشرة ، وقد استفادوا من هذا الاندماج لمساعدة السود وغيرهم» . وتقول دونا برازيل المساعدة بالكونجرس «من ينشأ فى الجنوب يتعلم أن الشخص الأبيض الوحيد الذى يمكن الاعتماد عليه هو اليهودى، وعندما نكبر نفهم أن هذا يحدث بسبب المعاناة التى عاشها آباؤنا وآباؤهم» .

وفى مقابل المجموعة المتطرفة من السود نشأت مجموعة متطرفة مماثلة بين اليهود ، ويشكل هؤلاء حركة اليهود الانفصاليين المتطرفة ويعتبرون السود عدوهم الرئيسى . وتؤيد هذه الحركة حزب الليكود الاسرائيلى وحركة الاستيطان فى الضفة الغربية ، وبررت الحركة تطرفها بأن الراديكاليين فى العالم الثالث يؤمنون بفكرة تدمير الشعب اليهودى فى كل أنحاء العالم من القدس إلى بروكلين . وظهرت هذه الحركة المتطرفة لأول مرة عام ١٩٦٨ أثناء اضراب المعلمين فى صورة «جبهة الدفاع» التى أسسها الحاخام المتطرف مائير كاهانا، وتسببت الشعارات الملتهبة والتصرفات العنيفة المعارضة للجبهة فى اكسابها شهرة وسمعة سيئة تفوق كثيراً عدد أتباعها ، ولكنها اختفت بعد ذلك فى عام ١٩٧٢ حين استقر كاهانا فى اسرائيل ، وشعر يهود كثيرون بالارتياح ليس لزوال مشكلة التطرف وانما لانحسارها عن أمريكا على الأقل .

ورغم غياب كاهانا إلا أنه فى عام ١٩٨٩ ظهرت من جديد مشاعر اليهود المعادية للسود على شكل ظاهرة جماهيرية ممتدة فى أنحاء نيويورك ، وجذبت متعاطفين معها من مدن أمريكية أخرى . واتضحت هذه الظاهرة أثناء حملة انتخابات عمدة نيويورك داڤيد دينكينز ، وقد تعرض دينكينز لهجوم شرس من تحالف يضم اليهود الأرثوذكس المؤيدين لكتلة الليكود الاسرائيلية ، ورغم تاريخ دينكينز الطويل فى تأييد اسرائيل إلا أن علاقته بالقس چيسى چاكسون جعلته عدواً لدوداً لليهود . وقد كانت معظم الاعتراضات اليهودية على دينكينز ذات أسباب سياسية ، حيث رشح نفسه لمنصب العمدة منافساً بذلك إدوارد كوخ الذى ظل فى منصبه ثلاث دورات متتالية وهو ثانى عمدة يهودى فى المدينة ، وتمتع كوخ بشعبية كبيرة بين أحياء الطبقة الوسطى من يهود نيويورك بسبب تأييده لاسرائيل واليهود السوڤيت ، ولكن فى المقابل كانت شعبيته ضعيفة جداً بين السود بسبب هجومه على السود المتطرفين ، إذن فهذه الانتخابات كانت صراعاً بين السود واليهود فى مدينة نيويورك ، وهنا بدأت حملة التطرف اليهودى فى الاشتعال .

فى يوم أول يناير ١٩٩٠ جرت مراسم تنصيب العمدة الجديد بالمدينة وهو أول عمدة أسود ، وقد اعتبر السود فى مدينة نيويورك هذا النجاح أكبر انجاز سياسى لهم ، وحضر الاحتفال شخصيات بارزة مثل نوبل لوريت المناضل من أجل الحرية فى جنوب افريقيا والأسقف ديزموند توتو . ولكن لم يعكر صفو الاحتفالات سوى مسيرة احتجاج نظمها حوالى خمسين شخصاً من اليهود الأرثوذكس قرب مجلس المدينة ، والسبب أن الأسقف ديزموند توتو كان انتقد سياسة اسرائيل أثناء زيارة له للأراضى المقدسة . وسواء حصل توتو على جائزة نوبل للسلام أم لا ، فهو عدو لاســـرائيل ، وما دام العمدة دينكينز يرحب به فهو إذن يســـتبعد اليهود .

وتكررت القصة مرة أخرى بعد ستة شهور فقط وقامت نفس المجموعة بمظاهرة احتجاج ضد نيلسون مانديلا . كان مانديلا زعيم جنوب افريقيا قد استرد حريته قبل أسابيع قليلة وتسبب الافراج عنه فى مشاعر فرحة فى أنحاء العالم ، وقد جاء إلى نيويورك ليلقى خطبة أمام الأمم المتحدة ثم ليتوجه بعد ذلك لحفل استقبال رسمى فى البيت الأبيض فى واشنطن . كل هذا لا يهم . الراديكاليون اليهود لم يهتموا بأى شىء سوى أن مانديلا صافح كلا من ياسر عرفات ومعمر القذافى، ومادام العمدة يكرم مانديلا إذن فهو فى مواجهة مع اليهود . قبل قدوم مانديلا إلى نيويورك تصاعدت المخاوف من حدوث مصادمات بين اليهود والسود فى المدينة بشكل يفسد تكريم الضيف المهم . ولذلك

تم تنسيق لقاء بين عدد من قيادات اليهود للقاء مانديلا فى چينيف ، وأشرف على تنسيق ذلك اللقاء المغنى هارى بيلافونت وهو من قيادات حركة الحقوق المدنية المحترمين وتربطه علاقات قوية مع اليهود من خلال عمله الموسيقى ومن خلال الحزب الديمقراطى . وقد أكد مانديلا للوفد الذى التقى به أن عناقه للقذافى لم يكن أكثر من مشاعر شخص يناضل من أجل الحرية وسعد بتأييد الآخرين له أينما وجدوا ، ورغم ذلك حمل المتظاهرون لافتة كتبوا فيها «إن مصافحة عرفات أطاحت بتاريخك فى مقاومة التفرقة العنصرية» . وتزعم المظاهرة الحاخام آفى وايز . الذى قال إن المنتمين للتيار العام فى اليهود لم ينضموا إلى مسيرته لأنهم يخافون أن يتكلموا بصوت عالٍ ، أما هو ، ولشجاعته ، فقد انتخب فى عام ١٩٩٣ «حاخام العام» داخل مجلس حاخامات نيويورك .

ويبدو أن الحاخام وايز لم يخطىء القول ، فقد كان زعماء اليهود فى نيويورك لديهم شجاعة الحديث بصوت عالٍ حول الموضوعات التى يؤيدونها، ولكن لم تكن لديهم الشجاعة الكافية لأن يواجهوا المتطرفين اليهود الذين خلقوا صراعات لا أساس لها . ومثل زعماء السود لم يكن زعماء اليهود قادرين على ، وربما كانوا غير راغبين ، فى تحمل مسئوليات مجتمعهم.

الفصل الثالث عشر

يهود أمريكا وإسرائيل
حب من طرف واحد

خلال خمسة عقود من الزمان ومنذ بداية اكتساب يهود أمريكا نفوذا وتأثيرا على المسرح الدولى ، شهدت هذه الرحلة نجاحات كبيرة واخفاقات مخجلة ، فقد حاول اليهود خلال هذه الرحلة أن يدافعوا عن مصالحهم وعن العدل من وجهة نظرهم . ولكن فى نوفمبر ١٩٨٨ تجلت قوة نفوذ يهود أمريكا بوضوح لم يسبق له مثيل ، فى ذلك الشهر قاد كبار زعمائهم حملة اعتراض مكثفة تحولت إلى انتفاضة شعبية شارك فيها آلاف اليهود الأمريكيين وانتهى الأمر بسقوط الحكومة الإسرائيلية.

أما السبب فقد كان خلافا دينيا كبيرا بين يهود أمريكا وحكومة إسرائيل ، فبعد الانتخابات البرلمانية الإسرائيلية فى أول نوفمبر من ذلك العام وقع اسحق شامير اتفاقا لقيام حكومة ائتلافية مع عدد من أعضاء الكنيست من الأرثوذكس وقد كان شامير بحاجة لأصوات هؤلاء حتى يتمكن من تشكيل حكومته ، كان اسحق شامير قد أنهى لتوه أربعة أعوام فى حكومة وحدة وطنية جمعت بينه وبين شيمون بيريز زعيم حزب العمل ، وتولى كل منهما رئاسة الوزارة بالتناوب ، وقد شهدت هذه السنوات الأربع العديد من الخلافات الحادة بين الشريكين ولذلك أصبح شامير مستعدا لأن يدفع أى ثمن ولو باهظ حتى لا يكرر التجربة .أما الثمن الذى طلبه اليهود الأرثوذكس لتحقيق رغبة شامير فهو تعديل القانون الأساسى للهجرة إلى إسرائيل أى «قانون العودة» .

هذا القانون يكفل لكل يهودى فى العالم حق الهجرة إلى إسرائيل على أن يحصل على الجنسية الإسرائيلية فورا ، وبالتالى يتعلق هذا القانون بيهود الشتات .. القانون الأساسى يعرِّف اليهودى بأنه كل شخص ولد لأم يهودية أو تحول إلى اعتناق اليهودية ولا يمارس شعائر ديانة أخرى ، وقد حاولت أحزاب الأرثوذكس الإسرائيلية على مدى عشرين عاما أن تضيق نطاق هذا المفهوم على أن يشمل التحول إلى اعتناق اليهودية هؤلاء الذين

يفعلون ذلك وفقا للقانون الحاخامي فقط . ويعرف هذا التعديل باسم «من هو اليهودي ؟» ويقصد به الأرثوذكس اليهود الإصلاحيين في أمريكا وبدرجة أقل اليهود المحافظين، ومسألة التحول إلى اليهودية صعبة وقليلة الحدوث بالنسبة لليهود التقليديين ولكن حاخامات الإصلاحيين جعلوا منها أمرا أكثر بساطة عن طريق إجراءات معينة لا يعترف بصحتها وبشرعيتها حاخامات الأرثوذكس ، ويوجد في الولايات المتحدة عشرات الآلاف من المتزوجين بيهود وتحولوا إلى اليهودية على يد حاخامات الإصلاحيين خلال الجيل الماضي ولكن بالنسبة لحاخامات الأرثوذكس مازال هؤلاء غير يهود .

ومن وجهة نظر إسرائيل يعد قانون «من هو اليهودي» مجرد ضجيج بلا داع حيث ان المذهب الإصلاحي غير موجود في إسرائيل أساسا ، والمذهب الأرثوذكسي هو المعترف به رسميا في الدولة، كما أن ٨٠٪ من سكان إسرائيل يعتبرون أنفسهم علمانيين ، وبالتالي لن يتأثر به أحد داخل إسرائيل . ثم إن اليهود الأمريكيين لن يتأثروا فعليا بهذا القانون حيث ان القليلين فقط من الإصلاحيين، بالميلاد أو التحول ، يهاجرون إلى إسرائيل ، ولا يزيد عدد هؤلاء المهاجرين على عدد أصابع اليدين سنويا ، كما أن معظمهم متزوجون من يهود، بالميلاد ، وبالتالي فلهم حق الهجرة إلى إسرائيل إذا أرادوا حيث يعطي قانون الهجرة كل أفراد عائلة اليهودي الحق في الهجرة إلى إسرائيل . إذن فالصراع من أجل قانون «من هو اليهودي » مجرد صراع رمزي في محتواه .

ورغم أن معظم قيادات الأرثوذكس يرون أن هذا القانون مجرد إزعاج هامشي فإن الرغبة في تعديل القانون ظلت في مقدمة الأحداث لمدة عشرين عاما بسبب الحاخام الأمريكي شنيرسون كبير حاخامات يهود الهاسيديك بمعبد لوباڤيتش في بروكلين ، والذي ظل يؤكد أن التغيرات الكونية الكبرى ترجع إلى مثل هذه الأمور البسيطة ، ويعمل الحاخام شنيرسون بميزانية تقدر بملايين الدولارات معظمها عبارة عن تبرعات من اليهود الأمريكيين الليبراليين المعجبين بمظهر شنيرسون الطيب وتمكن شنيرسون من تأسيس آلة سياسية قوية عبر الأطلنطي لفرض آرائه والضغط على المؤسسة السياسية الإسرائيلية من اليهود الأرثوذكس ، وبالتالي ضغط هؤلاء على شامير بمعنى أن الصراع في جوهره هو صراع بين مذهبين يعتنقهما يهود أمريكا .

وقد شرح شامير كل هذا الكلام في يوليو ١٩٨٧ عندما التقى مع شوشانا كاردين التي قادت حملة ضغط في ذلك الوقت في إسرائيل لمنع صدور التعديل ، وقد تصور شامير من طريقة العرض المهذبة التي ألقتها عليه شوشانا كاردين أن تمرير القانون لن

يؤدى لشئ أكثر من اعتراضات قليلة من جانب الإصلاحيين . ولكن التجربة أثبتت عكس ذلك حيث أعلنت التنظيمات اليهودية الأمريكية الحرب حتى من قبل توقيع الائتلاف الحاكم فى إسرائيل ، وقد بدأ زعماء كل المنظمات غير الأرثوذكسية فى أمريكا فى التحرك السريع ، وفى اجتماع بمقرهم بنيويورك طلب الإصلاحيون من (مؤتمر الزعماء) التدخل لعدم تعديل القانون الإسرائيلى ، أما المحافظون فقد دعوا إلى تغيير النظام الانتخابى الإسرائيلى حتى لا تتمكن الأحزاب الأرثوذكسية الصغيرة من الابتزاز السياسى .

وانفجر الموقف أثناء اجتماع الجمعية العامة لمجلس الاتحادات اليهودية الذى انعقد فى نيو أورليانز فى يوم ١٦ نوفمبر، وبعد سلسلة من الكلمات والخطب الغاضبة والساخنة استقر الرأى على شن حملة شاملة للضغط على شامير ، وبدأت وفود لا تنقطع من يهود أمريكا فى الذهاب إلى إسرائيل والتقت وفود منهم برئيس الوزراء ثلاث مرات خلال شهر واحد ، هذا بخلاف الخطابات والالتماسات والإعلانات المنشورة فى الصحف الإسرائيلية ، وتزعمت الحملة شوشانا كاردين. وعلى مدى الأسابيع الأربعة التالية هبطت الطائرات الواحدة تلو الأخرى وعلى متنها كبار قيادات مجلس الاتحادات اليهودية والنداء اليهودى الأمريكى وبناى بريث والحركتين الإصلاحية والمحافظة وممثلون عن المعابد والاتحادات المحلية . وربما وصل عدد هؤلاء جميعا إلى ٣ آلاف يهودى أمريكى . وبالنسبة لبعض يهود أمريكا لم يكن هذا كله كافيا ، وفى مدينتى بوسطن وأتلانتا طلبت الاتحادات المحلية لليهود وقف التبرعات إلى اتحاد النداء اليهودى الأمريكى ، والتى تصل إسرائيل ، وقدرها ١٦ مليون دولار حتى يوقف شامير مشروع القانون .

ويبدو أن هذه الحملة المكثفة قد أحدثت النتائج المرجوة ، حيث فسخ شامير عقد الائتلاف مع الأرثوذكس واضطر بعد تردد لأن يشكل حكومة وحدة وطنية جديدة مع شيمون بيريز الذى وافق بعد تردد أيضا. وقد قالت شوشانا كاردين فيما بعد إن هذه هى المرة الأولى التى يدخل فيها يهود أمريكا علانية فى صراع مع حكومة إسرائيلية . أما دان مريدور وزير العدل فى حكومة شامير فهو يرى أن ضغوط يهود أمريكا كانت أحد عاملين أديا إلى تشكيل حكومة وحدة وطنية ، والعامل الثانى هو التغيير المفاجئ على الصعيد الدبلوماسى والذى جعل إسرائيل فى حالة من العزلة وبالتالى رأى شامير أنه بحاجة لقاعدة سياسية واسعة يواجه بها الضغوط الخارجية .

ووقعت أزمة دبلوماسية فى ١٣ ديسمبر من ذلك العام فقد أعلن ياسر عرفات فى كلمة له أمام الجمعية العامة فى الأمم المتحدة ، وفى جلسة خاصة عقدت بجينيف بعد رفض

حكومة ريجان منحه تأشيرة لدخول نيويورك ، أن الفلسطينيين قد تخلوا عن هدفهم السابق بتدمير إسرائيل وأنهم مستعدون لأن يعيشوا جنبا إلى جنب مع دولة إسرائيل، ثم فى مؤتمر صحفى له فى اليوم التالى قال عرفات إنه مستعد للاعتراف بإسرائيل ونبذ «العنف» ، وفى واشنطن صرح وزير الخارجية چورج شولتز بأن عرفات قد استوفى الشروط الأمريكية وأن الولايات المتحدة مستعدة لبدء حوار مع منظمة التحرير الفلسطينية، ومن هنا أصبحت إسرائيل تقف وحدها تماما فى رفضها للتعامل مع المنظمة.

وعلى حد قول دان مريدور ربما كان شامير غير راغب من الأساس فى الدخول فى ائتلاف مع اليهود الأرثوذكس ولكنه استغل الأحزاب الدينية وقانون «من هو اليهودى» كأداة ضغط للتفاوض مع بيريز الذى قبل فى النهاية أن يكون الشريك الأصغر فى الحكومة الجديدة . ولذلك تصبح الضغوط التى قامت بها المنظمات اليهودية الأمريكية لإلغاء القانون مسألة ثانوية فى القصة كلها .

وبرغم أن التكاتف الذى أظهرته المنظمات الأمريكية ترك أثرا بالغا وإيجابيا لدى القيادات والقاعدة الجماهيرية ، إلا أنه فى الوقت نفسه أظهر وللمرة الأولى الصدام بين يهود أمريكا ودولة إسرائيل التى تجسد لهم هويتهم وشعورهم بذواتهم كيهود . وعلى مدى العشرين عاما السابقة لعام ١٩٨٨ دخلت منظمات اليهود الأمريكية فى أعمال عديدة لصالح أمن إسرائيل ، كما لعبت إسرائيل دورا محوريا فى القضايا التى شغلت يهود أمريكا سواء من أجل حرية اليهود السوفيت أو يهود إثيوبيا أو تعقب ومطاردة مجرمى النازى ، وغير ذلك مثل الحملات اليهودية الداخلية من أجل حرية الهجرة أو حرية العبادة أو ضد أعداء السامية ، وكان لهذا التعاون والتماسك بين الطرفين أثر كبير فى زيادة قوة نفوذ اليهود فى أمريكا، كما اكتسب التحالف بين الطرفين أهمية خاصة بعد حرب يونيو ١٩٦٧ وأصبح يهود أمريكا يقفون فى بؤرة الاهتمام الدولى ولكن قانون «من هو اليهودى» قلب الأمور رأساً على عقب .

وقد نجح حاخامات الاصلاحيين فى تحريك أتباعهم عندما أثاروا أزمة قانون «من هو اليهودى» فى ليلة عيد رأس السنة اليهودية التى يقبل اليهود على حضور احتفالاتها الدينية فى المعابد بدرجة عالية . وقال الحاخامات لرعاياهم ان اسرائيل ستصدر قانوناً يجردهم من يهوديتهم، وطلبوا منهم التحرك للتعبير عن الرفض والغضب . وبدأت الحملة

منذ عام ١٩٨٦ حتى وصلت ذروتها عندما أصبح القانون مسألة سياسية واضحة فى نوفمبر ١٩٨٨ .

وبالنسبة لمعظم يهود الشتات كان ظهور دولة اسرائيل من الحقائق المحورية فى تاريخ اليهود الحديث وله أثره العميق فى حياتهم كيهود . أما بالنسبة لمعظم الاسرائيليين فقد كان يهود الشتات مجرد حادثة تاريخية سخيفة مخجلة. ورأى رواد الصهيونية الأوائل أن يهود الشتات يستحقون ما تعرضوا له لعدم انتقالهم للدولة اليهودية الجديدة وعرفت هذه الفكرة بينهم «بإنكار الشتات» وتهميش وضع يهود الخارج . ويقول شارلز ليبمان أستاذ العلوم السياسية، الأمريكى المولد، فى جامعة بار إيلان الاسرائيلية إن المواطن الاسرائيلى العادى لا يفكر كثيراً فى يهود الشتات، ولكن من المؤكد أن يوجد شعور لدى يهود اسرائيل بالاعتماد على يهود الشتات فى وقت الأزمات . ورغم مرور أكثر من عشرة أعوام على أزمة قانون «من هو اليهودى» ، إلا أنها ظلت كامنة تحت السطح رغم محاولات قيادات كل من الطرفين لاحتوائها وانفجرت من جديد عام ١٩٩٢ .

وعلى مدى الخمسة وعشرين عاماً الأولى من تاريخ اسرائيل نجح مؤسسوها الأوربيو الأصل فى الحديث بلغة مشتركة مع يهود أوربا الذين هاجروا واستقروا فى الولايات المتحدة . ثم فى الخمسة عشر عاما التالية ومع وصول بيجين للحكم فى عام ١٩٧٧ سيطر التقليديون اليمينيون على مقاليد الأمور وساد مفهوم التضامن بين يهود العالم . واتصل هؤلاء بالتقليديين أمثالهم فى المجتمع الأمريكى وعملوا على تصعيدهم إلى مستوى القيادة فى المنظمات الأمريكية اليهودية مما خلق روابط خاصة بين اليهود على الجانبين، وحقق هذا الأهداف السياسية لدى بيجين وشامير . وإذا كان هذا قد أدى إلى عزلة قطاعات عريضة من الأغلبية الليبرالية بين يهود أمريكا على أيدى القيادات المحافظة هناك فإن الأمر لم يسبب قلقا أو اعتراضا لدى الكثيرين .

ومع انتخاب اسحق رابين لرئاسة الوزراء فى عام ١٩٩٢ استعادت الأغلبية الوسطية مكانتها السابقة . وتسببت سياسة رابين الجريئة تجاه المصالحة الاسرائيلية -العربية والسلام الإقليمى فى خلق شعور عام بالهدف لدى التيار العام من يهود أمريكا ، ومع ذلك لم تنجح قيادة رابين الذى ولد فى اسرائيل والذى يمثل جيلا من الليبراليين العلمانيين أن تشغل نفس الموقع فى قيادة مجتمع يهود أمريكا بسبب عدم فهمه لهذا المجتمع ، وكانت النتيجة أن حدثت أزمة فى العلاقة بين اسرائيل ويهود الشتات وصلت إلى حد متفجر . ففى أول زيارة رسمية قام بها رابين إلى الولايات المتحدة فى أغسطس ١٩٩٢ عقد سلسلة

من اللقاءات العاصفة مع زعماء يهود أمريكا وقال لهم باختصار ان اسرائيل لم تعد فى حاجة إليهم . وصب رابين جام غضبه على آيباك التى ساندت ووقفت إلى جانب الليكود لمدة طويلة ، وأبلغ قيادة آيباك أن العلاقات بين اسرائيل والولايات المتحدة ستجرى ادارتها من الآن فصاعدا على مستوى الدول بدون وسطاء . وأمام مؤتمر الزعماء فى نيويورك قال لهم إن زمن اسكات أصوات المعارضة اليهودية الأمريكية قد ولى، وأن بإمكانهم الآن أن يقولوا ما يشاءون عن السياسة الاسرائيلية لأن آراءهم لم تعد تهم أحدا فى كثير أو قليل داخل اسرائيل .

واختار رابين نائب وزير الخارجية يوسى بيلين ليتولى مسئولية علاقات اسرائيل بيهود الشتات فازداد الأمر تعقيداً بسبب اتجاهاته البالغة الاعتدال فى شئون السياسة الخارجية وبسبب تصريحاته أمام قيادات المنظمات اليهودية فى الخارج . وأمام منظمة النداء اليهودى الأمريكى شكا يوسى بيلين من أن جامعى التبرعات فى المنظمة يصورون اسرائيل على أنها عالة تعيش على المعونات بينما هى الآن، على حد قول بيلين ، دولة متقدمة تكنولوجيا وقوة اقليمية كبرى وليست بحاجة للتبرعات .

وعلى المستوى الديبلوماسى الأقل حيث تعالج علاقات اسرائيل بيهود الشتات يوماً بيوم داخل السفارات والقنصليات عجز المسؤولون عن احتواء الأزمة . فقد اختار رابين شخصيتين ديبلوماسيتين تحظيان بالاحترام لقيادة العمل الديبلوماسى الاسرائيلى فى الولايات المتحدة هما ايتمار رابينوفيتش فى منصب السفير وكوليت آفيتال فى منصب القنصل العام بنيويورك . وقد وقع الاختيار على رابينوفيتش لأنه خبير فى الشئون العربية وبالتالى فهو الشخصية الملائمة للاشتراك فى عملية السلام المتسارعة الايقاع فى الشرق الأوسط . أما كوليت آفيتال فقد ذهبت إلى نيويورك ولديها خطط للوصول إلى عالم الفن والإعلام والتجارة . ولم يكن لدى أى منهما أية خطط بالوصول إلى قيادات المنظمات اليهودية الأمريكية . ومثل الجيل الذى ينتميان إليه كان لدى رابينوفيتش وآفيتال شعور عام بأن زعماء يهود أمريكا سيتبعون اسرائيل بشكل أوتوماتيكى، وأن تأييد سياسة اسرائيل فى وسائل الإعلام وفى الوسط السياسى وبخاصة فى الكونجرس نابع من إعجاب يهود أمريكا الشديد بالنموذج الاسرائيلى . ولكن لم يعلم الاثنان جيداً طبيعة اللوبى اليهودى الأمريكى .

ومع إقدام اسرائيل على مخاطرة السلام مع الفلسطينيين وجد رجال الكونجرس اليهود أنفسهم واقعين تحت ضغوط اليمين الذى طالب باتخاذ الجهود المطلوبة لوقف عملية

السلام ؛ وبالفعل بذل هؤلاء الجهد من أجل تجميد المعونات الأمريكية للفلسطينيين وعدم الاعتراف بياسر عرفات كشريك فى المفاوضات وتعويق المفاوضات السورية - الاسرائيلية عن طريق المعارضة المسبقة لوضع قوة حفظ سلام أمريكية على الحدود بين سوريا واسرائيل، بل محاولة قطع المعونات الأمريكية عن مصر أيضاً أول من دخل فى اتفاق سلام مع اسرائيل وذلك بعد أن اتخذت مصر عدة خطوات فى دعم الصف العربى أثناء المفاوضات . وفى كل مرة يهدد فيها الموقف بانفجار كبير تتدخل السفارة الإسرائيلية والادارة الأمريكية للتهدئة ومناشدة رجال الكونجرس بعدم تدمير فرص السلام . واستمرت عملية السلام فى تقدمها ليس بفضل القيادة اليهودية وانما لأن اللوبى اليهودى فى الكونجرس تراوح موقعه بين الحياد ومحاولة اعاقة عملية السلام . والحقيقة أن عمل اللوبى أصابه الشلل بسبب الانقسام بين هؤلاء المؤيدين والمعارضين بقبول اسرائيل لحل وسط مع العرب . وقد وجدت منظمات الوسط مثل مؤتمر الزعماء وأيباك نفسها تعزف على أوتار الخلاف بعد أن نجحت من قبل وأثناء حكم الليكود فى عزف نغمة الوحدة بين يهود أمريكا واسرائيل . وعندما طلبت حكومة اسرائيل من أيباك أن تقوم بحملة لشحن التأييد للسياسة الاسرائيلية ، قامت أيباك بطرح مبادرة تشريعية فى الكونجرس عام ١٩٩٥ لنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس ؛ وقد سبب هذا إحراجاً كبيراً للحكومة الاسرائيلية التى تدعى من جانب أن القدس عاصمتها ، ومن جانب آخر تخوض مفاوضات سلام سيتقرر من خلالها مستقبل المدينة المتنازع عليها .

وقد بذلت جهود كثيرة من أجل وقوف اليهود الليبراليين وراء حكومة حزب العمل فى اسرائيل، ولكن هؤلاء كانوا متفرقين ومختلفى الآراء وجاء تأييدهم للحكومة الاسرائيلية بارداً . ومن حين لآخر أحضرت (ناكراك) مجموعات من القيادات اليهودية المحلية إلى واشنطن ليقوموا بالضغط على الكونجرس من أجل عملية السلام ، مثل منظمة (منتدى السياسة الاسرائيلية) التى شكلها مؤيدو رابين عام ١٩٩٢ وتضم عددا من رجال الأعمال الأثرياء ، وقد دعم هؤلاء عددا من المبادرات بأموالهم من حين لآخر، مرة يدعمون اعلاناً بالصحف ومرة يمولون دراسة لاستطلاع الآراء بحيث يظهر أن هناك تأييدا يهوديا قويا لسياسة رابين، ولكن لم تترك هذه المحاولات أثراً عميقاً ؛ فالجماعات التى حاربت، وحيدة، من أجل الليبرالية الاسرائيلية أثناء سنوات حكم الليكود مثل «أمريكيون من أجل السلام الآن أو صندوق اسرائيل الجديدة» لم تشهد أى زيادة كبيرة أو مفاجئة فى عدد أعضائها أو فى حجم التبرعات التى تصل إليها بعد أن وصل أصدقاؤهم للحكم فى اسرائيل . وكما

شهد اليمين اليهودى نمواً كبيراً عندما وصل الليكود إلى الحكم عام ١٩٧٧ شهد نمواً آخر بعد وصول العمل إلى الحكم . أما يهود الوسط فقد وقفوا مترددين أمام اظهار تأييد وحماس كبيرين لرابين بنفس الدرجة التى أظهروها من قبل تجاه بيجين وشامير . وقد خشى كثيرون من يهود الوسط أن يفعلوا ذلك - باستثناء آبى فوكسمان من لجنة مكافحة تشويه الصورة - حتى لا يرميهم اليمينيون بتهمة تأييد العرب ، أو أن يعود الليكود إلى الحكم فيلقوا عقاباً صارماً .

وربما تسببت عودة الليكود للحكم مرة أخرى فى مايو ١٩٩٦ تحت قيادة بنيامين - بيبى - نتانياهو فى ارتياح ممزوج بالخوف بين يهود أمريكا أما الخوف فقد كان مصدره الاحساس فى الأيام الأولى لحكومة نتانياهو أن هذه الحكومة الجديدة ستتراجع دبلوماسياً عن عملية السلام ، وستجدد عملية الاستيطان مما سيشعل المواجهة بين الفلسطينيين والاسرائيليين من ذلك النوع الذى هز الضمير الأمريكى خلال الثمانينات ، كما أن ردود الأفعال العربية تجاه الحكومة الاسرائيلية الجديدة يمكن أن تعيد اسرائيل إلى أيام العزلة الدولية التى شهدها حكم شامير ، وأخيراً فإن النجاح الذى حققته أحزاب الأرثوذكس فى الانتخابات تهدد بالإطاحة بالتقدم الذى حققه اليهود الاصلاحيون والمحافظون فى أمريكا منذ عام ١٩٨٨ فى دفع برامجهم وتوضيحها على المسرح الاسرائيلى .

وفى الجانب الآخر كان هناك شعور ببعض الارتياح ومصدره أن عودة الليكود للحكم ستعود معها العلاقات بين اسرائيل ويهود الشتات إلى ما كانت عليه من قبل ، وإذا عادت اسرائيل مرة أخرى دولة معزولة ومهددة فستكون بحاجة إلى تأييد اليهود الأمريكيين ودفاعهم عنها ، وستعيد القيادة الاسرائيلية التقليدية وجهة النظر القديمة بالتضامن بين يهود العالم ، وسيصل الليكود إلى المنظمات اليهودية الأمريكية . كما فعل دائما فى الماضى وسيجمع رؤوس هذه المنظمات المختلفة فى وحدة بيد قوية واثقة ، وسيتبعه يهود أمريكا صفاً واحداً ، وسيسعد البعض بذلك ويحتج البعض الآخر ولكن سيكون لدى الجميع شعور بأن هناك قيادة تجمعهم خلفها .

وفى ظل القانون الاسرائيلى الأساسى - الذى يعد بمثابة الدستور - توجد رابطة رسمية بين الدولة اليهودية ويهود الشتات وتحقق هذه الرابطة منظمة الصهيونية العالمية والأجهزة التابعة لها مثل الوكالة اليهودية ، ويقوم العاملون بهذه المنظمة بتمثيل يهود الشتات فى الأحداث المهمة والاحتفالات والمناسبات الرسمية ، ويبلغ هؤلاء

رئيس الـوزراء الاسرائيلى فى حالة وقوع أى أزمة لليهود فى الخارج وبذلك فهم القناة الأساسية لحشد تأييد يهود الشتات من أجل اسرائيل . وعبر نفس القناة تبلغ اسرائيل يهود الشتات فى أنحاء العالم بالرسائل المرغوب فى توصيلها إليهم ، ومن خلال منظمة الصهيونية العالمية ومجالسها المنتخبة وجمعياتها يكون لدى يهود الشتات الحق فى إبداء الرأى تجاه اسرائيل .

وتقوم الوكالة اليهودية بمهمة بناء الدولة داخل اسرائيل ، مثل الادعاء بحق اليهود فى الأرض وتوطين المهاجرين ، وتعتبر الوكالة أن هذه الأعمال واجبات عليها تجاه اليهود فى كل مكان وليس فقط فى اسرائيل ، وتبلغ ميزانيتها السنوية نصف بليون دولار وتأتى من حملات جمع التبرعات فى أنحاء العالم ، وبخاصة حملات منظمة اتحاد النداء اليهودى داخل الولايات المتحدة .

وبرغم أن دور منظمة الصهيونية العالمية كنافذة لصوت يهود الشتات واحد من أقل أعمالها شهرة إلا أنه من أكثر أدوارها فاعلية ، حيث إنها تكاد تكون المنظمة اليهودية الوحيدة التى تشجع الحوار حول اسرائيل وسياستها ولا تعمل على اسكات صوت المعارضة . وكثيراً ما تشهد المنظمة حوارات ساخنة جداً تصل أحيانا للتشابك بالأيدى أثناء مؤتمر الصهيونية العالمية الذى ينعقد فى القدس مرة كل أربع سنوات ، ويختص المؤتمر بوضع السياسات المستقبلية واختيار الأعضاء التنفيذيين بالمنظمة ، وعادة ما يسيطر وفد اسرائيل بالمنظمة على أحداث المؤتمر ولكن ليس بشكل مستمر . ففى عام ١٩٨٣ صوتت باقى الوفود ضد استخدام أموال منظمة الصهيونية العالمية لبناء مستوطنات فى الضفة الغربية ، وكان هذا يعنى انتهاء قدرة حكومة الليكود على الاستمرار فى بناء المستوطنات الجديدة فى الضفة لأن هذه من اختصاصات المنظمة ، ولكن رئيس المنظمة آريا والزين وهو سياسى ليكودى تغلب على الاعتراض حيث علق أعمال الجلسة واعتبر التصويت غير سارى المفعول حتى تمكن فى ليلة واحدة من اقناع وفد يهود هداسا الأمريكى بتغيير موقفهم .

ويجرى انتخاب الوفود المشتركة داخل منظمة الصهيونية العالمية فى كل دولة على حدة ويسمح لكل عضو يسدد قيمة اشتراكه فى أى منظمة صهيونية بالتصويت فى هذه الانتخابات . وفى عام ١٩٨٧ بلغ عدد الناخبين من يهود أمريكا – فى انتخابات مؤتمر الصهيونية العالمية – حوالى ٨٥٠ ألف ناخب أى واحدا من كل خمسة فى سن الانتخاب . ومع ظهور قانون (من هو اليهودى؟) انتهى الاقتراع باكتساح لصالح الاصلاحيين

والمحافظين وانهزم الصهاينة التقليديون المؤيدون للنظام السياسي الاسرائيلي ، وقد تحالف بعد هذه النتيجة حزب العمل الاسرائيلي مع الاصلاحيين وتمكنوا من ازاحة شامير ومؤيديه من المكاتب التنفيذية للوكالة اليهودية ، ووقع الاختيار على حاخام اصلاحي ليتولى ادارة التعليم بالمنظمة وحاخام محافظ ليتولى ادارة التنظيم مما أتاح الفرصة أمام الأجنحة اليهودية الليبرالية لكسب الأرضية والاعتراف بها داخل اسرائيل . والأهم من ذلك أنه قد تم اختيار حاخام اصلاحي أيضا ليرأس المجلس الصهيوني العام وهو ثالث أهم المناصب فى منظمة الصهيونية العالمية ، وقد أصبح هذا الحاخام جزءاً رسمياً من البروتوكول الاسرائيلي فى المناسبات والاحتفالات مثل الأعياد الرسمية والجنازات الرسمية وغيرها ؛ وقد كانت هذه هى المرة الأولى التى يدخل فيها حاخام اصلاحي للمجال الرسمي الاسرائيلي بفضل أصوات يهود أمريكا . كما حدثت نتيجة أخرى مهمة لانتخابات عام ١٩٨٧ حيث اتخذ زعماء التنظيمات الصهيونية الأمريكية قراراً بعدم اختيار أعضاء الوفد الأمريكي فى منظمة الصهيونية العالمية عن طريق الانتخاب حيث اعتبر هؤلاء الزعماء أن عملية الانتخابات شاقة ومكلفة ، واستقر الرأى على اختيار أعضاء الوفد عن طريق التفاوض والتشاور بين قيادات التنظيمات الصهيونية الأمريكية .

ولمدة نصف قرن كانت منظمة اتحاد النداء اليهودي هى المحرك الأساسي لكل الأجزاء الأخرى لآلة التنظيمات اليهودية الأمريكية الأخرى ، وعن طريق النداء اليهودي تجرى حملات لجمع التبرعات اللازمة لتمويل شبكة الخدمات المختلفة فى التعليم والدفاع والرعاية الاجتماعية والتى تصل تكلفتها سنوياً إلى ٤ بلايين دولار . كما يمنح الاتحاد اليهودي ملايين أخرى من الدولارات للوكالات اليهودية خارج إطار الخدمات السابقة ، وبذلك يصبح اتحاد النداء اليهودي وفروعه شريكاً فى إدارة عدد كبير من المؤسسات اليهودية بداية من لجنة مكافحة تشويه الصورة - وتحصل على ٥ ٪ من ميزانيتها من تبرعات النداء اليهودي - وانتهاء بوكالة التلغراف اليهودية - التى تحصل على ٥٠ ٪ من ميزانيتها من هذه التبرعات ، أما (ناكراك) فتحصل على ميزانيتها كاملة من تبرعات اتحاد النداء اليهودي ، ومن خلال سيطرة النداء اليهودي على تمويل ناكراك فإن المنظمة تكون بذلك ذات سيطرة كبيرة على عملية صنع القرار داخل أهم وكالات الدفاع اليهودية الأمريكية .

ولا يقتصر أثر اتحاد النداء اليهودى على مجتمع يهود أمريكا فحسب وإنما تقدم المنظمة ٣٠٠ مليون دولارسنوياً لاسرائيل هى دعامة مهمة لميزانية الوكالة اليهودية من أجل اسرائيل والتى تقدم أكبر حجم من الخدمات الاجتماعية داخل اسرائيل ، وتبلغ الميزانية السنوية الإجمالية للوكالة نصف بليون دولار وهى بذلك تعد أكبر منظمة يهودية فى العالم . وتدعم الوكالة عمليات الاغاثة والتوطين والتعليم اليهودى والثقافى ليهود الشتات والذى يتكلف ٥٠ مليون دولار سنوياً . كما تدعم الوكالة اللجنة المشتركة للتوزيع بميزانية قدرها ٦٠ مليون دولار مما يجعلها من أكثر منظمات الاغاثة اليهودية فاعلية على مستوى العالم . وتقدم اللجنة خدماتها لمن يحتاجها من اليهود من الشيشان إلى اثيوبيا إلى الأحياء الفقيرة فى تل أبيب . وتتمتع منظمة اتحاد النداء اليهودى بشهرة خاصة بين الأمريكيين اليهود وغير اليهود بقدرتها العجيبة على الحصول على التبرعات من خلال حفلات العشاء التى يدعى إليها المشاهير والأغنياء وعادة ما تنتهى هذه الحفلات بالاعلان عن قيمة تبرعات كل شخص والثناء على الكرماء واهانة البخلاء ، والنتيجة حصول المنظمة على ٩٠٠ ألف تبرع سنوياً .

فى ١٦ أبريل ١٩٩١ اجتمع زعماء الاتحادات اليهودية فى واشنطن لعقد الجمعية العامة لمجلس الاتحادات ومناقشة اقتراح مهم للغاية ، فقد سعت الوكالة اليهودية لتغيير نظام حصولها على التبرعات من الاتحادات اليهودية ؛ فبدلاً من الحصول على مبالغ مالية مقسمة كلا منها لصالح هدف معين مثل الاسكان والتأمين الصحى والتدريب اللغوى اقترحت الوكالة أن تحصل على هذه التبرعات دفعة واحدة ، وذلك بعد بداية طوفان اليهود السوفيت المهاجرين والذى بلغ معدل ١٥٠ ألف مهاجر سنوياً ، وطلبت الوكالة اليهودية من الاتحادات الحصول على ٩٠٠ مليون دولار لصالح المهاجرين السوفيت . وبناء على الاقتراح الجديد يقدم كل اتحاد يهودى نصيباً من التبرعات يتناسب مع حجم عدد اليهود سكان المجتمع المحلى الذى يوجد فيه ، ويتناسب مع حجم التبرعات السنوية التى يحصل عليها ، وبعد خصم التبرعات التى توجه مباشرة إلى الوكالة اليهودية يخصص الباقى لأنشطة الاتحاد المختلفة مثل المراكز الاجتماعية اليهودية ودور المسنين وغيرها .

ورغم ارتفاع أصوات المعارضة إلا أن القرار مر بأغلبية ساحقة نجح فى حشدها ماكس فيشر . وشعر الحاضرون بأهمية القرار بسبب الخلاف الكبير الذى استمر بين الحكومتين الاسرائيلية والأمريكية حول ضمانات قروض قدرها ٤٠٠ مليون دولار لمدة عام ونصف عام فى حين تمكنت الوكالة اليهودية من الحصول على ٩٠٠ مليون دولار لصالح

اليهود السوفيت في يوم واحد . والسبب الثاني لأهمية هذا القرار هو أنه لأول مرة يتحد يهود أمريكا صفاً واحداً وصوتوا لصالح فرض الضرائب على أنفسهم وتحول مجلس الاتحادات اليهودية من مجلس استشارى يقدم المساعدات لعشرات الجمعيات الخيرية إلى جهاز لصنع القرار يحظى بنصيب الأسد من أموال يهود أمريكا .

ثم في عام ١٩٩٢ حدث المزيد من التطورات ، حيث شكل مجلس الاتحادات اليهودية لجنة جديدة تعمل على تنسيق وتوزيع ما يحصل عليه المجلس من ضرائب على الوكالات القومية مثل (ناكراك) والجمعية اليهودية لمساعدة المهاجرين ، وبعد أن تقوم اللجنة بمراجعة ميزانيات الوكالات القومية وتقر ما تستحق من أموال الاتحادات فإنها تقوم بإرسال الفواتير المالية المستحقة إلى هذه الاتحادات لتحصيلها . وتعنى هذه التطورات الأخيرة بوضوح وبساطة أن مركز القوة قد تغير لصالح مجلس الاتحادات اليهودية والذى يتحكم بصورة ما في ميزانيات المنظمات اليهودية القومية. وتدريجيا بدأت الاتحادات والمنظمات اليهودية تتخلى عن استقلالية قرارها . كما تم توسيع مجلس إدارة مجلس الاتحادات اليهودية ، وأصبح لكل اتحاد حق في التصويت يتناسب مع حجم التعداد السكاني اليهودى الذى يمثله ، وأطلق على الجهاز الجديد اسم (مجلس الممثلين أو المندوبين) .

وفي أواخر عام ١٩٩٥ وضعت خطة جديدة لدمج مجلس الاتحادات اليهودية واتحاد النداء اليهودى . ورغم أن الخطة مازالت تواجهها عوائق كثيرة إلا أنها عندما تتحقق فإن الاندماج الجديد سيخلق منظمة واحدة يهودية قومية عظمى لها سيطرة كبيرة على قرارات المنظمات اليهودية الأخرى ، وهذا بدوره سيتيح الفرصة أمام عموم المتبرعين بالتدخل في عملية صنع القرار ، بعد أن سيطر عليها من قبل كبار المتبرعين وأغناهم .

ومع قرب بداية الألفية الميلادية الثالثة يواجه نظام الاتحادات التابعة للنداء اليهودى مشاكل كبيرة ، حيث انخفضت الموارد المالية بشكل منتظم منذ عام ١٩٩٠ بعد أن بلغت هذه الموارد ذروتها ووصلت في ذلك العام إلى حوالي بليون دولار، وهذا يعني اقتراب يهود أمريكا أكثر فأكثر من الذوبان الكامل في المجتمع الأمريكي .

ومن جانب آخر توجد أزمة بسبب انخفاض نسبة التمويل التى ترسلها الاتحادات إلى إسرائيل وبشكل منتظم أيضا ، وقد يساعد على ذلك أن إسرائيل لم تعد تواجه أخطارا خارجية كبيرة وبالتالي يقل الشعور لدى اليهود بأهمية العطاء والتبرع لصالح

الاتحادات وبالتالى إسرائيل . وتتصل حلقات السلسلة ؛ إسرائيل تواجه أخطارا أقل وتبرعات اليهود تنخفض بانتظام وقوة الاتحادات اليهودية تتراجع إلى الوراء بانتظام أيضا ويميل يهود أمريكا للذوبان فى المجتمع الأمريكى بشكل متزايد .

ويزيد أزمة الاتحادات اليهودية وجود عدد كبير من الواجبات أمامها فى نفس الوقت الذى تواجه فيه المصاعب المالية ، حيث يتزايد الطلب الآن على الخدمات الاجتماعية والطبية والثقافية من جانب اليهود الأمريكيين بسبب مشاكل البطالة بالإضافة إلى مطالب المهاجرين من اليهود السوفيت للإعاشة والاسكان والتعليم والرعاية الطبية وما إلى ذلك ، وفى مقابل هذه الأعباء المتزايدة ، انكمشت قاعدة المتبرعين للاتحادات اليهودية .

وإذا كان حجم التبرعات التى تصل إلى إسرائيل قد انخفض فإن هذا قد يبدو تخفيفا من الأعباء المالية التى تواجهها الاتحادات اليهودية ولكن حتى الاسرائيليون والذين يتحدثون بكل جرأة عن تناقص اعتمادهم على أموال تبرعات يهود أمريكا ، إلا أنهم فى حقيقة الأمر يرون هذا التراجع في التبرعات باعتباره علامة مرض وليس علامة صحة ، ويقترح البعض فى اتحاد النداء اليهودى حلا لهذه المشكلة وهو أن تقدم الاتحادات التبرعات إلى إسرائيل باعتبارها رمزا لليهودية الحديثة ، ثم تقوم إسرائيل بدورها بتخصيص هذه الأموال للمؤسسات التى تعمل على دعم الهوية اليهودية لدى الشتات ، وبذلك تدور الأموال فى حلقة متصلة . وتتمتع إسرائيل بموقع فريد يؤهلها لقيادة يهود أمريكا من الناحية الروحية والمعنوية باعتبارها أكبر مركز للثقافة اليهودية والتعليم اليهودى ، وفى إسرائيل منشآت وأماكن سياحية وأكاديميات دينية وجامعات وأساتذة أكفاء لديهم الاستعداد للقيام بمهمة تعليم وتدريب الأجيال الجديدة من المعلمين الدينيين الأمريكيين والقيادات الثقافية ، وبالفعل يذهب آلاف الشباب من يهود أمريكا سنويا فى رحلات إلى إسرائيل بهدف الدراسة أو السياحة الدينية أو حتى للمتعة والترفيه وعندما يعود هؤلاء إلى الولايات المتحدة فإن معظمهم يقولون انهم قد عثروا على معنى جديد لهويتهم اليهودية .

ولدى منظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية خبرة عشرات السنين فى دعم التعليم والثقافة اليهودية آخذتين إسرائيل كنموذج يحتذى بالنسبة ليهود الشتات ، ولكن فى الوقت الحالى تنصب معظم الميزانية السنوية للمنظمتين على المهاجرين من اليهود السوفيت، إلا أن الخبراء يتوقعون أن تتوقف حركة هجرة اليهود السوفيت خلال عشرة أعوام ، وعندما

يحدث ذلك سيتحول انتباه الوكالة اليهودية إلى الأزمة الجديدة وهى إرواء العطش الثقافى ليهود أمريكا خاصة مع سيطرة يهود أمريكا على أغلبية مقاعد مجلس إدارة الوكالة .

ويمكن أن نعطى مثلا على مدى نفوذ المتبرعين الأغنياء لدى الاتحادات اليهودية ، ففى شتاء عام ١٩٩٥ وبعد أن حقق الجمهوريون الأغلبية البرلمانية فى الكونجرس عام ١٩٩٤ حاولت ممثلة واشنطن فى مجلس الاتحادات اليهودية ديانا آفيف أن تحشد الاتحادات لمعارضة خطة الميزانية الأمريكية حيث إن سيطرة الجمهوريين على مجلس النواب تعنى مباشرة خفض برامج الرعاية الاجتماعية وهذا بدوره يتناقض مع أهداف الاتحادات اليهودية كما يزيد من أعبائها . ورغم اقتناع أغلبية المجلس باقتراح ديانا إلا أنه رفض بعد أن اعترض عليه اتحادان كبيران هما اتحاد ميامى واتحاد نيويورك ولم يكن هذا الاعتراض يرجع لوجهات نظر أعضاء مجلسى إدارة الاتحادين ولكن خوفا من خسارة تبرعات عدد قليل لكنه مهم من كبار المتبرعين للاتحادين وهم من الجمهوريين .

ولا تعد سيطرة أموال الأغنياء على المنظمات اليهودية بالظاهرة الجديدة ، وقد أخذت هذه الظاهرة فى المد خلال الثمانينات حيث وجدت المنظمات أن بمقدورها جمع تبرعات أكبر من عدد أقل من الأشخاص وهذا يوفر جهد وتكاليف طرق أبواب الأعداد الكبيرة من صغار المتبرعين ، ولكن ارتفاع نسبة كبار المتبرعين ونسبة أموالهم فى ميزانيات المنظمات اليهودية الأمريكية المختلفة خلق مشكلة خطيرة وهى أن هامش حركة الصغار أصبح محدودا جدا ، ومهما كان الشكل الديمقراطى الذى تتخذ به القرارات داخل هذه المنظمات فإنه فى النهاية يتأثر مباشرة بأموال عدد محدود من المتبرعين الأثرياء بغض النظر عما إذا كان هؤلاء الأثرياء يقفون وراء مصلحة إسرائيل أو مصالح يهود أمريكا عموما .

وبرغم كل ما تمكن يهود أمريكا من تحقيقه حتى الآن من إنقاذ أعداد كبيرة من يهود العالم ومن دفاع عن مصالح إسرائيل ومن الحياة داخل مجتمع مفتوح على قدم المساواة مع الآخرين، مازال هناك الكثير مما يجب عمله فى المستقبل ، ويتطلب هذا خلق قيادة قوية ليهود أمريكا . ففى سنوات حكم رابين وفي ظل التباعد الذى حدث بين إسرائيل ويهود أمريكا وقفت المنظمات اليهودية الأمريكية «محلك سر» غير قادرة على العودة إلى الوراء وغير راغبة فى التقدم للأمام . ومع عودة الليكود إلى الحكم يتعين على قيادات يهود أمريكا أن تستقر على اختياراتها المستقبلية إما بالعودة إلى دورها القديم كصدى صوت لما تقوله إسرائيل متجاهلة أصوات المعارضة أو اختيار الإمساك بمقدرات يهود أمريكا جيدا ومعاملتهم بتعاطف وحنو كاملين وإحياء الأمل لدى يهود الخارج أيضا ،

ويتطلب هذا أن تتوافر للقيادة اليهودية الأمريكية شجاعة الاختلاف فى الرأى مع إسرائيل والإصرار على أن تتعامل إسرائيل بنفس القدر من المساواة والاهتمام بيهود الشتات .

يؤكد الواقع أن النفوذ اليهودى الأمريكى يمكن أن يتراجع بنفس سرعة تصاعده، كما يؤكد الواقع أيضا أن يهود أمريكا قد حققوا الكثير ، فالأمور التى تثير قلقهم تؤخذ بعين الاعتبار إذا ما أجادوا عرضها بصورة ذكية ومحترمة . ومازالت المنظمات اليهودية ، خاصة الاتحادات ولجنة مكافحة تشويه الصورة وغيرها من وكالات الدفاع واتحادات المعابد وآيباك ، مازالت كلها تحظى بولاء الكثيرين ولديها القدرة على جمع تبرعات مالية كبيرة . كما أن المجالس التى تجمع هذه المنظمات من ناكراك ومؤتمر الزعماء مازالت تلتقى وتجتمع بانتظام ولديها القدرة على حشد رأى يهودى عام ، وإذا ما توصلت قيادات هذه المنظمات فيما بينها إلى رؤية شاملة واستقرت على سبل التقدم للأمام ومخاطبة التيار العام ليهود أمريكا فلابد أنها ستجد قطاعا عريضا يتبعها ويحترم شجاعتها .

توجد الآن كتلة قوية معتدلة بين يهود أمريكا ، وما ينقصها أن تحظى باهتمام واحترام القيادة . ما ينقص يهود أمريكا الآن هو أن تتبادل الجماهير والقيادات الاهتمام والإصغاء لبعضهما البعض والإيمان بقدرة كل طرف منهما ؛ وإذا ما آمن يهود أمريكا بقدراتهم بنصف الدرجة التى يعتقدها غير اليهود فيهم فإنهم سيظلون قوة مؤثرة لصالحهم الخاص ولصالح أمريكا العام .

الخاتمة

العودة إلى الحديقة

الأحد .. العاشر من ديسمبر ١٩٩٥ ، الساعة الثامنة صباحا ، يوم شتاء قارس لم يمنع الآلاف من يهود أمريكا جماهير وقادة ، متطرفين ومعتدلين، من التدفق على حديقة ميدان ماديسون فى نيويورك لتأبين رئيس وزراء إسرائيل اسحق رابين بعد خمسة أسابيع من اغتياله .

أظهر هذا الحشد الكبير مدى تضامن يهود أمريكا ، وحرص الآباء والأمهات على اصطحاب أطفالهم ليشهدوا هذا التجمع الضخم ليستوعبوا درسا من أجل المستقبل .

اجتمعت هذه الآلاف فى الحديقة رغم الشكوك الكبيرة التى ساورت الجميع بأن الحضور سيكون ضعيفا . فقد أبلغت كوليت أفيتال قنصل عام إسرائيل فى نيويورك زعماء المنظمات اليهودية الأمريكية بخطتها للاحتفال بتأبين رابين كما أبلغتهم برغبتها فى حشد يهود أمريكا للتضامن مع إسرائيل ولتأييد سياسة السلام التى اغتيل رابين من أجلها ، وبعد أيام قليلة تقدمت منظمة مؤتمر الزعماء لرعاية المناسبة حتى يبدو الأمر تعبيرا عن مشاعر يهود أمريكا بشكل عام بدلا من أن يكون مناسبة خاصة بنيويورك وحدها .

ولكن بمجرد أن بدأت الترتيبات ظهرت المشاكل، فكيف يمكن أن يكون السلام شعارا لتجمع يشترك فيه اليهود الأرثوذكس الذين يعارضون عملية السلام من أساسها ؟ .. وهدد هؤلاء بمقاطعة المناسبة .

وحلا للأزمة اقترحت منظمة (مؤتمر الزعماء) أن يكون شعار التجمع هو (التضامن مع إسرائيل وسعيها من أجل السلام) دون ذكر كلمة عملية السلام تحديدا . ووافق الأرثوذكس ، ولكنهم عادوا يعترضون على اشتراك الفنانة باربرا سترايساند بالغناء فى حفل التأبين حيث إنه وفقا للمذهب الأرثوذكسى يحظر على الرجال الاستماع لغناء المرأة ، وهددوا بالمقاطعة مرة أخرى ، ثم اتضح بعد ذلك أن باربرا سترايساند غير موجودة

بنيويورك، وأصر المسئولون الإسرائيليون على اشتراك المغنية الإسرائيلية ميرى آلونى بالغناء فى حفل التأبين ، وهى نفس المغنية التى غنت فى مسيرة السلام التى قام بعدها مباشرة إيجال عامير بإطلاق الرصاص على اسحق رابين ، وظلت المشكلة قائمة حتى يوم واحد قبل موعد الاحتفال.

ظهرت بعد ذلك مشكلة أخرى حيث أصر مورت كلاين رئيس منظمة الصهيونية الأمريكية على ضرورة دعوة المعارضة الإسرائيلية - الليكود - لحضور الاحتفال وإلقاء كلمة ، وإلا اعتبرت المناسبة احتفالا خاصا باليسار الإسرائيلى فقط . ولكن كوليت آفيتال أصرت على أن شيمون بيريز عندما يلقى كلمة أمام الحاضرين يكون هذا باعتباره رئيسا لوزراء إسرائيل كلها وليس ممثلا عن حزب العمل ، وهنا أعلنت المنظمة أنها ستقاطع الاحتفال. وتوالت الخلافات ونشر البعض إعلانات مدفوعة بالجرائد يدعون لمقاطعة الحدث وعدم المشاركة فيه ؛ هددت النساء بالمقاطعة بسبب مشكلة باربرا سترايساند، والصهاينة يهددون بالمقاطعة لعدم دعوة الليكود، والأرثوذكس يهددون بالمقاطعة إذا ذكر لفظ عملية السلام .... ولكن بالرغم من كل شئ وفى اليوم المحدد احتشد نحو عشرين ألفا من يهود أمريكا فى حديقة ميدان ماديسون منهم ٣٠٪ من الأرثوذكس وصفق الحاضرون بحرارة لكلمات المتحدثين .

ألقت «ليا» أرملة اسحق رابين كلمتها وقالت فيها «أرى أنه بوفاته قد أورثنا السلام .. السلام الذى سيتحقق رغما عن معارضى السلام» ، ونالت ليا إعجابا وتصفيقا حارا لكلمتها .

وصفقوا أيضا لكلمة شيمون بيريز التى قال فيها : «لم يحاول رابين أن يسعدكم ولكنه حاول أن يقودكم على نحو صحيح» .

أما أكثر الكلمات التى أثارت الإعجاب فهى تلك التى ألقاها آل جور نائب الرئيس الأمريكى : «اليوم يجب أن نعبر باقتناع وبصوت واحد أننا لن نخاف» .

ثم غنى الجميع مع المغنى الإسرائيلى دافيد بروزا أغنية بالعبرية «كل شئ سيكون على ما يرام» وتحركت بذلك مشاعر جموع يهود إسرائيل مع التيار العام ليهود أمريكا دون الحاجة إلى زعماء أو منظمات أو قنوات توصيل . لقد تجمع هؤلاء الآلاف ليعبروا عن مجتمعهم كيهود أمريكيين ثم انفضوا بعد ذلك كل إلى شئونه، ولكن المهم أنهم قد ظهروا صفا واحدا فى انتظار الزعماء ليدركوا هذه الحقيقة ويتقدموا لقيادتهم نحو المستقبل .

المحتويات

الباب الثالث

رقم الإيداع
٩٧/١٤٧٥٩
I.S.B.N
977 - 07 - 0571- 3

هذا الكتاب

هذا الكتاب واحد من أخطر الكتب الامريكية عن اليهود فى أمريكا، ليس فقط لأن كاتبه يهودى ، وليس فقط لمعلوماته الغزيرة، وانما لأنه يغوص فى عمق الجالية اليهودية الامريكية منذ وصول المهاجرين اليهود الاوائل الى الساحل الشرقى الامريكى وبداية العمل التنظيمى لليهود وعلاقته المتدرجة بالمؤسسة السياسية الأمريكية .

فهذا العمل بقلم الصحفى الأمريكى چوناثان جولدبيرج ، الكاتب فى مجلة چيروزاليم ريبورت والذى سبق له العمل فى جريدتى نيويورك تايمز ونيوريبابليك. وحصل جولدبيرج على جائزة الهيئة العامة للإذاعة عن موسيقى البوب اليهودية، وهو من سكان مدينة نيويورك حيث يعيش وسط كثافة سكانية يهودية عالية.

يقتحم جولدبيرج فى كتابه «قوة اليهود فى أمريكا» مجالا غير مسبوق، حيث يتبنى نظرة عميقة وكاشفة لقوة ونفوذ اليهود فى الولايات المتحدة اليوم. ويطرح للقارىء أفكارا معارضة للاساطير الراسخة التى تصور اليهود بأنهم ضحايا عاجزون، كما يتناول ايضا الفكرة المعروفة بالمؤامرة اليهودية للسيطرة على العالم. وفى الكتاب الذى يضم ثلاثة عشر فصلا يقول جولدبيرج انه خلال الجيل الاخير اصبح يهود امريكا قوة مؤثرة، ويشرح كيف يوظف اليهود قوتهم وأدواتهم لتحقيق أهدافهم وما يمكن ان يعنيه هذا بالنسبة لليهود أنفسهم وللولايات المتحدة بصفة عامة.

ومن خلال عشرات العشرات من المقابلات الصحفية يتناول الكاتب الدور الحيوى الذى يلعبه اليهود داخل الحزب الديمقراطى الامريكى، وحملات جمع التبرعات، ويصف بدقة طبيعة عمل اللوبى اليهودى ذى الموقع البارز على الساحة السياسية الامريكية، وعلاقة اللوبى مع باقى التنظيمات اليهودية الاخرى، ثم دوره المدهش فى تشكيل السياسة الخارجية الامريكية، كما يتطرق ايضا لواحد من أخطر مجالات التأثير على الرأى العام وهو وسائل الاعلام ودور اليهود فى هذا المجال، بالاضافة الى دورهم فى العملية الانتخابية الامريكية.

وبخليط من الحكايات والتحليل يوضح جولدبيرج كيف تعمل المنظمات اليهودية، ويحدد لنا أسماء اللاعبين الاساسيين فى هذه الساحة والصراعات السياسية والدينية التى تحكم علاقات هؤلاء اللاعبين. ويحذر من الفج[illegible] تفصل بين زعماء المنظمات اليهودية وستة ملايين يهودى يعيشون عل[illegible] الولايات المتحدة.

وبرغم ان وجهة نظر الكاتب قد تختلف، وتتعارض فى أحوال كث[illegible] وجهة نظر القارىء العربى ، الا أنه فى نهاية الامر يظل من المهم ان [illegible] على الكيفية التى يرى بها يهود امريكا أنفسهم، وكيف يحددون مص[illegible] ويفرضونها على الخريطة السياسية الامريكية ويسعون لتحقيقها. ويظل م[illegible] ان نتعرف على هذه الاقلية الامريكية التى تترك بصمات واضحة على ا[illegible] الامريكية فى الداخل والخارج.

الثمن ١٠ جنيهات